



أبو علي القالي

وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس

تأليف:

عبد العلي الودغيري

1403هـ - 1983م

جائزة المغرب في الآداب
لسنة 1977

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث الإسلامي
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــــر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحابته أجمعين.

وبعـــد :

فهذا كتاب (أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس) ألفه الأستاذ عبد العلي الودغيري وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث) من كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وهو بحق يعد من الدراسات الهامة التي تناولت جانبا من جوانب حضارتنا الإسلامية بالأندلس، وأرخت لعلم من أشهر الأعلام الذين أثروا فيها بإنتاجهم ومناهجهم، ألا وهو أبو علي القالي البغدادي المتوفى سنة 356 هـ الذي وفد من المشرق بعد أن طارت شهرته في الآفاق، حاملا معه ذخائر من الكتب والعلوم اللغوية والأدبية، فلقي المكانة التي يستحقها في دولة بني أمية، وجلس للتدريس ونشر المعرفة والتأليف، فكثر تلاميذه وعظم تأثيره.

وقد تتبع مؤلف هذا الكتاب حياة الرجل منذ نشأته بديار بكر، ولاحقه في تنقلاته من موطنه إلى الموصل فبغداد فقرطبة بعد ذلك. ثم درس شيوخه وتلاميذه دراسة مستفيضة، ووقف طويلا عند مؤلفاته اللغوية والأدبية. ورأى أن تأثير القالي في الأندلس قد تم جملة بثلاثة وسائل هي : تأثيره بواسطة مؤلفاته.

ثم بواسطة تلاميذه، ثم بواسطة ما أدخله معه من الكتب المقروءة والمحققة، فوقف عند هذه الأمور ووضحها بما يلزم من الأدلة ويقتضيه من الاطلاع على المكتبة الأندلسية الواسعة، فجاء الكتاب ثمرة جهد طويل وعمل مشكور، ولبنة من اللبنات التي تبذل في سبيل إحياء نهضة العروبة والإسلام، وبعث علومها وتراثها وتخليد رجالاتها العظام.

ذلكم هو الكتاب الذي يشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، بأبي ظبي، أن تخرجاه إلى القراء الكرام عموما والباحثين والطلاب منهم بخاصة. وذلك في إطار الصندوق المشترك بينهما لإحياء التراث الإسلامي الذي وضع بأمر من رائدي البعث الإسلامي أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره، وأخيه سمو الأمير الجليل الشيخ زايد بن سلطان، آل نهيان، حفظه الله آمين. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الهاشمي الفيلالي أمين

أمــا قبــل ....

فبين يديك كتاب مضت ثمانية أعوام على تأليفه. وشاء لـه ربـك أن يظل خلالها غميسا. وكأن ذلـك قـد جرى لحكمـة : أن يكون شـاهـدا على أزمـة الطبع والنشر التي تفل عـزائم الكتـاب، وتكسر صـولـة الأقـلام. فلما أبدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رغبتها المشكورة في فك إسـاره، لم أجد داعيا لإعادة النظر في شكله أو مضمونه، سوى ما اقتضتـه الضرورة من تنقيح وتصحيح ومراجعـة جزئيـة. فهو بين يـديـك أيها القـارىء الجـواد، تعمدت أن أدعه وشأنه كما قدمته أول مرة رسالـة جـامعيـة (1)، اعترافـا من مؤلفه برضاه عن الجهد الذي بذله فيـه. واعتزازا بعلم يمثل مرحلـة فكريـة، ينبغي ألا تقنع أو تزيف. آملا أن يوفق الله لما هو أجدى وأنفع.

وكتب عبد العلي الودغيري

في فاتح رجب 1403 هـ ـ 14 أبريل 1983

---

1) نوقشت الرسالة لنيل شهادة الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) بكليـة الآداب والعلوم الإنسانية ـ فاس بتاريخ 30 يناير 1976.

إلى روح والدي
الذي مات،
وهو يائس أن
أقرأ
عبد الحليم

بســم الله الرحمــن الرحيــم

مقـــــدمــة

حين عقدت النية منذ بداية سنة 1972 م على دراسة أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، كان الذي يغريني بهذه الشخصية المرموقة في تاريخ الثقافة الأندلسية ، جانب لم تتناوله أقلام الدارسين في مبحث مســتقل ، وهو : (تأثيره في الدراســات اللغوية والأدبية بالأندلس) . فاني حين قطعت أشواطا في طريقي ، أنظر في المصادر التي جمعتها من مختلف الخزائن والمكتبات ، ودور الوثائق والمحفوظات بالمغرب وخارجه ، وأتصل بالبحوث والدراســات القديمة والحديثــة ، وأكاتب جمهورا من الدارسين والمهتمين (I) ، وفي كل مرة أعثر على طريفة ، وأســتقي فائدة ، كانت النتيجة أن توصلت الى حقيقتين :

I) أن ليس هناك من اهتم اهتماما خاصا بدراسة هذا الجانب ، بطريقة علمية دقيقة ومفصلة ، على كثرة ما هنالك من اشارات عابرة ومقتضبة ، وجمل متناثرة في بطون الأسفار والمجلدات ، لا تقيم حجة ولا دليلا على هذا التأثير ، ولا تحدد صوره وأشكاله ، أو تبحث في دوافعه وأسبابه ، ثم نتائجه ودوره في الثقافة الأندلســية . هذا مع ما شابها من أوهام ، وعابها من أخطاء وأغاليط ، حتى بدت بعيدة كل البعد عما رسمته لبحثي ، وبذلت فيه جهدي .

(I) وبالمناسبة أنوه بمســاعدة هؤلاء الفضلاء الذين كاتبتهم أو اتصلت بهم : الدكتــور عمر الدقاق (جامعة حلب) - الدكتور هاشم ياغي (جامعة عمان) - الأســتاذ محمد مرسي الخولي (القاهرة) - هاشم الطعان (العراق) - أحمد عبد المجيد هريدي (القاهرة) - عبد الحفيظ منصــور (تونس) - المرحوم العابد الفاسي - عبد الرحمن الفاسي - محمد المنوني - المرحوم محمد ابن العبــاس القباج والدكتور محمد ابن شريفة من المغرب .

2) ان القالي نفسه مع كونه شخصية مشهورة معروفة ، لم تنل حياته حظها الكافي من الدرس والبحث ، ولم يكشف عن كثير من غوامضها التي عملت وسعي لاستجلائها . فاما الذين تحدثوا عنه من القدامى ، فهم جمهرة المترجمين وأصحاب الطبقات الذين يكتفون بترديد صيغ محفوظة لترجمته المختصرة في سطور . واما المحدثون الذين تناولوه بالدرس ، فهم جماعة قليلة معدودة على الأصابع ، وقد اقتصر أغلبهم على نقل أقوال القدماء ، مع اجتهادات لا تغني عن اعادة النظر والبحث في حياته ، على ضوء مصادر التراث التي يكشف في كل يوم عن كثير منها .

وعندما تأكد لي صدق هاتين الحقيقتين ، شرعت في كتابة هذا البحث ، وقسمته الى قسمين كبيرين ، خصصت اولهما لحياة القالي بالمشرق والمغرب ، وثانيهما لتأثيره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس .

ثم عمدت الى القسم الأول فجعلته في بابين ، أولهما للمرحلة المشرقية ، والثاني للمرحلة الأندلسية . ومهدت للمرحلة الأولى بدراسة موجزة لحياة العصر من حول القالي ، ثم تناولت في ثلاثة فصول أخرى ، نشأته وطفولته بأرمينية ، ورسمت بيئته الجغرافية والبشرية ، وأعدت النظر في تقسيمات مراحل وسني حياته ، على نحو جديد مدعم بالأدلة . وتحدثت عن تنقلاته بين منازجرد والموصل وبغداد ، ودرست شيوخه دراسة تفصيلية شاملة . وقد استخلصت في النهاية خصائص ثقافة الرجل ، ونظرت في انتمائه النحوي واللغوي ، وأدبه وشعره .

وقسمت الباب الثاني الذي خصصته للمرحلة الأندلسية الى فصلين ، لدراسة عصره بالأندلس ، ودوافع رحلته وظروفها الثقافية والسياسية ، وتتبعت باهتمام خطواته منذ خروجه من بغداد الى أن استقر بقرطبة ، وما تخلل ذلك من أشواط ومراحل . وتناولت أخيرا مقامه بالأندلس ، وانتفاع الناس به ، وعقبت على كثير من الآراء في الموضوع .

ذلك هو القسم الأول من البحث .

أما القسم الثاني الخاص بتأثير القالي في الأندلس ، وهو أكبر حجما من الأول وأكثر أهمية ، فقد وقفت بازائه طويلا منذ بداية الطريق ، أبحث عن نوع التأثير الذي أحدثه القالي بالأندلس ، وطريق تناوله وتحديد أشكاله ، والأدلة على اثباته ، حتى انتهيت أخيرا الى ابرازه في ثلاث نواح ، خصصت كل ناحية منها بباب مستقل . وهكذا صار هذا القسم في ثلاثة أبواب كبيرة ، قدمت لها بتمهيد حول مفهوم هذا التأثير ، ودوره في الثقافة الأندلسية ، وعقبت فيه على عدد من الآراء والأفكار .

وأما الباب الأول وهو الخاص بتأثير القالي بواسطة مؤلفاته ، فقد قسمته

بدوره الى خمسة فصول طويلة ، تحدثت في أولها عن تحقيقات أبي علي في المجال العلمي ، وعن مؤلفاته المفقودة واحدا واحدا ، مع الاستدلال على تأثيرها بوسائل شتى .

وتناولت في الفصول الباقية ، المؤلفات الأربعة الموجودة وهي كتاب (المقصور والممدود) ، وكتاب (الأمالي) ، وكتاب (البارع في اللغة) ، وكتاب (أفعل من كذا) ... والطريقة التي اتبعتها في دراسة هذه المؤلفات الموجودة ، هي أني بعد أن أحضرت من كل كتاب ما وصلت اليه يدي من نسخه المطبوعة والمخطوطة ، تناولته بدراسة تحليلية مفصلة ، عززتهـا بكثير من الجداول والاحصـاءات الدقيقة ، والمقارنات اللازمة . ثم تلوت ذلك كله بدراسة خاصة لتأثير كل كتاب في الأندلس ، عن طريق اثبـات أسـانيد رواياته ، والرجوع الى الدراسـات والشروح والنقود التي قامت حوله ، والاقتبـاسات والنقول المأخوذة منه ، وبغير ذلك من الوسـائل التي تثبت انتفاع الثقافة الأندلسية بهذه المؤلفات .

على أن الذي أغراني بمكـابدة مشـاق دراسة هذه المؤلفات على نحو مفصل شامل ، هو أني لم أجد هنالك من الدراسات العلمية السابقة ما يصرف همي ، ويريح خاطري ، بعد أن اطلعت على عدد من المصادر المغمورة التي كشفت لي عن سبل وحقائق جديدة . وهل أخشى القول أن لا مفر أمام باحث يرصد تأثير هذه المؤلفات في الثقافة الأندلسـية ، من سبر أغوارها والتعمق في دراستها ، فضلا عن أن تلك الدراسة تجلو كثيرا من الغوامض في حيـاة القالي وعصره وتلاميـذه ؟ . فليس بمستطاع أحد أن يحدثنا عن ثقافة القالي ، ومنجهه العلمي ، وذوقه الأدبي ، وانتمائه النحوي واللغوي ، ويسـتخرج عددا من شـيوخه وأساتذته ، وغير ذلك مما يحتاج اليه ، وهو بعيد الصلة بمؤلفاته العلمية .

وأما الباب الثاني ، وهو خاص بتأثير القالي بواسطة تلاميذه ، فقد قسمت فيه التلاميذ الى ثلاث طبقات أو دوائر ، وأوليت أكبر عنايتي للطبقة الأولى لما لها من علاقة مباشرة بصاحبنا ، بأن قمت بعملية مسح واسعة للموجود من كتب الطبقـات والتراجم الأندلسـية والمشرقية ، حتى حصل لي 48 تلميذا هم غاية ما اسـتطعت احصاءه ، وجمعه ، ثم رتبتهم حسب الحروف الهجائية لاسمائهم وأسـماء آبائهم ، وترجمت لكل واحد منهم على حدة ، مقتصرا على الجوانب المتصلة بموضوعي ، ومشـيرا في كل مرة الى طرق اتصال هذا التلميذ أو ذاك بشـيخه البغدادي ، وما استوعبه من علمه ، وتأثر به في حياته أو ثقافته ، ثم انتهيت باستخلاص جملة من خصائص هذه الطبقة . وأما الطبقة الثانية والثالثة ، فقد سلكت في دراستهما طريقة

انتقائية ، اذ تخيرت مما تجمع لدي من التراجم الكثيرة ، جملة صـالحة لأن تكون شاهدا ومثالا على تأثير القالي في الجيلين الثاني والثالث .

وقد كانت الغاية من دراسة طبقات التلاميذ بهذا التفصيل ، هي الحصول على نتائج علمية تؤلف في مجموعهـا حججا مقنعة بوجود مدرسـة تنتسب للقالي ولها خصائص تجري في تيار واحد ، يمكن تمييزه من بين التيـارات العاملة في الثقافة الأندلسية على مدى بعيد ، ولذلك ختمت الباب باسـتخلاص بعض من تلك النتـائج والخصائص .

أما الباب الثالث والأخيـر في هذا القسم ، فهو خاص بتأثير القالي بواسـطة المؤلفات التي آدخلها الأندلس . ومنهجي فيه أني قسمت تلك المؤلفات والمرويات الى ثلاثة أنواع ، هي : كتب اللغة والأدب ، والأشعار والدواوين ، وكتب الأخبار . ثم ذكرت كل صنف على حدة ، وألحقت كل كتاب بأسـانيد روايته الطويلة التي تدل على جانب من طرق انتشاره بالأندلس ، وقفيت على ذلك بضرب أمثلة من الدراسات والشروح التي قامت حول هذه المؤلفات .

أما الخاتمة التي تضمنت جملة من النتائج المحصل عليها من بحث تأثير القالي في الدراسـات اللغوية والأدبية ، فهي تشـير كذلك الى ناحية رابعة من نواحي هذا التأثير ، وتتجلى في رعاية وتوجيه القالي للذوق الأدبي التقليدي ، أو ما كان يسمى (بمذهب العرب) .

وقد ناقشت فيه كثيرا من الآراء ، وعقبت على عدد من الأحكام والمفاهيم ، ولم آل جهدي في التنقيب عن الجديد ، والكشف عن المخبوء ، وتحقيق المشكل وتوضيح الغامض ، ولا وفرت طاقة فيما يحتاج اليه من ضبط وتثبت ومراجعة .

ولا يفوتني أن أشكر ما لأستاذي الدكتور أمجد الطرابلسي من أياد بيضاء على كل صفحة من صفحاته ، وما عاناه أثناء اشرافه من مشقات السهر والصبر ، وما جاد به من نصح ثمين ، وتوجيه سديد .

وبعـد :

فذلك جهد المقل ، أقر فيه بعجزي ، وأعتذر عمـا غاب عن علمي ، وسـها عنه طرفي ، وأغفله قلمي ، وقصرت عنه يدي ، ولم يسعف به خاطري . وغاية ما يسعد به مثلي ، أن ينفع الله بهذا العمل غيري ، وهو ولي التوفيق .

الرباط : 12 شعبان 1395 هـ

الموافق : 21 غشت 1975 م

القسم الأول

حياة القالي في المشرق والأندلس

الباب الأول

المرحلة المشرقية

288 ـ 328 هـ

تمهيـــد تاريخـــي

الفصل الأول : طور النشأة (في منازجرد)
288 - 303 هـ

الفصل الثاني : طور التثقيـف والتعليـــم
(في الموصل وبغداد)

الفصل الثالث : ثقـــافة القـــالـــي

تمهيـــد تاريخـــي

عاش أبو علي القالي حقبة طويلة من حيـاته في المشرق ، قضـاها بين مرابع الصبا في أرمينية ، ومواطن القوة والشـباب في العراق ، قبل أن يعقد عزمه على الرحلة الى الأندلس ، ليطوي من أعماره الثلث الأخير . فكانت تلك المرحلة المشرقية التي استأثرت بثلثي حياته لا تقل أهمية عن مرحلة الأندلس لأنها تمثل أطوار النشأة والتكوين والنضج ، فضلا عن أنها كانت أطول المرحلتين كما سنرى . فنحن لذلك لا نريد أن نشرع في تفاصيل حياته قبل أن نرسم الاطار العام لهذه المرحلة ، بتقـديم لمحات موجزة عن الحياة السياسية والاجتمـاعية للعصر العباسي الثاني ، حيث عاش الرجل وصادف ضروبا من العوامل والمؤثرات ، رسمت حدود مستقبله وآفاقه . بل أبادر فأقول : ان ظروف الحياة السـياسية والاقتصادية للعصر في بغداد ، هي التي كانت الدافع الأول وراء رحلتـه للأندلس ، وسـعيه للبحث عن الجـاه والمال والشهرة والاستقرار .

وسنقتصر على الجوانب التي نراها ذات صلة بحياة القالي من قريب أو بعيد ، مكتفين بالخطوط العريضـة عن كثير من التفاصيـل ، ومرجئين الكلام عن الجانب الثقافي الى الفصل الثاني من هذا الباب .

1 ـ السمات السياسية :

كان العصر العباسي الثاني الذي يبتدىء بخلافة المتوكل سنة 232 هـ ، وينتهي بدخول بني بويه الى بغداد سـنة 334 هـ ، عصرا يحمل كثيرا من السمات السياسية البارزة نجملها فيما يلي :

1–1 ـ النفوذ التركي وضعف سلطة الخلفاء :

يمكننا أن نجعل سنة 221 هـ التي بنى فيها المعتصم مدينة سامراء ، بداية هذه المرحلة وحدا فاصلا بين عهدين : عهد قوة الخلفاء ـ رغم بروز العنصر الفارسي ـ وعهد الضعف وتقلص السلطان العباسي . وقد تولى خلال هذه الفترة التي تمثل أكثر من قرن ، ثلاثة عشر خليفة ما منهم أحد استطاع أن يثبت مركزه ويفرض سلطانه على الفتيان الأتراك الذين أصبحوا يكونون طبقة القواد والحجاب والأمراء ، بل لقد حاول المتوكل (232–247 هـ) مرة تحت وطأة الشعور بتزايد النفوذ عليه ، وخوفا من تفشي أمر الأتراك ، أن ينقل قاعدة الخلافة الى الشام . ولنفس الأسباب نرى الخليفة المتقي (329–333 هـ) يفر مع ابنه وأهله الى الموصل خوفا على نفسه . وحين حاول القاهر قبله (320–322 هـ) أن يبدي شيئا من القساوة والقوة في معاملة هؤلاء ، لم يكن ذلك مجديا له ، اذ سرعان ما انتهى نهايته المشهورة ، بأن سمل وسجن ، وخرج يوما ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس قاصدا بذلك التشنيع بالمستكفي (1) . وليست حادثة سمل عيني القاهر فريدة المثال في هذا العصر ، بل لقد سمل أيضا من الخلفاء بعده : المتقي والمستكفي . وأما القتل والخلع والعزل ، فتلك ظاهرة أخرى من التنكيل بالخلفاء حين وهنوا وضعفت مكانتهم . وهكذا فقد قتلوا المتوكل في قصره الجعفري الذي بناه شمال سامراء بعدما عجز عن تحويل عاصمة الخلافة الى الشام ، وكان المتهم بقتله الأتراك وابنه المنتصر . ثم قتل المستعين (248–252 هـ) بعد أن رحل الى بغداد مغضبا مقهورا ، وحوصر فيها بتواطؤ مع ابن عمه المعتز . وفي وصف هذا الحصار الذي دام شهورا يقول اليافعي : «.. وكثرت القتلى ، وجهد أهل بغداد حتى أكلوا الجيف ..» (2) ومات في ذلك خلق كثير . وقد كانت مصيبة المعتز أنكى وأشد اذ تألب الأتراك وثاروا عليه وطالبوه بالأموال ، ولما لم يكن في الخزينة شيء يكفيهم خلعوه وقتلوه ، وذلك ما يصفه كتاب الفخري في هذه الصورة المؤلمة : «.. فحضروا الى بابه ، وأرسلوا اليه وقالوا : أخرج الينا ، فاعتذر بأنه شرب دواء ، فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس ، وخرقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر . وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، ثم جعلوه في بيت وسدوا بابه حتى مات ، بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه ..» (3) ونفس المصير قد حاق بالمقتدر الذي قتله مؤنس الخادم (سنة 320 هـ) ، فظلت جثته ملقاة على قارعة الطريق . ولم يسلم منه الخليفة المهتدي الزاهد الذي قيل انه اعتكف على الصوم مدة امرته ، «.. وكان

(1) الفخري (ص 225) .
(2) مرآة الجنان (158/2) .
(3) الفخري (ص 199) ، وذلك سنة 255 هـ .

يقنع بعض الليالي بخبز وزيت وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز ، وورد أنه كان له جبة صوف وكساء يتعبد فيهما الله ، وكان قد سد باب الملاهي والغناء ، وحسم الأمراء عن الظلم ..» (4) .

والحقيقة أن العصر الفاسد والأوضاع المختلة ، لم تكن في حاجة الى خليفة زاهد ، أو رجل عفيف فقط ، بل كانت الحال تستدعي حاكما صارما قويا يستطيع اعادة الأمور الى نصابها وقطع رؤوس الفتنة ودعاة التمزق . وبعبارة أخرى فان الخليفة في هذه الفترة ، أصبح ـ منذ المتوكل ـ في يد الأتراك كالأسير يفعلون به ما يشاؤون ، فهم الذين يولونه أو يخلعونه أو يقتلونه . ويصف صاحب الفخرى الخليفة الراضي (322ـ329 هـ) بأنه : «.. آخر خليفة دون له شعر ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الملك ، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء ووصل اليه العلماء ، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين ..» (5) .

وليس معنى انفراد الخلفاء قبل الراضي بتدبير الملك أنهم كانوا يفعلون شيئا ملء ارادتهم ، بل لم يكن ذلك في الحقيقة الا صوريا . وأما المدبرون الحقيقيون فهم الجالسون حواليهم من الأمراء والقواد الأتراك . وحين سيدخل بنو بويه الى بغداد ، ويسحبون الخليفة المستكفي من يديه ، ويجرونه في ساحة قصره ، ستزداد ضآلة الخليفة ، وتقلص ظله ، حتى لن يبقى له من الخلافة الا الاسم الذي لا يعني سوى رمز ديني .

1ـ2 ـ الثورات الداخلية :

هناك أسباب وعوامل عديدة ، كانت وراء قيام الكثير من الفتن والاضطرابات الداخلية التي اتسم بها العصر ، وظلت تنخر جسم الدولة المنهك ، حتى مزقته الى شظايا ودويلات وعلى رأسها ضعف مركز الخلفاء وسلطتهم ، وانتشار الاحتكارات الاقتصادية ، والجشع المادي الذي ينم عن وجود طبقات شعبية فقيرة ومحرومة . ومنها أيضا الأجناس الدخيلة التي كانت تعمل في خفاء أو سفور على تمزيق وحدة الأمة ، وانهاك الحكم المركزي حتى يسهل انقضاضها عليه . ومنها النزاعات المذهبية والسياسية حول الرأي أو الحكم ، ولا سيما عندما كان كثير من الخلفاء يتحكم فيهم التعصب المذهبي ضد الشيعة ، فيأمرون بمضايقتهم مثلما فعل المتوكل سنة 236 هـ حين أمر بهدم قبر الحسين وحرث ما حواليه ومنع الناس من الوصول اليه . وبين

---

(4) مرآة الجنان (166/2ـ167) . ومات المهتدي سنة 256 هـ .
(5) الفخري (ص 223) .

هذا وذاك هناك عامل جغرافي ، هو اتساع الرقعة الاسلامية مع ضعف الاشراف والمراقبة ، مما كان يساعد على تهييء الخلايا المتمردة على النظام في مأمن من ملاحقة جيش الدولة وسيوفها .

وكانت أهم هذه الثورات التي شهدها العصر : ثورة الزنج التي شغلت الدولة العباسية مدة تقارب خمسة عشر عاما (255–270 هـ) ووقفت شجا في حلق الخليفتين : المهتدي والمعتمد . وحين استطاع الموفق أخو المعتمد أن يتغلب نهائيا على هذه الثورة ، خر مع قواده ساجدا لله ، وشاكرا له نعمة الانتصار (6) . مما يدل على الخطر الذي كانت تلوح به وهي تجتاح بجيوشها الجرارة مدن البصرة والأبلة وواسط ، وتثير الرعب والخراب في كل ما تصادفه . وقد كانت في أول أمرها ثورة شعبية تعبر عن سخط العبيد والسود الذين كانوا يخدمون الأرض ، على أسيادهم الذين لا يقدمون لهم مقابل أعمالهم الشاقة سوى أجر ضئيل مع موجات الغلاء والتضارب الاقتصادي . ولكنها في حقيقتها لم تلبث أن أظهرت عن مساوئها حين أصبح زعيمها لا يتورع عن ادعاء العلم بالغيب والنبوة ، والاعلان عن شتمه للخلفاء الراشدين بما فيهم علي وعثمان ، وذلك رغم النسب الذي ينتحله في ال فاطمة .

ولم تمض فترة طويلة على القضاء على هذه الثورة حتى ظهرت سنة 273 هـ بسواد الكوفة ، جماعة القرامطة الذين كانوا قد هيأوا أنفسهم في البحرين ، ثم ساروا للانقضاض على العراق والشام ، فواجهوا العباسيين بجيوش كثيفة ، وانضم اليهم أيضا كثير من أفراد الطبقات الكادحة الفقيرة . الا أن خطرهم الحقيقي لم يكن يهدد النظام الحاكم فقط ، بقدر ما كان يهدد المجتمع الاسلامي بالالحاد والتشكيك ، ولا سيما أنهم من فرقة شيعية متطرفة كونت مجتمعا يدين بعقائد هدامة للاسلام ، كالدعوة الى الاكتفاء في الصوم بيومين ، وتحليل الخمر وتحريم النبيذ ، وتحويل القبلة الى القدس عوض الكعبة التي اقتلع أبو طاهر القرمطي سنة 317 هـ حجرها الأسود وحمله الى هجر ، فلم يرد اليها الا سنة 339 هـ حين انهارت قوتهم ، واستشرى فيهم الضعف . ويحكي التاريخ عن أبي طاهر هذا ، انه صعد على باب البيت بعد قتل أمير مكة ، وأخذ يصيح :

أنا بالله وبالله أنا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

الى أشعار أخرى ، فيها عبث بالدين ، وفسق ومجون (7) . وكثيرا ما سجل المؤرخون تعرض القرامطة لقوافل الحجاج وقطع طريقهم ، وامتناع الناس عن أداء الفريضة أحيانا خوفا من بلائهم .

(6) مرآة الجنان (182/2) .

(7) أنظر مثالا منها في مرآة الجنان (272/2) .

وفي نفس الفترة كانت ثورة الخوارج تتفاقم سنة بعد أخرى . ثم ما لبث مساور ابن عبد الحميد الشاري صاحب شرطة الموصل أن ثار على واليها سنة 252 هـ ، واتخذ مدينة (الحديثة) دار هجرته الى أن خضعت له الموصل كلها . واذا كانت ثورة الخوارج لم تستمر في الحقيقة طويلا بسبب النزاع بين قادتها ، وبسبب محاربتها من طرف الفاطميين والعباسيين معا ، فانها مع ذلك تعد من العوامل المساعدة على انهاك الدولة واسقاطها .

وبالاضافة الى هذه الثورات الكبرى المنظمة ، كانت هناك ثورات وانتفاضات شعبية داخل العاصمة بغداد ، لا تلبث أن تتفجر نتيجة الغلاء وارتفاع الأسعار ، أو نتيجة انتشار اللصوص والعيارين ، وما صاحب ذلك من هلع وخوف وتهديد للأمن والحريات . وكان الجيش هو الآخر في تمرد وهيجان مستمر ، مطالبا بالزيادة في العطاءات والأرزاق كلما مات خليفة أو ولي آخر . وكثيرا ما استعملت هذه الوسيلة خاصة في الضغط على الخلفاء لتقديم تنازلات سياسية كالذي حدث أيام المقتدر حين فكر سنة 317 هـ في تولية هارون بن غريب مكان مؤنس الفتى ، فخرج مؤنس وأرسل الى المقتدر يهدده بتذمر الجيش ، فخشي الخليفة أمره ، وعمل على ترضيته (8) .

ولقد ترتب عن الوضع السياسي الذي تقدم الكلام عنه : من ضعف الخلفاء وسيطرة الأتراك ، وقيام الثورات الداخلية ، نتائج كثيرة يهمنا منها في هذا البحث شيئان :

- ظهور الامارات المستقلة والمراكز الثقافية الجديدة .
- حروب الروم .

1-2-1 - ظهور الامارات المستقلة :

فلقد استشرى في الدولة وباء جديد ، يتمثل في استقلال الولايات وانفصالها عن الحكم المركزي . وأما الأسباب المباشرة لهذه الظاهرة الخطيرة ، فهي أن الولاة على الأقاليم كانوا يتمردون على الخليفة كلما أحسوا بازدياد ضعفه أو انهماكه في اخماد ثورة ما ، وغالبا ما كان الخلفاء يضطرون الى اقرار هؤلاء العمال المنفصلين على ولاياتهم مقابل شروط لا تثقل كاهلهم ، كالتزامهم بقدر مالي يدفعونه كل سنة للخزينة ، والدعاء لهم على المنابر .. الخ .

---

(8) تاريخ الاسلام (22/3) .

وهكذا تكونت في القرن الثالث الهجري دويلات عديدة كالصفارية في خراسان (254ـ290 هـ) ـ وقد قامت على أنقـاض دويلـة أخرى كانت قد تأسسـت في عهد المأمون ، هي الدولة الطاهرية (205ـ259 هـ) ـ والسامانية (261ـ389 هـ) في بلاد ما وراء النهر ، وبخاري ، وسمرقند ، وسجستان وغيرها والطولونية (256ـ292 هـ) في مصر ، والفاطميـة في افريقيـة ومصر (296ـ487 هـ) ودولة الأغالبة (250ـ261 هـ) بتونس . بالاضـافة الى دولتي الأدارسة بالمغرب ، والأمويين بالأندلس وكانتـا قد تأسستا منذ القرن الثاني . ودولة القرامطة في البحرين التي ظلت مدة تحكم نفسها في استقلال تام .

وقد تتابعت حركة الانقسامات هذه أثناء القرن الرابع الهجري ، فتأسست امارات جديدة ، مثل دولة بني بويـه التي انتقلت من الري وفارس والأهواز وكرمـان الى بغداد نفسها ، حيث أصبحت تملي ارادتها وسلطانها على الخلفاء مباشرة من سنة 334 هـ الى سنة 447 هـ . كما تأسست الدولة الغزنوية (351ـ582 هـ) في بلاد الأفغان والبنجاب . والدولة الحمدانية في الموصل وحلب (317ـ384 هـ) والاخشيدية بمصر والشام (323ـ358 هـ) . ويجب أن نلحظ أن أغلب الدويلات التي توكنت بالمشرق لم تكن عربية الأصول والأهداف مما يجعلنا نضع من بين أسباب قيامها النزعة الشعوبية التي كانت تطمح الى اعادة مجد أسلافها ، حين تهيأت لذلك الظروف المناسبة .

واذا كان ظهور هذه الدويلات يعتبر تفككا سياسيا وتمزيقا لوحدة الأمة ، فانه من جانب آخر يعد عاملا من عوامل انتشـار الازدهار الثقافي والنضج الفكري في بقاع اسلامية عديدة . ذلك أن الحركة العلمية والأدبية ، بدأت تستفيد من الانقسامات السـياسية ، والامارات التي تنافست فيما بينها ، فأحاطت كل واحدة منها بلاطهـا بحلقة من الأدباء والعلماء ، ضمنت لهم حرية التنقل والتجوال بين مختلف العواصم التي لجأوا اليها فرارا من سوء حالهم وقلة كسبهم ، وطمعا بما في أيدي الأمراء الذين كانت تحدوهم رغبة أكيدة في خلق محيطات ثقافية خاصة بهم . وبذلك تكونت مراكز جديدة مثل : الري ، وبخـارى ، وحلب ، والقاهرة ، وقرطبـة ... أصبحت تهـيء نفسـها لتغني غناء بغداد وترفع للعلم منـارات جديدة يحوم حولها الطلاب من كل الفجـاج . وكان من نتـائج ذلك بالطبع ، أن شـاعت الثقافة وتوزعت على الأقطار والعواصم التي أخذ كل منهـا نصيبه الموفور ، فبدأت بغداد تفقد مركزها العلمي المتفوق ، وأخذ بعض علمائهـا يسـعون الى الناس في أمصارهم ، بعد أن كانت الأمصار توفد اليهم طلابها .

وهكذا سـتصبح قرطبة الأندلس ـ خلال القرن الرابع ـ درة لامعـة في سلك العواصم الثقافية الناشئة ، تغري بنفسـها كثيرا من الأدباء والعلماء ، وتوفر لهم

الأمن والجاه والمال والحياة المطمئنة . وفي هذا الاطار ستتم رحلة القالي عن بغداد التي أصبحت حلبة للصراع السياسي ، وموطنا يضيق بالعلماء .

1ـ2ـ2ـ حرب الروم :

كان الروم البيزنطيون ، ينظرون من وراء ستار شفاف الى الأحداث الدائرة داخل الدولة العباسية وبأطرافها ، هذه الأحداث التي كانت تفرض على الخلفاء توزيع قوتهم العسكرية في مقاومة المنفصلين والثوار ، وارسال حملات التأديب للمتمردين من القواد والولاة . وخلال فترات الضعف التي كانت تمر بها الدولة ، كان الروم يتربصون الفرص للالقاء بثقلهم وجنودهم على سواحل مصر ، والاغارة على ثغور الشام والجزيرة . وهكذا كانت الحدود العربية ـ البيزنطية طيلة هذا العصر وما تلاه ، مهددة باستمرار بحملات المسيحيين الذين كانوا يريدون الوصول الى القدس ، فكانوا يستفزون شعور المسلمين كما حدث سنة 315 هـ حين دخلوا (سميساط) وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك ، «وضربوا في الجامع بالناقوس أوقات الصلوات» كما يقول ابن الأثير (9) . ورغم أن الخلفاء كانوا يظهرون عنايتهم ورغبتهم في الجهاد وحرب الروم ، وبعث الصوائف ـ ولو تحت الحاح الشعب الذي كان يثور أحيانا عندما يتوغل النصارى في بلادهم ـ فان الوضع الداخلي السيء ، لم يكن يسمح بتوجيه ضربة قاضية تذكرهم بحملات الرشيد والمأمون والمعتصم . ورغم أن المسلمين لم يفقدوا غيرتهم الدينية ، فان الروم كانوا لا يتركون فرصة دون أن يعملوا على كسب نتائجها على أحسن وجه . وقد بلغ توغلهم سنة 330 هـ في بلاد المسلمين الى مدينة حلب التي عاثوا فيها فسادا ، وأصبحت آسيا الصغرى كلها تعاني من هجماتهم (10) . وفي سنة 354 هـ تقدم البيزنطيون في بلاد سورية والجزيرة ، فوقعت في أيديهم مدينتا (المصيصة) و (طرسوس) ، وتبعتهما مدينة (قاليقلا) ـ التي ينسب اليها القالي كما سنرى في الفصل التالي ـ وانتزع جزء آخر من سورية ، وأصبح قسم من الدولة العباسية تابعا للبيزنطيين (11) .

واذا كان قيام الدويلات الاسلامية خلال القرنين الثالث والرابع قد أصبح يطمع الروم في بلاد الاسلام ، فان مما يحمد لهذه الامارات ، أنها قاومت باعتزاز الغزو البيزنطي ، وأبلى بعض أمرائها في ذلك خير بلاء ، كما هو الشأن لدى آل حمدان الذين ملأوا أشعار المتنبي وأبي فراس ، بمشاهد بطولية مصبوغة بالدم والفخار .

---

(9) الكامل (169/8) (دار صادر) .
(10) تاريخ الاسلام (235/3) .
(11) نفس المصدر (237/3) .

كما كانت الدولتان الطولونية والفاطميــة ، مصدر قلق دائم للبيزنطيين في الثغــور والسواحل .

على أن بلاء ســكان الثغور الاســلامية ـ البيزنطيــة قد أصبح هو الآخر مضرب الأمثال في البطولة والشجاعة . ومن هنا كانت لمدينة (قاليقلا) المجاورة للروم تلك المكانة المحترمة في نفوس الناس ، مما دفع أبا علي الى الانتساب لها ، وهو يريد الدخول لبغداد والتقرب من أهلها وعلمائها .

2 ـ السمات الاجتماعية والاقتصادية :

كان المجتمع العباسي يتكون من العناصر المتفوقة الثلاثة : العرب ، والفرس والأتراك ، وكانت بيدهم مقــاليد السلطة والنفوذ ، ومصــادر المال والثراء . ومن أقلية الروم الذين جلبوا عن طريق الأسر والسبي في الحروب المتواصلة بين العرب والبيزنطيين ، فامتلأت بهم قصور الخلفاء والوجهاء ، واتخذ منهم المغنون والفتيان والجواري والوصفاء . ثم من الزنوج السود المجلوبين من افريقية الشرقية لخدمة الأرض ، والقيام بالأعمال الشاقة ، لما عرفوا به من «صحة الأبدان وميول للطرب والمرح ، وخفة الدماء» . وقد تكاثر عدد منهم بالسباخ (أرض بالبصرة) خاصة حيث كانوا يعملون في كسحها من الملح ، واصلاحهــا لكبار الملاك . وأصبحوا يكونون طبقة كبيرة من العمــال ، يعيشون على التمر والسويق ، حتى اســتغلوا في (ثورة عمالية) ضد الحكم العباسي ، قصد تحسين أحوالهم المادية .

وأما العناصر القوية الثلاثة : (العرب والفرس والأتراك) فانها عاشت في صراع مستمر فيما بينهــا ، حتى اتخذ هذا الصراع المتعصب أشــكالا من القوة والعنف فتسابقوا لتكوين دول يصارع بعضها بعضا . وكانت أهم الدول العربية التي تجلت فيها العصبية العربية ، واشتبكت مع العصبية التركية والفارسية ، دولة بني حمدان التغلبية التي عظم نفوذها بالموصل وحلب ، وأرادت الاستيلاء على بغداد ، وطرد النفوذ التركي والفارسي (12) .

وأما من الناحية الاقتصادية ، وأحوال الناس المادية ، فيمكن تقسيم المجتمع باختصار الى طبقتين متباعدتين في الرزق والمعيشة . فأما طبقة الخلفاء والوزراء والولاة فهي طبقة ناعمة في سعادة ويسر ، تنثر الأموال حولها نثر الغبار ، في تبذير واسراف ، وتمد موائدها بأصنــاف الطعام وألوان النعم ، فقد حدثوا عن المعتضد أنه كان يقول : «.. لو شــئت أن أعقد على نهر بلخ جســرا من ذهب لفعلت . وكان

(12) ظهر الاسلام (58/1) .
(13) الفخري (209) .

مطبخـــه يحمل على ست مئة جمل» (13) . وكانت ثروة أم المعتز مكونة من أنفس الجواهر واليواقيت ، وتقوم بألفي ألف دينار ، ولم يكن في خزائن الدولة حين ذلك شيء (14) . وقد تزوج المعتضد أيضا بقطر الندى ابنة خمارويه بن طولون ، فأراد بزواجه منها افقار الطولونية لكثرة ما تكلف أبوها من الهدايا التي حملت معهـا ، فجهزت «بجهاز لم يعمل مثله ، حتى قيل : انه كان لها ألف هاون ذهبا» (15) . وشرط على والدها مع ذلك كله ، «.. أن يحمل كل سنة بعد القيـام بجميع وظائف مصر ، وأرزاق أجنادها ، مئتي ألف دينار . فأقام على ذلك الى أن قتله غلمانه بدمشق على فراشه» (16) . فاذا كانت تلك هي بعض ثروة وال من ولاة الخليفة ، فما بالك ببقية الولاة والأمراء والوزراء والقواد والتجار .

وكانت خزينة الدولة تتعرض باستمرار ، لفراغ واستنزاف نتيجة تصرف الخلفاء فيما يبذرونه انفاقا على قصورهم وأبنيتهم وغلمانهم وجواريهم ، وما يبذلونه عطاء للشعراء والمادحين والمضحكين ، ثم ما يقدم للجند الذين ما يلبثون أن يهيجوا حول القصر طالبين الزيادة في الأرزاق . كما كانت الثورات الدائمة المشتعلة ، تتطلب نفقات باهظة لاخمادها واستئصالها .

ولقد كانت المغالاة في القصور وتنميقها طابعـا آخر لهذا العصر ، فالمتوكل وحده بنى في سامراء : قصر العروس ، والجعفري ، والغريب ، والشيدان ، والبرج ، والصبيح ، والمليح ، وقصر بستان الايتـاخية ، وغيرها (17) . وكان للمقتدر بدار الشجرة ، شجرة من الفضة ذات أغصان وعصافير مفضضة ومذهبة ، تفنن المؤرخون في وصفها ، الى غير ذلك من الأمثلة التي لا يحتاج المرء لذكرها عن هذا العصر الذي كان في ميدان الحضارة والرقي العمراني أخصب العصور .

وهكذا تعاونت هذه الأسباب كلها على افقار الشعب وتجويعه وايجاد طبقة ثانية في موازاة طبقة الخلفاء والأمراء وذوي الثراء عامة ، هي الطبقة الشعبية التي تشكو الجوع والمسغبة ، على أن الأدهى والأمر ، هو أن الخلفاء كانوا في فترات العجز المادي ، يلجأون الى تنصيب وزراء وولاة ، خصيصا لضمان قدر من المال تملأ به الخزينة ، فكان هؤلاء يبذلون كل الوسائل ويسخرون كل الجهود ـ بالسجن والضرب والقتل ـ لجمع ما تعهدوا بضمانه خوفا على منـاصبهم ، وكثيرا ما استغلوا هذا النفوذ والامتياز لاستخلاص الأضعاف المضاعفة لما يحتاجونه من الأموال . ولقد

---

(14) مرآة الجنان (261/2) .
(15) المصدر السابق (195/2) .
(16) المصدر السابق (195/2) .
(17) ظهر الاسلام (99/1) .

شاع هذا الجشع المادي ، واقترن بالرشوة والتعفن ، حتى ليحكون كمثال على ذلك ، أن الوزير أبا علي محمد بن خاقان ولى في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة ، وأخذ من كل واحد رشوة ، فهجاه بعضهم بقوله :

اذا أهل الرشا صاروا اليه   فأحظى القوم أوفرهم بضاعة (18)

وربما لجأ طالب الوزارة الى رشو الخليفة نفسه ، كما يحكي ابن الطقطقي عن الوزير أبي علي بن الفرات فيقول : انه بذل في سبيل الوزارة ما مبلغه خمس مئة ألف دينار (19) على أن هذه الثروات الفاحشة التي كان يحشدها الوزراء والولاة ، وينهشونها غصبا من أفراد الشعب ، لم تكن لتثبت ملكيتها على حال ، اذ ما تلبث أن تتعرض لمصادرة مفاجئة اثر عزل أو قتل . وكثيرا ما كان الوزراء الجدد يعقدون مناظرات ومحاكمات للمخلوعين والمغضوب عليهم من زملائهم فيحاسبونهم حسابا عسيرا .

ومقابل هذه الأكداس المتجمعة في أياد معدودة تتذرع في كسبها بأبشع الجرائم ، وازاء الصور المشرقة للقصور ذات البذخ والزينة ، كانت هناك في أحياء بغداد المتواضعة أكواخ تنبعث منها الأنات الواهنة ، وتذبل فيها الوجوه جوعا وقهرا ، تذوق مرارة العيش عندما يستفحل البلاء ، ويقع النهب والافتتان ، أو تجدب الأرض ، ويصيب الناس غلاء في الأسعار . وليس ثمة ما يعبر عن هذه الحال المحزنة للطبقات الفقيرة ، أكثر دقة وبلاغة من هذا المشهد الذي رواه اليافعي عن بعض حوادث سنة 333 هـ فقال :

«.. وأصاب بغداد قحط لم ير مثله ، وهرب الخلق ، وكان النساء يخرجن عشرين عشرين ، وعشرا وعشرا (20) ، يمسك بعضهن ببعض ، يصحن الجوع الجوع ، ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة» (21) .

وقد تعرضت بغداد لمثل هذه المجاعات والمواقف مرات متعددة ، وفي كل مرة كنا نجد الشعب يئن تحت أرزائها متداعيا مشتكيا . وكان يقع هذا وأشباهه في الأحياء المظلمة الفقيرة ، التي لا تصلها أضواء القصور وشموعها في حين كان الوزير ابن الفرات ـ كما يقول ابن الطقطقي ـ اذا ولي الوزارة «.. يغلو الشمع والثلج والكاغد ، لكثرة استعماله لذلك ، لأنه ما كان يشرب أحد كائنا من كان في

---

(18) الفخري (217ـ218) .

(19) نفس المصدر (222) .

(20) في الأصل ، وعشرة عشرة (المرآة 2/313) .

(21) المرآة (2/312) .

داره في الفصول الثلاثة الا الماء المثلوج ، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب الا وبين يديه شمعة كبيرة نقية ، صغيرا كان أو كبيرا ، وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد ، كل من دخل واحتاج الى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها ..» (22).

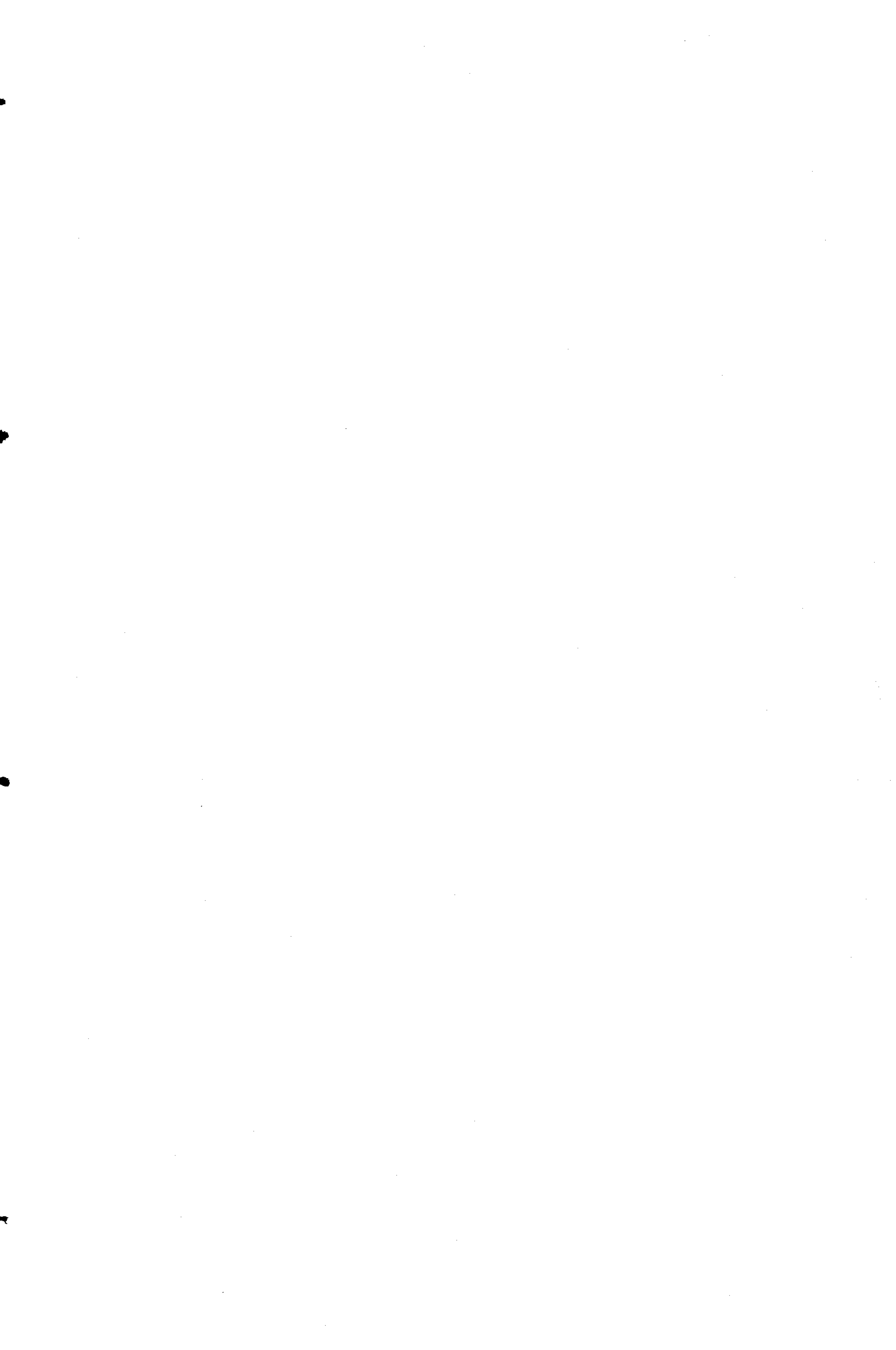
واذا كان العصر عصر العلماء والثقافات المزدهرة ، فان من المفارقات الغريبة ، أن يقاسي أرباب المعارف وجلة العلماء من محنة الفقر والجوع ، في الوقت الذي نعم فيه الجهال والسفلة . ومن أطرف وأمر الحكايات التي يرويها أبو حيان التوحيدي في ذلك ، أن رجلا من أهل العلم .. «.. ساءت حاله ، وضاق رزقه ، واشتد نفور الناس عنه ، ومقت معارفه له ، فلما توالى عليه هذا ، دخل يوما منزله ، ومد حبلا الى سقف البيت واختنق به ..» (23) ولقد مات أبو الحسن الأخفش ـ أحد شيوخ القالي ـ وهو من هو في العلم والرواية ، حين تعذر عليه قوته ، واضطر لأكل السلجم النيء (نبات) فقبض على فؤاده . وهكذا ضاقت الأحوال بالعلماء ، ولا سيما من كان منهم أنوفا أبي النفس يستنكف أن يريق ماء كبريائه في التذلل والاستمناح . فلذلك لن نعجب عندما سنرى القالي ـ وقد تزود من العلم بخير زاد ـ يبحث عن مصدر كريم لرزق عياله ، ويضطر للتغرب والرحيل ، خوفا واشفاقا أن يلقى المصير الذي لقيه بعض شيوخه وأقرانه .

ذلك هو الاطار العام لحياة القالي وعصره بالمشرق وقد تميز بالتمزق السياسي والصراع الاجتماعي ، والاضطراب الاقتصادي . فساءت أحوال العلماء والأدباء وزهد خلفاء بغداد وحكامها فيما بأيديهم ، لانشغالهم بأمور السياسة ، أو ضعف مكانتهم وقلة اهتمامهم بسوق العلم والأدب . وكان أبو علي أول الناس تأثرا بزمانه ، وتشكيا من حاله . وسنرى في الباب الثاني من هذا القسم أنه ضمن مقدمتي كتابيه : (الأمالي) و (المقصور والممدود) وقصيدته في مدح الناصر وصفا مقتضبا ، لحال بغداد وخلفائها حين خرج منها وهو يريد قرطبة ، لاجئا الى شاطىء أمين ، ومأوى حصين ، من الفقر والاضطراب .

أما الفصول الثلاثة الآتية ، فسنضمنها دراسة للاطار الخاص بحياته في المشرق منذ مولده ونشأته بأرمينية ، الى أن رحل الى الأندلس .

---

(22) الفخري (218) .
(23) ظهر الاسلام (119/1) .



الفصــــل الأول

طــور النشــــأة

(في منازجرد)

288ـ303 هـ

تحقيق مولده ومراحل حياته :

قبل الخوض في تحديد موطن القالي ونشأته الأولى لا بد من وقفة تأملية قصيرة أمام مصادر ترجمته (24) لتحقيق اسمه وتاريخ مولده ومراحل حياته .

وان أول من أرخ لأبي علي ـ فيما وصل الينا ـ هو تلميذه أبو بكر الزبيدي في كتابه : (طبقات النحويين واللغويين) فقال : «.. سألت أبا علي عن نسبه فقال : أنا اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان مولى عبد

(24) مصادر ومراجع ترجمة القالي المعتمدة في هذا البحث :
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص 121ـ185) ـ تاريخ العلماء لابن الفرضي (1/83) ـ جذوة المقتبس للحميدي (ص 154) ـ بغية الملتمس للضبي (ص 256) ـ بغية الوعاة للسيوطي (ص 298) ـ نفح الطيب للمقري ج 4 (70-74) ـ أنباه الرواة للقفطي (1/204) ـ معجم الأدباء (25/7) ـ وفيات الأعيان (1/226) ـ العبر للذهبي (2/304) ـ شذرات الذهب لابن العماد (18/3) ـ مرآة الجنان لليافعي (2/359) ـ فهرسة ابن خير (ص 395) ـ معجم البلدان (17/7 مادة قاليقلا) ـ شرح مقامة الاكليل للنباهي (مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 328 ق (ص 99 وما بعدها) ـ الحلل السندسية لابن السراج (1/1030 القسم الرابع) ـ معجم المؤلفين (2/286) ـ هدية العارفين للبغدادي (1/208) ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (2/277) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الفرنسية 2/736 ، مادة القالي) كتاب الأمالي دراسة واختيار لعمر الدقاق ـ

الملك بن مروان ـ رحمه الله ـ ولدت بمنازجرد من ديار بكر سنة ثمانين ومئتين (25) ، ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاث مئة ، فأقمت بالموصل وكتبت عن أبي يعلى الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاث مئة فأقمت بها الى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة أكتب الحديث ..» (26) ثم قال بعد ذكر جملة شيوخه الذين أخذ عنهم في بغداد : «.. قال أبو علي : وخرجت عن بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، ثم دخلت الأندلس في سنة ثلاثين وثلاث مئة ، ثم دخلت الى قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه سنة ثلاثين وثلاث مئة» (27) .

هكذا اختصر القالي قصة حياته ومراحلها بين المشرق والمغرب في سطور قليلة معدودة ، ولم تكن عادة القدماء أن يكتبوا سيرا ذاتية أو يطيلوا الحديث عن أنفسهم ، فاذا فعلوا شيئا من ذلك كان الغالب أن يقتصروا على وضع فهارس لشيوخهم ومروياتهم من الكتب وما أجيزوا به أو سمعوه . وقد كان القالي كتب فهرسة له جامعة لمروياته وشيوخه وأسانيده ، أكثر استيعابا وتفصيلا مما هو مذكور في طبقات الزبيدي ولكنها فقدت الآن ، وسيأتي دور الحديث عنها (28) وكان تلميذه محمد بن الحسين الفهري كتب كتابا عن نسب القالي ورواياته ودخوله الأندلس فضاع هو الآخر مع بقية ما ضاع من كتبه ، ولم يبق أمامنا مصدر نعود اليه في معرفة بعض أطواره في المشرق على الأقل ـ لأن ما نجهله عن هذه المرحلة أكثر مما نجهله عن حياته في الأندلس ـ سوى هذه الرواية المحدودة الكلمات والسطور التي أملاها القالي على تلميذه الزبيدي ، وعنه نقلت مختصرة في سائر كتب التراجم والطبقات التي جاءت بعده سواء كانت أندلسية أو شرقية . غير أننا مع ذلك محظوظون حين استطعنا أن نعرف من خلال هذه الرواية مواطنه التي درج ناشئا فيها ، والسنوات التي تحدد بالأرقام كل مرحلة من مراحل هذه النشأة في الشرق ثم في الأندلس ، بدقة وضبط يحكيان دقة أبي علي وضبطه في رواياته وعلومه . واذا كان هناك من خلاف بين مترجمي حياته ، فهو خلاف بسيط ينحصر في التالي :

1 ـ لقد شكك الحميدي في سنة مولده ، وجعلها متأرجحة ما بين سنتي 280 هـ و 288 هـ فقال : «.. وكان مولده سنة ثمانين ومئتين ، وقيل سنة ثمان وثمانين . حكى

الحركة اللغوية في الأندلس لألبير حبيب مطلق (ص 187) (أمالي القالي مقالة بمجلة تراث الانسانية) المجلد 5 ص 75 لأحمد كمال زكي ـ أدباء بغداديون في الأندلس ، للدكتور محسن جمال الدين ، مكتبة النهضة ، بغداد ط 1 ، سنة 1963 م .

(25) هكذا في النسخة المصرية للكتاب ، وفي النسخة المغربية المخطوطة بالخزانة الملكية رقم 283 ، انه ولد سنة (ثمان وثمانين ومائتين) ، وأنظر الصفحة الموالية في هذا الشأن .

(26) طبقات الزبيدي (ص 186) .

(27) نفس المصدر (ص 188) .

(28) أنظر القسم الخاص بمؤلفات القالي من هذا البحث .

ذلك غير واحد من شيوخنا ..» (29) . وعلى هذا الشك والتحفظ سار كثير من العلماء الناقلين عنه ، كالضبي في البغية ، والمقرى في النفح ، والقفطي في أنباه الرواة ، وابن خير في فهرسته ، وابن خلكان في الوفيات ... فهم يذكرون الاحتمالين معا دون ترجيح لواحد منهما . واكتفى السيوطي في الوعاة بحكاية الاحتمال الثاني لا غير . وذكر ياقوت وغيره أنه ولد سنة 280 هـ .

وأما الزبيدي – مع كونه أول من قيد هذا التاريخ في كتابه بعدما حكاه مشافهة عن شيخه القالي ، وعنه نقل المتأخرون ، وكونه معروفا بثقته وتثبته وضبطه وأمانته العلمية ، وأقرب تلاميذ القالي اليه وأكثرهم احتكاكا وتأثرا به – فيصعب اعتماد قوله والاحتجاج به في هذا الشأن ، وذلك لسبب بسيط وهو أن هذا القول الذي سجله في كتابه قد تعرض للتحريف والتصحيف . فالنسختان الموجودتان اليوم من (الطبقات) متعارضتان تماما في هذه القضية ، بحيث نجد في الأولى أنه ولد سنة 280 هـ وفي الثانية أنه ولد سنة 288 هـ (30) .

وهكذا يكون من بين أسباب اختلاف المتأخرين في تحديد مولد القالي أنهم نقلوا رواية الزبيدي من نسخ كتابه المتعارضة . على أن الذين قالوا عن أبي علي أنه مات سنة 356 هـ (31) وله من العمر ست وسبعون سنة (ومنهم صاحب الشذرات) لم يعتمدوا في الغالب على نص صريح أو رواية موثقة ، ولكنهم استنتجوا ذلك من القول الذي يذهب الى أن الرجل ولد سنة 280 هـ .

وليس لي من الأدلة ما يرجح واحدا من الاحتمالين المذكورين في تاريخ ولادته سوى أمر واحد أظن أنه يحسن الاستئناس به ، وهو أنه من الثابت أن القالي غادر منازجرد موطنه الأول نحو الموصل وبغداد سنة 303 هـ – كما سنرى – وذلك في رحلة طويلة لن يكتب له الرجوع منها ، وكان القصد من هذه الرحلة هو تحصيل العلم في أسمى مراكزه ، وطلبه في أصفى موارده . فنحن لو أيدنا من يقول انه ولد سنة 280 هـ لاقتضى هذا الأمر منا أن نتساءل عن الأسباب القي أقعدت صاحبنا ثلاثا وعشرين سنة في بلدته الصغيرة النائية عن مراكز العلم والطموح ، دون أن تتوق نفسه لمغادرتها قبل ذلك ، وهو ما لن نجد له جوابا كافيا ، الا أن يكون أبو علي قد خالف سنة الحياة ، فقضى فورة الشباب والقوة خاملا كسلان ، ثم التهب حماسه فجأة بعد حوالي ربع قرن ، وهو أمر – كما قلت – ان لم يكن عجيبا فهو خلاف

(29) الجذوة (ص 156) .

(30) أنظر هامش رقم 25 .

(31) انفرد ابن عذاري من القدماء – فيما نعلم – بتأريخ وفاة القالي بسنة 366 هـ (البيان المغرب 250/2) وجعلها ابن الأبار في التكملة 371/1 سنة 355 هـ . ومن المحدثين أرخ أحمد أمين لذلك بسنة 358 هـ (ظهر الاسلام 83/3) وكل هذه التواريخ خطأ مؤكد .

العادة . واذن أميل الى ترجيح الروايات التي تقول بأنه ولد سنة 288 هـ . وبذلك فانه لم يقض في منازجرد سوى ما يقضيه كل غلام بين أحضان أهله ومرابع صباه ، وخمسة عشر عاما هي السن المناسبة لمن يتشوف الى مستقبل بعيد ، ويتطلع لآفاق المجد ، ويبدأ الرحلة في سبيل العلم .

II – أن الزبيدي يذكر – فيما رواه عن شيخه – أن القالي دخل بغداد سنة 305 هـ ، ويذكر الحميدي وغيره أنه دخلها سنة 303 هـ ، وقضى بها خمسا وعشرين سنة الى أن غادرها نحو الأندلس سنة 328 هـ . وهنا أضطر لترجيح رواية الزبيدي لأنها أكثر تدقيقا من غيرها ، فهو يقول عن أستاذه القالي : «.. ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاث مئة ، فأقمت بالموصل ، وكتبت عن أبي يعلى الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاث مئة ، فأقمت بها الى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ..» فهذه الرواية تضع بين خروجه من منازجرد ودخوله بغداد فاصلا زمنيا قضاه بالموصل مدته سنتان . وتحدد هذا المفهوم عبارتا : (ورحلت) و (ثم دخلت) . فرحلته من منازجرد كانت سنة 303 هـ ، ودخوله بغداد كان سنة 305 هـ ، وبينهما مرحلة صغيرة هي مرحلة الموصل ، كما أن خروجه من بغداد كان سنة 328 هـ ، ولكن دخوله منها الى قرطبة لم يتم الا سنة 330 هـ . فالمدة التي قضاها القالي ببغداد وحدها ، ليست خمسا وعشرين سنة ، ولكنها أقل من ذلك بسنتين . على أنه اذا أدخلنا مرحلة الموصل – لقصرها – ضمن مرحلة بغداد التي هي مرحلة الهجرة لأجل العلم والتثيف ، كان مجموع ما قضاه في هذه المرحلة 25 سنة على التحقيق .

وهكذا قسمت حياة القالي جملة الى مرحلتين :

(1) مرحلة المشرق (288–328 هـ)

وتنقسم بدورها الى طورين :

أ – طور النشأة في منازجرد (288–303 هـ) .

ب – طور التعليم في الموصل وبغداد (32) (303–328 هـ) .

(2) مرحلة الأندلس (الظهور والشهرة) : (328–356 هـ)

III – أن بعض مترجميه كالحميدي وابن الفرضي وابن خلكان ، جعلوا جده الأعلى الذي كان مولى لعبد الملك بن مروان : (سلمان) بدون ياء بين اللام والميم في حين ذكر آخرون – وهم جماعة كبيرة منهم الزبيدي– أنه (سليمان) .

وانطلاقا من هذه الأسس والمعطيات العامة نبدأ رحلتنا الطويلة مع القالي .

---

(32) ذكر القفطي في أنباه الرواة (204/1) أبا علي القالي . فقال في ترجمته : «.. أبو علي القالي المعروف بالبغدادي نزيل مصر ..» وليس ثابتا عند غير القفطي أنه نزل مصر على سبيل الاقامة الا أن يكون المقصود بالنزول مجرد المرور العابر . اذ كانت مصر مرحلة في طريقه الى الأندلس . ولا نعلم مقدار توقفه بها .

أرمينية موطن القالي الكبير

يطلق اسم أرمينية قديما وحديثا على «.. أواسط البقاع وأكثرها ارتفاعا من المنطقة الجبلية الواقعة في غرب آسيا ..» (33) ما بين سلسلة جبال القوقاز في الشمال ، وأرض الجزيرة (ما بين النهرين) في الجنوب . ويقول (سترك : Streck) ان هذا الاقليم كان في القديم مسرحا للقبائل الرحل ، «.. ومنطقة تفصل بين الساميين في الجنوب ، والأرمن الذين ينتسبون الى الجنس الآري في الشمال ..» (33) . وقد سكن البلاد في القرن العاشر قبل الميلاد ، جنس مختلف في أصله يعرف باسم : (هالدي) ، وكون لنفسه دولة قوية حول بحيرة (وان Wan) عاشت 250 عام . ثم أصبحت بعد الميلاد موضع نزاع مستمر بين الروم والفرس انتهى أخيرا بتقسيمها ، حيث أخذ الفرس الجزء الشرقي وهو أربعة أخماس الأرض ، وأخذ الروم ما تبقى من الجزء الغربي (34) الى أن جاء الاسلام .

وفي خلافة عمر بن الخطاب (رض) (13–23 هـ) قام عياض بن غنم بفتح أرض الجزيرة ، ثم توغل قليلا في حملة على مناطق أرمينية ، فاستولى على بدليس وخلاط والعين الحامضة (35) ولكن المنية عاجلته سنة 20 هـ . وحين استخلف عثمان بن عفان (رض) (23–35 هـ) أمر معاوية عامله على الشام أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهري الى ارمينية ، فكانت قاليقلا أول حصن من ثغورها يسقط في يده ، فاتخذها رباطا لجيشه ومنطلقا لفتح الأجزاء الأخرى التي انقادت اليه صلحا (36) . ومنذ ذلك التاريخ وأرمينية ولاية تابعة للمسلمين الذين اتخذوها جبهة دفاعية ضد هجوم

(33) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد 1 (ص 637) مادة (أرمينية) ط . العربية .
(34) نفس المرجع السابق (ص 640) .
(35) فتوح البلدان (ص 242) (فتوح الجزيرة) .
(36) فتوح البلدان للبلاذري (ص 279 وما بعدها) (فتوح أرمينية) .

البيزنطيين والأرمن ، لا تهدأ فيها الحروب والغارات ، ولا تعرف حدودا طبيعية قارة ، بسبب حركات التقلص والامتداد تبعا لأحداث التاريخ المتعاقبة (37) .

وهناك خلاف بين جغرافي المسلمين حول التقسيم الاداري لاقليم ارمينية ، فقد جعلها ابن حوقل قسمين : داخلة وخارجة (38) وجعلها ياقوت أربعة أقسام عند بعضهم ، وثلاثة عند بعض آخر ، وصغرى وكبرى عند بعض ثالث (39) . في حين لم يعترف الاصطخري بهذه التقسيمات كلها ، وجعل أرمينية وبلاد الران وأذربيجان تكون في مجموعها اقليما واحدا له ثلاث قصبات . فقد كانت (دبيل) دار الامارة وقصبة أرمنية كلها . كما كانت (برذعة) دار الامارة بالران و (أردبيل) دارا للامارة بأذربيجان (40) . على أن المقصود بالامارة هنا ، هو امارة الجند ، اذ أن اقليم أرمينية – كما يقول (سترك Streck) – لم يكن اقليما قائما بذاته في عهد المسلمين ، وانما كان يضم الى أذربيجان وبلاد الجزيرة ، «ويحكم الكل عامل واحد يقيمه الخليفة نفسه ، وكان قصر هذا العامل بلدة (دبيل) وهي البلدة التي كانت قصر المرزبان الفارسي قبل الفتح الاسلامي» (41) . وكان هذا العامل يوزع جيشه على تلك الامارات ويقيم حاميته بأذربيجان ، اذ أن مهمته الأساسية هي الدفاع عن ولايته ضد الهجومات التي تتعرض لها من الداخل والأطراف المجاورة للروم ، ثم قبض الخراج في أوقاته . أما بقية الأعمال – يقول سترك – فقد تركها العرب (للحكام الوطنيين) الذين يسمون (البطارقة) وقد انشئت بهذه المنطقة الشاسعة مدن قديمة وشهيرة ، تنتشر بين تلك الأصقاع المليئة بالصخور والهضاب الصغيرة وتفصلها سلسلة من الجبال التي تكسوها الثلوج الدائمة ، وتغمرها المياه المتوفرة من بحيرات وأنهار . وأشهر تلك البحيرات : بحيرة (وان : Wan) – ويسميها العرب بحيرة خلاط أو أرجيش . وبحيرة (سيوان) وبحيرة (أرمية) . وهناك بجانب هذه البحيرات مجموعة من الأحواض التي تشكل كل منها بحيرة صغيرة (42) . وأما الأنهار فأنها كثيرة وأشهرها نهر طبرستان ومنابع الفرات ودجلة اللذين ينحدران الى العراق . ونظرا لهذه الطبيعة الجغرافية ، عرفت أرمينية مناخا باردا وجافا في أغلب مناطقها ولا سيما في الهضاب العالية حيث يدوم الشتاء البارد ثمانية أشهر ولا يستمر الصيف الحار سوى شهرين . ويظهر مع ذلك أن هواء هذه المنطقة كان منذ القدم هواء طيبا

(37) أنظر كتاب (أرمينية في التاريخ العربي) (ص 26) .

(38) المسالك والممالك لابن حوقل (ص 245) .

(39) معجم البلدان (1/203) . وأنظر نموذجا آخر من هذا الاختلاف في التقسيم عند البلاذري في فتوح البلدان (ص 272–273) (فتوح أرمينية) .

(40) المسالك والممالك للأصطخري (ص 110) .

(41) دائرة المعارف الاسلامية المجلد 1 (ص 657) (مادة أرمينية) ط . العربية .

(42) أرمينية في التاريخ العربي (ص 25–26) .

مناسبا ، كما يروي ياقوت عن الجغرافي بطليموس ، فيقول : «.. وهي صحيحة الهواء وكل من سكنها طال عمره» (43) .

واذا كانت أرمينية قد استقر بها كثير من الشعوب والأمم القديمة قبل أن تعرف الاسلام ، فان هذه الأمم قد أولتها عناية كبيرة من الناحية العمرانية . فقد ذكر البلاذري وياقوت مثلا ، أن الفرس ملأوها عمارات وبنايات ، حتى وصلت قراها الى 18 الف قرية ، وبنى الملك قباذ وحده حوالي 360 مدينة على سد (اللبن) خربت كلها ، ثم جاء بعده من تابع خطته في التعمير (44) ومهما يكن في هذه الأرقام من المبالغة ، فهي لا شك تدل على عناية خاصة أولتها الأمم المتغلبة على أرمينية نحو العمران والبناء ، نظرا لموقعها وأهميتها التجارية والاقتصادية . وأما أشهر تلك المدن التي ظلت عامرة بعد الاسلام فنجد منها : (دبيل) قصبة الحكم الاسلامي للمنطقة كلها ، ثم تليها في الأهمية كل من (قاليقلا) و (منازجرد) و (خلاط) و (تفليس) و (النشوى) . وهناك حواضر صغيرة أخرى ولكنها قليلة الأهمية .

قاليقلا :

توجد هذه المدينة الصغيرة التي أصبح القالي ينتسب اليها فيما بعد ، في الشمال الغربي من نواحي منازجرد . وقد ذكر البلاذرى وياقوت أن أصل هذا الاسم يرجع الى امرأة من الأرمن كانت تسمى (قالي) ملكت اقليم أرمينية ، فبنت فيه مدينة نسبتها اليها وسمتها (قالي قله) (45) ومعناها : (احسان قالي) وصورت نفسها على باب من أبوابها (46) .

وقد تعرضت المدينة بعد ذلك لاحتلال الروم البيزنطيين الذين كانوا يسمونها : (ثيودوزيوبوليس : Theodosiopolis) وجعلوها عاصمة لأرمينية . ثم أصبحت فيما بعد تعرف باسم : (أرزروم : Arzerum) التي تعني (أرض الروم) وهو اسم لم تعرفه الا خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حين احتلها السلاجقة (47) . أما بعد الاسلام فقد ازدادت أهمية المدينة من الناحية الحربية والتجارية ، فهي كما يقول ابن حوقل : ثغر عظيم في وسط بلاد الروم لأهل أذربيجان

---

(43) معجم البلدان (204/1) (مادة أرمينية) . وأنظر كتاب أرمينية في التاريخ العربي (ص 26) .

(44) أنظر فتوح البلدان (ص 273) (فتوح أرمينية) . ومعجم البلدان (205/1) وما بعدها (مادة أرمينية) .

(45) كذا عند ياقوت في المعجم . وفي فتوح البلدان للبلاذري (قالي قاله) .

(46) أنظر فتوح البلدان (ص 277) (فتوح أرمينية) . ومعجم البلدان (17/7) مادة (قاليقلا) .

(47) دائرة المعارف الاسلامية ج 2 (ص 33–34) مادة (Erzerum) الطبعة الفرنسية بقلم (ر . هارتمن (R. Hartman

والجبال والري وما والاها (48) ، ولذلك نجد أنها أشهر مدن المنطقة في الاسلام بعد (دبيل) لأنها ملتقى الطرق التجارية الكبيرة ، ومنفذ طبيعي لأسيا الصغرى ، وهي في نفس الوقت ترتبط مع البحر الأسود بواسطة (طرابزندة Trébizonde) السوق الشهيرة التي كان يدخلها المسلمون للمتاجرة مع الروم ، وهي من جهة أخرى ترتبط بطرق عديدة مع بلاد ما بين النهرين . ولا شك أن هذه الطرق التجارية كانت تستخدم لتصدير المنتوجات الفلاحية والغلال وغيرها الى بغداد والبلدان الأخرى فقد كانت أرمينية تزخر بكثير من الثروات الطبيعية والصناعات المحلية . فبالاضافة الى ثروة السمك المستخرج من بحيرة (وان) هناك كثير من المعادن كالنحاس والفضة والزئبق والحديد والرصاص والزرنيخ وحجر الشب والكبريت والذهب . ومن الصناعات الأهلية صناعة النسيج والصباغة وأشغال التطريز . وكانت (دبيل) مركز هذه الصناعات (49) . على أن (قاليقلا) بالخصوص كانت مشهورة بصناعة أنواع خاصة من البسط تسمى (بالقالي) (50) .

ونظرا لهذه الأهمية كلها ، لقيت المدينة الصغيرة عناية خاصة من طرف الأمم المتعاقبة على أرمينية كالفرس والروم . ولما فتحها المسلمون (51) عملوا على تحصينها وتزويدها بالجيوش المقاتلة ، وربطوا طرقها مع (دبيل) الحصن الحصين الذي يشرفون منه على تلك المناطق التي تحت سلطانهم . ولذلك أيضا ظلت موضع نزاع مستمر بين المسلمين والبيزنطيين الذين لم يكفوا عن توجيه حملاتهم اليها . وهكذا نذكر على سبيل المثال ، أن الروم عادوا سنة 133 هـ ليغتنموا فرصة انشغال الجيش العباسي بالأحداث الداخلية اثر سقوط الدولة الأموية فتغلبوا على قاليقلا بتعاون مع الأرمن مما دفع أبا جعفر المنصور ــ حين أفضى اليه الحكم ــ الى اعادة بنائها وتعميرها وافتداء أسراها سنة 139 هـ . ثم رموا سورها في زمن المعتصم حتى كاد ينهار ، فكان أن أنفق عليها هذا الخليفة خمس مئة ألف درهم في التحصين والترميم (52) . ولكنها لم تلبث أن سقطت مع مدن أخرى في يدهم سنة 354 هـ (53) . وقد لعبت الدولة الحمدانية في الحروب التي لم تنقطع بين المسلمين والبيزنطيين

---

(48) المسالك لابن حوقل (ص 245) .
(49) دائرة المعارف (مادة أرمينية) مجلد 1 (ص 661ـ662) ط . عربية .
(50) معجم البلدان (17/7) مادة (قاليقلا) .
(51) وذلك سنة 25ـ26 هـ (645ـ646 م) أو سنة 33 هـ (653 م) على خلاف المصادر العربية والأرمنية . أنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة (أرزروم Erzerum) بقلم ر . هارتمن ، المجلد 2 (ص 33) . وقد كان الفاتح للمدينة هو حبيب بن مسلمة في خلافة عثمان بن عفان .
(52) فتوح البلدان (ص 280 (فتوح أرمينية) .
(53) تاريخ الاسلام (237/3) .

في هذه المنطقة ، أدوارا مشرفة مهمة ، خلصت مدينة قاليقلا من الوقوع نهائيا في يد الروم ، الى أن أصبحت فيما بعد محل نزاع آخر بين الفرس والأتراك .

منـــازجرد :

تقع مدينة القالي الصغيرة جنوب شرقي قاليقلا ـ اذ المسافة بينهما لا تزيد عن مرحلتين ـ وشمال غربي بحيرة أرجيش أو بحيرة (وان) فوق أراض خصبة تتصل بديار بكر . وهي ذات غلات ومنتوجات فلاحية يعمل على تصديرها ، كالحنطة والشعير والذرة والعدس وبعض الحيوانات والمواشي مثل الغنم والخيول . كما كان يستخرج من ديار بكر الواقعة في نواحيها : الملح والأحجار الكريمة . وقد حدد ياقوت موقعها بشكل غير دقيق فقال : «.. بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعد في أرمينية ..» (54) .

ويبـــدو من خلال النقــوش التي عثر عليهـا كل مــن (بلك : W. Belck) و (لهمان : Lehman) ـ وبعضهــا يعود الى القرن السابع والثامن قبل الميلاد ـ أن هذه المدينـــة قد مرت بأطوار حضـــارية لأمم كثيرة مثل الأشوريين والأورارتيين Urartiques الذين منهم الملك منفاس : Menvas وقد تحدث الأستاذ (ف. ف. بوشنر : V. F. Büchner فيما كتبه عن هذه المدينة بدائرة المعارف الاسلامية (55) حول اســمها القديم ، وذكر أنه كان في الأرمينية القديمة يعرف الأشــكال التالية : (منافازاكرت) Manavazakert ثم (منافازكرت) Manavazkert ثم (منازكرت) Manazkert وأن أقدم وأحسن كتابة عربية لهذا الاسم هو (منازجرد Manázjird بالنون ، وأما استعماله باللام فهو من الأشكال المتأخرة . واذا صح ما ذكره فسيكون ما أورده ياقوت في معجم البلدان صحيحا أيضا حيث قال : ان (منازكرد) بالكـــاف هي لهجة أهلية لـ (منازجرد) (56) . وأما ابن خلكان في الوفيات (I/144) فقد نبه الى الفرق الموجود بين (منـــازجرد) المنسوب اليهـا القالي وأبو نصر المنـــازي (ت 437 هـ) أحد وزراء أبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر وهي مدينة ، وبين (منازكرد) القلعة من أعمال خلاط .

ويفترض (و. بلك W. Belck) من خلال نقش عثر عليــه للملك منفـــاس الأورارتي أن اسم المدينة في الأرمنية القديمة كان يحمل في شــقه الأول اسم هذا الملك : (منفاس : Menvas) .

(54) معجم البلدان (3/164) مادة (منازجرد) .
(55) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد 3 (ص 214-215) مادة (Malazgerd). ط. الفرنسية .
(56) معجم البلدان (8/164) .

ويظهر من خلال نقوش ووثائق أخرى أن هذا الملك قد أولى كبير عنـاية لسقي الأراضي وفلاحتها وبناء السدود بها ، كما حصنها وشيد قصره عليها (57) .

ونظرا لأهمية المدينة في الاسلام وقبله من الناحية الحربية ، لقربهـا من بلاد الروم ، والتجارية لاتصـالها بواسـطة الطرق بكثير من البلدان ، كانت تزود دائما بالحصون والقلاع والمنـارات والأسوار المتينـة المبنيـة من الطوب والأحجـار البركانية . غير أن هذه الأهمية مع ذلك لم تكن تبلغ شأوا كبيرا ، مما دفع القالي الى استغلال اسم مدينة قاليقلا ، وسمعة أهلها في بلائهم ضد الروم ، قصد التقرب بذلك الى أهل بغداد وعلمائها . قال الزبيدي : «.. وسألت أبا علي : لم قيل له القالي ، فقال : لما انحدرنا الى بغداد كنا في رفقة فيها أهل قالي قلا فكـانوا يحـافظون لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد انتسبت الى قالي قلا ، **وهي قرية من منازجرد ،** ورجوت أن انتفع بذلك عند العلماء فمضى علي القالي» (58) . على أننا نفهم من هذه القصة أن مدينة قاليقلا ذات المجد والتاريخ ، ربما كانت قد تحولت في زمن أبي علي الى قرية صغيـرة أو حصن للحامية الاسـلامية المرابطة في الحدود ، بعدما هجرها كثير من السـكان نظرا للحروب المتواصلة . كما نفهم منهـا أيضا غيرة المسلمين على دينهم ، ينبىء عنها ما كان يلاقيه أهل الثغور المحاربون للروم من اكبار واجلال خارج وطنهم ، حتى أن الرجل كان يكفيه فخرا أن ينتسب الى قرية أو ثغر من هذه الثغور مثل قاليقلا .

نشـأة القالي :

في هذه المنطقة الشاسعة ، ذات الماضي الحضاري المجيد ، والأهمية الحربية والاقتصـادية ، والطبيعة الخصبـة المغمورة بالمياه والأنهـار ، وبين تلك الثغور الاسلامية ــ البيزنطية التي أولاها الخلفاء كبير عنـاية عبر التاريخ ، وأصبحت محل صراع دائم بينهم وبين الأطماع الأجنبية ، الى أن قسمت أخيرا بين تركيا وروسـيا والفرس في القرن الماضي (59) . أقول : في هذه البيئة عاشت أسرة القالي وتناسل آباؤه الذين لا نعرف منهم سوى ستة نفر . وبما أن أرمينية كانت من فتوح الشام ، حيث ظلت تابعة لبني أمية منذ معاوية ــ الذي انتقل اليه الحكم والسلطان فيما بعد ــ فان الذين أسلموا من هذه البلاد من غير العرب ، ظلوا موالي لبني أميـة كما هو الشأن في جد القالي (سليمان) الذي كان مولى لعبد الملك بن مروان (تولى الخلافة ما بين (65 ــ و 86 هـ) ويغلب على الظن أن هذه الأسرة ــ كما يذهب الدكتور أحمد

(57) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد 3 (ص 214–215) مادة (Malazgerd)

(58) طبقات الزبيدي (ص 188) .

(59) دائرة المعارف الاسلامية مادة (أرمينية) المجلد 1 (ص 643) ط . العربية .

كمال زكي (60) ـ كانت من الأسر الفقيرة أو المتوسطة الحال ، اذ لا نعرف عنها شيئا من النباهة والذكر . واذا كنا لا نعلم المدة التي قضتها هذه الأسرة في مدينة منازجرد ، فنحن كذلك لا نعرف شيئا عن أرومة القالي وأصل آبائه . أما سكان أرمينية الأصليون ، فقد رأينا سابقا أنهم من الأرمن ـ وهم جنس آري ـ ثم اختلطوا بالفرس والروم وكثير من الشعوب والقبائل الأخرى التي كونت شعبا «.. لا تزال مكانته بين الأجناس البشرية وأنواع اللغات موضع جدل حتى اليوم ..» (61) ـ كما يقول سترك ـ ثم ازدادت الأنساب اختلاطا حين هاجرت الى جنوب المنطقة قبائل عربية من بكر وقضاعة ، ومضر عامة (62) ، قبل مجيء الاسلام . فلما وقع الفتح ازدادت هجرة العرب الى هذه البلاد ، واستقر فيها كثير من الجنود الفاتحين ، وأقبر بها بعض آخر كان منهم صفوان بن المعطل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت يتحدث عن قبره : «.. وهو قرب حصن زياد عليه شجرة نابتة لا يعرف أحد من الناس ما هي ..» (63) وحصن زياد هذا هو الذي ذكره ابن خلكان وقال : إن مدينة منازجرد تقع عنده ، ويسمى : (خرت برت) (64) فهو اذن حصن من حصون تلك المدينة . وفي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136ـ158 هـ) فتح عامله على أرمينية يزيد بن أسيد السلمي باب الهجرة العربية والاستيطان في أرمينية على أوسع مدى ، فكان من جملة القبائل المهاجرة ، فرع من بني قيس استقر في منطقة منازجرد وعاش فيها ، واستوطنت جماعات من النزارية واليمانية مناطق أخرى (65) . وفي خلافة الرشيد (170ـ193 هـ) نظم يوسف بن راشد السلمي أحد ولاة أرمينية هجرة جديدة للقبائل النزارية حتى أصبحت تشكل قوة لها خطرها في الاقليم ، وذلك ليواجه بها اليمانية التي عظمت شوكتها هنالك (66) .

فهذه الحركة الواسعة التي مزجت بين عناصر السكان ، وأصبحت تكون شعبا مختلط الدماء والأرومات ، تضع أمامنا سدا منيعا يحول دون معرفة أصل القالي بسهولة ، ولا سيما أن المصادر التي ترجمت له لم تقدم شيئا في الموضوع . على أننا يجب ألا نذهب بعيدا في التصور ، فنزعم أن هذه الأجناس المتآلفة فيما بينها قد أتى عليها الذوبان ، فانصهرت نهائيا . والدليل على ذلك أنها ظلت في عهد الاصطخرى (نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري) تحتفظ بلغاتها التي هي أساس من أسس

---

(60) تراث الانسانية ، المجلد 5 (ص 47) .
(61) دائرة المعارف الاسلامية (أرمينية) (ص 640) المجلد 1 ، ط . عربية .
(62) معجم البلدان (96/3) مادة (جزيرة آقور) .
(63) نفس المصدر (203/1) مادة (أرمينية) .
(64) الوفيات (144/1) .
(65) أرمينية في التاريخ العربي (ص 106) .
(66) أرمينية في التاريخ العربي (ص 110) .

تمايزها . فقد كانت تتحدث بلغات شتى ما بين عربية وفارسية وبيزنطية وأرمينية . وفي ذلك يقول الاصطخرى : «.. ولسان أذربيجان وأرمينية والران الفارسية والعربية . غير أن أهل (دبيل) وحواليها يتكلمون الأرمينية ، وبنواحي برذعة لسانهم الرانية . ولهم جبال يسمونها (القبق) وتحيط بها ألسنة مختلفة كثيرة للكفار ..» (67) . وحين تحدث ياقوت عن منازجرد التي ولد فيها القالي ، قال أن أهلها (أرمن وروم) (68) .

وهكذا لا يجد الباحث في هذا الأمر ، حجة يتمسك بها أو دليلا ثابتا يركن اليه في تعيين الأصل الذي انحدر منه أسلاف القالي . الا أن الثابت أنه ليس عربي الأصل ، بدليل ولاء جده الأعلى في بني أمية (69) .

ولعل من الأسباب التي جعلت صاحبنا لا يفصح عن أصله : شعوره بضعة النسب الذي كان يلعب دورا مهما في عصر احتدمت فيه الصراعات بين الأجناس المكونة للأمة الاسلامية . ورغم ما كان يبدو من نفوذ الفرس والأتراك في الدولة العباسية التي عاش بها ، ومن انتفاضات الشعوبية ، فان الجنس العربي ظل له التفوق عليها في جميع الحالات ، ولا سيما على الأجناس التي تكون أقلية في المجتمع الاسلامي اذ ذلك ، مثل الروم والأرمن والسود والأكراد وغيرهم ، ممن لم يكن لهم في الدولة كبير نفوذ .

وعلى كل حال ، فان أبا علي الذي قضى بمنازجرد سنوات طفولته التي لا نعلم عنها شيئا على الاطلاق ، لا بد أن يكون قد صرف فترة منها ، في الاختلاف الى الكتاتيب التي كانت تزود التلاميذ بثقافة ابتدائية واعدادية ، حيث كان نظام الدراسة لذلك العصر ، يقتضي من الطلاب قبل اختلافهم للشيوخ الكبار في مجالس بغداد وغيرها من الحواضر الكبرى . أن يحفظوا القرآن أو شيئا منه ، ويتعلموا خلال ذلك الخط والكتابة والقراءة ، وينشدوا بعض الأشعار والأمثال ، ويدرسوا شيئا من الحساب والسنن والفرائض والنحو والعروض (70) . فاذا كان هذا القدر الضروري من الثقافة الأولية يقتضي وقتا – قد يطول – من حياة الأطفال ، فأننا لا نحسب أن صاحبنا المنازي قد أضاع من طفولته شيئا كبيرا دون أن يستغله ويستفيد منه في اعداد نفسه للمرحلة القادمة .

---

(67) المسالك للأصطخري (ص 112–113) .

(68) معجم البلدان (164/8) (منازجرد) .

(69) ربما كان جده الأعلى (سليمان) قد أسلم في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65–86 هـ) الذي شهدت منطقة أرمينية على عهده حروبا ضارية بين المسلمين والأرمن والروم والبيزنطيين ، اضطرت الخليفة أن يولي على المنطقة أخاه محمد بن مروان الذي أظهر بلاء متفوقا في اقرار الأمن بها .

(70) العصر العباسي الثاني (ص 115) .

واذا كنا أيضا لا نعرف الشيء الكثير عن مراكز الثقافة الصغيرة ، ومدارس التعليم الخاصة في نواحي منازجرد ، فان المساجد في الاسلام كانت تؤدي في القديم ، وظيفة ثقافية أساسية بجانب الوظيفة الدينية ، ولذلك كانت توقف عليها الكتب والخزانات والأموال والعقارات التي تصرف منافعها في الانفاق على الطلبة والأساتيذ . ونحن نجد في ترجمة أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي (من منازجرد) الوزير الكاتب الذي عاش في القرن الخامس ، أنه جمع كتبا كثيرة ، ثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد . ويقول ابن خلكان عنها : «.. وهي الى الآن موجودة بخزائن الجامعين ، ومعروفة بكتب المنازي» (71) . وقد كانت ميافارقين من المدن الواقعة في نواحي ديار بكر . فهذا وان كان قد حدث في القرن الخامس الهجري ، فانه لا يعدم نظيرا في القرنين الثالث والرابع . وليس من الاحتمالات البعيدة أن يكون القالي قد استفاد مما كان يوقف على مساجد تلك الناحية من الكتب والخزانات ، فملأ به صدره ووفاضه ، حتى تهيأ أخيرا لأن يجلس الى كبار الشيوخ ببغداد بعد أن أوثق عزمه ، وحرك أعنة رواحله قاصدا أرض العراق ...

---

(71) الوفيات (143/1) .

الفصل الثاني

في الموصل وبغداد

(303 ـ 328 هـ)

1 ـ في الموصل : (303ـ305 هـ)

غادر القالي بلدة منازجرد ، ففارق فيها أعوام الطفولة والغلومة التي تساقطت من حياته ، وأطفئت شموعها الفتية الخضراء ، لتؤذن بانقضاء شوط ، وابتداء شوط جديد ...

لم يكن صاحبنا يلمس في نفسه ميلا ليصبح في يوم من الأيام قائدا من قواد الثغور ، ولا رجلا طموحا الى ألقاب السياسة أو مكاسب الثروة والغنى ، والا لكان قد اتخذ غير هذا الطريق الذي سينتهي به الى مجالس ابن دريد ، أو حلقات الأخفش الذي لم ينفعه علمه في ملء أحشائه من الطعام . كان (داء) العلم وبلواه قد تمكنا من نفسه اذن تمكن العادات والطباع ، فما عليه الآن الا أن يعالجه برحلة طويلة تشفي علته ، وتثب به خارج أبواب أرمينية نحو بغداد التي كانت سمعتها تملأ الآفاق النائية ، وفي عزمه أن يجعل من هذه الخطوة بداية مرحلة جدية ينقطع فيها للعلم والعلماء ، وأن لا يشغل نفسه بما سواها من اللذات والمتع الرخيصة .

ويخرج القالي فلا تخب به المطايا غير فراسخ معدودات ، حتى يصادف ركب أهل قاليقلا ، ويستأنس بحديثهم ، ويستعين بصحبتهم على هم السفر ومشقة الطريق . وكان على القوافل القاصدة الى بغداد ، والقادمة اليها من أرمينية ثم الجزيرة في

الشمال ، أن تدخلها من باب العراق الطبيعي حيث توجد مدينة قديمة تسمي (الموصل) ملتقى الطرق المؤدية الى كثير من البلدان ، فتستريح فيها وتقضي مآربها من البيع والشراء ثم تتابع السير .

ويحدثنا ياقوت عن هذه المدينة التي فتحت سنة 20 هـ على يد خالد بن الوليد في خلافة عمر بن الخطاب فيقول أنها كانت «محط رحال الركبان ، ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى أذربيجان . وكثيرا ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لأن القاصد الى الجهتين قلما لا يمر بها . قالوا : وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات ...» (72) .

وهي مع هذه الميزة القديمة ، والموقع الهام ، تختص دون كثير من الأقاليم بصحة الهواء ، وعذوبة الماء ، حتى لقد زعموا «أن الغريب اذا أقام في بلد الموصل سنة تبين في بدنه فضل قوة ، وان أقام ببغداد سنة تبين في علقه زيادة ...» (73) .

وكان مجتمع الموصل بالاضافة الى السكان الأصليين ، يضم قبائل عربية كثيرة ، هاجرت اليها أثناء الفتح وقبله ، ومنها : قبائل من الخزرج والأزد الذين منهم الأنصار . ومن بني تميم ، وبني قيس ، وبعض القبائل القرشية وربيعة ومضر ، وبني همدان من الأحياء اليمانية ، ثم تغلب التي كانت تقيم بضواحي هذه المدينة (74) . وخلال الحكم الأموي تغلب عبد الله ابن الزبير على الموصل والعراق ، الى أن استطاع عبد الملك بن مروان سنة 71 هـ أن يستردهما لحظيرته . فلما جاء بنو العباس بايعهم أهل الموصل على كره ، ثم ما لبثوا أن تشيع بعضهم وساند بني أمية بعض آخر ، فجر عليهم ذلك الأمر غضب آل العباس ، حيث نجد السفاح يولي عليهم أخاه يحيى ، فيقتل منهم في يوم واحد حوالي أحد عشر ألفا بعد اغلاق المسجد عليهم (75) . وفي القرن الثالث الهجري نجد الموصل تتحول الى قاعدة كبيرة لثورات الخوارج ، الذين كبدوا الدولة العباسية هموما وبلايا . وكانت الموصل خلال ذلك كله ، ولاية تابعة للجزيرة أحيانا ، وللشام أحيانا أخرى ، ثم مستقلة حين انقضت عليها أسرة آل حمدان التغلبية . ونجدها أخيرا تفتح ذراعيها سنة 303 هـ ، لتستقبل قافلة القالي ، والصراع دائر حول أسوارها بين أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان الذي

---

(72) معجم البلدان (195/8) مادة (الموصل) .

(73) نفس المصدر والصفحة .

(74) تاريخ الموصل (ص 51–52) . وتاريخ الاسلام (115/3) .

(75) تاريخ الموصل (ص 63–64) .

كان يهدف منذ أن أصبح واليا عليها من قبل الخليفة المقتدر سنة 292 هـ الى عزلها عن الحكم المركزي ، وبين العباسـيين الذين كانوا يتخوفون من ملامح هذا الرجل الطموح الذي تنذر تصرفاته بحركة عصيان لا قبل لهم بها . فما لبث المقتدر أن عزله عنها سنة 301 هـ ثم اضطر لاعادته في السنة الموالية وهو يراقب تصرفاته . وهكذا لم تمض سنة أخرى حتى كان الخليفة قد ألقى القبض على بني حمدان لعصيانهم ، وأصبح الوالي على الموصل أبا أحمد بن حماد الموصلي (76) . ولكن بني حمدان ما لبثوا بعد ذلك أن حققوا طموحهم في تكوين امارة مستقلة استمرت من سنة 317 هـ الى سنة 393 هـ .

لقد دخل القالي اذن الى الموصل فأناخ فيها رواحله ، وهي تشهد هذا الصراع الذي يعتبر امتدادا في تاريخهـا للحركات والثورات التي عاشـتها منذ عصر بني أمية ، فكان واضحا هذه المرة أنها تستعد لتلعب دورا سياسـيا خطيرا ، وتهيىء نفسها لتصبح مركزا ثقافيا هاما ، قبل وبعد أن ينتقل بنو حمدان منها الى حلب التي ستحتضن مجـالس أميرها سيف الدولة أكبر علماء وأدباء العصر كالمتنبي وأبي فراس ، وابن جني ، وابن خالويه ، وأبي الطيب اللغوى ، وأمثالهم .

ومكث القالي في هذه المدينة مدة غير قصيرة ، وكأنما استطـاب ذلك الهواء الذي قال عنه ياقوت : انه يزيد الجسم قوة ونماء ، أو كأنما أصغى بكل جوارحه الى ما كان يقال اذ ذاك عن طموح أبي الهيجاء وبطولته ، فاسـتلهم من سـيرته وسمو غايته التي يصنعها بهمة وثابة ، عبرة وطموحا حببا اليه الجلوس قليلا الى أهل تلك البلدة ، ليتلمذ على طموحهم العلمي ونبوغهم الثقافي . وقد كانت بالموصل مساجد كثيرة ، بناها المسلمون لتكون بيوت عبادة ، ومنابر علم ، فكان أولها ذلك المسجد الذي بناه الخزرجيون بها (77) منذ الفتح الاسلامي . وفي تلك الرحاب عاش زمرة من أفاضل العلماء من أمثـال أبي القاسم عبد العزيز بن حيان بن جابر الموصلي المتوفى سنة 261 هـ (78) ، وأبي يعلى الموصلي ، وثلة من الأدباء والشعراء الذين نجد منهم في القرن الرابع الهجري : أبا الحسن الكندي الشاعر المعروف بالسرى الرفاء المتوفي سنة 362 هـ من مادحي سيف الدولة ، وصاحب هذه الأبيات الجميلة في بلدة الموصل :

سقى ربى الموصل الفيحاء من بلـد
جود من المزن يحكي جود أهليهـا

---

(76) تاريخ الموصل (ص 46–99) .
(77) تاريخ الموصل (ص 51) .
(78) معجم البلدان (197/8) (الموصل) .

أأندب العيش فيها ، أم أنوح على
أيامها ، أم أعزى في لياليها
أرض يحن اليها من يفارقها
ويحمد العيش فيها من يدانيها (79)

الى جماعة أخرى من أرباب القريض والنثير ، كان ينظمهم بلاط سيف الدولة في سلك واحد ، وأتى على ذكر جملة منهم أبو منصور الثعالبي في الجزء الأول من يتيمة دهره .

أما القالي الذي مكث في هذه المدينة ما يزيد على السنة ويقرب من السنتين ، فانه لا يحدثنا — فيما رواه لتلميذه الزبيدي — عن شيوخه الذين أخذ عنهم بالموصل سوى رجل واحد ذكره عرضا ، وهو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، واكتفى في الاشارة الى شيوخه الآخرين من رجال الموصل بقوله : (وغيره) .

أبو يعلى الموصلي :

وأما أبو يعلى الموصلي (80) ، فلقد لقيه القالي في أخريات زمانه ، وأرذل عمره ، اذ كان قد أربى على التسعين : (210—307 هـ) وقارب المئة بعد أن عمر وتفرد — كما يقول الذهبي — ورحل الناس اليه ، وسمع ببغداد وغيرها من طبقات العلماء أمثال : علي بن الجعد ، ويحيى بن معين ، ومحمد بن المنهال الضرير وغيرهم .

ورغم أن القالي لم يعين نوع ما كتبه على يد هذا الشيخ من العلوم — وهو أول من نتعرف عليه من شيوخه — فاننا نستطيع أن نعرف ذلك من خلال ثقافة هذا الموصلي الذي كان مشتغلا بالحديث ، متقنا له وحافظا مؤلفا فيه ، شهد له بذلك غير واحد من أهل هذا العلم الشريف ، وقد بلغت شهرته في الحديث حتى سمي (محدث الجزيرة) وله في ذلك مسند كبير ، طارت به شهرته . فقد كان هذا المسند كما يروي السمعاني (كالبحر يكون مجتمع الأنهار) (81) . وله مع هذا الكتاب (معجم لشيوخه) صنعه في ثلاثة أجزاء . ومن خلال ثقافة هذا الرجل ، نعرف أن القالي بدأ جهاده العلمي بتحصيل الحديث ، وكان أبو يعلى الموصلي بلا شك أول من أفاده فيه قبل غيره من شيوخه . واذا كنا لا نعرف بقية هؤلاء الشيوخ في الموصل ، فان

---

(79) نفس المصدر . وأنظر ترجمته في معجم الأدباء (11/182) .

(80) ترجمته في تذكرة الحفاظ (2/707) — مرآة الجنان (2/249) — معجم البلدان (8/193) — شذرات الذهب (2/250) — الكامل لابن الأثير (6/165) — النجوم الزاهرة (3/197) — العبر للذهبي (2/134) .

(81) تذكرة الحفاظ (2/708) .

المرحلة الأولى من ثقافته في بغداد ، ستكون هي الأخرى امتدادا لهذا الاتجاه العلمي ، اذ لن يلبث أن يقصد كبار علمائها في الحديث ، قبل أن يختلف الى علماء اللغة والأدب حسب تقديرنا .

واذا كان الفاصل الزمني بين خروجه من منازجرد ودخوله بغداد لا يتعدى سنتين (303–305 هـ) فاننا نحسب أن القالي لم يلبث كل هذه المدة ـ على قصرها ـ في الموصل ، اذ كان لا بد أن ندخل في اعتبارنا من الزمن ما تقتضيه الرحلة من أيام طوال .

وسرعان ما يترك أبو علي مدينة الموصل ، ويعود لمتابعة السير نحو أبواب بغداد التي كانت تبعد بحوالي : 332 كلم عن الموصل الواقعة في شمالها الغربي ، وبذلك تطوى مرحلة أخرى من صفحات هذه الرحلة الممتعة .

2 ـ في بغداد : 305–328

دخل القالي مدينة بغداد سنة 305 هـ ، وهي اذ ذاك منبر العلوم والآداب ، ومنتدى الأفكار ومجمع العلماء ، ومحج الطلاب من كل فج عميق ، تتصارع في حلبتها المذاهب الدينية والتيارات السياسية ، وتهوي اليها العقول والأفئدة ، وهي في ذلك كله ، ما تزال ماسكة بأزمة الحضارة الاسلامية ، تأتم بها الأمصار والحواضر ، وتقلدها في طابعها وحياتها العواصم الناشئة . ورغم أن الانقسامات السياسية في الشرق كانت قد عرفت بدايتها منذ النصف الثاني من القرن الثالث ، وبدا كأن المراكز الثقافية والحضارية الأخرى تسعى لمزاحمتها ، فان هذه المراكز في الحقيقة لم تكن قد برزت أهميتها بعد ، ولم تكن قد أظهرت نوعا من التفوق على بغداد . على أن بعضها الآخر كان ما يزال في حال استعداد لكسب الاستقلال الذاتي ، أو ما يزال في حاجة لعطاء بغداد في مجالات الفكر والتمدن .

الثقافة في بغداد :

اذا نحن تركنا ذلك اللون القاتم من ألوان الحياة ، للعصر العباسي الثاني الذي قدمنا لمحة تاريخية عنه (82) ، وجدنا ألوانا أخرى زاهية ، متمثلة في الحضارة العمرانية التي تنافس العباسيون في تشييدها ، ووجدنا ملامح خاصة تميز الحركة العلمية خلال هذه الفترة التي نسميها عادة : عصر الازدهار والنضج وشمول الثقافة . ذلك أننا أصبحنا أمام ثمرات علمية وأدبية تعد نتاجا مباشرا لعصر التدوين والترجمة الأولى . فبعد المرحلة التي اشتغل فيها العلماء بالتقييد والرحلة الى

---

(82) أنظر التمهيد التاريخي لهذا البحث .

البوادي وجمع النصوص وتوثيقها وشرحها وفهمها ، وبعد المعاناة التي لقيها الناس في ترجمة العلوم العقلية وقراءتها وهضمها ، جاء عصر تظهر فيه نتائج تلك الجهود في مختلف الميادين الفقهية والفلسفية واللغوية والأدبية والتاريخية . عصر نهضة فكرية شاملة .

ولنتوقف هنا قليلا للحديث عن نوعين من هذه العلوم هما :

العلوم الدينية ، والعلوم العربية .

أما العلوم الدينية :

فبعد مرحلة الجمع والرحلة والأسفار التي تجشمها واضعوا كتب الحديث الصحاح أثناء القرنين الثاني والثالث ، جاءت مرحلة أخرى تهتم بدراسة الأحاديث المجموعة ، والتنافس في حفظها واتقان روايتها ومعرفة رجالها وأسانيدها ، وتمييز صحيحها من سقيمها . وهكذا ظهرت في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع ، طبقة من كبار المحدثين اشتهرت بالحفظ والضبط والاتقان والاعتماد على الأصول الصحيحة ، منهم عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت 316 هـ) وأبو القاسم البغوى (ت 317 هـ) وأبو محمد يحيى بن صاعد (ت 318 هـ) وأبو عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي (ت 330 هـ) وجماعة كبيرة من أصحاب هذه الطبقة الذين تلمذ لهم القالي ، والدارقطني ، وأبو حفص بن شاهين ، وأبو بكر ين شاذان ، وآخرون .

واذا كان العصر قد اتسم باستقرار المذاهب الفقهية ، وتوسعها وانتشارها خاصة في القرن الرابع (83) ، فان أهم ما يلحظ بعد ذلك هو الصراع الحاد بين المذاهب الدينية من جهة ، ثم الصراع بين الفقهاء والمتصوفة من جهة أخرى . هذا الصراع الذي ذهب ضحيته جماعة من الصوفيين كان على رأسهم أبو منصور الحلاج المقتول سنة 309 هـ بتواطؤ الساسة والفقهاء . واذا كان العصر أيضا قد اتخذ فيه العباسيون السنة مذهبا رسميا للدولة في الغالب ، فاننا مع ذلك نجد المعتزلة خلال هذا العصر يزاولون نشاطهم بوجه من الوجوه ، ويخرجون عددا من كبار الرجالات مثل أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت 303 هـ) وابنه أبي هاشم عبد السلام الجبائي (ت 321 هـ) وأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت 324 هـ) صاحب المذهب المعروف باسمه ، والذي اتجه فيه بالاعتزال وجهة التوسط بين آراء أصحابه وآراء أهل السنة ، حتى عد مذهبه مذهبا سنيا .

وكان أشهر المشتغلين بالتفسير آنئذ أبا جعفر الطبري (ت 310 هـ) الفقيه المحدث المؤرخ الذي اتسم تفسيره بالاعتماد على المأثور من قرآن وحديث وشعر وأخبار .

---

(83) الحضارة الاسلامية (ص 373) .

وهناك طائفة أخرى من المفسـرين كانوا يمثلون المذاهب الدينيـة كالمعتزلة والشيعة ، ويؤولون الآيات على مقتضى آرائهم ، لم نر فائدة في ذكر أسمائهم . وقد صادف دخول القالي لبغداد ، وجود أشهر رجل نبغ في علم القراءات ، ذلك هو أبو بكر أحمد بن مجاهد (ت 324 هـ) «شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة» كما يقول ان الجزري (84) فكان أحد شيوخه الكبار الذين أفاد منهم كما سنرى .

أما العلوم العربية :

فقد قيض لأبي علي أن يشهد أوج نشاطها على يد تلاميذ المبرد وثعلب الذين كان منهم ابن دريد ، وابن الأنباري ، ونفطويه ، والأخفش ، والزجاج وغيرهم ممن سنراهم في شيوخه . وكان عليه أن يلقى أمهات الكتب والمصنفات التي كان قد جمعها أمثال الأصمعي وأبي حاتم ، وأبي عبيد ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، وابن الأعرابي من العلماء الذين مثلوا دور التدوين والجمع . ولقد كان من ضمن نشاط علماء هذا العصر ، رواية تلك الكتب وشرحها وتلخيصها ، والاستفادة منها فيما وضعوه من تآليف . وكان أهم ما قدمته هذه الحركة اللغوية من نتاج : كتاب الجمهرة الذي يعتبر خطوة في التأليف العجمي بعد كتاب العين ، ثم طائفة من الكتب الجامعة بين اللغة والأدب والأخبار مثل الكامل للمبرد ، والمجالس لثعلب ، والامالي لابن دريد وابن الأنباري ، وغير ذلك من الدواوين الشعرية المسموعة والمقروءة ، والمصادر والكتب الموثقة التي سنرى القالي يحمل قدرا كبيرا منها الى الأندلس . فلقد استفادت هذه الكتب الجامعة من الرسائل الصغيرة التي وضعت خلال العصر السابق ، مثل كتب : الخيل ، والابل ، والشجر ، والنبات ، وخلق الانسان ... اذ ضمنت كلها في المؤلفات الكبيرة التي تعتبر بمثـابة منتخبـات لغوية وأدبية تقدم للطلاب الذين يراد تأديبهم وتكوين ذوقهم اللغوى والأدبي في علم العربية .

أما في ميدان النحو ، فلقد انتهى القرن الثالث بتبلور مدرسة نحوية جديدة في بغداد ، جمعت بين المذهبين البصري والكوفي . ذلك أن تلاميذ هذه المرحلة كانوا يلاقون في المجالس علماء من المدرستين : (المبرد وأصحابه ، وثعلب وأصحابه) فمالوا الى الانتخاب والانتقاء من أقوال وآراء الجماعتين ، فما أهل القرن الرابع الهجري حتى كثرت «قواعد هذا المذهب الجديد وأيده النظار له ، واشتهرت طائفة به» (85) وهو الذي يسمى بالمذهب البغدادي .

واذا كان العصر العباسي الثاني قد شهد ازدهار العلوم واستقلال بعضها ، ونضج العقلية العربية واتساع مداركهـا وعمق تفكيرها ، بفضل ما نتج عن حركة

---

(84) غاية النهاية في طبقات القراء (ص 1/139) .
(85) نشأة النحو (ص 158) .

الترجمة التي وصلت فيه أوجها وأعطت ثمارها ، واذا كان العصر من جهة أخرى هو عصر حضارة متعددة الجوانب والأنماط يتخللها الغناء والطرب واللهو والمجون وازدهار العمران ، كما تتخللها الآراء والمذاهب والعقائد ، ويسود ذلك كله رقي في الأذواق ، وتفتح على الحضارات والأمم بالقدر الذي يحافظ على مقومات الشخصية العربية ويبقي على تراثها واصالتها ، فان الأدب شعره ونثره لم يكن الا عطاء لهذه الخصائص والملامح كلها ، ولوحة تمازجت فيها كل هذه الأصباغ والألوان ، وصياغة فنية للعصر ومعطياته .

وهكذا يمكن تسجيل ملحوظة عامة على شعر هذه الفترة بأنه شعر حافظ على رونقه القديم ، وتمثل الصياغة العربية السليمة ـ كما يقول شوقي ضيف (86) حيث لم تختف المقدمة الطللية نهائيا من القصيدة ، ولم تمن الأغراض الأساسية من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف ... في جوهرها بتغيير أساسي . أما المحاولات التجديدية التي لم يخل منها هذا الشعر فهي لا تعدو أن تكون من جهة نموا وازدهارا للأغراض القديمة مع محاولة اخضاعها لروح العصر واضافة عناصر جديدة . فالمدح مثلا لم يعد مقتصرا على ابراز الصفات الجسمية والاخلاقية كالشجاعة والحلم والاقتدار فحسب ، بل أصبح الشعراء يميلون أكثر الى اعطاء الممدوح قدسية دينية وهالة في النفوس . كما أن هذه الأغراض القديمة من جهة أخرى قد تفرعت عنها أغراض ثانوية جديدة ، وتطورت بحيث تفرع عن المدح مثلا شعر التهاني بالأعياد والمناسبات ، وتفرع عن الرثاء للأشخاص رثاء القصور والمنازل ، وتفرع عن الزهد الشعر الصوفي ـ ولا سيما أن العصر قد شهد نزعة صوفية قوية على يد الجنيد والحلاج وأبي بكر الشبلي وغيرهم ـ كما تفرع عن باب الوصف العام وصف البرك والقصور والمنازه والرياض ، ومجالس الطرب واللهو ، والنواوير والأزهار ، وخاصة عند ابن الرومي ، والصنوبري . كما نجد من الأغراض المتطورة ، الشعر التعليمي الذي كان من شعرائه في العصر العباسي الأول أبان بن عبد الحميد الذي نظم كليلة ودمنة . أما في هذا العصر فقد كان رائده ابن المعتز في منظومته التاريخية ، وابن دريد في نظمه للمقصور والممدود ، وعلي بن الجهم الذي شارك هو الآخر في نظم التاريخ . كما نجد من أغراض الهجاء ، هجاء الحكام وذم الزمان والشكوى من شظف العيش وبؤس الحياة . ويمثل ذلك علي بن بسام (ت 303 هـ) وجحظة البرمكي (ت 323 هـ) أستاذ القالي . فهما خير من دافع عن الطبقات الشعبية الفقيرة بأشعارها على نقيض ما كان عليه شعر ابن المعتز الذي يمثل جو القصور والمسك والكافور .

---

(86) العصر العباسي الثاني (ص 188) .

وفي جميع هذه الحالات ، فان النتاج الشعرى لهذه الفترة قد خضع لمؤثرين أساسيين : هما التيار المشبع بروح الثقافة العربية لغة وأدبا ، ويمثله أتباع البحتري الذى كان يرضي بأشعاره طائفة من الأدباء وعلماء العربية الذين لا يرضون بعمود الشعر ورونقه ومذهب العرب بديلا ، والذي جاء ردة معاكسة للخطوة الجريئة التي بلورها شعر أبي تمام المشبع بعقلية العلماء وثقافتهم المتعمقة في الفلسفة والجدل والقياس والتأمل ، ثم التيار المشبع بالمعارف المختلفة والذي نال حظه من كل شيء ، فتأثر بآداب العرب ولغتها في صقل موهبته وتدريب ملكته الشعرية . كما تأثر بمترجمات الأوائل من منطق وفلسفة ، وبالتيارات الفكرية المعاصرة له . وخير من يمثل هذا الاتجاه في نظر شوقي ضيف الشاعر ابن الرومي الذي كان معتزليا ، وجاء شعره متمثلا عمق الثقافة وخصبها ، فكان ذلك بادى الأثر على شعره الذي نلمح منه سمات هذه الثقافة لا سيما في تشعب معانيه وتعددها ودقتها ، وتماسك أبيات القصيدة تماسكا عضويا .

أما بالنسبة للنثر ، فان كتاب هذا العصر قد تأثروا بمدرسة الجاحظ التي تمثل امتزاج الثقافات وتفاعلها ونضجها في ذهن صاحبها . وقد ظهر من هؤلاء بعد الجاحظ الذي مات في منتصف القرن الثالث تاركا ثروة من الكتابات الفنية أرسى بها قواعد النثر وأحكمها ، جماعة منهم الحسن بن وهب ، وابراهيم بن محمد الصولي وأبو محمد بن قتيبة وغيرهم . وقد كان القرن الثالث عموما ، مهدا لمدرسة الخوارزمي والصاحب وابن العميد وبديع الزمان وغيرهم ممن وصل النثر على يدهم درجة عالية من التصنيع والتنميق .

حياته في بغداد :

تلك خلاصة مركزة غاية التركيز ، لجانبين فقط من جوانب الثقافات الناهضة في حلقات بغداد ومجامعها ، حين قدم القالي واصلا اليها مع اشراقة القرن الرابع الهجري . واذا كانت رحلته الى هذه المدينة هجرة طويلة في سبيل التثقيف والتعليم ، فقد كان هذا المناخ المشع بالعلوم والآداب ، هو الدائرة الفسيحة التي تحركت فيها قدماه مدة ثلاثة وعشرين عاما ، خلال فترة كبيرة من حكم الخليفة المقتدر (295ـ320 هـ) ثم خلافة القاهر بأتمها (320ـ322 هـ) وأغلب سنوات حكم الراضي بالله (322ـ329 هـ) . وخلال ذلك وقف على كثير من أحوال هذه المدينة ، وامتزج بعناصرها وأبنائها ، وجالس علماءها وأدباءها . غير أننا مع هذا لا نعلم شيئا قليلا أو كثيرا عن حياته الخاصة ، ولا الطرق التي كان يتكسب منها وهو طالب علم غريب في بلد هجره علماء كبار ، حين أعوز بعضهم الرغيف ، واحتاج آخرون لامتهان حرف

وضيعة واضطر فريق ثالث منهم أن لا يعلم بالمجان . فقد كان المبرد مثلا – وهو شيخ عظيم – لا يعلم أبا بكر الزجاج الا مقابل درهم في كل شهر .

واذا كانت المصادر لا تمدنا بأخبار عن حياة القالي في بغداد سوى ما استفدناه من اتصالاته بشيوخه – وسنفرد لها فصلا – فاننا نجهل بالتالي أشياء كثيرة عن أحواله العائلية . غير أن من المؤكد لدينا أنه غادر بغداد سنة 328 هـ ، وهو في الأربعين من عمره أو يزيد عليها قليلا ، مما يجعلنا نرجح أن زواجه قد تم خلال هذه المرحلة ان لم يكن قبل ذلك بقليل . على أن المصادر الأندلسية لا تشير هي الأخرى الى زواجه بالأندلس . وكل ما يمكن الاستئناس به على هذا الترجيح ، بالاضافة الى عنصر السن ، أنه خاطب في مطلع قصيدته الميمية التي مدح بها الناصر الأموي حين دخوله قرطبة ، امرأة كانت تبكي لفراق بغداد حين قرر أبو علي أن يرحل عنها مع أهله الى قرطبة :

قالت : وقد قربوا للبين أينقهم
وأسبلت عبرة ممزوجة بدم

أمشرق الشمس تبغي – عشت في دعة –
أم مشرق الجود والافضال والنعم ؟

قلت : المنى والذي أنويه يا سكني
– ان استطعت وصولا – مطلع الكرم

نحن نلحظ في البيت الثالث أنه يستعمل في مخاطبة تلك المرأة عبارة تطلق عادة على الزوجة ، فيقول : (يا سكني) ، وهي قد استخدمت للكناية عن زوج أبي علي التي آلمها ترك الأهل ومغادرة الأوطان .

في سامراء

ولا شك أن القالي في أثناء وجوده بالعراق ، قد تردد بعض الوقت على مدن أخرى غير بغداد ، فزار سامراء مدينة المعتصم التي بنيت سنة 221 هـ على الضفة اليسرى لنهر دجلة ، على بعد ستين ميلا من مدينة السلام فصارت مقرا لحكم بني العباس الى سنة 276 هـ ، وقد أقام بها القالي ليسمع عن أبي بكر بن الأنباري ، وأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد بن موسى الأمير العباسي فيما يظن ، والشك عندي في هذا الأخير لأنه كان يحدث ببغداد وسامراء معا ، فلا ندري اين سمع منه القالي ، أببغداد أم بسامراء . وأما الأول فسماعه عنه بسامراء شيء ثابت بما ورد في فهرسة ابن خير الأشبيني عند ذكره لأسانيد رواية كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد ، قال أبو علي : «.. ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار

الأنباري سنة 317 هـ ، يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة في مسجده على باب داره في درب البقر بسر من رأى ، وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مضين من ذي القعدة سنة احدى وعشرين ، وكانت قراءتي عليه في الثلاثاوات ، وكانت مدة قراءتي اياه عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما» (87) .

وما أن انتهى القالي من سماعه لكتاب الغريب على شيخه ابن الأنباري حتى شرع يقرأ عليه كتابا آخر هو ألفاظ ابن السكيت . قال أبو علي : «.. بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منه 321 هـ» (88) .

وواضح أيضا أن هذه القراءة بدورها قد تمت بسامراء ، وان لم يقع التنصيص على ذلك ، لأنها جاءت بعد أسبوع فقط من نهاية السماع الأول .

وربما كان فيما زاره القالي أيضا من حواضر الرافدين العامرة بالعلم ومجالس العلماء مدينة الكوفة ، فأخذ من رجالها وحضر مجالس بعض من فيها من العلماء ، وبهذا الصدد نجد أن من شيوخ القالي المقيمين بالكوفة أبا عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي القاضي (89) (ت 330 هـ) . فقد كان قاضيا على الكوفة مدة طويلة قدرها مترجموه بستين سنة ، وضم اليه كذلك قضاء فارس وأعمالها ، الى ان استعفي في سنة 320 هـ . وقد ذكر بعض مترجميه أنه كان يعقد مجلسا للعلم في الأربعاوات من كل أسبوع ، ونص في تذكرة الحفاظ على أن تلك المجالس كانت تعقد في داره بالكوفة منذ سنة 270 هـ (90) ، على أن هذا كله لا يقطع بأن القالي سمع منه بالكوفة ، اذ من المحتمل أيضا أنه سمع منه ببغداد بعد استعفائه من القضاء أي بعد سنة 320 هـ .

واذا كنا لا نريد أن نطيل العنان لخيالنا ، فنمنح القالي حياة من تصورنا ، تكون بعيدة كل البعد عن حياته الحقيقية ، فانه يكفينا أن نكون قد رسمنا اطارا للمحيط الثقافي الذي هاجر اليه وعاش في كنفه مدة من الزمان . وسنرى في الفصل التالي صفحات أخرى من حياته بجانب أساتذته وشيوخه فيها تعويض عن بعض الحلقات التي نفتقدها الآن .

---

(87) ابن خير (ص 328) .
(88) نفسه (ص 329) .
(89) أنظر ترجمته ومصادرها في هذا البحث ضمن شيوخ القالي .
(90) التذكرة (325/3) .

الفصل الثالث

ثقافة القالي

ان أهم ما يمكن لهذا البحث أن يستفيده من دراسة حياة القالي ، هو معرفة اتجاهه الثقافي ، وتكوينه العلمي ، ثم بالتالي معرفة خصائص هذه الثقافة التي تلقاها ببغداد ـ وهي أشد مراحل حياته تأثيرا فيه ـ لأن ذلك من شأنه أن يساعدنا على تحديد نوع الأثر الذي أحدثه بالأندلس ، والثقافة التي نشرها بين تلاميذه ، وزرع بذورها في تلك البيئة المتعطشة التي لم تكن قد تلمست شخصيتها بعد ، ولم تزل في حاجة الى لقاح وتعهد .

ونحن في سبيل بحثنا عن سداد لثغرات من حياة القالي ببغداد ، نجده قد احتفظ لنا هذه المرة بأسماء كثير من شيوخه ـ ولا أقول جميعهم ـ سواء كان ذلك فيما قصه على تلميذه الزبيدي ، أو فيما ذكره ، عرضا ببعض مؤلفاته التي وصلت الينا . ويجب أن نلحظ أيضا أن شيوخه في بغداد (91) قسمان : قسم أخذ عنه الحديث وعلوم القرآن والدين ، وقسم كتب عنه اللغة والأدب ، وهو الذي كان له أكبر تأثير في تكوين شخصيته العلمية كما سنرى .

أولا : شيوخه في الحديث والعلوم الدينية

فمن شيوخ أبي علي الذين ذكرهم الزبيدي في طبقاته حين ترجم لشيخه (ص : 186ـ187) :

(91) وندخل تحت بغداد مدينة (سامراء) الواقعة على أطرافها .

(1) أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (92)
(230–316 هـ)

وهو امام أهل العراق في الحديث . روى عن والده أبي داود سليمان بن الأشعث (ت 275 هـ) الذي كان بدوره رأسا في الحديث ورأسا في الفقه – كما يقول ابن العماد – وأشبه الناس بشيخه أحمد بن حنبل . وهو صاحب السنن المشهورة بسنن أبي داود التي مدحوه بها فقالوا : «لما صنف أبو داود السنن ، ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد» (93) .

وقد طاف عبد الله مع والده المذكور ، شرقا وغربا وسمع بخراسان ، والجبال وأصبهان ، وفارس ، والبصرة ، وبغداد ، والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، والثغور . ثم استوطن بغداد بعد أن أصبح من كبار الحفاظ وأشهر المحدثين ، فنصب له السلطان المنبر اجلالا لمعرفته ، وظل يملي من حفظه ، ويكتب عنه عامة المشايخ وكبار العلماء الذين منهم الدارقطني ، وأبو حفص بن شاهين ، وأبو بكر بن مجاهد المقرىء (أحد شيوخ القالي) . وألف في الفقه ، والقرآن والحديث مصنفات منها :

(1) المسند
(2) القراءات
(3) الناسخ والمنسوخ
(4) المصاحف
(5) المصابيح في الحديث
(6) نظم القرآن
(7) فضائل القرآن
(8) شريعة التفسير
(9) شريعة القارىء
(10) البعث والنشور ، وغير ذلك (94) .

وأما من حيث مذهبه الفقهي فقد كان من الحنابلة هو وأبوه ، وذكره ابن أبي

---

(92) مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (405/2) – تاريخ بغداد (464/9) – شذرات الذهب (168/2) ضمن ترجمة والده ، ثم ترجم له مفردا في صفحة (2/273) – طبقات الحنابلة (51/2) – طبقات الشافعية (229/2) – لسان الميزان (293/3) – ميزان الاعتدال القسم الثاني (ص 433) – طبقات الفقهاء (229/1) – تذكرة الحفاظ (767/2) – العبر للذهبي (164/2) – النجوم الزاهرة (221/3) .

(93) شذرات الذهب (167/2) .

(94) طبقات الفقهاء (230/1–231) .

يعلى في الطبقة الثانية منهم ، وأورد له قصيدة حائية طويلة في توضيح مذهبه . وفيها يفصح عن تمسكه بالكتاب والسنة وعن عقيدته التوحيدية المخالفة لما يراه أهل الاعتزال وفرقة المرجئة والجهمية والخوارج ، وأهل (البدع) ثم يؤكد حسن رأيه في الصحابة جميعا فيقول :

وقل خير قول في الصحابة كلهم
ولا تك طعانا تعيب وتجرح

وقد تعرض في حياته لمحنة أتهم فيها بانحرافه عن علي بن أبي طالب (رض) ولكن تلك التهمة لم تثبت . فقد أثر عنه أنه كان يقول بعد تلك المحنة : «كل من بيني وبينهم شيء ... فهو في حل ، الا من رماني ببغض علي بن أبي طالب» (95) .

على أن أهم ما تتميز به هذه الشخصية الكبيرة التي كان لها أثر واضح على جانب من شخصية القالي ، يمكن تلخيصه فيما يلي :

(أ) كثرة الحفظ والرواية :

وشهد له بذلك جميع مترجميه ، حتى قالوا أنه كان أحفظ من والده . كما رووا من الأمثلة على قوة حافظته ، أنه أملى بسجستان من غير كتاب ولا نظر ، ثلاثين ألف حديث لم يقع تخطيئه الا في ستة منها ، وحدث في أصبهان من حفظه بستة وثلاثين ألف حديث لم يلزموه الوهم منها الا في سبعة أحاديث (96) .

(ب) الضبط والاتقان :

فقد وثقه كبار العلماء وسئل عنه الدارقطني فقال : «ثقة ، الا أنه كثير الخطأ ..» ودافع عنه بعض مترجميه فيما اتهم به من الكذب ، ومنهم الذهبي في تذكرة الحفاظ .

(ج) الاعتماد على الأصول دون الفروع :

وذلك ما صرح به نفسه في هذه الأبيات المنسوبة اليه :

اذا تشاجر أهل العلم في خبر
فليطلب البعض من بعض أصولهم
اخراجك الأصل فعل الصادقين فان
لم تخرج الأصل لم تسلك سبيلهم

---

(95) تاريخ بغداد (9/468) .
(96) نفس المصدر (9/466) .

فاصـــدع بعلم ولا تردد نصيحتهـــــم
واظهر (97) أصولك ان الفرع منهم (98)

فهي شعاره في طريقته العلمية ومذهبه الفقهي .

(د) عصاميته وحرصه على العلم :

وشـاهد ذلك أنه روى عن نفسـه فقـال : «دخلت الكوفة ، ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مدا باقلاء ، فكنت آكل منه كل يوم مدا ، وأكتب عن أبي سعيد الأشج ألف حديث ، فلما كان الشهر حصل معي ثلاثين ـ كذا ـ ألف حديث» (99) . فاعجب لعصامية هذا الرجل الذي تعيش بدرهم واحد مدة شهر كتب فيه ثلاثين ألف حديث . وقد كان طلبه للعلم مبكرا ، اذ كتب عن كبـار العلماء كما يروي عن نفسه أيضا ، وسنه بين العاشرة والحادية عشرة ، أي سنة 240 أو 241 هـ .

ومات أبو بكر السجستاني ببغداد ، فترك فراغا في مجالسها ومنزلة كبيرة لدى أهلها وعلمائها حتى قيل أنه صلي عليه ثمانين مرة ولم يدفن الا بعد تدخل المقتدر .

وأما القالي فقد لقيه ببغداد ، وكتب عنه الحديث كما يروي لتلميذه الزبيدي ، غير أننا لا نعرف الكتب التي أخذها عنه ، ولا نعلم شيئا منها أدخله الأندلس الا أننا مع ذلك واثقون من أنه استقى أكثر ما في كتابه الأمالي وباقي مؤلفاته ، من الحديث والتفسير ، ومن ثقافته الدينية التي كان أبو بكر السجستاني واحدا من كبار شيوخه فيها ، كما أن كثيرا من خصـائص السجستاني العلمية والشخصية نجد لها شبيها عند صاحبنا أبي علي الذي لحقه في آخر حياته واحتك به مدة لا نستطيع تحديدها .

(2) أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد (100) (228ـ318 هـ) :

مولى أبي جعفر المنصور .

كان عندهم أحد حفاظ الحديث وممن عني به ، اذ رحل في طلبه وسـماعه منذ صغر سنه الى الشام ، والحجاز ، ومصر ، والعراق ، وسمع أحمد ابن منيع البغوي ، ومحمد بن اسماعيل البخاري وطبقتهما ، كمـا دافع الخطيب البغدادي عن معرفته بالفقه والسنن ، وعده من علمائهما . على أن أهم ما يميز الرجل عند معاصريه شدة فهمه ، وعلو منزلته في الدراية ، وهي عندهم درجة فوق الحفظ ، وقد فضله بعضهم

(97) أصله : وأظهر بالقطع ، وهي من الضرورات الشعرية .
(98) تاريخ بغداد (466/9) .
(99) نفس المصدر .
(100) ترجمته في : تاريخ بغداد (231/14) ـ شذرات الذهب (280/2) ـ تذكرة الحفاظ (776/2) ـ العبر للذهبي (173/2) ـ النجوم الزاهرة (228/3) .

على أبي بكر السجستاني لدرايته وحفظه ، وفضله عليه الدارقطني لسـنه (101) ، وهو عند الجميع (ثقة ثبت حافظ) .

وأما تلاميذه فكثيرون ، وأكثرهم شهرة : أبو القاسم البغوي ، والدارقطني ، وأبو حفص بن شـاهين ، ثم أبو علي القالي الذي لقيه ببغـداد ، ولزمه مدة يكتب عنه الحديث ، وقد قارب الثمانين .

(3) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب القاضي (102) (243ـ320 هـ) :

تقلد القضـاء سنة 284 هـ ، في مدينة المنصور والأعمـال المتصلة بها ، وظل قاضيا في خلافة المعتضد ، الى أن عزل سنة 296 هـ ، وأعيد مرة ثانية سنة 301 هـ وفي سنة 317 هـ ولي قضاء القضاة ، في خلافة المقتدر الى أن مات . وقد حمل عنه الناس الفقه والحديث ، وقال الخطيب في ترجمته : «ولم ير الناس ببغداد أحسن من مجلسه لما حدث» . وقال الذهبي : «كان يقعد للاملاء ، والبغوي عن يمينـه ، وأبن صاعد عن يساره ، وأبن زياد النيسابوري بين يديه» .

(4) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع (103) (214ـ317 هـ)

كان من مشـايخ أهل الحديث ، موثقـا في علومه عند الأكثرين ، وكان تلميذه الدارقطني يقول عنه : «ثقة ، جبل ، امام من الأئمة ، ثبت أقل المشايخ خطأ» . وبالغ بعضهم في وصفه فقال : «لو جاز أن يقال لانسان ، انه فوق الثقة لقيل له» (104) . ولا عبرة بعد ذلك بمن رماه ببعض الكذب ، أو أتهمـه بالضعف ، اذا لم يعـدم من القدماء من يدفع عنه هذه التهمة أو تلك ، ومن هذه التهم ما حكاه ابن عدى فقال أنه دخل العراق سنة 297 هـ ، فوجد المشايخ وأهل العلم : «مجتمعين على ضعفه زاهدين في حضور مجلسه ، ما رأيت في مجلسه ذلك الوقت الا دون العشرة غرباء ، بعد أن يسأل بنوه الغرباء مرة بعد مرة حضور مجلس أبيهم» (105) . ولكن الذين دافعوا عنه قالوا عكس ذلك . ورد بعضهم هذه التهمة الى الحسد والعداوات . قال الحافظ الذهبي : «وقد حسدوه في آخر عمره ، فتكلموا فيه بشيء لا يقدح فيه» (106) .

---

(103) مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (10/111) ـ غاية النهاية (1/450) ـ شذرات الذهب (2/275) ـ ميزان الاعتدال (2/492) ـ لسان الميزان (3/338) ـ تذكرة الحفـاظ (2/737) ـ الكامل في التاريخ (8/161) ـ (دار صادر) الوفيات لابن قنفذ (ص 30) ـ العبر للذهبي (2/170) ـ النجوم الزاهرة (3/226) .

(104) تاريخ بغداد (10/115) .

(105) ميزان الاعتدال (2/492) .

(106) تذكرة الحفاظ (2/739) .

ونزهه بعضهم فقال : «هو أنفس من أن يكذب» . ومن تلاميذ أبي القاسم البغوى المشهورين : أبو بكر بن شاذان ، والدارقطني ، وابن شاهين ، في آخرين غيرهم .

وذكر الذهبي من تصانيفه :

(1) معجم الصحابة

(2) والجعديات

(3) ومسند عمه .

(5) أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد بن موسى الأمير العباسي (107)
(ـــ 325 هـ)

كان يسكن بسر من رأى ، ويحدث بها وببغداد بكتاب الموطأ ، الذي رواه عن أبي مصعب الزهري عن مالك ، وكان الناس يذهبون أحيانا للسماع منه في سامراء . ولا ندري أين سمع منه القالي أببغداد أم سماراء .

(6) أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول بن حسان التنوخي الأنباري (108)
(231ـ318 هـ)

كان من علماء الحديث الموثقين ، ووصفه ياقوت بالأمانة وجودة الضبط ، ثم قال : «.. وكان مفتيا في علوم شتى ، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وربما خالفهم في مسألات يسيرة . وكان تام العلم باللغة ، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين ، وله فيه كتاب ألفه . وكان تام الحفظ للشعر القديم ، والأخبار الطوال ، والسير والتفسير . وكان شاعرا كثير الشعر جدا ، خطيبا حسن الخطابة والتفوه بالكلام ، لسنا صالح الخط في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة ..» وتقلب في مناصب القضاء منذ سنة 276 هـ ، وأصبح سنة 296 هـ ، قاضيا على مدينة المنصور وغيرها الى أن صرف سنة 316 أو 317 هـ . ومن أشهر الآخذين عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين .

---

(107) مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (137/6) ـ لسان الميزان (77/1) ـ ميزان الاعتدال (46/1) ـ تذكرة الحفاظ (822/3) ـ شذرات الذهب (306/2) ـ العبر للذهبي (205/2) .

(101) تاريخ بغداد (233/14) .

(102) ترجمته في : تذكرة الحفاظ (798/3) ـ تاريخ بغداد (401/3) ـ العبر الذهبي (183/2) ـ النجوم الزاهرة (235/3) .

(108) ترجمته في : معجم الأدباء (138/2) ـ تاريخ بغداد (278/1) ـ شذرات الذهب (276/2) ـ العبر للذهبي (171/2) .

(7) أبو عبد الله : الحسين بن اسماعيل الضبي القاضي المحاملي (109)
(235ــ330 هـ)

وهو شيخ بغداد ومحدثها ـ كما يقول الذهبي ـ روى عن كثيرين منهم الزبير ابن بكار صاحب الأخبار . ويشترك مع بقية أساتذة القالي في أشـهر التلاميذ مثل الدارقطني ، وابن شاهين ، وأبي بكر بن شاذان ... وكان يعقد مجلسا للعلم والفقه يوم الأربعاء من كل أسبوع في داره بالكوفة منذ سنة 270 هـ . «فلم يزل أهل العلم والنظر يختلفون اليه ، ويتناظرون بحضرته الى أن توفي ..» (110) وطال قضاؤه بالكوفة ستين سنة ، ثم ضم اليه قضاء فارس وأعمالها ، الى أن استعفى سنة 320 هـ .

(8) أبو عبيد القاسم بن اسماعيل الضبي القاضي المحاملي (111)
(235 أو 238 ـ 323 هـ)

وهو أخو القاضي أبي عبد الله السابق ، شاركه في كثير من شيوخه وتلاميذه ووصفه مترجموه بكثرة العلم ، وغزارة الحفظ .

(9) أبو بكر يوسف بن يعقوب بن بهلول الأزرق الكاتب
(ـ 329 هـ)

هكذا صححت اسمه من الأمالي (112) . قال أبو علي : « وقرىء على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلول الأزرق في مسجد الرصافة وأنا أسمع» . ثم ذكر الحديث الذي رواه عن الرسول (ص) في تحريم ما بين لا بتي (113) المدينة . وقد ورد خطأ في الطبعتين اللتين أصدرهما الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم لكتاب طبقات الزبيدي (الأولى سنة 1954 م والثانية سنة 1973 م) أنه أبو بكر (محمد بن يوسف بن يعقوب ..) .

ويؤيد صحة ما جاء بالأمالي وروده أيضـا في احدى النسخ الخطيـة لكتاب الطبقات على نحو ما ذكرت . الا أن المحقق عكس الأمر ، اذ جعل الصيغة الصحيحة للاسم في الهامش ، والصيغة الأخرى في صلب النص (114) . وهكذا أيضـا أورد

---

(109) ترجمته في : تاريخ بغداد (19/8) ـ شذرات الذهب (326/2) ـ العبر (222/2) ـ تذكرة الحفاظ (824/3) ـ مرآة الجنان (297/2) .

(110) تاريخ بغداد ـ وتذكرة الحفاظ ـ والعبر للذهبي .

(111) ترجمته في : تاريخ بغداد (447/12) ـ شذرات الذهب (300/2) ـ تذكرة الحفـاظ (819/3) ـ العبر للذهبي (169/2) .

(112) أنظر الأمالي (1/9ـ10) .

(113) قال أبو علي : اللابة ، واللوبة : الحرة . وتجمع على : لاب ، ولوب . الأمالي (1/ص 9) .

(114) أنظر هامش رقم 2 (ص 186) من طبقات الزبيدي ط . ثانية .

اسمه صحيحا ، ابن العماد في شذرات الذهب ، والذهبي في العبر ، وذكرا وفاته سنة 329 هـ ، بمدينة بغداد (115) ، بعد أن نيف على التسعين . ونعلم مما ذكر في الأمالي أن القالي سمع منه بمسجد الرصافة ـ كما ذكر ـ وهو من أكبر مساجد بغداد ، شيئا من الحديث ، أفاد منه فيما أملاه بالأندلس .

(10) أبو بكر محمد بن أحمد بن أسد المعروف بابن البُشْتُنْبان (116)

(241ـ323 هـ)

وفي طبعتي طبقات الزبيدي ، أنه أحمد بن محمد . ولعل الصواب ما ذكره مترجماه : الخطيب وابن العماد .. وقد كان ابن البستنبان من كبار العلماء ، مشهورا بلقب الحافظ عند مترجميه . وذكره ابن العماد فقال : «كان اماما ثقة ثبتا» روى عن الزبير بن بكار ، وابراهيم بن زياد المؤدب وغيرهما .

أما القالي فيظهر أنه أفاد من شيخه بالاضافة للحديث شيئا من الأخبار والقصص التي استغلها في أماليه ، والتي نجد منها خبر : (دعاء الأعرابي عشية عرفة) ، الذي رواه أبو علي عنه عن أبي يعلى عن الأصمعي (117) .

(11) أبو سعيد الحسن بن علي بن زكرياء بن يحيى العدوي (118)

(210ـ319 هـ)

وقد صحف اسمه عند الزبيدي ومن نقل عنه ، اذ جاء في طبقاته أنه : (أبو سعيد الحر بن علي) والصحيح أنه : (الحسن) كما في مصادر ترجمته (119) وأما الحميدي في الجذوة ، وياقوت في المعجم ، عند ترجمتهما للقالي ، فقد ذكرا أنه (الحسين) وهو بلا شك تصحيف أيضا (120) .

وكان أبو سعيد من محدثي بغداد ، اتهم بالوضع والكذب ، فلم يوثقه أحد ممن ترجم له . قال ابن العماد «.. أبو سعيد الحسن بن علي بن زكريا البصري العدوي الكذاب» . ونشط الخطيب في جمع ما قاله العلماء في تجريحه واتهامه ، وروى عن أسانيده انه كذب على رسول الله (ص) فقوله ما لم يقل . ومع هذا ، روى عنه علماء مشهورون كالدارقطني ، وأبي بكر بن شاذان .

---

(115) شذرات الذهب (324/2) ـ العبر للذهبي (219/2) .
(116) ترجمته في : تاريخ بغداد (279/1) ـ شذرات الذهب (300/2) .
(117) الأمالي (318/2) .
(118) ترجمته في : شذرات الذهب (201/2) ـ تاريخ بغداد (301/7) ـ العبر للذهبي (175/2) ـ النجوم الزاهرة (213/3) .
(119) وممن تابع تصحيف كتاب الزبيدي من المحدثين . صاحب الحركة اللغوية في الأندلس (ص 192) .
(120) الجذوة (ص 154) ـ ومعجم الأدباء (27/7) .

(12) ابن قطن الاسكافي

ذكره الزبيدي في شيوخ القالي (ص 187) ولم أقف له على ترجمة .

ثانيا ـ شيوخ القالي في اللغة والأدب والأخبار

ومن ذكرهم الزبيدي من شيوخه في هذه الفنون :

(1) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (121)
(223ـ321 هـ)

كان القالي قد استقر في بغداد ، قبل أن يدخلها أبو بكر بن دريد سنة 308 هـ ، بعد تجوال طويل ما بين البصرة مولده ومرباه ، وعمان موطن أجداده الأزد ، وفارس حيث أصبح رئيس ديوان آل ميكال ، وشـاعر الشاه عبد الله بن محمد بن ميكال ، وولده أبي العباس اسماعيل بن عبد الله . وهناك أيضا نظم مقصورته الشـهيرة في مدحهما ، فأتى فيها على ثلث الأسماء المقصورة وابتدأها بقوله :

يا ظبيـة أشـبه شيء بالمهـا
ترعى الخزامى بين أشجار النقـا

كما أملى على أبي العبـاس ممدوحه ، كتـابه النفيس الذي عاضد به مدرسة الخليل المعجمية ، فملأه بما شاء من جمهور اللغة ، حتى سماه (الجمهرة) . وعند دخوله بغداد ليقضي الفترة المتبقية من حياته في الاملاء والتدريس ، كان قد أصبح أشهر عالم في اللغة والأدب والمعرفة بالسير والأخبار ، فاحتل مكان أبي العباس المبرد . وقد عده لذلك أبو بكر الزبيـدي من رجال الطبقـة السادسـة من لغويي البصرة .

ويعتبر ابن دريد أبعد الشيوخ أثرا في ثقافة أبي علي القالي الذي لزم مجالسه الى أن (طفئت شحمتا عينيه) . وكان مصدره الأول في كل ما ملأ به كتبه ـ ولا سيما الأمالي ـ من الأخبار والأشعار واللغة .

---

(121) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (183) ـ معجم الأدباء (127/18) ـ تاريخ بغداد (195/2) ـ طبقات الشافعية (145/2) ـ غاية النهاية (116/2) ـ وفيات الأعيان (323/4) ـ الوافي بالوفيات (339/2) ـ مراتب النحويين (84) ـ شرح مقصـورة ابن دريد لابن هشـام اللخمي (ص 3 ـ مخطوطة الرباط رقم 185 د) ـ أنباه الرواة (92/3) ـ نزهة الألباء (256) ـ الفهرست (91) ـ مروج الذهب (583/2) ـ معجم الشـعراء (425) ـ ميزان الاعتدال (520/3) ـ لسان الميزان (132/5) ـ شذراب الذهب (289/2) ـ النجوم الزاهرة (240/3) ـ العبر للذهبي (187/2) ـ بغية الوعاة (30) ـ مرآة الجنـان (282/2) ـ ديوان ابن دريد ـ دائرة المعارف الاسـلامية (159/1) ـ (مادة ابن دريد الترجمة العربية) ـ النثر الفني (278/1) ـ بروكلمان (177/2) ـ العصر العباسي الثاني (424) ـ رواية اللغة (253) .

أما الأخبـار ، فقد أخذها ابن دريد عن عبد الرحمـان بن عبـد الله بن أخي الأصمعي ، ومن عمه الحسين بن دريد الذي كان يرويها عن ابن الكلبي . وقال بن هشام اللخمي : «وسمع أبو بكر الأخبار أيضا من السكن بن سـعيد ، ومن العكلي ومن ابن معاذ ، ومن الأثرم» (122) .

ومن أمالي القالي التي تضمنت كثيرا من هذه الأخبار الطوال والقصار ، يمكننا أن نستخرج أسانيد ابن دريد فيما رواه من تلك القصص التي شك بعض الأقدمين وبعض المحدثين في صحتها ، كما سنرى في دراسة الأمالي .

وقد كانت لشـخصية ابن دريد المرحة ، وخيـاله الخصب ، وتمكنه من اللغة وأسـاليب العرب الأدبية ، يد في خلق كثير من هذه الأخبـار والقصص ، سماها الحصري بالأحاديث الأربعين . وذكر أن بديع الزمان ، انما أراد بمقاماته محاكاة ابن دريد (123) . ولذلك عده زكي مبارك ، واضع فن الأقصوصة الأول ، ومبتكر فن المقامات في أدبنـا قبل البديع . وقد احتفظ لنا القالي تلميذه بعدد وافر من هذه القصص والأخبار مضمنة في الأمالي .

وأما الشعر ، فقد كان ابن دريد نفسه ، واحدا ممن سلست لهم ألفاظه ، وتزاحمت على خواطرهم أفكاره ومعانيه ، فسموه لذلك (أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء) . وقد ترك لنا ديوانا طرق به كل الأغراض . مدح ، ووصف ، وافتخر ، ورثى ، وتغزل . ثم سلك به غير هذه المسـالك ، اذ له في (الشـعر) التعليمي باع طويل ، طوع له الألفاظ ، والقوافي . ففي هـذا الغرض نظم (المقصور والممـدود) ، و (المـذكر والمؤنث) ، بالاضـافة الى مقصورته التي طارت بها شهرته ، وعارضهـا الشعراء وشرحهـا غير واحد من العلماء وأشهرهم : أبو عبد الله محمد بن هشـام اللخمي السبتي (124) . وهاك مثـالا من رقيق شـعره ، الذي أتى القالي على جملة وافية منه ، ضمنها أماليه ، مما رواه عنه مباشرة في مجالسه العامة ، أو خصه بانشاده دون غيره . ويظهر أن القالي كان بيده كثير من هذه الأشعار ، فكان يقرؤها عليه مصححا :

قال أبو علي : «وحدثني أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عمان في سفر لنا فنزلنا في أصل نخلة ، فنظرت فاذا فاختتان تَزْقُوان (125) في فرعها فقلت :

---

(122) مقدمة شرح المقصورة (ص 3) (مخطوط الرباط) – وأما الأثرم ، فهو أبو الحسن على بن المغيرة ، صاحب الأصمعي ، وأبي عبيدة . كذا ذكر في الفهرست (ص 83) .

(123) زهر الآداب (1/261) .

(124) وأنظر شروحا أخرى ، ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون المجلد 2 (ص 1808) .

(125) في الأصل : ترقوان . والصواب بالزاي المعجمة ، أي تصيحان .

أقـــول لورقاويـــن في فـرع نخلـــة
وقد طَفَّل الا مسـاء ، أو جنَّح العصـــر
وقـد بســطت هـاتا لتلك جناحهـــا
ومـال على هاتيـك من هذه النحـــر
لِيَهْنَكمـــا أن لـم تُراعــا بفرقـــة
وما دب في تشـتيت شملكمـا الدهـر
فلم أر مثلـــي قطع الشـــوق قلبــه
على أنه يحكي قسـاوته الصخـر (126)

فلعلة اذن كان المسعودي يقول : «وكان يذهب بالشعر كل مذهب فطورا يجزل ، وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه» (127) .

ولعلة أيضا كان يشبه عند مترجميه بخلف الأحمر في اقتداره على العلم والشعر معا ، فكلاهما عالم بالغة والأخبار والأشعار ، قادر على أن ينتحل فيها ما شاء . قال أبو الطبب اللغوي في مراتبــه : «وما ازدحم العلم والشـعر في صــدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد ..» وقد كان ابن دريد – فيما يروي القالي – متعصبا لخلف الأحمر ، مفضلا له على الأصمعي . وكان أبو علي على نقيض ذلك (128) .

وكانت مادة الشعر هي أهم ما استفاده القالي من شيخه بعد القصص والأخبار . فقد روى عنه شعر الأعشى (129) ، وشعر كثير (130) ، وشعر كعب الغنوي (131) ، وشعر ابن الخطيم (132) ، وأشعار هذيل (133) ، وشـعر جميل (134) ، ومعن بن أوس (135) ، وأبي النجم (136) ، وغيرها من الاختيـارات والمقطوعات والقصائد والأبيات المفردة .

وأما اللغــة ، فرغم الشـكوك التي أثارها حوله القـدامى من أمثـال نفطويه والأزهري ، وابن جني ، وابن فارس ، وأبي حفص بن شاهين وغيرهم (137) ، فان لابن دريد فضلا يدفع عنه كل التهم والأقاويل . ولا سيما أن بعضا من ذلك كان سببه

(126) الأمالي (133/1) . والأبيات في الديوان (ص 38) . وأنظر أبياتا أخرى ذكرها القالي لشيخه ابن دريد في الأمالي (33/1–79 – 111 – 209– 227) وفي (113/2–12/3) وهي تقع في 46 بيتا .
(127) مروج الذهب (553/2) وقد طبع ديوانه أولا سنة 1946 م بالقاهرة ثم طبع أخيرا بتونس سنة 1973 م بتحقيق ودراسة عمر ابن سالم .
(128) اللآلىء للبكري (412/1) .
(129 – 130 – 131 – 132 – 133 – 134 – 135 – 136) : الأمالي (75/1 – 107/2 – 147/2 – 273/2 – 271/1 – 124/1 – 299 – 102/2 – 108/1) .
(137) أنظر بعض هذه التهم والشكوك في المزهر (93/1–113) .

العداوة والاحن ، كالذي بينه وبين نفطويه (138) . وقد كان أساتذة ابن دريد في اللغة من جلة العلماء ، أمثال أبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الرياشي ، وأبي عثمان الأشنانداني الذي كان أول معلم له في البيت قبل أن ينصرف لمجالس الشيوخ في البصرة .

وأول مجلس حضره القالي لابن دريد ، هو المجلس الذي وجده فيه بصدد املاء شرح لكلمة لغوية . قال أبو علي : «.. أعلق : أشد مرارة ، وهذه الكلمة أول كلمة سمعتها من أبي بكر بن دريد . دخلت عليه وهو يملي على الناس : العرب تقول : هذا أعلق من هذا ، أي أمر منه ...» (139) . ثم توالت الحلقات التي يحضرها القالي ، حتى أصبح له ظلا ملازما في الحالات كلها من الصحة والسقام . وكانت حصيلة هذه الملازمة روايات وأسماعا وافادات ومعرفة واسعة بمعاني الشعر ، ومحفوظا ضخما من الألفاظ واللغويات وفوق ذلك حسا وذوقا لطيفين ، وأثر هذا الحس والذوق واضح في اختيارات القالي الشعرية بأماليه .

ومما رواه عنه القالي من الكتب على سبيل المثال :

(1) كتاب الأبواب

(2) كتاب الصفات

(3) كتاب خلق الانسان

وهي للأصمعي .

(4) كتاب النوادر

(5) كتاب المتناهي في اللغة .

وهما لابن دريد . وغير ذلك كثير سنراه في جملة الكتب التي أدخلها أبو علي الى الأندلس .

وعلى عكس ما فعل أبو منصور الأزهري ، اذ دخل على ابن دريد ـ فيما يحكي ـ فرآه سكران ، فلم يعد اليه . وعلى عكس رأي الدارقطني (تلميذه) فيه اذ حكى أنه كان : «يتسامح في الرواية ، فيسند الى كل واحد ما يخطر له» . كان القالي مثال التلميذ المخلص ، معترفا بفضل شيخه ، وسعة علمه . وأسمعه يقول في الثناء عليه في كتاب المقصور والممدود ، بعد أن أورد جملة أحرف رواها عنه : «قال أبو علي : ولم نفرد هذه الحروف لأنا اتهمنا الراوي لها ، وأنى يكون ذلك ، ومن علمه

---

(138) أنظر نموذجا من المهاجاة الشعرية بينهما في المزهر (93/1) .

(139) الأمالي (283/1).

استمليناه ، وفي بحره كرعنا ، وكان هو امام هذا العلم في عصره ، ومنقطع القرين فيه في دهره» (140) نعم أنى له ذلك النكران للجميل ، وهو الذي ملأ صدره وقراطيسه من أسمعته عليه ، واستفرغ مداده في التقاط كلماته ؟ وهو الذي كان بعد ذلك مغرما بتتبع خطواته ، وتسجيل محاضر جلساته ، وما يدور فيها من نقاش وحوار . فأسمعه ينقل لنا بعضا من ذلك فيقول : «قال أبو علي : سمعت ابن خير الوراق ، وقد سأل أبا بكر بن دريد فقال له : ممم اشتق العقل ؟ فقال : من عقال الناقة لأنه يعقل صاحبه عن الجهل ، أي يحبسه . ولهذا قيل : عقل الدواء بطنه أي أمسكه .... قال : فمم اشتق اللحد ؟ قال : من قولهم : لحد اذا عدل ، لأنه عدل الى أحد شقي القبر . قال : فمم اشتق الضريح ؟ قال : هو بمعنى مضروح ، لأنه ضرحه جانباه ، أي دفعاه ، فوقع في وسطه ...» (141) . بل أن كثيرا من الفضل يعود للقالي في حفظه لبعض أخبار شيخه ابن دريد ، وسيرته في بغداد ، ولا سيما في آخر لحظاته التي أقعده فيها الفالج . واعجب للهفة أبي علي ، وشدة حرصه على ما في يد شيخه من العلم ، حين تراه يكثر من التردد عليه وهو طريح ، فتؤلمه حاله ، ويشفق من ألمه وصياحه ، ولا يمنعه الأمر كله من سؤاله عن شكوكه في اللغة . قال أبو علي : «.. وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصواب . وقال لي مرة وقد سألته عن بيت شعر ، فأجابني : يا بني . لئن طفئت شحمتا عيني ، لم تجد من يشفيك من العلم .. قال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه ، جاوبني أن قال : يا بني : حال الجريض دون القريض . فكان هذا الكلام آخر ما سمعته منه . وكان قبل ذلك كثيرا ما يتمثل :

فواحزني ألا حياة لذيذة
ولا عمل يرضى به الله صالح (142)

بل أن الباحث بعد إمعان ، لا يلبث أن يطمئن الى رأي لا مبالغة فيه ، وهو أن ابن دريد شخصية ماثلة بكل ظلالها ، وواقعة بكل ثقلها العلمي والأدبي في جميع ما نقرأه للقالي من كتب ومرويات . ولا يمنع هذا من القول ، بأن مقدار ما حشا به كتبه مما رواه عن شيخه من أخبار وأشعار ، يفوق بكثير ما أخذه عنه من اللغة ، وأن مرتبة ابن دريد عنده في (البارع)و (المقصور) من حيث اللغة ، مرتبة متأخرة عن الأصمعي وأبي حاتم وأبي زيد ، وأبي عبيدة – كما سنرى – واذا كان القالي – كما

(140) المقصور والممدود للقالي (ص 228) النسخة المغربية .
(141) الأمالي (117/2) .
(142) الوفيات لابن خلكان (326/4–327) والرواية موجودة في مصادر أخرى . (وأنظر شرح المقصورة لابن هشام (ص 6) مخطوط الرباط .

صرح عن نفسه – لا يشك في علم أستاذه ، فانه مع هذا آثر توثيق كتبه وتأثيلها ، بالرجوع الى الأصول التي أخذ منها ابن دريد نفسه .

وهكذا خلف ابن دريد جملة من كبار العلماء ، ومشاهير أهل اللغة والأدب ، من أمثال أبي الفرج الأصفهاني ، وأبي عبيد الله المرزباني ، وأبي سعيد السيرافي ، وأبي القاسم الآمدي ، وأبي حفص بن شاهين ، والدارقطني .... وهم من الأعلام البارزين في القرن الرابع .

كما ترك ذخيرة من الكتب ، لم تصل جميعها ولكن سلم بعضها ، ووصلت الينا أسماء البعض الآخر ، ومنها :

(1) كتاب الجمهرة .
(2) كتاب الملاحن .
(3) كتاب السرج واللجام .
(4) كتاب الاشتقاق .
(5) كتاب المقتبس .
(6) كتاب الوشاح .
(7) كتاب الخيل الكبير .
(8) كتاب الخيل الصغير .
(9) كتاب الأنواء .
(10) كتاب المجتنى (143) .
(11) كتاب اللغات .
(12) كتاب فعلت وافتعلت (144) .

ولعله واضح من هذه القائمة ، أن فيها من أسماء الكتب ما رواه القالي وأدخله معه الأندلس ، فأذاعه هناك . كالنوادر ، والملاحن ، والمقصورة ... ومنها ما نظن أنه ترك أثره على مصنفاته في اللغة والآدب ، اذ نجد له شبيها في الاسم عند القالي ، كفعلت وأفعلت ، والنوادر ، .... ومنها ما نلمس أثره بوضوح كالجمهرة ، فهو معجم لغوي ، قصد به صاحبه تهذيب كتاب العين ، وكان على القالي أن يضيف عملا ثالثا الى هذين الكتابين . فبدت ثمرة هذه المحاولة في كتابه البارع ، الذي لا

---

(143) كذا في الفهرست (ص 92) وفي الوفيات لابن خلكان (324/4) . (المجتبى) بالباء التحتية الموحدة .

(144) كذا في الفهرست وفي الوافي بالوفيات (340/2) فعلت وأفعلت .

يعدو هو الآخر أن يكون تهذيبا واستدراكا على العين وواحدا من معاجم هذه المدرسة .

وبمناسبة الحديث عن كتاب الجمهرة ، وعن كلف أبي علي بأستاذه الدريدي أشير الى خطأ قديم وقع فيه بعض السلف ، كالسيوطي في المزهر (95/1) وتبعه من المحدثين في هذا الخطأ كل من المستشرق الانجليزي (فولتن) في المقدمة التي كتبها (للبارع في اللغة) (145) ، وأحمد أمين في ظهر الاسلام : (117/1) . وهي قصة استدل بها هذا الأخير على فقر القالي واضطراره ، وضيق ذات يده في بغداد ، مما شجعه على الرحيل للأندلس (146) . والقصة تقول :

«.. كان لأبي علي القالي ، نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها وكان قد أعطي بها ثلاث مئة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز ، وافتقار ، وصبية
صغار ، عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي
مقالة مكوي الفؤاد حزين :
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب لهن ضنين

قال : فأرسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعين دينارا أخرى ...» (147) . والذي يعود الى وفيات الأعيان (316/3) سيجد هذه القصة مع الأبيات ، مذكورة بنصها في ترجمة الشريف المرتضى ، فهو الذي اشترى نسخة الجمهرة من رجل

---

(145) A Facsimile of the manuscrpit of Al-Kitab Al-Bari Fi-Lughah — A.S., Folton. London, 1933.

(146) لقد سبق أن نبه الى خطأ أحمد أمين خاصة الدكتور مصطفي جواد في المقدمة التي كتبها لكتاب (تكملة اكمال الاكمال) لجمال الدين ابن الصابوني (ص 6–7) ط. المجمع العلمي العراقي سنة 1957 م . (الطبعة الأولى) ولم يشر الى خطأ غيره . ولم يكن أحمد أمين في الحقيقة الا ناقلا لخطأ السيوطي في المزهر دون أن يشير لذلك وربما نقله من مصدر آخر لم أقف عليه .

(147) المزهر (95/1) .

يسمى : أبا الحسن الفالي : (بالفاء) أحمد بن علي بن سلك المتوفى سنة 448 هـ ، بستين دينارا ، فوجد فيها الأبيات . والقصة أيضا مذكورة في معجم الأدباء (226/12 وما بعدها) في ترجمة أبي الحسن الفالي المذكور . وفي كتاب (الفلاكة والمفلوكون) للدلجي ص 148 مع تحريف (الفالي) الى (القالي).

فواضح بعد هذا أن القالي لا دخل له ، ولا شأن بالقصة ، ولا علاقة له بهذا الشعر .

ومات أبو بكر بن دريد سنة 321 هـ فبكاه الشعراء وافتقده العلماء . وقد ختم القالي نوادره بقصيدة طويلة لبعض البغداديين في رثائه ، ضمنها كل خصائصه وصفاته . وكانت آخر ما جمعه القالي ، وآخر ما أملاه في الأندلس من هذا الكتاب .

(2) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (148)
(271ـ328 هـ)

وهو الشخصية الثانية بعد ابن دريد ممن كان لهم تأثير قوي في ثقافة القالي . وقد كان ابن الأنباري تلميذا لثعلب ، ولذلك وضعه الزبيدي في رجال الطبقة السادسة من النحاة الكوفيين أصحاب ثعلب . فكان مع معرفته بالنحو مقرئا ولغويا ، وفقيها من الحنابلة ، ومفسرا وصاحب أخبار . وقد أطنب مترجموه في وصف حفظه فحشدوا على ذلك كثيرا من الشواهد والأقوال . قال تلميذه أبو علي : «وكان ابن الأنباري ، يحفظ ثلاث مئة ألف بيت شاهدا في القرآن ، وكان ثقة صدوقا . وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين» (149) وقال غيره أنه كان يحفظ ثلاثة عشر صندوقا من العلم ، ويحفظ في التفسير وحده مئة وعشرين تفسيرا بأسانيدها . وكان لشدة حفظه ، لا يملي من دفتر قط . وقد اختاره الخليفة الراضي ليكون مؤدبا لأولاده . وعده زكي مبارك ضمن كتاب القصص والأخبار ، وقال : «وهناك ما يكفي للاطمئنان على أن ابن الأنباري كانت له يد فيما نسب الى الخلفاء والوزراء والقضاة والأعراب ، من طرائف القصص وروائع الأحاديث» (150) . والحق أن القالي ، روى عنه كثيرا من هذه الأخبار

---

(148) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (153) ـ معجم الأدباء (306/18) ـ مرآة الجنان (294/2) ـ وفيات الأعيان (341/4) ـ الوافي بالوفيات (344/4) ـ شذرات الذهب (315/2) ـ طبقات الحنابلة (69/2) ـ غاية النهاية (230/2) ـ تذكرة الحفاظ (842/3 ـ طبقات المفسرين (226/2) ـ أنباه الرواة (201/3) ـ نزهة الالباء (264) ـ الفهرست (112) العبر للذهبي (214/2) ـ النجوم الزاهرة (269/3) ـ بغية الوعاة (91) . وأنظر الترجمة التي كتبها عبد السلام محمد هارون في مقدمة تحقيق كتاب القصائد السبع الطوال الجاهليات ، والنثر الفني (313/1) .

(149) نقل هذا الخبر عن القالي . أغلب مترجمي ابن الأنباري ، وأولهم الزبيدي في طبقاته .

(150) النثر الفني (316/1) .

والقصص ، وملأ بها أماليه . وان كانت لا تبلغ في حبكتها وصنعتها أحاديث ابن دريد .
وكان القالي يفيد من شيخه كذلك في تفسير الآيات ، وفي شرح الأحاديث ، والأشعار ، والقراءات ، كما أثمرت دراسته عليه ، رواية كثير من الكتب اللغوية والأدبية ، ودواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين . فمما قرأه عليه على سبيل المثال : الغريب المصنف لأبي عبيد (151) . وكتاب المعاني الكبير لابن السكيت (152) . وشعر ابن مقبل (153) . ثم كتاب المقصور والممدود من تأليفه (154) . وغير ذلك مما أدخله الأندلس وسنرى بعضه في مكانه من هذا البحث . ذلك أن ابن الأنباري كان غزير التأليف كثير الاملاء . وقد تعددت نواحي تأليفه ، فشملت اللغة والشعر والعلوم القرآنية والحديث والأخبار ... وأهم مؤلفاته اللغوية والأدبية :

(1) غريب الحديث (لم يتمه) .
(2) كتاب الأضداد في اللغة .
(3) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .
(4) كتاب الزاهر : (في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صلاتهم ودعائهم ..) .
(5) شرح المفضليات .
(6) أدب الكاتب .
(7) خلق الانسان .
(8) خلق الفرس .
(9) المقصور والممدود .
(10) المذكر والمؤنث .

بالاضافة الى مجموعة شروح لغوية للدواوين الشعرية ، كشعر الأعشى ، والنابغة ، وزهير ، والراعي ، وغيرهم (155) .

ولقد وجد تلميذه القالي ، في قائمة كتبه الطويلة ، زادا معينا له على تأليف كثير من كتبه التي شابهت في عناوينها ومحتوياتها ، بعض كتب ابن الأنباري ، كما كان له في شخصه وعلمه وما امتاز به من الضبط ، والأمانة ، والخلق العلمي قدوة حسنة ومثالا يحتذى .

---

(151) الأمالي (1/37-122) .
(152) نفس المصدر (2/299) .
(153) نفس المصدر (1/299) .
(154) المقصور والممدود للقالي (ص 102) النسخة المغربية .
(155) أنظر قائمة مؤلفات ابن الأنباري في الفهرست (ص 112) وص 8 من مقدمة الدكتور عبد السلام محمد هارون لتحقيق (القصائد السبع الطوال) .

(3) أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه (156)
(244ـ323 هـ)

جعله الزبيدي في الطبقة السادسة من أصحاب ثعلب ، من النحويين الكوفيين . وقال : «وكان ضعيفا في النحو» . وذكر ابن النديم وغيره ، أنه روى عن ثعلب والمبرد ، فخلط المذهبين وزعم البعض الآخر من مترجميه ، أنه لقب بنفطويه على مثال سيبويه ، لأنه كان ينسب في النحو اليه ، ويجري على طريقته ، ويدرس كتابه . على أن الرجل بالاضافة لمعرفته بالنحو ، كان «حافظا للقرآن ، فقيها على مذهب داود الظاهري ، رأسا فيه ، مسندا في الحديث ، حافظا للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات ... جلس للاقراء أكثر من خمسين سنة» (157) . وله اختصاص فاق به الناس في معرفة الشعر فهو القائل عن نفسه : «أما سائر العلوم ، فها هنا من يشركنا فيها وأما الشعر فاذا مت مات على الحقيقة . وقال : من أغرب علي ببيت لجرير لا أعرفه . فأنا عبده» (158) وهو مع معرفته للشعر ، محسن في نظمه ومجيد في الغزل خاصة . فمن مليح ما قال :

أتخالني من زلة أتعتب
قلبي عليك أرق مما تحسب
قلبي وروحي في يديك ، وانما
أنت الحياة ، فأين منك المهرب (159)

وفي الأمالي من شعره مقطعات وأبيات حسان ، مما رواه عنه القالي (160) .
وأهم ما حفظ عن نفطويه من الآراء اللغوية ، انكاره الاشتقاق في كلام العرب ، وله في ذلك مصنف ذكره ابن النديم . وقد ناقض بهذا ـ كما يقول القفطي ـ أبا بكر السراج الذي كان «يتهافت في الاشتقاق واثباته واستعماله ، تهافتا يخرجه عن حد الحقيقة الماشية على أصول من تقدم» (161) .

---

(156) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (154) ـ وفيات الأعيان (47/1) ـ معجم الادباء (254/1) ـ أنباه الرواة (176/1) ـ تاريخ بغداد (159/6) ـ الفهرست (121) ـ الوعاة (137) ـ نزهة الألباء (260) ـ مرآة الجنان (207/2) ـ شذرات الذهب (298/2) ـ غاية النهاية (25/1) ـ ميزان الاعتدال (64/1) ـ لسان الميزان (109/1) ـ النجوم الزاهرة (249/3) ـ العبر للذهبي (198/2) .

(157) الوعاة ، ترجمة نفطويه .

(158) ياقوت ، ترجمة نفطويه .

(159) ياقوت ، ترجمة نفطويه .

(160) أنظر مثلا ، الأمالي (202/1ـ209) .

(161) أنباه الرواة (176/1) .

وقد التقى القالي بشيخه هذا في بغداد ، فروى عنه أكثر ما كان يحكيه عن أبي العباس ثعلب ، وما كان يقرئه من الأشعار والدواوين والكتب . فمما رواه عنه على سبيل المثال : شعر توبة بن الحمير ، في المسجد الجامع بمدينة المنصور (162) . وشعر النابغة الجعدي (163) ، وشعر عمر بن أبي ربيعة (164) ، بل أن القالي كان أحيانا دقيقا في تسجيل الزمان والمكان حيث قرأ على نفطويه . فمن ذلك أنه جاء في الأمالي (1/30) : «وأنشدنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه النحوي ، يوم الأحد ، في سوق الثلاثاء على باب الكلوذاني صاحب ديوان السواد (165) لكثير ...»

وكان نفطويه قد جلس للتدريس والاقراء بمسجد الأنباريين ببغداد ، فكان يفتتح مجالسه على العادة ، بقراءة القرآن – برواية عاصم – ويتبعه بقراءة الكتب وغيرها . فهناك أيضا كان القالي يحضر حلقاته ويقرأ عليه ، الى أن توفي . وله من الكتب قائمة ذكرها ابن النديم وغيره . فمن أهمها : كتاب غريب القرآن ، والمقنع في النحو ، وكتاب الأمثال ، وكتاب المصادر ، وكتاب القوافي ، وكتاب الرد على المفضل ابن سلمة في نقضه على الخليل (166) .

(4) أبو بكر محمد بن السرى السراج (167)
(– 316 هـ)

جعله الزبيدي في الطبقة التاسعة من النحويين البصريين ، وهم أصحاب المبرد . فقد أخذ عنه ، واليه انتهت الرياسة في النحو بعده . وقد درس كتاب سيبويه وشرحه ونظر في دقائقه ، كما عول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة . وله كتاب الأصول في النحو ، الذي قالوا فيه : «ما زال النحو

---

(162) الأمالي (1/166) .

(163) نفس المصدر (2/ص 2) .

(164) نفس المصدر (2/305–306–309) .

(165) أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكلوذاني صاحب ديوان السواد من وزراء المقتدر ، مات في القرن الرابع ، وله من الكتب : كتاب الخراج (الفهرست ص 188) .

(166) أنظر ابن النديم (121) . وقد كان المفضل بن سلمة وضع كتابا في الاستدراك على الخليل في كتاب العين ، وخطأه فيه . أشار اليه ابن النديم (ص 109) ثم ذكر في ترجمة ابن دريد أن هذا الكتاب كان يقرأ عليه : (فكان يقول صدق أبو طالب (المفضل بن سلمة) في شيء اذا مر به ، وكذب أبو طالب في شيء آخر) . وقد جمع هذا الكلام في كتاب سمي بالتوسط (ص 92) .

(167) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (112) – معجم الأدباء (18/197) – وفيات الأعيان (4/339) – الوافي بالوفيات (3/86) – الشذرات (2/273) – تذكرة الحفاظ (2/772) – أنباه الرواة (3/145) – نزهة الألباء (249) – الوعاة (44) – الفهرست (92) – أخبار النحويين البصريين (108) – وفيات ابن قنفذ (ص 30) – العبر للذهبي (2/165) – مرآة الجنان (2/270) .

مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله» وقد تخرج عليه نحويون ولغويون كبار ، أمثال أبي سعيد السيرافي وأبي القاسم الزجاجي ، وأبي علي الفارسي ، وعلي بن عيسى الرماني ، وأبي منصور الأزهري ... وله شعر يجيد فيه أحيانا ، كهذه الأبيات التي قالها في جارية :

ميزت بين جمالها وفعالها
فاذا الملاحة بالخيانة لا تفي
حلفت لنا أن لا تخون عهودنا
فكأنما حلفت لنا أن لا تفي
والله لا كلمتها ولوانها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي (168)

وله قائمة مصنفات ذكر بعضها ابن النديم وياقوت ، منها كتاب الاشتقاق ، وشرح سيبويه ، والشعر والشعراء ، وكتاب الجمل ، وكتاب المواصلات في الأخبار والمذاكرات .. الخ .

(5) أبو بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي (169)
(– 315 أو 317 هـ)

هكذا اسمه في نزهة الالباء ، والوعاة ومعجم الأدباء ، وتاريخ بغداد . وفي طبقات الزبيدي أنه : محمد بن شقير . وذكره القفطي في انباه الرواة مرة في الأحمدين ، ومرة في المحمدين ، وأخرى فيمن تسمى بعبد الله (170) وسماه ابن النديم في الفهرست : (عبد الله بن محمد بن شقير) .

كان مشهورا برواية كتب الواقدي . وهو عند غير الزبيدي من النحويين الذين يخلطون المذهبين : البصري والكوفي ، ومن كتبه التي تركها : المقصور والممدود ، وكتاب المذكر والمؤنث ، ومختصر في النحو .

ومما قرأه عليه القالي : كتب المغازي للواقدي في منزله بغلة صافي (171) وكان هذا الشيخ يرويها عن أحمد بن عبيد عن الواقدي .

---

(168) الوافي بالوفيات – مرآة الجنان – طبقات الزبيدي ، وغير ذلك من المصادر .
(169) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (116) – معجم الأدباء (3/ص 11) – نزهة الألباء (251) – الفهرست (123) – الوعاة (130) – أخبار النحويين البصريين (109) – أنباه الرواة (1/34) – تاريخ بغداد (4/89) .
(170) أنباه الرواة (1/34–35 – 2/135 – 3/151) .
(171) الأمالي (1/237) .

(6) أبو اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج (172)
(ــ310 أو 311 ﻫ أو 316 ﻫ والأكثرون على أنه توفي سنة 311 ﻫ)

وهو عند الزبيدي في رأس القائمة من أصحاب المبرد ، الذين جعلهم في الطبقة التاسعة من نحاة البصرة . ورغم أنه قرأ على ثعلب كتاب الفصيح ، وناظر فيه ، واستخرج عيوبه وأخطاءه ، فان أبا سعيد السيرافي جعله أشد لزوما لمذهب البصريين . وكان الزجاج في أول أمره ، يخرط الزجاج ، وينفق مما يكسبه على أستاذه المبرد درهما في كل يوم ، ليبالغ في تعليمه . ثم ارتفعت منزلته فأصبح مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد ، ثم معلما لأبناء الخليفة المعتضد ، ثم نديما للخليفة المكتفي . ويحكي أبو علي القالي قصة طويلة عن سبب ملازمة الزجاج لأبي العباس المبرد ، وذلك أنه من تلاميذ ثعلب ، ثم انصرف عنه الى حلقة أبي العباس ، حين رأى من علمه وتبحره ما شغله عن أستاذه القديم . وقال لزملائه قولته المشهورة : «عودوا الى الشيخ فلست مفارقا هذا الرجل ، ولا بد لي من ملازمته» (173) . ومن ذلك الحين أصبح المبرد لا يأذن لتلاميذه ، الا اذا كان فيهم أبو اسحاق (174) . وصار كل من يقرأ على المبرد ، يعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه (175) .

وله من الكتب : كتاب الاشتقاق ــ كتاب القوافي ــ كتاب العروض ــ كتاب خلق الانسان ــ كتاب خلف الفرس ــ كتاب النوادر ــ كتاب شرح أبيات سيبويه ــ وكتاب معاني القرآن ــ وفعلت وأفعلت (176) . وغير ذلك مما هو مذكور في كتب التراجم .

وكان الزجاج مشهورا بالتساهل في الاشتقاق اللغوي . فقد حكى حمزة الأصفهاني ، أنه كان يزعم : «ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وان نقص حروف احداهما عن حروف الأخرى ، فان احداهما مشتقة من الأخرى» (177) . فكان مثله مثل ابن السراج في هذه المسألة يقف في الطريق المناقض لنفطويه .

---

(172) ترجمته في : طبقات الزبيدي (111) ــ معجم الأدباء (130/1) ــ مرآة الجنان (262/2) ــ تاريخ بغداد (89/6) ــ شذرات الذهب (259/2) ــ الوعاة (179) ــ أخبار النحويين البصريين (108) ــ نزهة الألباء (244) ــ الفهرست (90) ــ وفيات الأعيان (49/1) الوفيات لابن قنفذ (29) ــ الكامل لابن الأثير (145/8) ــ النجوم الزاهرة (208/3) ــ العبر للذهبي (148/2) .

(173) طبقات الزبيدي (109ــ110) .

(174) الوفيات (49/1) .

(175) الفهرست (90) .

(176) نشره عبد المنعم خفاجي سنة 1949 م. بمصر .

(177) معجم الأدباء (144/1) .

ومن أشهر تلاميذ الزجاج : أبو على الفارسي ، وأبو القاسم الزجاجي المنسوب اليه وصاحب كتاب الجمل في النحو الذي أشبعه الأندلسيون درسا وشرحا .

(7) أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير (178)
(ـ 315 هـ)

دخل الأخفش مدينة بغداد سنة 305 هـ ، وكان قبل ذلك مقيما في مصر ، صحبة علي بن أحمد بن بسطام صاحب الخراج . وهو من النحويين البصريين أصحاب المبرد . وقد روى أيضا عن أبي العباس ثعلب . وفي كتاب الأمالي للقالي ، نماذج كثيرة مما كان يرويه عن هذا النحوي الشهير (179) ويذكر مترجموه أنه كان ضيق الحال في بغداد ؛ يقيم عند الكاتب أبي علي بن مقلة ، ومات بعد أن تعذر عيشه ، وزادت حاله اختلالا ، فاضطر لأكل نبات قبض على قلبه .

وأما القالي ، فقد جالسه مدة وأفاد منه كثيرا مما كان يرويه ، وخاصة شعر ابن الرومي ، والأشعار المفضليات التي قام بتفسيرها (180) . وذكر ابن النديم من مؤلفاته : كتاب الأنواء ، وكتاب التثنية والجمع ، وكتاب الجراد . ونسب اليه ياقوت في معجم الأدباء كتابا في تفسير سيبويه .

(8) أبو بكر محمد بن أبي الأزهر (181)
(ـ 325 هـ)

وهو من الطبقة التاسعة من نحاة البصريين أيضا ، كان مستمليا لأبي العباس المبرد ، وأحد الرواة عنه ، وعن الزبير بن بكار . وقد حشد الخطيب البغدادي في تاريخه ، شواهد كثيرة من أقوال العلماء في تضعيفه وتجريحه ، منهم الدارقطني الذي قال عنه : «كتبنا عنه أحاديث منكرة» . وسماه غيره : (كذاب أصحاب الحديث) . وله من الكتب : كتاب (أخبار الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز) ، وكتاب (أخبار عقلاء المجانين) ، وكتاب (أخبار قدماء المجانين) (182) . وكان من تلاميذه :

---

(178) مصادر تجرمته : طبقات الزبيدي (115) ـ معجم الأدباء (246/13) ـ مرآة الجنان (267/2) ـ تاريخ بغداد (433/11) ـ شذرات الذهب (270/2) ـ الفهرست (123) ـ الوعاة (338) ـ وفيات الأعيان (301/3) ـ أنباه الرواة (276/2) ـ النجوم الزاهرة (219/3) ـ العبر للذهبي (162/2) .

(179) أنظر أمثلة مما رواه عن ثعلب في الأمالي (29/1 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 ـ 45 ـ 55 ـ 101 ـ 167 ـ 165/2) .

(180) ابن خير (390) ـ والذيل للأمالي (ص 130) .

(181) ترجمته في : طبقات الزبيدي (116) ـ الفهرست (211) ـ تاريخ بغداد (298/3) ـ الوعاة (104) ـ أنباه الرواة (70/3) .

(182) الفهرست (211) .

الدارقطني وأبو بكر بن شـاذان ، وأبو الفرج الأصفهـاني ، والقالي الذي نقل عنه كثيرا في أماليه مما كان يرويه عن الزبير بن بكار وأحمد بن يحيى ثعلب (183) .

(9) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (184)
(258 ـ 347 هـ)

وهو أيضا من أصحاب المبرد ، أخذ عنه الكتاب وغيره وكان من النظار ، شديد الانتصار والتعصب للمذهب البصري في اللغة والنحو . وسمع كذلك من أبي محمد ابن قتيبة ، وأبي العباس ثعلب ثم جلس في بغداد للاقراء والتأليف . وقد عد له ابن النديم من تصانيفه خمسين كتابا هذا بعضها :

(1) كتاب الارشاد في النحو .
(2) كتاب شرح الفصيح لثعلب .
(3) كتاب المذكر والمؤنث .
(4) كتاب المقصور والممدود .
(5) كتاب غريب الحديث .
(6) كتاب معاني الشعر .
(7) كتاب التوسط بين الأخفش وثعلب في معاني القرآن .
(8) كتاب الرد على ثعلب في اختلاف النحويين .

كما ذكر انه له ردا على المفضل بن سـلمة (185) ونقض كتاب العين سماه : (كتاب الرد على من نقل كتاب العين عن الخليل) . وسماه القفطي : (كتاب الانتصار لكتاب العين ، وأنه للخليل) .

وفي أمالي القالي ، نصوص متعددة يرويها أبو علي عن ابن درستويه ، وأكثرها مما أخذه هذا الشيخ عن أبي العباس المبرد (186) .

---

(183) أنظر أمثلة مما رواه في الأمالي (202/1 ـ 254 ـ 267 ـ 268 ـ 60/2 ـ 159 ـ 198 ـ 89/3 .. الخ .

(184) ترجمته في طبقـات الزبيدي (116) ـ نزهة الألباء (283) ـ تاريخ بغـداد (428/9 ـ شذرات الذهب (375/2) ـ ميزان الاعتـدال (400/2) ـ لسـان الميزان (267/3 ـ الوعاة (279) ـ الفهرست (93) ـ وفيات الأعيان (44/3) ـ بروكلمان (186/2) ـ أنباه الرواة (113/2) .

(185) وفي ابن خلكان (الرد على المفضل الضبي في الرد على الخليل) والصحيح فيما يبدو هو ما ذكر ابن النديم .

(186) أنظر أمثلة مما رواه القالي عن ابن درستويه في الأمالي (33/1 ـ 109 ـ 130 ـ 133 ـ 141 ـ 276 ـ 279 ـ 2/ص 2 ـ 14/2 ـ 94/2) .

وحين ترجم الزبيدي للقالي ، جعله مرة من أصحاب ابن درستويه من النحويين البصريين ، في الطبقة العاشرة . وقال عنه : «قرأ عليه كتاب سيبويه أجمع واستفسر جميعه ، وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل العلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل مذهب البصريين على مذهب الكوفيين ، ونصر مذهب سيبويه على من خالفه من البصريين أيضا وأقام الحجة . قال أبو علي اسماعيل بن القاسم : وقرأ معي الكتاب أبو جعفر أحمد بن أبي محمد بن درستويه – تعليما ورواية – الكتاب أجمع» (187) .

ثم ترجم له ثانية ترجمة طويلة ، وجعله فيها من أصحاب أبي بكر بن دريد في اللغويين البصريين ، وهي الطبقة السابعة . وفيها أيضا ذكر القالي شيخه ابن درستويه ، فقال : «أخذت منه كتاب سيبويه عن المبرد» (188) .

وسنعود لدراسة هذه القضية حين نتحدث عن مذهب القالي في النحو واللغة .

(10) أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (189)
(— 322 هـ)

ولد ببغداد ، وحدث بها ثم سار الى مصر قاضيا سنة 321 هـ ، الى أن أدركه أجله .

ويروي مترجموه أنه كان يقتصر على التحديث بكتب أبيه أبي محمد ، وهي واحد وعشرون كتابا (190) . وقد ذكر القالي أنه أيضا أخذ عنه كتب أبيه (191) ، التي منها أدب الكتاب (192) ، وكتاب الميسر (193) ، وعيون الأخبار (194) .

وفي الأمالي ، نماذج مما أخذه أبو علي عن أستاذه أبي جعفر عن أبيه عبد الله ابن مسلم (195) .

---

(192) ابن خير (334) .
(193) ابن خير (378) .
(194) الأمالي (159/2) .
(187) طبقات الزبيدي (121) .
(188) طبقات الزبيدي (187) .
(189) ترجمته في : معجم الأدباء (103/3) – تاريخ بغداد (229/4) – شذرات الذهب (294/2) – النجوم الزاهرة (246/3) – العبر للذهبي (193/2) – أنباه الرواة (45/1) .
(190) وفي ترجمة ابن قتيبة ، لابن النديم (ص 115) أكثر من هذا .
(191) طبقات الزبيدي (187) .
(195) أنظر الأمالي (239/1 – 129/2 – 157/2 – 177/2 – 321/2) .

(11) أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرىء (196)
(245 – 324 هـ)

كان شيخ الصناعة في القراءات عند أهل عصره ، ازدحم حوله التلاميذ حتى ذكر أحد من حضر مجالسه ، أنه كان له في حلقته أربعة وثمانون خليفه يأخذون على الناس . وذكر له ابن النديم أحد عشر كتابا كلها في علم القراءات .

وكان القالي أحد التلاميذ المزدحمين عليه . وروى الزبيدي أنه قال : «قرأت عليه القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء غير مرة ، وأخذت كتابه في القراءات السبع ، وغير ذلك» (197) ولأبي علي مع شيخه ابن مجاهد قصة طريفة ، حكاها لتلميذه أبي نصر هارون بن موسى فقال :

«كنت أختلف الى ابن مجاهد رحمه الله ، فأدلجت اليه لأتقرب منه ، فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت أخرج منه الى مجلسه ، ألفيته مغلقا ... فقلت سبحان الله ، أبكر هذا البكور ، وأغلب على القرب منه ! فنظرت الى سرب بجنب الدار فاقتحمته ، فلما توسطته ضاق (198) بي ولم أقدر على الخروج ولا على النهوض . فاقتحمته أشد اقتحام ، حتى نفذت بعد أن تخرقت ثيابي ، وأثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم . ومن الله علي بالخروج ، فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال» (199) .

(12) أبو عمر محمد بن عبد الواحد المطرز (غلام ثعلب) (200)
(261 – 345 هـ)

ويعرف أيضا بالزاهد .

وهو عند الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين الكوفيين ، روى عن ثعلب حتى لقب (بغلام ثعلب) .

---

(196) ترجمته في : معجم الأدباء (65/5) – تاريخ بغداد (144/5) – طبقات الشافعية (102/2) – مرآة الجنان (200/2) – غاية النهاية (139/1) – العبر للذهبي (201/2) – الفهرست (47) .
وكان الواجب أن توضع ترجمة ابن مجاهد ضمن شيوخ القالي في الحديث والعلوم القرآنية والدينية . ولكني بعد تردد جعلته مع أساتذته في اللغة والأدب . مسايرة للزبيدي الذي سلكه بدوره – كما روى عن شيخه – ضمن هؤلاء .

(197) طبقات الزبيدي (187) .

(198) في الأصل : (خاق) بالخاء وهو تصحيف .

(199) الصلة (620/2) (طبعة الحسيني) .

(200) مصادر ترجمته : طبقات الزبيدي (209) – وفيات الأعيان (329/4) – الفهرست (113) – نزهة الألباء (276) – أنباه الرواة (171/3) – الوعاة (69) – مرآة الجنان (337/2) – شذرات الذهب (370/2) – طبقات الحنابلة (67/2) – طبقات الشافعية (171/2) – معجم الأدباء (226/18) .

وقد استفاضت الروايات وتعددت المصادر التي تتحدث عن غزارة حفظه واتساع روايته ، حتى كذبه أهل زمانه وقالوا : «لو طار طائر لقال : حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي . ويذكر في معنى ذلك شيئا» . وكان ممن يتهمه فيما يأتي به ويورده من حوشي اللغة وغريبها أبو بكر بن دريد . وقال ابن خلكان : «وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها وأكثر ما ينقل أبو محمد بن السيد البطليوسي في كتاب المثلث عنه» (201) . أما كبار الأدباء ، فكانوا مع ذلك بحضرون مجالسه ليسمعوا عنه كتب ثعلب وغيرها . وكان متعصبا لمعاوية ، فبلغ أمره في ذلك أن جمع جزءا ضمنه الأحاديث التي تروى في فضائله ، فلم يدع أحدا ممن يريد أن يقرأ عليه شيئا الا وابتدأ له بقراءة ذلك الجزء قبل قراءة ما قصد له .

وللزاهد مصنفات ءي اللغة والنحو تربو على العشرين ، أشهرها وأهمها :

(1) غريب الحديث الذي صنفه على شاكلة مسند أحمد بن حنبل .
(2) وفائت الفصيح الذي استدرك فيه على فصيح شيخه .
(3) وكتاب شرح الفصيح .
(4) وفائت العين .
(5) وفائت الجمهرة ، رد فيه على ابن دريد .
(6) وكتاب النوادر .
(7) وكتاب اليواقيت .
(8) وكتاب ما أنكره الاعراب على أبي عبيد ... وغير ذلك .

وأما القالي ، فقد كان من تلاميـذه الذين أخذوا عنه رواياته عن ثعلب (202) وكتبه التي منها : فائت الفصيح (203) ، وبعض كتب شـيخه التي منها الاضداد ، واختيـار الفصيح (204) . وكان له فضل في اشـاعة ذلك بالأندلس . وفي الأمالي نماذج متعددة لما يرويه أبو علي عن المطرز عن شيخه أبي العباس ثعلب (205) .

(13) أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي (206) (ـ ؟)

لقب بالتاريخي ، لأنه كان يعنى بالتواريخ وجمعها ، وقد ألف كتابا في ذلك .

---

(201) وفيات الأعيان ، ترجمة المطرز .
(202) طبقات الزبيدي (187) .
(203) ابن خير (339) .
(204) نفس المصدر (336-381) .
(205) أنظر على سبيل المثال : كتاب الأمالي (78/1 - 84 - 137 - 158 - 33/2 .
(206) ترجمته في : تاريخ بغداد (348/2) - الوافي بالوفيات (45/4) .

ومن مصنفاته أيضا كتاب : (تاريخ النحويين) وقال الخطيب في ترجمتـه : «وكان فاضلا أديبا حسن الأخبار .. مليح الروايات ..» وهو من تلامذة ثعلب والمبرد معا .

وفي الأمالي يروي في الغالب شعر البحتري أو بشار (207) .

(14) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم النديم (208)
(262 ـ 327 هـ)

قال ياقوت في ترجمته : «.. وكان أبو الحسن هذا أديبا شاعرا فاضلا عالما ، أحد رؤساء زمانه في علم الكلام وعلوم الدين ، والافتنان في الأدب ..» وكان في الفقه على مذهب ابن جرير الطبري ويرى رأيه ، فألف على ذلك المـذهب (كتـاب الاجماع في الفقه) و (كتـاب المدخل الى مذهب الطبري ونصرة مذهبه) . على أن القالي انما أفاد منه في الناحية الأدبية ، فأخذ عنه أخبار الشعراء ، وكتب أبيه . قال أبو علي : «أخذت منه كتب أبيه وغيره ..» (209) . فقد كان أبوه يحيى بن علي بن يحيى ، صنف عدة كتب منها : (كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين العباسية والأموية ، ابتدأ فيه كما يقول ابن النديم : «ببشار وابن هرمة ، وطريح ، وابن ميادة ، ومسلم ، واسحاق بن ابراهيم ، وأبي هفان ، ويزيد بن الطثرية ، وآخر ما عمل : مروان بن أبي حفصة ولم يتمه ، وتممه ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى . وعزم على أن يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فعمل منهم أبا دلامة ، ووالبة بن الحباب ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن اياس ، وأبا علي البصير» (210) . ثم وضع أبو الحسن كتبا أخرى منها : (كتاب أخبار أهله ونسبه في الفرس) (211) .

(15) أبو علي الحسن بن علي بن نصر الطوسي الخراساني (212)
(ـ 312 هـ)

كان يروي عن جمـاعة فيهم الزبير بن بكار ، الذي سـمع منه بالحجاز كتاب (النسب) . ولكنهم تكلموا ـ كما يقول مترجموه ـ في روايتـه لهذا الكتـاب الذي أخذه عنه القالي (213) .

---

(207) أنظر مثلا الأمالي (1/40 ـ 166 ـ 208 ـ 228 .

(208) ترجمته في : معجم الأدباء (5/146) ـ تاريخ بغـداد (5/215) ـ الفهرست (106) ـ وفيـات الأعيان (6/198) .

(209) طبقات الزبيدي (186) .

(210) الفهرست (206) .

(211) وأنظر أمثلة مما يرويه القالي عن أحمد بن يحيى في الأمالي (1/163ـ2/314) .

(212) ترجمته في : شذرات الذهب (2/264) ـ ميزان الاعتدال (1/509) ـ لسان الميزان (2/232) ـ طبقات المفسرين (1/138) ـ تذكرة الحفاظ (3/787) .

(213) طبقات الزبيدي (137) .

(16) أبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي (214)
(ــ 306 هـ)

وهو أيضا ممن روى عن الزبير بن بكار . أخذ عنه (الأخبار الموفقيات) وغيرها من مصنفاته . واتخذه المعتز مؤدبا لولده عبد الله فاختص به . ولعبد الله بن المعتز هذا قصيدة في مدحه ، والاعتراف بفضله في تثقيفه وتعليمه ، وبينهما مراسلات ذكرها ياقوت في معجمه . ورغم أن وفاته كانت مبكرة بالنسبة لدخول القالي الى بغداد ، فان أبا علي قد سمع منه يسيرا . ولعل الزبيدي أحس بشيء من الحرج في هذا الأمر ، فلذلك نراه يقول رواية عن القالي : «ذكر لي انه سمع منه» (215) ليؤكد بذلك السماع ، ويلقي بعهدة الخبر على صاحبه . وفي ظني أنه قد سمع منه شيئا قليلا من أخبار الزبير بن بكار .

شيوخ لم يذكرهم الزبيدي

فهذه جملة من شيوخ القالي ــ الذين أتى أبو بكر الزبيدي على ذكرهم ــ في العلوم المختلفة ، وهم ثمانية وعشرون أستاذا . غير أن ذلك بالطبع ليس هو مجموع شيوخه الذين لقيهم ببغداد في حقبة طويلة تقارب ربع قرن من الزمان . ولذلك كان علي أن أبحث عن باقي أساتيذه من خلال كتبه ومؤلفاته الموجودة ، غير أني لم أعثر منهم على عدد كبير . وكان معولي ــ في الغالب ــ في استخراج أسمائهم على كتاب الأمالي . اذ هو الكتاب الذي يفيد الباحث أكثر من غيره في هذا الموضوع .

وقد رأيت أن ثقافة هؤلاء ، هي ثقافة لغوية وأدبية ، فلذلك يمكن ضمهم الى شيوخ القالي في اللغة والأدب .

(17) أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي المعروف بجحظة النديم (216)
(224 ــ ت 323 أو 324 هـ أو 326 هـ)

كان أحد ظرفاء عصره مغنيا يحسن الضرب على الطنبور ويحفظ الألحان والأصوات المختارة ، فجعله لذلك أبو الفرج الأصفهاني ، مصدرا فيما رواه من

---

(214) ترجمته في : تاريخ بغداد (171/4) ــ معجم الأدباء (46/3) ــ أنباه الرواة (44/1) .
(215) الطبقات (187) .
(216) ترجمته في : وفيات الأعيان (133/1) ــ معجم الأدباء (241/2) ــ شذرات الذهب (301/2) ــ مرآة الجنان (288/2) ــ العبر للذهبي (201/2) ــ النجوم الزاهرة (250/3) ــ الفهرست (208) ــ العصر العباسي الثاني (ص 504) .

ألحان بكتابه الأغاني . وقد أكسبته هذه الصنعة رزقا ومكانة لولاها لعاش معدما .
وكان مع ذلك شاعرا شعبيا رقيقـا وصـادقا ، اذ هو مع فقره وضيق حاله ، مفرط
الحساسية لما يراه حوله من تقلبات الزمان ، واختلال المقاييس والأوزان .

فعاش حياته الى الكبر ساخطا متألما ، يهجو الوزراء والحجاب والنبلاء وذوي
الجاه والأموال . واسـتطاع أن يصور كل ذلك بأسلوبه السـاخر المليء بالنكتة
والاسـتهزاء والمرارة (217) . وله بالاضافة الى صناعة الغناء وصياغة القريض ،
أخبار وطرائف ، ذكر بعضها ياقوت في المعجم ، والحصري في زهر الآداب (218) ،
وقد حدث مترجموه أن المرزياني جمع أخباره وأشعاره ، وكان الى جانب هذا معروفا
لدى الناس بملحه ونوادره ، وتفننه في النكتة والنقد الاجتماعي ، وكره الحاكمين ،
وصياغة الأخبار والقصص تندرا وتفكها ، ورواية الشعر ، وأخبار الشعراء ، وله
معرفة بفنون أخرى تنبيء عنها بعض كتبه التي ذكرها ابن النديم مثل كتاب الطبيخ ،
وكتاب الطنبوريين ، وكتاب النديم ، وكتاب ما شـاهده من أمر المعتمد ، وكتـاب
المشاهدات ، وكتاب ما جمعه مما جربه المنجمون .

أما القالي ، فقد روى عنه (219) كثيرا من تلك الأخبار والأشعار التي كان أغلبها
مما رواه جحظة عن حماد بن اسـحاق الموصلي (220) ، وغيره (221) وروى عنه
شعر ابن المعتز وترسـيله (222) . وابن المعتز كما هو معروف ، صديق لجحظة ،
وهو الذي لقبه بهذا الاسم . وكان للقالي أيضا الفضل في الاحتفاظ بجملة لا بأس بها
من أشعار أستاذه جحظة البرمكي ، ضمنها أماليه . ومن بينهـا البيتان اللذان رثى
بهما أبا بكر بن دريد (223) .

(18) أبو جعفر محمد بن نصر بن غالب (الغالبي) (224)

وهو أحد من روى عنهم القالي في الأمالي ، وفي المقصور والممدود . ويكني

---

(217) أنظر معجم الأدباء (154/2) ففيه أمثلة ونماذج من هذا الشعر .
(218) زهر الآداب (745/2-975) .
(219) وقد أشار السيوطي في الوعاة من 198 . الى مشيخة جحظة للقالي .
(220) أنظر ترجمته حماد بن اسـحاق ، في الفهرست (ص 204) . وقد أورد له ابن النـديم في هذه الترجمة جملة من كتب الأخبار .
(221) أنظر الأمالي (31/1 – 55 – 71 – 132 – 167 – 196 . ففيها نماذج مما رواه القالي عن جحظة من الأخبار والأشعار .
(222) ابن خير (405) .
(223) انظر هذه الأشعار في الأمالي (209/1 – 49/3 – 87/3 – 94/3 – 97/3 – 98/3 – 99/3 .
(224) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر ومظان .

عنه أحيانا بأبي جعفر (225) . وكان الغالبي يحدث القالي دائما بما رواه عن أبي الحسن بن كيسان عن شيوخه (226) . ومما رواه عنه أيضا كتاب الألفاظ لابن السكيت . فقد قرأه أبو علي على ابن الأنباري سنة 321 هـ ، وقرأه على أبي عمر المطرز عن ثعلب ، وناوله اياه أبو جعفر الغالبي ، قال : «وناولني هذا الكتاب ، أبو جعفر الغالبي ، واسمه محمد بن نصر بن غالب . وقال لي : استمليت هذا الكتاب على ابن كيسان ، مجلسا مجلسا» (227) . وقرأه ابن كيسان بدوره على أبي العباس ثعلب (228) .

(19) أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل العسكري المعروف بمبرمان (229)
(ـ 326 هـ القفطي) (ـ 345 هـ ياقوت)

وهو عند الزبيدي في أصحاب المبرد من الطبقة التاسعة ، بين النحويين البصريين ، وكان كما يقول ياقوت : «.. اماما في النحو قيما عليه ..» وله في ذلك مصنفات منها :

(1) شرح كتاب سيبويه (لم يتم) .
(2) شرح شواهد سيبويه .
(3) التلقين في النحو .
(4) شرح كتاب الأخفش .

وكان من تلاميذه أبو سعيد السيرافي ، وأبو علي الفارسي . وليس هناك ما يدل على أن القالي تلمذ له ـ فيما أعلم ـ سوى نص أورده الزبيدي في طبقاته ، فقال : «.. قال أبو علي : وحدثني أبو بكر مبرمان ، قال : قصدت ابن كيسان لاقرأ عليه كتاب سيبويه ، فامتنع وقال : اذهب الى أهله . يشير بذلك الى الزجاج» (230) . على أنه لو صح أن الرجل توفي سنة 345 هـ (كما عند ياقوت) ، فستكون رواية القالي عنه لا تعني التلمذة لتأخره ، ولكنها من باب الأخذ عن الأقران .

---

(225) المقصور (ص 206) مادة (حمأ) النسخة المغربية .
(226) الأمالي (1/235 ـ 245 ـ 250 ـ 2/200 ـ 302 ـ والمقصور (197) (دار الكتب) .
(227) ابن خير (329-330) .
(228) ترجمة ابن كيسان في نزهة الألباء (235) ـ والفهرست (120) ـ ومعجم الأدباء (17/137) ـ وطبقات الزبيدي (153) . واسمه أبو الحسن محمد بن أحمد كان ممن خلط المذهبين في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، الا أنه كان الى البصريين أميل . وتوفي سنة 299 هـ. في خلافة المقتدر .
(229) ترجمته في طبقات الزبيدي (114) ـ الوعاة (74) ـ أخبار النحويين البصريين (109) ـ معجم الأدباء (18/254) ـ العبر للذهبي (2/209) ـ أنباه الرواة (3/189) .
(230) طبقات الزبيدي (153) .

(20) أبو عثمان محمد ين سعيد المصري (الناجم) (– 314 هـ) (231)

قال ياقوت في ترجمته «كان أديبـــا فاضلا شاعرا مجيدا ، وكان بينه وبين ابن الرومي صحبة ومودة ومخاطبات» .

وقد روى عنه القالي في أماليه أشعارا لعلي بن العباس الرومي (232) واشعارا أخرى أنشده اياها لنفسه (233) .

(21) أبو المياس الراوية (234)

ذكره الخطيب فقال : «كان صاحب آداب وأخبار وأناشيد . سكن بغداد ، وحدث بها عن أحمد بن عبيد بن ناصح . روى عنه أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ..» ثم أتى بخبر رواه الخطيب عن العلاء بن حزم الأندلسي ، عن ابن الأفليلي ، عن أبي بكر الزبيدي ، عن القالي عن أبي الميـــاس (235) . ويحدثنـــا القالي مرة عن هذا الشـــيخ فيقول باقتضـــاب : «وكان من أروى الناس للرجز ، وهو من أهل ســـرمن رأى» (236) .

وفي الأمالي أخبار وأشعار كثيرة مما رواه أبو علي عن أبي المياس (237) . وفي بعض هذه المرويات ، لغويات تدل على نوع ثقافته وهذا مثال مما رواه عنه : «قال أبو الميـــاس : الفجرم : الجوز . قال أبو علي : ولم أجد هذه الكلمة في كتب اللغويين ، ولا سمعتهـــا من أحد من أشـــياخنا غيره» (238) وقد وردت الرواية عن أبي المياس في (كتاب المقصور) أيضا» (239) .

---

(231) ترجمته في : معجم الأدباء (193/11) – معجم الشعراء (421) – اللآلىء (525/1) . وهكذا ورد اسمه في معجم الشعراء وورد في اللآلىء انه المضرى بالضاد . وعند ياقوت : (أبو عثمان سعد بن الحسن بن شداد) وقد علق الأستاذ عبد العزيز الميمني في السمط (الحاشية رقم 4 ص 525 ج 1) على هذا الاختلاف ، ولكنه لم يصل بدوره الى تحقيق صوابه . وفي زهر الآداب (153/1) انه أبو عثمان سعيد بن الحسن .

(232) الأمالي (84/1 – 226 – 228 – 231) .

(233) نفس المصدر (230/1) وفي زهر الآداب للحصري أبيات أخرى للناجم (153/1 – 394 – 1001) .

(234) ترجمته في تاريخ بغداد (427/14) . وقد ورد اسم أبي المياس مصحفا في كثير من المواضع بالآمالي (أنظر 184/1 – 113/2 – 296) فهو هناك (أبو العباس) وقد نبه على هذا التصحيف العلامة الميمني في آخر السمط عند تصحيحه لأغلاط طبعة الدار المصرية للأمالي .

(235) وهو خبر موجود بنصه في الأمالي (56/1) .

(236) الأمالي (56/1) .

(237) أنظر الأمالي (56/1 – 59 – 210 – 268 – 101/2 – 259/2) .

(238) الأمالي (2/ص 5) .

(239) المقصور والممدود (110) مادة (مدحى) النسخة المغربية .

(22) أبو يعقوب اسحاق بن الجنيد البزاز (وراق ابن دريد) (240)

وهو من اللغويين البصريين ، من أصحاب ابن دريد كان يورق له ، ويأخذ عنه . ووصفه القالي بأنه كان (من أهل العلم) (241) .

وقد روى عنه الأخبار في أماليه ، عن أحمد بن عبيد الجوهري وجماعة غيره (242) .

(23) أبو معاذ عبدان الخولي المتطبب (؟)

وردت الرواية عنه في الأمالي (243) .

(24) أبو الحسن الترمذي الوراق (؟)

وردت الرواية عنه في الأمالي أيضا (138/2) لبيتين من الشعر عن أبي العباس ثعلب .

(25) أبو علي بن الأعرابي ؟

روى عنه في الأمالي (229/1) بهذه الصيغة : «ومن أحسن ما قيل في مشي النساء ، ما أنشدناه صاحبنا أبو علي بن الأعرابي» .

(26) عبد الله بن ابراهيم الجمحي ؟

أخبر عنه بقصة في الأمالي (14/3) .

(27) أبو علي بن علي بن بسام ؟

روى عنه بعض شعر أبيه (244) .

(28) أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم (245)

قال الخطيب في ترجمته : «وكان اخباريا أديبا ، شاعرا ، متكلما» . وذكر وفاته سنة 352 هـ .

---

(240) أنظر خبره في أنباه الرواة (220/1) ـ طبقات الزبيدي (185) .
(241) الأمالي (181/2) .
(242) أنظر هذه المرويات في الأمالي (198/1 ـ 220 ـ 255 ـ 41/2 ـ 93/2 ـ 181/2 ـ 323/2 ـ 39/3) .
(243) الأمالي (50/1 ـ 111 ـ 203) .
(244) نفس المصدر (100/1) .
(245) ترجمته في : تاريخ بغداد (119/12) ـ معجم الشعراء (156) ـ الفهرست (206) .

روى عنه القالي بعض شعر جده ، علي بن يحيى المنجم (246) .

(29) حرمي (؟)

حدث القالي بخبر عن الزبير بن بكار (247) .

(30) أبو عبد الرحمان المقرىء ؟

حدث القالي عنه في كتابه (المقصور والممدود) غير مرة (248) .

ويمكن بعد هذا أن نسجل ملاحظة حول هذه الجماعة المتأخرة ممن ذكرناهم ولم يدخلهم الزبيدي في لائحة شيوخ القالي . وهي أن أغلبهم كما رأينا ، ليسوا من العلماء المشهورين شهرة الجماعة الأولى من جهة ، وان سماع القالي عنهم لم يكن دائما يعني سماع التلميذ من الشيخ . ولكنه كان يعني أحيانا سماع القرين من قرينه ، والصاحب من صاحبه . ولا سيما أن منهم من كان عمره يقارب عمر القالي مثل علي بن هارون المنجم المتوفى سنة 352 هـ . فلذلك لا يكون اطلاق اسم (الشيوخ) عليهم الا من باب التجوز ، اذ أن القالي أفاد منهم في كتبه ومؤلفاته ، فكانوا له بمثابة مصادر شفوية معاصرة . وأخيرا فان تأثير هذه الجماعة في القالي وثقافته لا تقاس بتأثير الجماعة الأولى ممن كانوا شيوخه على الحقيقة لا المجاز .

على أننا بعد هذا ، لا ندعي الاحاطة بجميع شيوخ القالي ، فقد ظلت هناك بلا شك جماعة مجهولة ، أخذ عنها ولكنه لم يعرب عن أسمائها ، واكتفى في الاشارة اليها أحيانا بعبارات غامضة كقوله : (حدثنا بعض مشايخنا) او (بعض أصحاب فلان . . .)

---

(246) الأمالي (229/1) .

(247) نفس المصدر (74/2) .

(248) أنظر مثلا (ص 209) مادة (سبأ) النسخة المغربية .

خصائص ثقافة القالي

لقد كان القصد من دراسة شيوخ القالي بهذا النوع من التفصيل ، والوقوف عند كل شخصية منهم على حدة ، وقفة تطول أو تقصر . هو رسم خريطة بألوان واضحة ، يشار فيها الى كل منبع من المنابع الغزيرة التي غذت صاحبنا بأطيب الثمار العلمية ، والى كل الروافد التي صبت في صدره وعقله فصقلته بصقالها وختمت عليه بطابعها وتأثيرها . فاذا هو بعد ذلك رضيع تلك الأثداء كلها ، وربيب أولئك الشيوخ جميعا ، الوارث لخصائص ثقافتهم ، والمحافظ على تراثهم . ثم اذا هو أخيرا شيخ جليل ، يرحل الى الأندلس بخزائنه التليدة ، المحفوظ منها والمسطور ، ويعتلي بقرطبة كرسي المشيخة والاملاء ، ويكون دوره بالطبع هو اعادة نشر هذه الثقافة بذاتها بعد أن درسها ورواها ، وبعد أن نقلها من بيئة الى بيئة .

ويمكن باختصار ، أن نبرز الغاية من هذه الدراسة المستفيضة ـ نسبيا ـ لشيوخ القالي ، بأننا من خلالها استطعنا أن نتعرف على :

(1) خصائص ثقافة القالي .

(2) بعض أخباره ، وأشياء عن حياته في بغداد ، طيلة ما يقرب من ربع قرن ، ظلت سيرته خلالها غامضة مبهمة .

(3) كثير من معاصري القالي ، وزملائه ، وأصحابه .

(4) جانب من تاريخ بغداد خلال هذه الفترة ، ليزداد بذلك فهمنا للعصر وادراكنا للحركة العلمية أثناء وجود القالي بها .

(5) مدى تأثير هؤلاء الشيوخ فيه ، وقياس درجة هذا التأثير عند كل واحد منهم ، وتلمس صداه في بعض كتب القالي ومؤلفاته ومروياته . مما سيساعدنا أيضا على دراسة آثاره .

وبعد :

فما هي خصائص هذه الثقافة التي تلقاها القالي ؟

انها ثقافة هؤلاء الشيوخ أنفسهم . وهي تتفرع من حيث نوعها الى قسمين :

(1) ثقافة أصيلة دينية

وهي تشمل الحديث والقرآن وعلومهما ، والفقه والفروع ... وقد تلقاها القالي منذ تردده على الكتاتيب ، والمساجد الصغيرة في مدينته الأولى (منازجرد) ثم أثناء توقفه القصير بالموصل ، والتقائه بأبي يعلى الموصلي صاحب المسند .

وأخيرا على يد شيوخه الكبار ببغداد ، من أمثال أبي بكر السجستاني ، وأبي محمد يحيى بن صاعد ، وأبي القاسم البغوي ، وأضرابهم ... وكانت هذه الجماعة من العلماء الذين جلس اليهم طويلا ، هي أشهر من أخرجهم القرن الثالث وبداية الرابع من الحفاظ والثقات المشهود لهم بالأمانة والضبط . وهي الجماعة التي تتكون منها الطبقة الثانية من فقهاء الشافعية والحنبلية ، والذروة العالية من المحدثين والقراء والمفسرين ، الذين تخرج عليهم أمثال أبي الحسن الدارقطني ، وأبي بكر بن شاذان ، وجماعة .

(2) ثقافة عربية

وتشمل اللغة وآدابها ، من نحو ، وأدب ، وأخبار ، وسير ، وأنساب ، وأيام . وتلقاها القالي على يد أكبر اللغويين والأدباء في عصره ، من أمثال ابن دريد وابن الأنباري ، والأخفش الصغير ، وابن السراج ، والزجاج ، ونفطويه ... وهي الطبقة التي تخرج عليها كبار لغويي وأدباء القرن الرابع أمثال : أبي على الفارسي ، وأبي سعيد السيرافي ، وابن خالويه ، وأبي الفرج الأصفهاني ، والأمدي ، والمرزباني ، وآخرين ... وكانت الكتب التي يدرسها هؤلاء ، هي كتب النحو البصري والكوفي ، وكتب الأمالي ، واللغة ، ودواوين الشعر ، والمنتخبات الجاهلية والاسلامية ، وكتب الأخبار والمغازي ، والأنساب ، التي يرويها تلامذة الزبير بن بكار ، والواقدي ، والمدائني ، وابن الكلبي ... وغيرهم .

وقد وجد القالي في هذين الاتجاهين الثقافيين بشيوخهما ، مجالا واسعا للتأثر ، وقدوة حسنة للاتباع والتمثل :

أ ـ فقد استفاد من شيوخه في العلوم الدينية المنهج العلمي القويم ، ونافسهم في الحفظ والرواية والضبط والاتقان ، وكان خير من يتقمص سلوكهم الأخلاقي . وبعبارة ثانية كان القالي في هذا الجانب ، نسخة لا تختلف في كثير عن شيخه أبي بكر بن أبي داود السجستاني ، وهو أحد كبار الحفاظ المشهورين ، روى الخطيب في تاريخه ، أنه دخل سجستان «فاجتمع اليه أصحاب الحديث وسألوه أن يحدثهم فأبى ، وقال : ليس معي كتاب . فقالوا : ابن أبي داود وكتاب ؟ قال أبو بكر : فأثاروني ، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي» (249) . وما كثرة حفظه هذه سوى جانب من جوانبه الأخرى التي حددناها في ترجمته ، وفي كل منها كنا نجد للقالي وجها من وجوه التشابه .

---

(249) تاريخ بغداد (466/9) .

وقد كان علماء الحديث بالخصوص ، موضع مراقبة صارمة من قبل أصحاب التعديل والتجريح ، فلذلك كانت الأخلاق العلمية من أمانة ، وضبط ، وحفظ ... الخ . هي الخصائص الأولى التي يجب أن يتحلى بها كل طالب لعلم الحديث . وطول جلوس القالي ، واختلافه الى هؤلاء العلماء ، هو الذي عوده المنهج العلمي السليم ، ثم جعله يتقمص شخصية الراوية الناقل ، المحافظ على تراث السلف دون تحريف ولا تبديل . وهي الصفة الفاضلة التي شهدت له بها الأندلس قاطبة . على أنه اذا كانت رتبة الدراية والفهم أرفع مكانا عند علماء الحديث من رتبة الحفظ وحده ، فان القالي في الحقيقة ، لم يكن مشهورا بغير الحفظ . أو بعبارة أخرى لم يكن صاحب نظريات أو اجتهاد وفتوى في اللغة والأدب ، وهما موضوع تخصصه . بل كان مجرد حافظ ناقل الا ما شذ عن ذلك في شبه ملحوظات كان يبديها في التعليق على آراء غيره .

روى ابن بسام أنه كان يقول عند المباحثة والمفاتشة «ان علمي علم رواية ، وليس بعلم دراية . فخذوا عني ما نقلت . فلم آل لكم أن صححت ... هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات» (250) .

ومع شيء من التحفظ ازاء هذا النص الذي ورد في مجال الافتخار بعلماء الأندلس ورجالها ، واظهار ما لهم من فضل ونبوغ ، فان القالي وان لم يكن من المجتهدين في اللغة والأدب الذين نتعب أنفسنا في البحث عن آرائهم ومذاهبهم ، ولا من الذين تأثروا بشيخه أبي محمد يحيى بن صاعد الذي كان عند العلماء أعلى مرتبة من ابن أبي داود لدرايته وفهمه فانه كان في الطبقة الأولى من الحفاظ . وذلك أن الحفظ أولى درجاته الاملاء في الحديث ، كما في اللغة على السواء . قال السيوطي في المزهر «وظائف الحافظ في اللغة أربع (251) ، أحدها ـ وهي العليا ـ الاملاء . كما أن الحفاظ من أهل الحديث ، أعظم وظائفهم الاملاء . وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير ، فأملى ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم ، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة رأيت منها مجلدا ، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يحصى ، وأملى أبو علي القالي خمسة مجلدات ، وغيرهم . وطريقتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء» (252) .

ومن حسن حظنا أن وجدنا القالي ، يتأثر بشيوخه الكبار أمثال السجستاني ،

---

(250) الذخيرة . القسم الأول . المجلد الأول (ص 4) .

(251) في الأصل : (أربعة) .

(252) المزهر (313/2) .

ولا يتأثر في منهجه العلمي أبدا ببعض الشخصيات الضعيفة ممن روى وأخذ عنهم كأبي سعيد العدوي ، الذي كان متهما عند أقرانه ، ومعروفا بكذبه عند الجميع .

ب ـ واذا كان القالي قد تأثر في منهجه العلمي وسلوكه الأخلاقي بشيوخه في الحديث وعلماء السنة ، واتخذ من أعلامهم وكبار حفاظهم المشهورين القدوة المثلى ، فانه أيضا تأثر كثيرا بشيوخه الآخرين في اللغة العربية وآدابها ، مع العلم أن اللغة في ذلك العصر كانت تقتبس مناهج دراستها من المحدثين ، اذ هي مناهج في أعلى مستوى من حيث السلامة والدقة والضبط . وهكذا ، فانه بعد أن كون لنفسه قاعدة وأساسا متينين في العلوم الدينية التي هي مدار العلوم الاسلامية ، اتجه بعد ذلك الى نوع من التخصص في اللغة العربية ، فلم يحمل الى الأندلس ـ فيما بلغنا علمه ـ الا ما كان من الكتب متصلا بهذا النوع من الثقافة ، ولم تظهر مشيخته وامامته الا في هذا الاتجاه . وان كانت استفادته من الثقافة الدينية واضحة كل الوضوح فيما نقرأ له من مؤلفات ، ولا سيما في أماليه التي كان يفتتح مجالسها في الغالب بقراءة حديث شريف أو آية كريمة ، ومنها ينطلق الى الشروح اللغوية والنصوص الشعرية والأمثال والأخبار وغيرها . وهي الطريقة نفسها التي كان يتبعها أساتذته في بغداد . وقد رأينا نصا في ذلك عند شيخه نفطويه .

وقد كان شيوخه في هذا الاتجاه أيضا ، من العلماء الكبار الذين امتازوا بكثرة الحفظ واتساع الرواية . وكان لهم الفضل في توجيهه لدراسة أمهات المصادر والدواوين ، وتكوين ذوقه الأدبي الذي هو ذوق العلماء الدارسين للتراث ، والمحافظين على أخبار السلف . وقد تابع القالي خطواتهم التي ساروا عليها في تاليفهم ، فأملى النوادر مثلما أملوا وكتب في الخيل والانسان ، والابل ... مثلما كتبوا ، وشرح المعلقات ، والشعر القديم ، مثلما كانوا يفعلون ، وباختصار فانه كان امتدادا لتلك الحركة اللغوية والأدبية التي أوجدها أساتذته ببغداد . وكان ابن دريد وابن الأنباري أكثر هذه الشخصيات فيه تأثيرا .

جانب من ثقافته

وأريد هنا أن أنوه فقط ، بجانب خاص من ثقافة القالي الأخبارية . فلم يكن الرجل مجرد حافظ للغة والأدب والعلوم الدينية ، ولا مجرد راو للقصص انتاريخية ، الصحيح منها والموضوع ، بل كان أيضا على علم تام بتراجم رجال اللغة والنحو وسائر أحوالهم وتقلباتهم . ويرجع الفضل لتلميذه الزبيدي في احتفاضه بطائفة صالحة منها ، لا نجدها عند غيره . فاستغلها ، وجعلها مصدره الأساسي فيما قدمه من تراجم لطبقات اللغويين والنحويين والكوفيين . فالناظر في طبقات الزبيدي ، وهو

يطالع اسم القالي في أغلب صفحاته ، تجتمع له عن صاحبنا صورة جديدة طريفة ، مغايرة لشخصيته في سائر مؤلفاته التي وصلتنا . فهو هنا مؤرخ حافظ لحيوات الرجال ، عارف بأخبار النحويين واللغويين على الخصوص . فقد حكى أخبارا عن الكسائي ، وسيبويه ، وثعلب ، والمبرد ، والرياشي ، ويونس بن حبيب ، والمازني ، والأصمعي ، وابن السكيت ، وسلمة بن عاصم ... وغيرهم من أصحاب الطبقات الأولى ، الذين كان بينه وبينهم حاجز زمني بعيد .

ومع الأسف فان الزبيدي الذي أصبح بما جمعه من ذلك عن شيخه ، مصدرا لمن جاء بعده من أصحاب الطبقات كالسيوطي والقفطي ... لم يكن ينبه على طريقة أخذه لتلك الأخبار والتراجم . فهل أخذها سماعا ، أم قراءة ، أم نقلها من كتاب للقالي ، لا نعرفه الآن ؟ وان كنت أرجح أن يكون استقي تلك المعلومات عن طريق القراءة أو السماع .

مذهبه في النحو واللغة

رأينا خلال دراستنا لشيوخ القالي ، أن الزبيدي جعله في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين ، ورتبته في هذه الطبقة مع أصحاب ابن درستويه . وكان ابن درستويه ، واحدا من أصحاب المبرد رأس المدرسة البصرية في بغداد ، ويقابله في عصره أبو العباس ثعلب ، رأس المدرسة الكوفية في النحو . ولعل السبب في ادراج القالي ضمن أصحاب ابن درستويه خاصة ـ عند الزبيدي ـ مع أنه درس أيضا على غيره من أصحاب المبرد ، مثل الزجاج ، وابن السراج ، والمبرمان ، والأخفش الصغير ، وابن أبي الأزهر ... هو أن أبا علي قد تعلم كتاب سيبويه على أبي عبد الله بن درستويه ـ كما سبق ـ «واستفسر في جميعه ، وناظر فيه ، ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره ، وعلل العلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل مذهب البصريين على مذهب الكوفيين ، ونصر مذهب سيبويه على من خالفه من البصريين أيضا فأقام الحجة له ...» (253) . وكان ابن درستويه بدوره أخذ الكتاب عن المبرد .

واذا كان الزبيدي يأبى الا أن يجعل أستاذه أبا علي بين نحاة البصريين ، فهو من الناحية اللغوية أيضا يجعله من أصحاب ابن دريد الذين يكونون الطبقة السابعة من لغويي أهل البصرة ، لأنه أكثر تأثيرا فيه من أية شخصية أخرى ممن درس عليهم .

فاذا أردنا أن نتتبع صدى هذا التيار البصري في مؤلفاته ، فسوف لن نجد

---

(253) طبقات الزبيدي (121) .

أفضل من (المقصور والممدود) كتابا يعيننا ويمدنا ببعض الأمثلة التي نورد منها الأشياء التالية :

(1) فأول ما يلفت نظر الدارس لهذا الكتاب ، هو أن القالي ، قد تبنى كل ما ذكره سيبويه والنحويون البصريون ، في تحديد قواعد المقصور والممدود ، دون زيادة ولا نقص ، الا ما كان من اختصار في موضع أو تعويض لمثال بآخر في موضع ثان . فمقارنة ما ذكره القالي في باب (ما يعرف من المقصور بالقياس) بما ذكره سيبويه في باب (المقصور والممدود) (254) . ومقارنة ما جاء عنده في (باب ما يعرف من الممدود بالقياس) بما جاء به سيبويه في بابه السابق (255) ثم مقارنة ما أتى به القالي في باب (تثنية المقصور) بما جاء به سيبويه في باب (تثنية ما كان من المنقوص على ثلاثة أحرف) (256) . وما هو عند القالي في (باب تثنية الممدود) بما عند سيبويه في (باب تثنية الممدود) أيضا (257) ، قلت : ان مقارنة هذه الأبواب بعضها ببعض ، تقنع القارىء بأن القالي ، لم يزد على أن نقل نحو سيبويه الذي هو رأس المدرسة البصرية الى كتابه ، مع الاحتفاظ بالصيغ اللفظية ، والأمثلة المضروبة ، والاصطلاحات الخاصة به ، ومع تغيير طفيف . بل لم يكن القالي يحتاج الى التصريح باسم سيبويه الا نادرا ، اذ أن ما أتى به من قواعد مهد بها لذكر مواد الكتاب ، هو نفسه الذي نجده عند باقي نحاة البصرة أيضا ، لأنهم يعولون في دراساتهم عليه .

(2) ولم يقف أبو علي القالي عند حد التأثر بسيبويه وأصحابه ، بل نراه يدافع عنه غير مرة فيقول مثلا في مادة (رحى) (ص 63 ، النسخة المغربية) «والرحى ، التي يطحن بها معروفة . تكتب بالياء ، لأنه يقال في تثنيتها : رحيان . قال أبو بكر ابن الأنباري : ويجوز أن يكتب بالألف قال أبو علي : وأحسبَه قال ذلك ، لأن الكوفيين يجيزون تثنيتها بالواو أيضا . فيقولون : رحوان ، ورحوث ، ورحيت . وقال سيبويه : رحى ، من بنات الياء . قال : وذلك لأن العرب لا تقول الا رحى ، ورحيان . **والقول عندنا ما قال سيبويه .** لاننا لم نجد أحدا من فصحاء العرب قال : رحوان . ألا ترى أن مهلهلا قال : وهو أحد الفصحاء :

كأنا غدوةً وبني أبينا
بجنب عُنَيْزَةٍ رَحَيا مُدير» ؟

---

(254) الكتاب (161/2) .
(255) الكتاب (162/2 ـ 163) .
(256) الكتاب (92/2).
(257) الكتاب (94/2) .

وقد كان شيخه ابن الأنباري كوفيا كما رأينا في ترجمته ، وكان القالي كثيرا ما يقف للرد عليه في هذا الكتاب . قال في مادة (حما ، ص 220 النسخة المغربية) : «والحما : يمد ويقصر عند بعض العرب ، كذا قال أبو بكر بن الأنباري . **ومد الحما عندي شاذ لا يلتفت اليه . وكذلك هو عندنا»** .

(3) والقالي ـ كما هو واضح من المثالين السابقيـن ـ لا يقول بغير الفصيح الذي تواتر ، ويهمل الأخذ بالشاذ والنادر ، وما روى عن طريق الأحاد كما يفعل البصريون ، اذ لا يجوز في رأيهم القياس عليه . بينما كان أهل الكوفة يستنكفون من استنباط القاعدة من البيت الشارد ، أو المثال المنفرد . ونحن في هذا الكتاب نجده يرفض كل ما هو شاذ ونادر ، ويحتج بذلك على من أتى به شاهدا . ويقول صراحة في مادة (سيمى ص 150 النسخة المغربية) : «والواحد اذا أتى بشاذ نادر لم يكن قوله حجة ، مع مخالفة الجميع» . وعبارة (شاذ ونادر) ، كثيرة الدوران في هذا الكتاب ، لا حاجة لاحصائها .

(4) وكان أبو علي كذلك ، يكثر من عبارة (أصحابنا) وعبارة (عندنا) في هذا الكتاب ، كما في غيره ، للكناية عن البصريين . فمن أمثلة ذلك ما ورد في مادة (الشيشاء) (نسخة دار الكتب من المقصور والممدود) ، حيث قال :

«قال الراجز :

قواطنا مكةَ من وُرْقِ الحَمِي

أراد الحمام ، فحذف . قال أبو علي : احتج بعض أصحابنا في الحَمِي بثلاثة أوجه . فأحدها : أنه حذف الألف من الحمام فصار الحمم ، فأبدل من الميم الأخيرة ياء . كما قالوا : تقضي البازي ، وانما هو : تقضض . والوجه الثاني انه حذف الميم ، فصار : الحما . فكسر الميم فصارت الألف ياء لانكسار ما قبلها . والوجه الثالث أنه حذف الألف والميم معا ، فصار الحم . فكسر الميم للقافية ، فخرج منه ياء الالحاق» .

فالملحوظ أن هذه الأوجه الثلاثة التي ذكرها في الاحتجاج للحمي ، تمثل رأيا مشهورا من آراء البصريين ، كما في شرح الشنتمري على الكتاب (258) .

ولكن كل هذا الذي سبق ورأيناه من ميل القالي الى منهج البصريين ، ودفاعه عن مذهب (أصحابه) ... يجب ألا يحجب عنا وجه الحقيقة الثاني ، وهو أن أبا علي كما قرأ وتأثر بشيوخه البصريين في النحو واللغة ، كان تلميذا أيضا لغيرهم من

---

(258) انظر شرح الشنتمرى بهامش الكتاب (1/ص 8) (باب ما يحتمل الشعر) .

الكوفيين . فقد روى عن أصحاب ثعلب وفي مقدمتهم أبو بكر بن الأنباري ، وأبو عبد الله نفطويه . كما روى عن أبي عمر المطرز اللغوي الكوفي الذي حدثه بكتب ثعلب ، وما ألفه في شرح فصيحه ورد به على البصريين . وروى عن ابن شقير الذي كان يخلط بين المذهبين (259) ، ولذلك نراه في كتبه لا يقتصر على الاستشهاد بأقوال البصريين وحدهم ، بل أخذ أيضا عن الكسائي ، والفراء ، وابن الأنباري ، وثعلب ، وأمثالهم . ويستعير أحيانا بعض مصطلحاتهم الخاصة ، مثل (الاجراء وعدم الاجراء) الذي يقابل (الصرف والمنع من الصرف) عند البصريين . فهو يقول في مادة سبأ : «وسبأ ، يجرى ولا يجرى . فمن أجراه جعله اسما لرجل بعينه ، ومن لم يجره جعله اسما لقبيلة . قال الشاعر في الاجراء ...» (260) فيعبر عن المصروف والممنوع من الصرف ، باصطلاح كوفي هو الاجراء ، وعدمه (261) .

وهذا الذي ذكرناه يعني أن القالي قد اتخذ منهجا تلفيقيا يلجأ اليه أحيانا ، ليختار من المذهبين ما شاء ، ويوفق به بين أقوال المدرستين ، ويجمع بين حسنياتهما عند الضرورة . وقد قال في مقدمة كتاب المقصور التي أوضح فيها منهجه وخطواته «فاذا ذكرنا حرفا [مما طابق] القياس على مذاهب البصريين ، ثم كررناه على مذاهب الكوفيين ، على ما ذكره شيخنا أبو بكر بن الأنباري ، رحمه الله ، وكان أعلم من رأيناه منهم [فانما ليفرق بين] المذهبين ، ويعلم سبيل الفريقين . وكيف [بنا] ولكل واحد حجته ؟» (262) ، فالقالي ، وان لم يكن من الكوفيين ، الا أنه ليس من متعصبي البصريين . وقد وجد في فترة تاريخية ، تقاربت فيها آراء المدرستين وأخذ أصحابهما بعضهم عن بعض ، وتعايش المذهبان في مدينة واحدة ، واختلف الطلاب الى مجالسهما معا ، فتولد عن ذلك مذهب ثالث – في رأي كثير من العلماء – سمي بالمذهب البغدادي . فالقالي اذن ثمرة من ثمرات ذلك التلاقح والتمازج . وعلى هذا الأساس يجب أن نأخذ رأي الزبيدي الذي سلك شيخه القالي في طائفة البصريين من النحاة واللغويين مأخذ التحفظ . واني لأجد في التفسير الذي أتى به الدكتور شوقي ضيف – وهو بصدد الحديث عن بعض النحاة من جيل القالي – ما يوضح شيئا من الاشكال الذي أوقعنا فيه الزبيدي . فقال : «وكان من هذا الجيل من يغلب عليه الميل الى الآراء الكوفية . ومن يغلب عليه الميل الى الآراء البصرية ، فاضطرب كتاب التراجم والطبقات ازاءه . فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته ومنهم من

---

(259) أخبار النحويين البصريين (ص 109) .

(260) المقصور والممدود (ص 209 النسخة المغربية .

(261) المدارس النحوية (167) .

(262) المقصور (النسخة المغربية) (ص 10) . والكلمات الموجودة بين قوسين غير واضحة في الأصل .

أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست» (263) . فيكون الرأي الذي ينبغي الاستقرار عليه هو أن القالي من العلماء الذين انتخبوا من المذهبين ، ولكن مع ميل في كثير من الأحيان الى المذهب البصري ، شأنه في ذلك شأن بعض شيوخه ومعاصريه . وهو سر استخدامه للفظ (أصحابنا) في مواضع . وقد كان ابن حني كثيرا ما يفعل ذلك وهو من الذين حكوا جميع الآراء ومزجوا بين المذاهب (264) .

أدبه وشعره

ان القالي وان يكن بين العلماء الحفاظ في أسنى مقام ، فهو في طبقة متأخرة من الأدباء والمبدعين . فلم يشارك بشيء ــ حسب علمنا ــ في الحياة الأدبية والحركة الشعرية الزاهرة بالمشرق على عهده . ولم يشارك في المرحلة الأندلسية بغير قصيدته الطويلة التي قالها في مدح الناصر ، وأبيات ثلاثة أخرى تعتبر من الاخوانيات . فاذا سمعنا أنه أملى جميع مؤلفاته حفظا وارتجلها بين تلاميذه عن ظهر قلب من غير اعتماد ولا نظر ، فانه لم يستطع أن يرتجل خطبة ندب اليها في محفل الناصر الأموي الذي هيء لاستقبال وفود الروم . ولقد أرتج عليه في ذلك الموقف المهيب ، حتى تصدى منذر بن سعيد القاضي لتفادي الموقف واتمام الخطبة من حيث انتهى هو . ولعل عذره في هذا الأمر واضح ، فهو ليس من فرسان الكلام ، وذوي البدائه الحاضرة ، ولا من المتخرجين من احدى مدارس البيان ، ولا سمعنا أنه برى الأقلام في ديوان وزير أو سلطان ، فيتمرس على حرفة ''الكتابة الفنية'' ولا ارتقى قبل ذلك أو بعده منبر خطابة أو وقف في مربد شعر . بل كان مجاله التعليمي ــ كما رأينا ــ محصورا في دائرة أولئك الشيوخ ذوي الجلالة في العلم .

أ ــ فأما الأبيات الثلاثة ، فقد أجاب بها القاضي منذر بن سعيد البلوطي (265) ، حين استعار منه نسخته من كتاب (الغريب المصنف) وتقول الرواية التي يحكيها منذر بن سعيد على لسانه :

«كتبت الى أبي علي البغدادي ، أستعير منه كتابا من الغريب ، وقلت :

بحق ريم مهفهف	وصدغه المتعطف
ابعث الى بجزء	من ''الغريب المصنف''

(263) المدارس النحوية (ص 245) .

(264) نفس المصدر (ص 245ـ246) .
الرياض (2/272) وما بعدها ــ والوعاة (298) .

(265) ترجمته في كتاب القضاة : للخشني (ص 206) ــ والمرقبة العليا (66ـ145) ــ وطبقات الزبيدي (295) ــ وجذوة المقتبس (326) ــ ومعجم الأدباء (19/174) ــ وأنباه الرواة (3/325) ــ وأزهار

فقضى حاجتي وأجاب بقوله :

وحق در تألـــف (266)	بفيـــك أي تألـــف
لأبعثـــن بمـــا قـــد	حوى (الغريب المصنـــف)
ولو بعثـــت بنفســـي	اليك ما كنت أسرف» (267)

وهي من الأبيات التي يتعاطاها العلماء ، فلا تنبيء عن شيء من شاعريته .

ب ـ وأما القصيدة التي مدح بها الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر ، حين وصوله للأندلس سنة 330 هـ ، فقد رواها ابن خير الاشبيلي عن أبي عبد الله محمد بن سليمان النفزي ، عن أبي محمد غانم بن وليد ، عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء ، عن أبي بكر الزبيدي عن أبي علي ، وقال : «قصيدة نقلتها من خط ابراهيم بن حمام ابن أحمد . قال : وجدت بخط ثابت بن قاسم : أنشدنا أبو علي اسماعيل بن القاسم ابن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان ، مولى أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان ، رضي الله عنه لنفسه ، وخاطب بها أمير المؤمنيـن أطال الله بقـاءه ، وقت حلوله بقرطبة ، وذلك في شعبان لثلاث بقين منه سنة 330» (268) . وهي توجد الآن ملحقة بآخر كتـاب المقصور والممدود للقالي (نسـخة دار الكتب المصرية ، رقم 184 لغة) تامة في 85 بيتا (269) ، يقول في مطلعها :

قالت وقـد قربـوا للبيـن أينقهـــم
وأســبلت عبـرة ممزوجـة بـــدم
أمشرق الشمس تبغي ـ عشت في دعـة ـ
أم مشرق الجود والافضـال والنعـم ؟
قلت : المنى ، والذي أنويه يـا سـكني
ـ ان استطعت وصـولا ـ مطلع الكـرم
اني أخـاف الردى من ثائـر حنـق
على السـبيل ، وبحر مزبد حطـم (270)

---

(266) كذا في النفح . وفي معجم الأدباء : (مؤلف) .

(267) الأبيـات في النفح (227/2) ـ ومعجم الأدباء (184/19) . وقد ذكر ياقوت أيضـا البيت الأول والثالث منها في ترجمة القالي (32/7) .

(268) فهرسة ابن خير (422) .

(269) وقد طبعها أخيرا على أوراق الاستنساخ الأسـتاذ أحمد هريدي مع المقدمة التي كتبها لتحقيق المقصور والممدود .

(270) الحطم (بضم ففتح) : والحطمة كهمزة : الشديدة من النيران ـ واسم لجهنم أو باب لها ـ والراعي الظلوم للماشية .

قالت : فلن يبلـغ العليـــاء ذو خطــــر
حتى يخوض المنـــايا حنـدس الظلـــم
أو يكشف الليث [نابا] عن فريســـــته
أو أن يكون أكيل الضيغم الـــرزم (271)
فيمم الغــرب ، واعبر بحــر أندلـــــس
تر الامام الرفيـــع المجــد والهمــــم
شمســـا تجســم من جود ومن كــــرم
فصار مغربنـــا شرقـــا بلا رغـــم (272)

وهي أبيات أفصحت عن حزنه للفراق ، واشفاقه من مجاهل المستقبل الذي هو مقبل على الالقاء بنفسه وأهله في متاهات صحرائه وأهوال بحــاره ، اذ هو بصدد الازماع على رحلة تيمم به مطالع الكرم وتوصله الى مشرق الجود والافضال . فتنازعه خاطران ، خاطر يمنيه بأحلام المجد والشهرة ، والجاه والمال ، وخاطر يحذره من وحشة الطريق ، وسوء المصادفة ، وما يلاقيه راكب العلياء من حتوف المنايا .

وينتقل من هذه المقدمة الى مدح الناصر ، فينعته بالجود والكرم ، والشجاعة ، والمهــابة ، والمجد ، والاخلاق الرفيعة . ويمدحه بالســماحة ، والرزانة ، ومضاء العزيمة ... ويخلص منها لوصف الرحلة الطويلة ، واقفا عند كل مرحلة من مراحلها حتى استغرق ذلك منه أكثر من ثلاثين بيتا انتهى منها الى قرطبة ، حيث الممدوح الذي جاز اليه البحر وقطع المسافات :

اذا قطعت عبــاب البحر معترضـــا
الى الامام الوفي العهد والذمــــم
نلت الغنى والمنى والنيل من ملـــك
فيوض راحتـــه أمن من العــــدم
فثم تعلم أن الشـــمس مطلعهـــــا
قصر بقرطبــة الزهــرا بلا وهـــم
من ثم يطلع نور الصبح كل غـــد
وثم تفرقـــة الأموال والقســـــم
ثم الامام أمير المؤمنيـــن بنـــى
بيتا من المجد فوق الشمس من كرم

(271) الرزم : كصُرَد (بضم ففتح) : الثابت القائم على الأرض ، والأسد . (القاموس) .
(272) أي بلا كره ، والرغم بتسكين الغين : الكره . وحرك هنا للضرورة .

فيعود مرة ثانية الى مدح الخليفة ، ليكرر نفس المعـاني ، في مبالغة مسرفة ، ملبسـا اياه أنبل الصفـات وأكرم النعـوت ، ومؤكدا على ما ينتظره لديه من نعم وأموال . ولا عجب أن تكون الرغبة في المال ، فكرة تلح عليه بشكل غريب في هذه القصيدة ، فكررها وأعادها ، ذلك أن الفقر وقلة المال من الدوافع التي حملته على الهجرة ، وتجشم الغربة والرحيل .

وهي أخيرا قصيدة جرى فيها القالي مجرى القدماء ، ونحا منحاهم في الصياغة والفكرة ، فقد استعار الأسلوب القوي ، والألفاظ الجزلة ، ووصف الرحاة والراحلة واسـتوقف الصحب والرفاق عند كل مرحلة ، وطرق بمدحه كل عنـاصره المألوفة لدى الشعراء الرسميين ، وان لم يهتم مثلهم بترتيب قصيدته على النسق المعروف ، بل خلط فيها بين المقـدمة الغزلية والرحلة والمدح دون ترتيب ، وكرر وأطنب في معاني مدحه ، حتى جاءت القصيدة في أبيات كثيرة .

وعلى كل ، فهي قصيدة تضاف الى التراث الأندلسي ، بعد أن ظلت قرونا طويلة في عداد المفقود من آثار القالي .

الباب الثاني

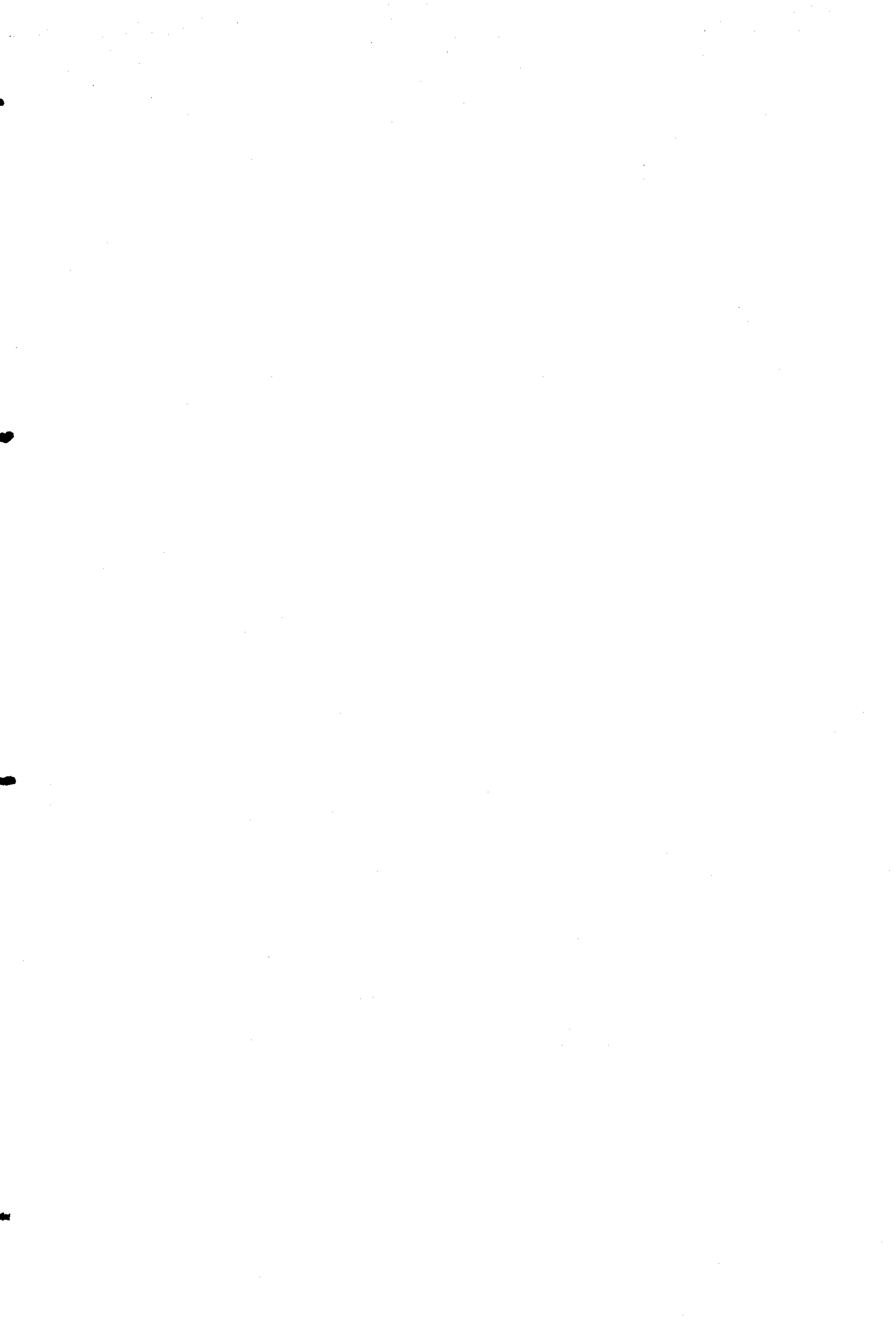
المرحلة الأندلسية

الفصل الأول : عصر القالي في الأندلس

الفصل الثاني : نحو المجد والشهرة

1 ــ الرحلة (328ــ330 هـ)

2 ــ في الأندلس (330ــ356 هـ)



الفصـل الأول

عصر القالي في الأندلس

الملامـح السـياسية

كانت الدولة العباسية في الشرق ، تمر بأضعف فترات حياتهـا ، وتشـهد قيام التمزق والانقسام ، وانقضاض الترك والديلم على الحكم . وفي نفس الوقت كانت هنالك في أقصى الغرب الاسلامي ، إمارة عربية تشيد أمجادها على سواحل البحر ، لا تريد لنفسـها الانهيار ، وتشفق على عاصمتهـا الجميلة من مصير يعفر جبينها بالدم والخراب .

وفي الوقت الذي بدأت فيه بغداد تفقد مكانتها السياسية والحضارية ، كانت قرطبة تستعد للنهوض بدور قيادي ، رغم الثورات الداخلية والأطماع النصرانية . ولقد كان اختيـار الأمير عبد الله بن محمد الأموي موفقـا ، حين عهد بأمر الحكم لحفيده عبد الرحمان ، وتقديمه على أبنـائه واخوانه . فلقد قرأ في ملامحه الرجل الذي يحقق أحلام قرطبـة ، ويؤهلها لتصبح عروس العالم الاسـلامي . وكان هذا الأمير الشاب من الطموح ، بحيث يرى فيه الدارسون اليوم ، صانع تاريخ الأندلس ، ومؤسس نهضتها خلال ذلك العصر .

وقد شهد القرن الرابع بالأندلس ، أحداثا ذات قيمة تاريخية ، تساعدنا على تصور شكل البيئة التي استقبلت القالي وجنت منه ثمرات علمه ، ولذلك سنحـاول اختصارها في النقط التالية :

1 ـ تثبيت النظـام

عانت امارة قرطبة الأموية في نهاية القرن الثالث ، من مشاكل سياسية عديدة ، كادت تقتلع عرشـها وتحول مجرى تاريـخ الأندلس . وكان أهمهـا تلك الثورات الداخلية التي بلغت أوج فورانها في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275ـ300 هـ) فقد اندلع الشرار في كل ناحية ، ولم تبق مدينة أندلسية آمنة من الأطماع والعواصف (1) . وكانت ثورة عمر بن حفصون في البيرة ، وريه ، وحصن (يشتر) ، وثورة ابن حجاج في قرمونة ، واشبيلية ، أعنف هذه الثورات . ورغم أن الأمير عبد الله قضى خمسة وعشرين عاما في محاولة جادة لانقاذ عرشه والصمود في وجه هذه الانتفاضات ، فانه مات أخيرا ، ولم يستطع القضاء عليها قضاء نهائيا . وما كان على حفيده عبد الرحمان الثالث (300ـ350 هـ) الا أن يتقبل هذا الارث الذي يشبه جبة نهشتها الذئاب من كل ناحية ، ويعزم في مضاء على اصلاحه .

وقد حاول ابن الخطيب أن يضع تفسيرا تاريخيا لقيام الثورات بالأندلس في هذا العهد ، لخصه في ثلاثة أسباب :

(1) منعة البلاد وحصانة المعاقل .
(2) علو الهمم وشموخ الأنوف ، وقلة الاحتمال لثقل الطاعة .
(3) الاستناد عند الاضطرار الى ملوك النصارى الحريصين على ضرب المسلمين بعضهم ببعض (2) .

الا أن الناصر رغم استمرار هذه الأسباب التاريخية والطبيعية ، استطاع أن يخمد كل هذه الثورات ويقمع أنفاسها ، ولا سيما بعد أن قضى على رأس هذه الحراب سنة 316 هـ ، بانتهاء ثورة ابن حفصون وأبنائه . وبذلك بدأت تستسلم له الأندلس الجامحة في وجهه ، فلم تمض مدة طويلة على حكمه ، حتى استرد كل الحصون والمدن والمناطق الخارجة عن طاعته . غير أن هذه الشوكة الداخلية ، لم تكن هي وحدها التي توجعه ، إذ كان النصارى في الشمال ، يؤلفون قوة عظمى لا تلبث أن تلقي عليه بثقلها كلما وجدت الفرصة سانحة ، والحال مواتية . وكثيرا ما كانت مملكتا اسبانيا (ليون) و (نافار) تتحدان على قتال المسلمين . ومما كان يزيد من قوة النصرانية استفحالا وطغيانا وطمعا ، لجوء بعض الثوار المسلمين الى الاستنجاد بها والتحالف معها ، مما كان يضاعف من متاعب الناصر وأمراء قرطبة ،

---

(1) ذكر ابن الخطيب في أعمال الاعلام : 18 ثورة : مما قام في عهد الأمير عبد الله (القسم الثاني) (ص 30) .

(2) أعمال الاعلام ق 2 (ص 40ـ41) .

ويضطرهم الى توزيع جيوشـــهم عبر جبهات القتال المفتوحة في كل ناحية . ولكن صموده البطولي هيأ له مع ذلك انتصارا أخيرا على النصرانية ، فاستتب له الأمن ، وألجأ الاسبان الى الاحتماء بحصونهم .

على أن سياسة الناصر في توجيه الحملات لمحاربة النصارى في الشمال ، قد ظلت الخطة المتبعة لدى خليفتـه الحكم المســتنصر ، ثم الحاجب ابن أبي عامر ، وابنه عبد الملك المظفر . وكان أهم شيء عظم المنصور العامري في أعين الشعب اذ ذاك ، هو بلاؤه في الحروب مع النصارى التي اتخذ من غبارها لبنة في قبره . ولكن العيب الذي نلحظه على حكام الأندلس الأقوياء ، هو أنهم لم يســتطيعوا رغم جهودهم المتواصلة ، وتوغلاتهم في بلاد النصارى ، تسديد ضربة قاضية على هذا الخطر الذي بات آمنــا في معاقله ، متربصــا بالمســلمين الدوائر ، الى أن طردهم نهائيا ، وألقى بجملتهم وراء البحار حين تركوا أمامه سبيل الرجعة مفتوحا .

ولم يكن القضاء على الثورات ، وقمع أطماع النصارى هو المسلك الوحيد الذي اتخذه الناصر لارســاء الحكم ، وتثبيت قواعد النظام ، فقد نظر بعيدا الى الشرق الاسلامي وهو يتداعى تحت عرش خلفائه الذين فقدوا كل مهابة وحرمة ، وأصبحوا رمزا دينيا لا يخيف ، وألعوبة في يد الأتراك والفرس . ونظر الى الدولة العبيــدية الناشئة بافريقية ، وهي لم تصل بعد الى ذروة النجاح ، ونأمل حواليه وقد انبسطت له أمور الدولة ، وأصمتت الدعوات ، فقرر في يوم جمعة من سنة 316 هـ ، أن يعلن نفسه خليفة شرعيا ويلقب بأمير المؤمنين ، وكتب يقول في رسالة الى القاضي أحمد ابن بقي بن مخلد صاحب الصلاة بقرطبة : «.. وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه . وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق أضعناه ، واسم ثابت اسقطناه ..» (3) .

وليست هذه الكلمات الواردة في الرسالة الا تعبيرا واضحا عن شعور الناصر بالقوة ، في فترة تاريخية كانت كل امارات ودول المســلمين متخــاذلة ضعيفة . فلذلك تجرأ على أمر لم يستطع سلفه أن يعلنوه ، والحال أن الخلافة العبــاسية اذ ذاك غالبة قوية .

ولقد كان من نتائج استقرار الدولة الأموية ، واكتمال عظمتها السياســية ، أن لفتت اليها أنظار الدول النصرانية ، فسعت بسفاراتها الى الناصر خلال الثلاثينيات من القرن الرابع . وكانت أهم هذه الدول التي اعترفت بمكــانة الأمويين هي الدولة

---

(3) البيان المغرب (198/2) .

البيزنطية البي بعثت وفودها ، لعقد تحالف بينهـا وبين قرطبة ضد العباسـيين من جهة ، وضد الفاطميين من جهة أخرى (4) .

2 ـ التوسع الخارجي

ما أن استتب الأمر كله للأمويين ، حتى بدأوا يتوجسون خيفة من الخطر الجاثم حولهم فوق شواطىء افريقية الشمالية . وكان هذا الخطر متمثلا في الدولة العبيدية القائمة بتونس ، وحليفتها الدولة الادريسية في شمال المغرب . ولذلك فكر الناصر في وضع خطة سياسية ، عمل خلفاؤه أيضا على تطبيقها . فقد كان عليه أن يحاصر الدعوة الشيعية في عقر دارها ، ويتصدى لمهاجمتها قبل أن يتسع الفتق على الراتق . ولا سيما أن مطامح الفاطميين لا حد لها اذ ذاك . وكان على الناصر أيضا ، وهو الذي أعلن نفسه خليفة شرعيا ، أن يحطم كل قوة تنازعه هذا الحق الديني . فكان فتح مدينة سبتة سنة 319 هـ ، بداية مرحلة التنفيذ لهذه الخطة «فشـكها بالرجال ، وأتقنها بالبنيان ، وبنى سورها بالكذان ، وألزم فيها من رضيه من قواده وأجناده ، وصارت مفتاحا للغرب والعدوة من الأندلس ، وبابا اليها ... وقامت الخطبة فيهـا باسم أمير المؤمنين» (5) . ومنذ ذلك التاريخ أصبحت سبتة قاعدة للجيش الأموي ، للانطلاق نحو المدن المغربية . كما أصبحت تلمسان التي وطئها حميد بن بصل من قبل الناصر سنة 345 هـ (6) ، قاعدة أخرى للتوغل في أرض تونس والمغرب الأوسط لمحاصرة الشيعة من كل الجهات الداخلية ، بعد أن حاصروها من السواحل . وقد استطاعت هذه الجيوش الزاحفة فيما بعد أن تفتح كثيرا من المدن مثل ، أصيلا ، وطنجة وفاس . وتكسر المنابر التي كانت تقام للخطبة باسم ملوك الشيعة . ويحدثنا ابن عذارى أنه في سنة 345 هـ أيضا ، «أمر الناصر باطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس ، وانفاذ كتبه بذلك الى العمال بسائر الأقطار» (7) ولم تكن هذه هي سـياسة الناصر وحده ـ كما أسـلفنا ـ اذ لم يجد الحكم المستنصر بدا من متـابعة خطة والده ، فأنفق الأموال الطائلة على هذه الحملات ، حتى اعتراه الندم آخر حيـاته ، على ما بذر من ذخائر وأموال في حروب افريقيـة ، ولكن المنصور العامري لم يشـعر بشيء من ذلك ، وهو يواصل حملات الاسـتيلاء على المغرب ويوقف المد الشيعي ، ويصوب ضربته القاضية الى الأدارسة ، ولا سـيما بعد أن عاد الحسن بن قنون للظهور ، فأرسل اليه من أتاه برأسه سنة 375 هـ . وبذلك ركدت

---

(4) دولة الاسلام في الأندلس (ص 414) ق 2 .
(5) البيان المغرب (204/2) .
(6) نفس المصدر (221/2) .
(7) البيان المغرب (220/2) .

ريح من بقي من الأدارسة في المغرب ، وأصبحت فاس أيضا مركز الولاة الحاكمين باسم المنصور ، الى أن ثار ضده واليه عليها زيري بن عطية المغراوي . على أن طموح العامري لم يكن يقف عند حد ، وهو الذي ينسب اليه شعر يتمنى فيه أن تطأ خيول دولته مصر والشام :

عن قريب ترى خيـول هشـــام (8)
يبلغ النيـل خطوها والشـــآما (9)

3 ـ انهيار الخلافة الأموية وقيام الفتنة

اذا كان من المعروف تاريخيا أن من أسباب سقوط الدولة الأموية بالمشرق ، هو تعصب بني أمية للجنس العربي ، واحتقـارهم للموالي ـ بالاضـافة للأسباب الأخرى ـ فاننا نلاحظ عكس ذلك تقريبا ، يحدث للدولة الأموية بالأندلس فقد أكثر حكامها من الصقالبة ، وهم أجناس من البربر ، والعبيد ، والنصارى ، والغلمان . وجعلوا منهم القواد ، والحجاب ، والوزراء ، ورجال الدولة . كفاتن ، وجؤذر في عهد الحكم ، وواضح الفتى ، في عهد هشام المؤيد . والحق أن المنصور العامري ، كان هو المسؤول الأول عن تغليب هذه العناصر ، وتقوية شوكتها في محاولة منه لتحطيم الأرستقراطية العربية . فلذلك نراه يستقدم من المغرب العناصر البربرية ، ليقوي بها جيشه وسلاحه ، ويحيط نفسه بالفتيان الصقالبة ، مما جر سخط العرب عليه . واذا كان من الأســباب التي هيأت لنشوب الفتنة البربرية وانهيــار الخلافة الأموية ، وقيام ملوك الطوائف فيما بعد ، هو وجود هذه العناصر التي لم تنصهر في المجتمع الأندلسي انصهارا تاما ، فان هناك أســبابا أخرى نذكر بعضها فقط طلبا للايجاز .

(1) الاستبداد الذي عرف به الحكم العامري ، والضغط الشديد الذي عانى منه سكان الأندلس ، لما اتسم به سلطان بني عامر من الطغيان والجبروت وكظم الأنفاس واجتزاز الرؤوس .

(2) تكسير الأرستقراطية العربية وتحطيم شموخها ، هذه الأرستقراطية التي كانت تتقلص تحت تفاقم أمر الصقالبة والبربر الذين أصبح بيدهم أمر الدولة وجيشها وقوتها .

(3) الأسباب التي ذكرها ابن الخطيب سابقا حول عوامل الثورة بالأندلس ، والتي هي صالحة لهذه الفترة أيضا ، اذ كان وجود النصارى المتربصين ، ووجود

---

(8) يقصد هشام المؤيد بن الحكم . وقد كان الخليفة في عهد حجابته .
(9) دولة الاسلام ق 2 (ص 523) .

طبيعة مستعصية ، وطموح وأنفة في السكان ، من الأسباب التي هيأت لتمزيق وحدة الدولة ، وانتشار الامارات الداخلية ، أو ما يسـمى بملوك الطوائف الذين حطموا حلم الأمويين في توطيد الأمن وارهاب العدو . بل كانوا كثيرا ما يلجأون للاستعانة بالنصارى لحماية حدودهم الداخلية .

وهكذا فان شرارة الثورة التي ابتدأت بتولي عبد الرحمان شنجول الحكم سنة 399 هـ . قد عملت على تفجير الكبت ، وتحطيـم الطوق المضروب على الناس مدة حكم العامرية . فنراهم قد انساقوا لأول وهلة ، وراء محمد بن هشام (المهدي) كما انساق البربر وراء سليمان المستعين . ولم يفكر أحد من الفريقين المسلمين ، في العواقب الوخيمة التي أتت بهـا تلك الثورة البشـعة ، التي حطمت قرطبة ودكت قصورها وعمارتها ، وسلت سيوف العداوة الأهلية ، لتحل محل الوئام والتآخي . ومنذ ذلك التاريخ ، لم تستقر الأحوال السياسية في الأندلس الا حين عبرت البحر طلائع الجيش المرابطي .

الملامـح الحضـارية

كان سكان الأندلس ـ كما هو معلوم ـ يتكونون من العنصر العربي الذي توالت هجراته منذ أيام الفتح ، ولا سيما بعد أن توطد الحكم الأموي وأصبح الأمراء في حاجة الى تقوية عصبيتهم ، وتثبيت دعائم دولتهم باسـتجلاب عدد آخر من العرب الذين كان أغلبهم من الشام . حتى أصبحت الأندلس في نظر البعض اقليما شاميا ، ووطنا مستأنفا لهم ، وحضرة جديدة . ولهذا أيضا نرى أن بعض المدن الأندلسية ، كانت تسمى بأسماء شامية وشرقية . وبالاضافة الى هذا العنصر الحاكم ، كان هناك **البربر** الذين بسـيوفهم ودمائهم فتحت البلاد ، واسـتقر بها الاسلام ، وكان أغلب سكناهم في الجبال والحصون . ثم **العنصر الأصلي** من القوط الذين كان يطلق على من أسـلم منهم اسم (المسالمة) أو (المعاهدين) بالاضـافة الى عنـاصر ثانوية ، كاليهود ، والموالي ، والسود الأفارقة .

ورغم أن هذه الأجناس في الحقيقة لم تنصهر فيما بينها بسهولة بدليل الثورات التي كانت تقوم في كل وقت ، الا أنها قد تفاعلت مع البيئة الجديدة المختلفة في كثير من خصائصها عن الشرق ، وسارت خلف حكامها في نسق واحد لصنع حضـارة اسلامية متكاملة ، أثرت في أوربا المجاورة لقرون طويلة . وذلك بعد أن تم تعريب الأندلس لسانا وفكرا ، وتعميق الروح الاسلامية التي هي أساس التوحيد بين تلك العناصر المتساكنة .

فلما كان القرن الرابع الهجري ، الذي أعلن فيه الناصر استقلال بلاده عن التبعية السياسية للشرق ، وبدأ في وضع مخططه الواسع لاقرار الأمن وتوطيد النظام داخليا وخارجيا . كان في ذهنه أيضا مخطط آخر - وهو أهم شيء - يهدف الى استقلال الأندلس حضاريا وثقافيا . واذا كان ذلك من الأهداف البعيدة ، والغايات الصعبة التي لا يتم تحقيقها في أمة من الأمم الخاضعة لتأثير معين أو تبعية ما بسهولة تامة ، فان حكام الأندلس خلال هذا القرن قد عملوا جميعا في سبيل هذا الهدف ، فلم يمض عصر الخلافة ، الا ونحن نشاهد ثمار أعمالهم تنجلى في مختلف النواحي الفنية والعمرانية والثقافية . أو بمعنى آخر ، فان الأندلس التي كانت في عصر الخلافة تسير في سباق مع المشرق لمضاهاته والتفوق عليه ، أو لأخذ زمام المبادرة الحضارية من يده ، استطاعت بعد ذلك في العصور التالية أن تجني نتائج هذا السباق ، بأن كونت لها شخصية تتميز بها عن المشرق ، وان لم تنفصل عنه في يوم من الأيام . فقد أصبحت (الأندلسية) حلقة متميزة ضمن سلسلة الحضارة الاسلامية المتعددة الحلقات . ولا عيب أن تكون الأندلس في سبيل تحقيق هذه الشخصية ، والخروج من التقليد الى الأصالة والابداع ، قد اتكأت على المشرق طوال عصور متعددة ، وسارت في ركابه في الميادين الثقافية على الخصوص . ولكن المهم أنها استطاعت بعد تلقيحها بالحضارة الشرقية ، وتفاعلها مع البيئة الجديدة ، أن تخرج حضارة من نمط جديد . وليس المهم كذلك أن يكون الحكام قد جلبوا فنانين وعلماء مشارقة كما فعل الناصر والحكم والمنصور العامري ، ليتخذوهم معلمين وأساتذة ، ولكن المهم أن تلاميذ هؤلاء المعلمين كانوا من نمط جديد .

العمـــران

وانطلاقا من هذه الفكرة ، يجب أن ننظر الى الحركة الدائبة التي شهدها القرن الرابع في سبيل بناء حضاري متين متعدد الجوانب . فقد كان هدف الخلفاء هو بناء عاصمة تضاهي بغداد ، وتفوقها في مختلف المجالات . ومن هنا نفهم أيضا لماذا كان الناصر يقسم جبايته الى ثلاثة أقسام : قسم للجند ، وقسم للبناء ، وقسم مذخر للطوارىء .

وقد أطنب المؤرخون في وصف حال قرطبة العاصمة في هذا العصر ، وما بلغته من الرقي والتنظيم والجمال . فأضيئت شوارعها ، وبلطت بالصفيح ، ونظمت حراسة دورها وأزقتها ، وأجريت فيها الأنهار المحفوفة بالجنائن ، والحدائق ، والأغراس ، والنواوير ، وتمتع الناس خلال ذلك بالأمن والرخاء ، فمالوا الى الغناء والموسيقى

والتفنن في أنواع الطعام والمأكل ، وتنافسوا في اقتناء التحف والنفائس ، ونالتهم حظوظ وافرة من محاصيل المزارع وغلات الحقول .

وكان الناصر وخلفاؤه ، قدوتهم في المشاريع العمرانية . فقد أعاد عبد الرحمان الثالث ، بناء وتوسيع مسجد قرطبة الجامع ، الذي أسس في عهد سلفه عبد الرحمان صقر قريش . وشرع في سنة 325 هـ في بناء مدينة الزهراء بضاحية قرطبة ، لتكون دار الملك ، وسكنى الأمراء وحاشيتهم . فلم ينته البناء منها الا بعد أربعين سنة في خلافة ابنه الحكم . وكان ضمن مباني هذه المدينة الأرستقراطية الفاخرة ، مسجد كبير ، هو **جامع الزهراء** ، الذي سيجلس فيه القالي ، ويكون أول أستاذ للغة العربية وآدابهـا يعتلي منبره . ويتحـدث المقرى عن بنـائه فيقـول : «.. وكان يعمل في جامعها (10) حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسـمة ... فاستتم بنيانه واتقانه في مدة ثمانية وأربعين يوما . وجاء في غاية الاتقان» (11) وذلك سنة 329 هـ ، أي قبل دخول القالي بسـنة واحدة . وهذه سرعة خارقة في اتقـان البناء . وقد تحدث المقرى وغيره أيضا ، عن مدينة الزهراء ، فتفننوا في وصفها وتصويرها ، وحكوا العجائب عن بديع صنعها وزخرفتها ، وما بذل في ذلك من أموال ، وما جلب اليها من رخام وأعمـدة ، من افريقيـة وأوربا فضـلا عن الأندلس . وكان الحكم المستنصر في عهد والده هو القيم على حركة البنـاء «وعليه كان معول الناصر ، وهو الأمين عنده لا غير» (12) . وممـا بناه الأمويون أيضـا من القصور : القصر الزاهر ، ودار الروضة ، والرصافة – الذي أراد به الناصر محاكاة رصـافة جده هشام في الشرق (13) – وقصر الدمشق ، وغيرها مما يطول ذكره .

وكان من أهم مشـاريع المنصور العمرانية ، مدينة الزاهرة التي ضـاهى بها (زهراء) بني أمية ، فتفنن هو الآخر في اتقـان صنعها ، وتشييد بنيانهـا ، وجعل بجانبها منيته (العامرية) ذات القصر المنيف ، والحدائق الغناء .

النهضـــة الثقافيـــة

كانت النهضة العلمية الشاملة التي شهدها القرن الرابع الهجري ، وما أتت به من ثمرات فكرية ، حركة مواكبة للنهضة السياسية والعمرانية ، الا أنها في الواقع

---

(10) أي الزهراء .
(11) أزهار الرياض (2/265–266) .
(12) نفس المصدر (2/271) .
(13) النفح (2/17) .

لم تكن وليدة الظروف الجديدة التي هيأها عصر الخلافة فقط ، بل هي نتيجة جهود سابقة ، انضافت اليها عوامل جديدة .

فأما كونها ثمرة جهود سابقة ، فلأن الثقافة الاسلامية بدأت مراحلها الأولى في هذا البلد منذ أن وطئتها خيول طارق بن زياد ، وظلت في نمو وحركة بطيئين ، الى أن تم ازدهارها في هذا العصر . وأهم العوامل المهيئة لذلك النمو الثقافي :

1 ـ الرحلة من الشرق واليه .
2 ـ هجرة الكتب والمذاهب الى الأندلس .

فالرحلة وان كانت أهدافها متعددة كالتجارة والحج وحب الاستطلاع . فان من أهدافها أيضا بالنسبة للأندلسيين على الأقل ، هو التزود بالمعارف والعلوم ، ثم العمل على نشرها .

وقد رحل الى المشرق من الأندلسيين عدد لا يحصى من العلماء . وعن طريق هذه (البعثات) العلمية الى عواصم الشرق ، دخلت الى الأندلس كثير من المذاهب الفقهية ، كالمذهب المالكي الذي شاع وانتشر على يد جماعة قوية التأثير من العلماء ، أمثال يحيى بن يحيى الليثي (ت 234 هـ) .

قال ابن حزم في تعليل ذيوع المذهب المالكي على يد هذا الرجل : «.. فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان ، مقبول القول في القضاة ، فكان لا يلي قاض في أقطارنا الا بمشورته واختياره ، ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا والرياسة ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به ..» (14) .

وعن طريق هذه الرحلات أيضا ، انتشرت المذاهب والمدارس الأدبية واللغوية السائدة في المشرق . فقد دخل المذهب الكوفي في النحو على يد جودي بن عثمان (ت 198 هـ) الذي لقي في رحلته الفراء والكسائي وغيرهما ، وكان أول من أدخل كتاب الكسائي للأندلس (15) . ثم أدخل بعده محمد بن موسى الأقشتين (ت 307 هـ) كتاب سيبويه بعد أن نسخه من كتاب أستاذه أبي جعفر الدينوري (16) .

---

(14) الجذوة (ص 360ـ361) .
(15) طبقات الزبيدي (ص 256) .
(16) ورد اسم (الاقشتين) صحيحا في نفح الطيب (174/3) ، وهو لا شك من أصل لاتيني : (Al-Agustin) كما نبه على ذلك احسان عباس ومحمود على مكي ، الأول في تحقيقه للنفح بالموضع المشار اليه ، والثاني في بحثه حول الاسهامات المشرقية بالأندلس (ص 249 بالاسبانية) . على ان احسان عباس قد خلط بينه وبين محمد بن عاصم (المعروف بالعاصمي) . وقد مات الافشتين سنة 307 هـ وتوفي الآخر سنة 382 هـ وهو من تلاميذ القالي . ويعتري اسم الاقشتين =

وكان عباس بن ناصح الجزيري ـ وهو ممن رحل الى المشرق ـ يتبع في مذهبه الشعري (مذهب العرب الأوائل في أشعارهم) (17) ، وهو أحد المعجبين بشعر ابن هرمة وابن هانىء (أبي نواس) .

ومن الراحلين للمشرق في القرن الثالث كذلك محمد بن عبد الله بن الغازي ، لقي الرياشي وأبا حاتم وجماعة ، «.. وجلب الى الأندلس علما كثيرا من الشعر والعربية والأخبار ، وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها ..» (18) ، وتوفي سنة 295 هـ .

ورحل ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وولده قاسم ، فأدخلا (كتاب العين) للخليل بن احمد (19) . ثم رحل منذر بن سعيد البلوطي معاصر القالي وصديقه ، فأتى بنسخة أخرى من كتاب الخليل رواها عن ابن ولاد المصري (20) . كما أدخل فرج بن سلام من أهل قرطبة ، كتب الجاحظ ومنها (البيان والتبيين) (21) ، وقد لقي محمد بن علاقة (أو ابن أبي علاقة) (22) القرطبي (ت 325 هـ) ببغداد أبا اسحاق الزجاج ، وأبا بكر بن الأنباري ، وأبا الحسن الأخفش الصغير ، ونفطويه ، وغيرهم من شيوخ القالي . ومما سمعه على الأخفش خاصة كامل المبرد الذي صار أصله منه الى الحكم المستنصر . قال الحكم : «.. ولم يصح كتاب الكامل عندنا برواية الا من قبل ابن علاقة» (23) .

ثم كان النوع الثاني من الرحلة ، وهو رحلة المشارقة الى الأندلس ، فزاد هذه الحركة نموا وثراء . وكان أشهر الذين رحلوا في القرن الرابع الى الأندلس ، أبو

= تصحيف في كثير من المصادر : (طبقات الزبيدي (ص 281) : (الاقشتيق) ـ (الحميدي 82 وابن الفرضي (29/2) : الأفشتين ـ (الوعاة 108 : الأقشتين) ـ وحول أول من أدخل كتاب سيبويه للأندلس ، ذكر محمود على مكي في بحثه المشار اليه شخصين آخرين قال انهما أدخلاه قبل الأقشتين ، أما الأول فهو حمدون بن اسماعيل (ت بعد المئتين) ، ولكن الذين ترجموا له ذكروا انه افريقي قيرواني ، ولم يشيروا الى دخوله الأندلس . (الزبيدي ص 235 ـ السيوطي في الوعاء ص 22 ـ أنباه الرواة 332/1 . وقد خلط بينه وبين (محمد بن اسماعيل النحوي الاندلسي) الذي ذكره الزبيدي (ص 290) وقال انه كان يؤدب بمسجد متعة بقرطبة . والثاني هو أبو اليسر الرياضي (ابراهيم بن أحمد الشيباني) (ت 398 هـ) ، وهو بغدادي وافد على القيروان وبها مات . وقد أشار صاحب النفح الى دخوله الأندلس وحفظه للكتاب ، ولكنه لم يشر في ترجمته الى اقرائه بها (النفح 134/3) .

(17) طبقات الزبيدي (ص 262) .
(18) نفس المصدر (ص 267) .
(19) طبقات الزبيدي (ص 284) .
(20) نفس المصدر (ص 295) .
(21) تاريخ العلم والعلماء (393/1) .
(22) على خلاف في ذلك . أنظر التكملة (362/1) ـ والذيل والتكملة (432/6) .
(23) الذيل والتكملة (332/6) .

علي القالي ، وصاعد البغدادي الذي قدم في عهد المنصور العامري . وكان منهم أيضا أبو الحسن الأنطاكي الذي ورد على الحكم المستنصر سنة 352 هـ . ودخل في القرن الخامس الهجري أبو الفتوح الجرجاني ليدرس اللغة والأدب سنة 406 هـ ، فأملى بالأندلس كتابا في شرح (الجمل) للزجاجي . وقد عاش في بلاط أبي الجيش مجاهد العامري (24) .

ولا حاجة الى تعداد أمثلة أخرى من المشارقة الوافدين ، اذ لا يكاد يخلو واحد من كتب التراجم الأندلسية ، من ذكر باب أو جملة أبواب تخصص (للغرباء) والطارئين على الجزيرة من أصقاع المشرق والمغرب . وهذا ابن بسام في كتاب الذخيرة ، يخصص القسم الرابع من المجلد الأول لذكر الكتاب والوزراء ، والأعيان الأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس ، والطارئين عليها من أول المئة الخامسة من الهجرة الى سنة 502 هـ ، فيستهله بذكر صاعد البغدادي ، وأبي الفضل عبد الواحد البغدادي الدارمي ، وسليمان بن محمد الصقلي .. وغيرهم .

وعن طريق هذا التبادل الثقافي ، نشأت بالأندلس مكتبات خاصة ، تضم كل ما أنتجه المشرق في مختلف الفنون والآداب . وكان أشهر هذه المكتبات ، مكتبة عبد الرحمان الثاني التي آلت الى الحكم المستنصر . وقد كثرت المؤلفات الشرقية بالأندلس ، حتى أصبحت تغني في كثير من الأحوال عن الهجرة وتكلف مشاق السفر في سبيل العلم .

وتبدو ثمرة ذلك في كتاب (العقد الفريد) الذي انتهى من وضعه صاحبه سنة 322 هـ . فقد كان هذا (العقد) بضاعة شرقية كما قال الصاحب بن عباد ، أو هو كما قال محمد سعيد العريان «.. وكان علماء الأندلس يرحلون الى المشرق ، فرحل المشرق الى الأندلس في كتاب ابن عبد ربه» (25) . ذلك أن ابن عبد ربه المتوفى سنة 328 هـ ، استطاع ـ رغم أنه لم يرحل الى المشرق قط ـ أن يضمن كتابه خلاصة الثقافة الأدبية التي كانت ذائعة في المشرق حينذاك ، وأن يجعله عمدة المشارقة أنفسهم .

تلك هي العوامل المهيئة ـ أو أهمها ـ وما أنتجته من حركة علمية أصبحت أساس النهضة الحديثة في عصر الخلافة . وقد أضيفت اليها عوامس جديدة محركة وقوية ، حين أتيحت الظروف المناسبة ، وتبنى الحكم المنتصر في ولايته للعهد والحكم ، مشروع التنمية الثقافية ، بهمة لم تعرف عند سابقيه أو لاحقيه من الخلفاء والأمراء في الأندلس .

(24) الجذوة (ص 173) .
(25) مقدمة العقد الفريد . بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان (ص 15) .

والحق أن الفضل الأول في ازدهار هذا العصر الذي يعتبر «ظاهرة من ألمع الظواهر في تاريخ الدولة الأندلسية ..» (26) يعود الى الخليفة الناصر الذي ما فتيء يبذل الجهود في سبيل الغرس والبناء والتوطيد . فاذا كان عصر الحكم عصر نضج وإثمار ، فلا شك أن عصر والده الناصر كان عصر غرس وإزهار . فقد كان على الخليفة الأول أن يمضي حقبة طويلة من شبابه وكهولته في اعادة الاطمئنان للنفوس ، بعد الخوف والقلق اللذين سادا البلاد في فترات التمرد والعصيان ، ولم شتات الدولة تحت سلطانه ، وسد الطريق على النصارى والثوار ، وفي نفس الوقت كان عليه أن يبث في مساجد الزهراء وقرطبة والمدن الأخرى ، بذور حركة علمية سليمة ومغذية . فحين جاء الحكم المستنصر ــ وقد ساهم بجانب والده بحظ وافر في هذا الغرس ــ وجد الصفاء الذهني المطلوب ، والراحة المنشودة ، ووجد الأمة قد تمكنت منها الأخلاق الفاضلة ، (أخلاق) الانتاج والإثمار والعطاء والدرس ، فأصبح دوره الأساسي حينذاك ، هو التشجيع على التأليف والقراءة . وهو الذي حفز همم الكثيرين من أبناء الأندلس على أن يملأوا خزانته بمختلف المصنفات ، مقابل منح وجوائز سنية ، وبث روح ''الوطنية'' في العلماء ، وحملهم على الاعتزاز بشخصيتهم والاعتداد بعلمهم . وقلما وجدنا من كتب هذا العصر في الأندلس ، كتابا لم ينهض صاحبه لاهدائه الى الحكم ، أو لم يكن الحكم حافزا على تأليفه . وقلما وجدنا من أمهات الكتب والمصادر ، ما مر بالأندلس دون أن يكون عليه خط الحكم أو تعليقه . وخطه ــ كما قال الحميدي ــ (27) حجة عند أهل العلم ، لأنه كان بالأندلس عالما ثبتا .

ومن مزاياه العلمية ، أنه اعتنى بجمع الكتب من البلدان . قال الحميدي : «.. وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك ، وذلك بارساله عنها الى الأقطار ، واشترائه لها بأغلى الأثمان . ونفق ذلك عليه ، فحمل اليه» (28) . وقال في النفح «.. وكان محبا للعلوم مكرما لأهلها ، جماعا للكتب في أنواعها ، بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . قال أبو محمد بن حزم ''أخبرني تليد الخصي ــ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ــ ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ، ليس فيها الا ذكر الدواوين لا غير'' . وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة ، جلبت اليها بضائعه من كل قطر» (29) . وكان أشهر كتاب بعث في طلبه ، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

(26) دولة الاسلام في الأندلس (ص 2/455) .
(27) الجذوة (ص 94) .
(28) الجذوة (ص 13) .
(29) النفح (1/361) .

وقد عهد الحكم بادارة هذه المكتبة الأموية العظيمة ، الى أخيه عبد العزيز ، كما عهد بالاشراف على (جامعة) قرطبة وأساتذتها الى أخيه المنذر (30) .

ولعل أهم ما أثر عن هذا الخليفة العالم في بعث الثقافة وتشجيعها ، أنه اتخذ «.. المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين ، القرآن حوالي المسجد الجامع ، وبكل ربض من أرباض قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم . وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، فيها حوالي المسجد الجامع ثلاثة وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة وفي ذلك يقول ابن شخيص :

وساحة المسجد الأعلى مكللة
مكاتبا لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم
نادتك : يا خير تاليها وواعيها» (31)

فهذه عوامل جديدة اذن في بعث حركة العلوم وتنشيطها في عهد هذين الخليفتين من بني أمية ، تتلخص في التشجيع والرعاية ، ووضع المخططات الناهضة بمدينة عالمة .

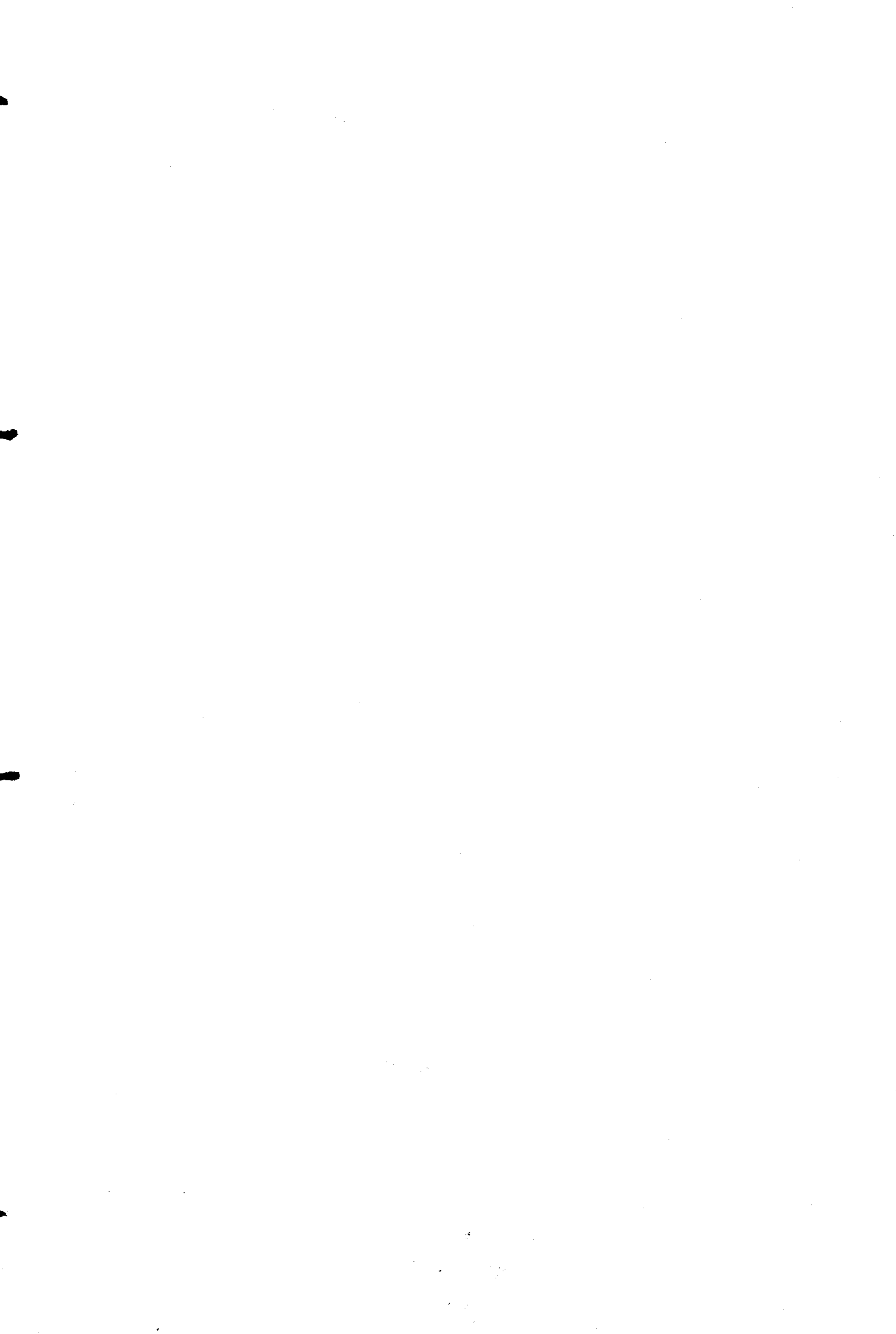
واذا كنا لا نجد المنصور العامري في هذا المستوى من تشجيع النهضة الفكرية ، فانه على الأقل لم يسع الى تحطيمها ، بل عمل بدوره على عقد مجالس علمية للمناظرة . وفي بلاطه ألف صاعد البغدادي كتاب (الفصوص) مضاهاة للقالي ونوادره ، وتعفية على آثاره ، ومنافسة لبني أمية الذين احتضنوه .

وسوف تنبثق عن الفتنة البربرية وبداية القرن الخامس ، عوامل وأسباب جديدة تدفع حركة العلوم الى مرقاة أخرى أشرف وأسنى ، وتنشأ مع ملوك الطوائف مراكز ثقافية متنافسة ، تزاحم سمعتها صيت قرطبة .

واذا كانت بداية هذا العصر لم تشهد حركة واسعة في التأليف ـ ونحن يهمنا النشاط اللغوى والأدبي ـ فاننا في أواخره وأثناء القرن الخامس ، سنلحظ نضج هذه الحركة وتأججها ، وذلك بعد أن تكون مدرسة القالي قد أعطت شيئا غير قليل من ثمارها ونتائجها ، وشاركت مشاركة فعالة وأساسية في ترسيخ دعائم النهضة .

---

(30) دولة الاسلام (457/2) .
(31) البيان المغرب (240/2) .



الفصـل الثانـي

نحـو المجـد والشـهرة

(1) الرحلة : 328ـ330 هـ

روى الزبيـدي عن شـيخه القالي أنه قال : «.. وخرجت عن بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، ثم دخلت الى قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه ، سنة ثلاثين وثلاث مئة» (32) .

فقد استأنف أبو علي حياة الرحلة من بغداد ، بعدما قضى فيها ثلاثة وعشرين عاما بين الدرس والتحصيل ، وسار نحو قرطبة وهو في الأربعين أو تجاوزها ، دون أن نجد ثمة ما يستفاد من شهرته أو نبوغه ، ودون أن يذيع له عند الوراقين كتـاب معروف . ولعله بسبب هذا الخمول ، أغفل كثير من المشارقة ذكره في طبقاتهم . على أن الفئة القليلة التي ترجمت له منهم ، قد استقت أخباره وأحواله من مؤلفات الأندلسيين .

واذا كان أمر حيـاته ببغداد غامضـا ـ رغم ما استطعنـا معرفته من شيوخه وأساتذته فيها ـ فان هنالك غموضا آخر يحوم حول الداعي لرحلته الى الأندلس . فمن القدامى من يجعل ذلك السبب ، هو يأسه من تلمس طريق المجد والشهرة في العراق ، حيث عمالقة العلم وشيوخ الرواية ، قال ياقوت : «.. فلما تأدب ببغداد ، ورأى انه لا حظ له بالعراق ، قصد بلاد الغرب» (33) . وهناك من يدعي أن الناصر

---

(32) طبقات الزبيدي (ص 188) .

(33) معجم الأدباء (28/7) .

أو ابنه الحكم المستنصر هو الذي حثه على الرحلة واستدعاه اليه . قال المقرى : «.. ويقال أن الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم» (34) . وقال الحميدي (35) في حديثه عن الحكم : «.. ويقال انه هو (36) كان قد كتب اليه ، ورغبه في الوفود عليه» . ولا عبرة هنا بالخلاف حول القائم باستدعاء أبي علي ، هل هو الحكم أم الناصر ، اذ كان الحكم في ولاية أبيه ، هو القائم بأمر رعاية العلم والعلماء ، والساهر على تطبيق مخطط النهضة الثقافية على نحو ما مر . فكون القالي وفد على الناصر ، لا يمنع أيضا من أن يكون وفد على الحكم المتصرف كالخليفة باسم أبيه .

الا أن عامل الولاء الذي يشير اليه المقرى وغيره ، هو من الدوافع المحتملة لرحلة القالي الى الأندلس . فقد كان جده (سلمان) أو (سليمان) ــ كما مر بنا في هذا البحث ــ قد أسلم على يد عبد الملك بن مروان ، وبذلك ظل ولاؤه وولاء أسرته في بني أمية ، ونحن نعلم مدى الحاح أمويي الأندلس على تكثير سوادهم وأنصارهم ، ممن ينتمي اليهم بنسب أو ولاء ، أو يشايعهم من أهل الشام والجزيرة . فاذا كان في هؤلاء من يعد عالما أو أديبا كالقالي ، كان الحرص على استقدامه والتنويه بعلمه وأدبه أشد وأعظم . ولعل في هذا ما يفسر الترحاب الذي لقيه أبو علي لدى حكام قرطبة من جهة ، وتفضيله على من سواه من علماء الأندلس وأدبائها ، حتى أثار حسد القاضي منذر بن سعيد البلوطي في يوم احتفال الناصر بوفود الروم ، على ما سيأتي ذكره ، من جهة أخرى .

ومن المحدثين من يضيف الى تعليلات القدامى عاملا آخر ، وهو «.. رغبة القالي في أن يفتش عن آفاق جديدة لكسب المال والشهرة» (37) .

والحق أن هذا العامل ، له في نظري كثير مما يقويه ويؤيده ، **وأول ذلك :** الحال المادية للعلماء والمثقفين في حاضرة بغداد ، تلك الحال التي كانت تدفع الكثيرين الى هجرة هذه المدينة نحو المراكز الثقافية والعواصم الاسلامية الناشئة . ولقد شاهد القالي نفسه آفة المجاعات والهزات الاقتصادية التي كانت تتعرض لها بغداد (38) ، وشاهد بعض شيوخه وأصحابه ، وهم يموتون جوعا وفقرا ، وبعضا آخر منهم يتحايل على المال بوسائل شتى . وقد كان جحظة البرمكي أحد أولئك البؤساء المحرومين من الأدباء ، ويعتبر شعره لهذا وثيقة تاريخية ينتقد فيها الوضع

(34) النفح (74/4) .
(35) الجذوة (ص 155) .
(36) كذا ، ولعل الصواب (انه هو الذي كان ..) .
(37) الحركة اللغوية في الأندلس (ص 203) .
(38) وقد سبق الحديث عن هذا الوضع في التمهيد التاريخي لهذا البحث .

المادي والفوارق الطبقية ، ويصف في أسى وحزن عميقين حرمانه وفقره . وبجانب ذلك كانت تصل الأخبار المستفيضة عن ثراء الدويلات الناشئة ، والامارات المستقلة الناهضة ، وتنافسها في الغنى ، وتهافتها على العلماء والأدباء . وكانت الأندلس أغنى هذه الامارات وأقواها وأكثرها أمنا واستقرارا . وهذا أبو علي نفسه يشكو من حال العلم والعلماء في العراق ، وتقصير آل العباس في تشجيع الثقافة على عهده .

يقول في مقدمة كتابه (المقصور والممدود) : «.. فاني لم أزل بالعلم ضنينا ، وعلى اذاعته شحيحا ، نفاسة به أن أبثه في غير أهله ، وصيانة له أن أودعه غير مستحقه ، مدة أيامي بالمشرق ، ومقامي بالعراق . اذ لم أر أحدا من ولد العباس للعلم طالبا ، وفي الأدب راغبا ، ولأهلهما مشرفا ...» (39) .

وثانيه : أن القالي نفسه أعرب عن حبه للشهرة وطلبه للمجد والمال في غير معرض من كلامه ، ولا سيما في قصيدته التي مدح بها الناصر . فقد أكثر فيها ــ كما سبق أن رأينا ــ (40) من ذكر جوده وعطاياه ومواهبه ، وأبان عن هذا القصد منذ البيت الثاني ، فقال :

أمشرق الشمس تبغي ــ عشتَ في دعة ــ
أم مشرق الجود والأفضال والنعم
قلتُ : المنى والذي أنويه يا سكني
ــ ان استطعتُ وصولا ــ مطلع الكرم

فهو يريد الخروج من حال الخمول والدعة ، الى حال تتحقق فيها الأماني والطلاب . ثم ما يلبث أن يعود لقصة المال ثانية ، فيقول :

اذا قطعت عباب البحر معترضا
الى الامام الوفي العهد والذمم
نلت الغنى والمنى والنيل من ملك
فيضُ راحته أمنٌ من العدم

فهو فرارا من شبح الفقر الكالح ، يلجأ الى ظل الناصر وأمانه :

من ثَمّ يطلع نور الصبح كل غد
وثَمّ تفرقة الأموال والقسم

(39) مقدمة المقصور والممدود . النسخة المغربية (ص 4) .
(40) أنظر الفقرة الخاصة بأدب القالي وشعره في نهاية الباب الأول من هذا البحث .

وفيها يقول :

كما يُبكي بدور المال كل غد
ويُضحك المجد من أفعاله الهضم (41)

ويقول :

ما ضر أرضا أمير المؤمنين بها
ألا يمر بها ذو وابل رزم (42)
فجود راحته يكسو خطائطها
أثواب نور أثيت النبت مبتسم

ويقول :

من قاس راحته بالمزن كان كمن
قاس البحار بأوشال من الرِّهَمِ (43)
ان المكارم قلب قد تضمنه
صدر الخليفة دون الخلق فاحتكم
تُعْطَ الذي كنت ترجوه وتأمله
حتى تظل كثير المال والخدم
يا مهجة الجود يا من حشو راحته
عيش المطيع وموت المارق الفعم (44)

الى أن يختمها بقوله :

ان الزمان ـ وما تفنى عجائبه ـ
أفنى التليد ، وما جمعتُ من نعم
وقد أتيتك أبغي الوفر من بَعَد
وأنت أفضل ممدوح ومعتصم
فاغلل شبا ظفره يا خير منتجع
فقد براني حتى صرت كالزلم (45)

---

(41) يد هضوم : تجود بما لديها . والجمع : هضم : ككتب . (القاموس) . والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . والجمع بدور ـ (لسان العرب) .
(42) غيث رزم (بفتح فكسر) : لا ينقطع رعده .
(43) الرهم : كعنب جمع رهمة (بكسر الراء) : المطر الضعيف الدائم .
(44) أفعمت الرجل : ملأته غضبا . (لسان العرب) .
يستقسمون بها في الجاهلية . (القاموس) .
(45) الزلم (بضم الزاي وفتحها مع فتح اللام) . الظلف أو ما خلفه . وقدح لا ريش عليه . وسهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . (القاموس) .

فهذه القصيدة تكشف أمامنا لأول مرة ، وبلسان القالي عن حاله المادية فيما يشكوه من الفقر وتقلب الزمان ، الذي أباد ما جمعه من مال تليد ، سالكا في التعبير عن ذلك سبيل التصريح ، وأكثر المادحين ميالون الى التعريض .

وفيها ما قد يفيد أن القالي ربما كان هو الساعي الى الناصر من تلقاء نفسه ، حين تسامع بكرمه وجوده ، وحين عضه الدهر بأنيابه ، وفضح عورة عياله ، دون أن ينتظر من يبعث في طلبه .

على أننا لو عدنا الى مقدمة (الأمالي) و (المقصور والممدود) لوجدناه كمن حل نظام هذه القصيدة ونثر جل معانيها في قوله :

«فاني لما رأيت العلم أنفس بضـاعة ، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة ، فاغتربت للرواية ، ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه حتى حويت خطيـره ، وأحرزت رفيعـه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقـه ، وعقلت شارده ، ورويت نادره ، وعلمت غامضه ، ووعيت واضحه . ثم صنته بالكتمان عمن لا يعرف مقداره ، ونزهته عن الاذاعة عند من يجهل مكانه ، وجعلت فرضي أن أودعه من يستحقه ، وأبديه لمن يعلم فضله ، وأجلبه لمن يعرف محله ، وأنشره عند من يشرفه ، وأقصد به من يعظمه . اذ بائع الجوهر ، وهو حجر ، يصونه بأجود صُوّان ، ويودعه أفضل مكان ، ويقصد به من يجزل ثمنه ، ويحمله الى من يعرف قدره (....) فغبرت برهة ألتمس لنشره موضعا ، ومكثت دهرا أطلب لاذاعته مكانا ، وبقيت مدة أبتغي له مشرفا . فأقمت (46) زمنا أرتاد له مشتريا ، حتى تواترت الأنباء المتفقة ، وتتابعت الصفـات الملتئمة التي لا تخالجها الشـكوك ، ولا تمازجها الظنون ، بأن مشرفه في عصره ، أفضل من ملك الورى ، وأكرم من جاد باللهى ، وأجود من تعمم وارتدى ، وأمجـد من ركب ومشى (....) بذال الأموال ، محقق الآمال ، مفشـي المواهب ، معطي الرغائب ، أمير المؤمنين وحافظ المسلمين ، وقامع المشركين (....) عبد الرحمان بن محمد محيي المكارم ، ومبتني المفاخر (....) وأن معظمه ومشتريه وجامعه ومقتنيه ، ربيع العفاة ، وسم العداة ، ذو الفضل والعقل والكمال ، المعطي قبل السؤال ، والمنيل قبل أن يسـتنال ، الحَكَم ولي عهد المسـلمين ، وابن سـيد العالمين (....) فخرجت جائدا بنفسي ، باذلا لحشاشـتي ، أجوب متون القفار ، وأخوض لجج البحـار ، وأركب الفلوات ، وأتقحم الغمرات مؤملا أن أوصل العلق النفيس الى من يعرفه ، وأنشر المتـاع الخطير ببلد من يعظمه ، وأشرف الشريف باسم من يشرفه ، وأعرض الرفيـع على من يشـتريه ، وأبذل الجليـل لمن يجمعه

---

(46) كذا . وربما كان الصواب : (وأقمت) .

ويقتنيه (....) حتى حللت بعُصْرةِ (47) الخواف ، وعصمة المضاف ، والمحل الممرع ، والربيع المخصب ...» (48) .

وما يزال يكرر هذا المعني في هذه المقدمة ، كما في مقدمة المقصور ، مطنبا في المدح ، متفننا في الوصف للناصر وولي عهده ، وما وجده عندهما من النعم والأفضال ، وهو هنا يصرح أن الأنباء قد تواترت في المشرق بأن الخليفة الأموي كان أفضل من يشرف العلم والعلماء ، وأكرمهم وأبلغهم في الجود ، وأفشاهم للمواهب ، فلذلك صان علمه الذي اغترب في جمعه ولقي العلماء في سبيله ، بعد أن حوى خطيره ورفيعه ، ورحل الى الأندلس ليبيعه لمشتريه ويهديه لمشرفه . حتى ليخيل للقارىء كأن القالي كان قد رسم لنفسه هذه الخطة منذ خرج من منازجرد ، وصمم منذ البدء أن يرحل الى الأندلس حين استفراغ جهده في الطلب والتحصيل وجمع العلم من أطرافه ، ليبيع تلك البضاعة الثمينة لأمراء بني أمية .

وسواء صح هذا العامل الأخير وصح معه أن القالي آثر الرحلة الى قرطبة من تلقاء نفسه ، ولا سيما انه اذ ذاك لم يكن قد اكتسب شهرة تلفت نظر الأمويين اليه ، فيكون بها محل طلب الحكم أو أبيه ، وقد وجد في عصر لمعت فيه أسماء كثير من العلماء والأدباء ، ممن تطايرت أخبارهم وعمت شهرتهم البلاد ، ولم يتلقوا مثل هذه الدعوة ، أو صح أن ولاء أجداده لبني أمية هو الذي دفع به الى الاحتماء بهم وربط مستقبله بجدوره ، أو أن حكام قرطبة هم الذين سعوا في استقدامه لغايات كثيرة ، فانه قرر الرحلة الى الأندلس بعد أن فقد جل شيوخه وأكبرهم أثرا في نفسه وثقافته ، ولم يعد يجد في حاضر بغداد ما يعشق ، غير الفتن والاضطرابات التي ستكلل بدخول بني بويه سنة 334 هـ .

واذا كان قد أمضى في رحلته مدة تقارب السنتين ، فان من حسن حظنا أننا وجدنا في قصيدته السابقة في مدح الناصر ، أبياتا طويلة تحدث فيها عن المراحل والمنازل التي مر بها في طريقه . ونحن مضطرون للعودة اليها مرة أخرى ، لمعرفة هذه المنازل والمراحل ، ثم الطريق التي سلكها من بغداد الى قرطبة . اذ هي الوثيقة الوحيدة التي تفيدنا في الموضوع .

فقد ذكر في البيت الثامن عشر وما بعده ، أنه ركب ناقته الوجناء بعد تردد واشفاق من مغبة المخاطرة ، التي لا يعلم ما تأتي به من أحداث ، وصراع طويل بين خوفه وطموحه . وهكذا خرج من أرض (بابل) ، يجد السير من مهمه الى آخر ،

---

(47) العصرة (بضم فسكون) : الملجأ .

(48) مقدمة الأمالي .

وكانت أولى المراحل في الطريق هي بلدة (هيت) الواقعة كما يقول ياقوت في نواحي بغداد فوق الأنبار ، وهي «ذات نخل كثير ، وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية» (49) . ومنها أشرف الركب على مدينة (تدمر) القديمة ، الواقعة في برية الشام ، بينها وبين حلب خمس مراحل (50) . وبعد أربعة عشر يوما على خروجهم من تدمر «بانت دمشق من الأجبال والأطم» كما يقول . ومنها حثوا المطي حتى أبصروا (بردى) ، وهو نهر عظيم قرب دمشق ، يصفه ياقوت بأنه أنزه نهر في الدنيا (51) . وهناك استراحت القافلة أياما :

فجد صحبي لما أبصروا بردى
حتى وصلنا وشاري الراح لم ينم
وقلت : يا صاح : ما ننزل بحانته
فالراح تذهب بالتكسير والألم

ويجدها القالي مناسبة ليتغزل بصاحب ذلك الحان ، ويتحدث عن مجلس خلا فيه للخمر ، في غير فحش ولا معصية . وبعد أن قضوا فترة من الراحة في هذا المنتزه الجميل قاموا للرحيل ، ثم لم ينيخوا جمالهم الا حين دخلوا : (أرى سلم) (أي القدس) من الديار الفلسطينية . ومنها الى (الجفار) وهي أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر ، أولها (رفح) من جهة الشام كما يقول ياقوت (52) . وقد عبرتها القافلة عبورا دون توقف ، الى أن وصلوا (مصر) التي لم يشر الى توقفهم بها ، حين قال :

ثم الجفار . وما نبغي بها سببا
الا السبيل الى مصر الى الهرم
حتى اذا صرت في (سرت) وقابسها
فالقيروان حسبت الموت مخترمي

وقد كانت (سرت) هي المدينة التي فتحت للقافلة باب الدخول الى شمال افريقية ، اذ كانت على ساحل البحر الرومي ، واقعة بين برقة وطرابلس الغرب (53) ، ومنها

---

(49) معجم البلدان (486/8) (هيت) .
(50) نفس المصدر (369/2) (تدمر) .
(51) معجم البلدان (119/2) (بردى) وقال ياقوت انه أيضا يطلق على قرية من قرى حلب . ونهر آخر بثغر طرسوس .
(52) نفس المصدر (112/3) (الجفار) .
(53) معجم البلدان (62/5) (سرت) .

مروا الى طرابلس الغرب ، ثم (قابس) الواقعة بينها وبين سفاقس ، ثم المهدية على ساحل البحر ، وصفها ياقوت فقال : «فيها نخل وبساتين ، غربي طرابلس الغرب» (54) .

وأما القيروان فقد كانت يوم حل بها القالي ، مصر افريقية ، وعاصمة العبيديين ، الذين استلبوا الحكم من بني الأغلب منذ سنة 296 هـ . وهي لموقعها الوسط بين المغرب والشرق الاسلاميين ، مرحلة لا بد منها للراحلين الى بغداد والديار المقدسة ، منذ أن وضع عقبة بن نافع حجرها الأساسي سنة 50 هـ ، وبنى بها مسجده الجامع الذي غدا ركن العلم ومنبر الثقافة . فلما كان القرن الرابع الهجري ، وجدناها تسير نحو ابراز دورها الثقافي ، ولا سيما بعد أن أصبحت تقوم فيها دولة قوية . وقد نشأت بها بالاضافة الى المذهب المالكي ، والشيعي ، مدرسة لغوية ونحوية ، كان أشهر أعلامها خلال هذا القرن ، أبا القاسم بن الوزان النحوي (ت 346 هـ) الذي كان بعضهم يرى أنه أعلم من ابن النحاس وأكمل نظرا . وذكر الزبيدي أنه كان يحفظ بالاضافة الى كتاب سيبويه ، كتاب العين للخليل ، وكتاب الغريب لأبي عبيد ، وكتاب ابن السكيت (55) . وفي طبقات الزبيدي من علماء اللغة والنحو القرويين جماعة أخرى منهم أبو محمد الداروني ، وقاسم بن حبيب النحوي .

ولا شك أن القالي أثناء اقامته القصيرة بالقيروان ، قد احتك به علماؤها وطلبتها من أصحاب اللغة ورواد الأدب ، وأهل الدراسات القديمة والأصيلة من أمثال من ذكرنا . ولا شك أيضا أن بعضهم قد أخذ عنه هنالك ، ان لم يكن عن طريق التلمذة والسماع ، فعن طريق المناولة والاجازة . ذلك ما يمكن للمرء استنباطه من هذا العنوان الذي ذكره ابن خير في فهرسته حين قال : (تسمية كتب الشعر وأسماء الشعراء ، التي وصل بها أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ـ رحمه الله ـ الى الأندلس ، **سوى ما تزايل عنه ، وأخذ بالقيروان منه**» (56) .

واذا كنا نجهل مقدار ما مكثه القالي بمدينة القيروان فلعل الاقامة فيها لم تزد على شهور قليلة ، ثم تابع طريقه الى أن جاز البحر نحو شاطيء الأندلس . وفي الحسبان أيضا أنه بعث الى الناصر من هذه المدينة ، يطلب الضيافة ، ويستأذن للاقامة .

(54) معجم البلدان (حـ 2 ص 2) ـ قابس .
(55) طبقات الزبيدي (247 ط. 2) .
(56) فهرسة ابن خير (395) .

(2) في الأندلس 330ـ356 هـ

ترك أبو علي مدينة القيروان ، وصار يقطع الأمصار الى قرطبة ، وهو يشفق على نفسه وعلمه مما يجده في طريقه من غباوة الناس وقلة فهمهم ، ويأمل أن لا يصل الى الأندلس فيجدها أعجمية اللسان ، متراطنة اللغات . فقد روى ابن بسام ، أنه كان يقول : «.. لما وصلت القيروان ، وأنا أعتبر من أمر به من أهل الأمصار ، فأجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، حتى كأن منازلهم من الطريق ، هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة . قال أبو علي : قلت : ان نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان بهذه الأوطان» (57) . فمن حسن حظه أن خاب ظنه بعد ذلك ، اذ وجد فيها ما أدهشه وأعجبه . قال ابن بسام : «.. بلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق في ذكائهم ، ويتغطى (58) عنهم عند المباحثة والمفاتشة ، ويقول لهم : ان علمي علم رواية لا علم دراية ، فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم أن صححت . هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات ..» وفي اطار اعجابه بالأندلس ورجالها ، يحكون أنه أخذ بها كتاب (الدلائل) في شرح الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي (59) فكان يقول : «.. أخذت كتاب الدلائل على ولد قاسم اعجابا مني بالكتاب ، وما كان ولده أهلا للأخذ عنه» (60) .

والواقع أنه لم يقطع مسافة طويلة بين القيروان وشاطيء الأندلس ، اذ سرعان ما عبر البحر الى (المرية) الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، في الجنوب الشرقي للجزيرة الأندلسية ، ومنها سار الى الناصر في قرطبة .

واذا لم يكن ثمة ما ينص صراحة على أن القالي نَزل أول ما نزل بالمرية حين قدومه (61) ، فان هناك من الروايات ما يفيد ذلك ، كهذا الذي حكاه ابن حيان في

---

(57) الذخيرة : القسم الأول . المجلد 1 (ص 4) .

(58) يتغطى : يتخفى ويستتر .

(59) هناك خلاف مشهور حول صاحب هذا الكتاب . هل هو قاسم بن ثابت بن عبد العزيز السرقسطي المتوفى سنة 302 هـ ، أم والده ثابت بن عبد العزيز المتوفى سنة 313 هـ ، أم ابنه ثابت بن قاسم ابن ثابت المتوفى سنة 352 هـ . وقد انتهى المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي في مقاله المنشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (جـ 1 المجلد 41 يناير 1966 م) تحت عنوان : (قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث المسمى بالدلائل) الى نسبة الكتاب بعد البحث الى قاسم بن ثابت المتوفى سنة 302 هـ .

(60) طبقات الزبيدي (ص 285) .

(61) لم أجد في ذلك نصا صريحا لدى القدماء . ولكن المستشرق الفرنسي (ليفي بروفنسال) صرح

تاريخه حين تعرض لذكر القالي فقال : «.. وفي يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان ، وفد على الناصر لدين الله ، الأديب أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي ، العالم المستبحر في علوم اللسان ، الجامع لضروب الآداب . المحتوي على دواوين الثقات ، الراوية عن جلة أهل العلم ، الملتقي للثقات طرا من أقصى العراق ، قاصدا باب عظيم الخلفاء بأسنى البضاعات . وقد كان الخبر سبق بجوازه البحر من قبل عامل بجانة ، فكتب الأمير الحكم ولي العهد المنافس في اقتناء العلم واصطناع أهله ، الى هارون بن موسى كاتبه ووزيره ، وهو يومئذ ببجانة لبعض أموره ، بتلقي اسماعيل هذا ، وتبشيره واكرامه ، واقدامه معه الى قرطبة ، والتقدم الى كل عامل يمر به في طريقه ، بالاحتفال في مبرته ، والانتهاء في تكريمه . ففعل ذلك الى أن وصل الى قرطبة في اليوم المذكور» (62) .

فبجانة الوارد ذكرها بهذا النص ، كانت في عهد بني مروان ، عاصمة اقليم المرية ، ومركز السلطة والامارة . قال ابن سعيد : «هي محدثة بنيت في دولة بني أمية ، وهي كانت كرسي المملكة (63) ، الى أن ضعفت وعظمت المرية ، فصارت تابعة . وبينها وبين المرية ستة أميال» (64) . وبما أنها لم تكن واقعة على الشاطيء مباشرة ، فان المرية بالطبع كانت هي ميناء هذه المنطقة ، بل هي مفتاح الشرق ، وباب الرزق ـ كما يقول ابن سعيد ـ (65) بالنسبة للأندلس قاطبة . كما كانت مركز الأسطول الأندلسي الرئيسي الذي بلغ في عهد الناصر ـ على ما يذكر الأستاذ عبد الله عنان ـ زهاء مئتي قطعة مختلفة الأنواع والأحجام ، عدا الأسطول المخصص لشؤون المغرب الحربية . وكان هذا الأسطول الفخم ، يسيطر على مياه اسبانيا الجنوبية والشرقية ، وينازع الفاطميين سيادة الشق الغربي من البحر المتوسط (66) . ونظرا لهذه الأهمية الكبرى لمدينة المرية ، فقد حصنت بالأسوار الراسخة العالية ، وبنيت لها القلعة المنيفة الشامخة أيام بني مروان (67) ، وأصبحت مراقبة رقابة حريصة . فما أن يخطر بمياهها مركب قادم حتى تطير أخباره الى العامل ، ومنه الى

= بهذا في كتابه : (تاريخ اسبانيا الاسلامية) (ج 3 ص 496) باريس 1953 م . (Histoire de l'Espagne musulmane).

(62) المقتبس لابن حيان . مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 87 . الورقة : 181 الظهر . وذكر القفطي (وهو متأخر عن ابن حيان) وصول القالي لبجانة فقال : «وكان وصوله الى بجانة في رجب من هذا العام» . أنباه الرواة (209/1) .

(63) يقصد مملكة المرية ، حسب تقسيمات كتاب (المغرب في حلى المغرب) .

(64) المغرب في حلى المغرب (190/2) .

(65) نفس المصدر (193/2) .

(66) دولة الاسلام في الأندلس (ص 406) .

(67) المغرب (193/2) .

الخليفة ان دعا الأمر . وظلت كذلك الى أن نزا عليها بنو صمادح ، فكونوا فيها امارتهم لمدة من الزمان .

ومن هنا أيضا كان الأمويون يختارون لولاية هذه المنطقة أكفأ العمال وأقدر القادة . وفي رواية المقرى لقصة دخول أبي علي ، أن العامل وقتئذ على هذه الكورة ، كان هو ابن رماحس (68) ، واسمه الكامل عبد الرحمان بن محمد بن رماحس . وان أردنا أن نعرف عن هذا الرجل أكثر من ذلك قلنا : انه كان قائدا للقوات البحرية الأندلسية ، وكان ابن حيان يسميه دائما (صاحب الشرطة العليا قائد البحر) . اذ كان منصب الشرطة عندهم على ثلاث مراتب ، عليا ، ووسطى ، وصغرى . وهي مناصب تعطى للقواد وأصحاب البلاء والحروب ، وفوقهم القائد الأعلى . وقد كان المستنصر في أيامه ، قلد منصب القيادة العليا لمولاه غالب بن عبد الرحمان تشريفا له ، بمرسوم مكتوب (69) . ومن خلال تتبع الأحداث التاريخية على عهدي الناصر والمستنصر ، يستطيع المرء أن يعرف أن قائد الأسطول عبد الرحمان بن رماحس ، قد لعب دورا كبيرا في اخضاع شمال المغرب ، وهو الجزء الذي كان تابعا للأمويين ، (طنجة ، سبتة ، تطوان ، أصيلا ، البصرة .. الخ .) لولاية الأندلس ، حيث كان بنو قنون ، وبنو حمود الأدارسة . كما لعب دورا في حروب بني أمية مع الفاطميين ، في شواطيء افريقية . ويصفه ابن حيان مرة فيقول : «قائد البحر عبد الرحمان بن رماحس أكبر قواد الخليفة المستنصر بالله المتكاملين بالعدة» (70) .

ونعود لقصة دخول القالي وسفره الى قرطبة ، فنلحظ أن خلافا وقع بين المقرى وابن حيان حول المأمور بمرافقة أبي علي في طريقه من كورة المرية . فابن حيان – كما رأينا في النص السابق – يقول أن المأمور بذلك هو هارون بن موسى كاتب الحكم ووزيره ، وتلميذ القالي فيما بعد . ويقول المقري (71) أن الحكم – وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير – أمر عاملهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي ، ويرافقه مع وفد من وجوه أهل الكورة ، يتخيرهم ، ومن يدري فلعلهما معا كانا مأمورين بذلك وأنهما معا قد رافقاه في رحلته وبالغا في حفاوته واكرامه (72) .

وهكذا تشكل موكب القالي الفخم ، من قائد البحر العظيم عامل بجانة والمرية ،

---

(68) النفح (70/4) .
(69) المقتبس (ص 69) . (القطعة التي نشرها الحجي) .
(70) نفس المصدر (ص 96) . (قطعة الحجي) .
(71) النفح (70/4) .
(72) وذلك أيضا هو ما يفهم من كلام بروفنسال في كتابه (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ج 3 (ص 496) بالفرنسية .

ومن الوزير الكاتب هارون بن موسى (73) ، ومن وجوه الرعية المتخيرة من بياض أهل الكورة ، ومن جماعة جليلة من الأدباء والعلماء لا نعرف منهم غير اسم ابن رفاعة الألبيري (74) ، بالاضافة الى من انضم اليهم من عمال المدن التي كانوا يمرون بها .

وسار هذا الموكب وهو يخوض في مناقشات ومفاتشات أدبية ، وخلال ذلك تعرض القالي لأول حادثة صدمته في هذه الأوطان ، وأول اختبار أوقعه فيه أهل الأندلس من الوفد المرافق . ويصف المقري في نص طويل هذه الحادثة فيقول : «فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار ، الى أن تحاوروا يوما وهم سائرون،أدب عبد الملك بن مروان ومساءلته عن أفضل المناديل ، وانشاده بيت عبدة بن الطبيب :

ثمة قمنا الى جُرْد مُسَوّمة
أعرافهن لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية ، الشيخ أبا علي ، فانشد الكلمة في البيت : ''أعرافها لأيدينا مناديل'' فأنكرها ابن رفاعة الالبيري وكان من أهل الأدب والمعرفة ، وفي خلقه حرج وزعارة . فاستعاد أبا علي البيت متثبتا مرتين ، في كلتيهما أنشده : ''أعرافها'' فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال : مع هذا يوفد على أمير المؤمنين ، وتتجشم (75) الرحلة لتعظيمه ، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس ، لا تغلط الصبيان فيه ؟ والله لا تبعته خطوة ، وانصرف عن الجماعة . وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم تجد فيه حيلة . وكتب الى الحكم يعرفه ، ويصف ما جرى لابن رفاعه ويشكوه ..» (76) .

على أن هذه الحادثة التي وصلت الى الحكم أخبارها ، وشككت الناس في قيمة أبي علي ، لا تدل في حال على صحة ما زعمه ابن رفاعة ، من أن الرجل لم يكن يقيم وزن ببيت . فلعل القالي حين حرص على رواية البيت بنحو ما ذكر ، كان يريد

---

(73) ستأتي ترجمته ضمن تلامذة القالي .

(74) وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن رفاعة الألبيري الأموي ، كان لغويا بصيرا بالعربية متقدما فيها ، وشاعرا وفقيها من المشاورين . سمع بالبيرة من محمد بن فطيس وهاشم بن خالد وعثمان ابن جرير . وبقرطبة من عبد الله بن يحيى وغيره ، وروى بها كتب ابن قتيبة ، وتوفى سنة 343 هـ أو 344 هـ . (أنظر ترجمته في : الاحاطة ، مصورة عن الاسكوريال بقسم الوثائق بالرباط (ص 148) رقم 1582 د – وابن الفرضي (2/62) ط. الدار المصرية – والوعاة (ص 115) .

(75) في النفح : ويتجشم بالياء . والتصويب من الاحاطة (ص 148) (مخطوطة الاسكوريال المصورة بالرباط رقم 1582 د) .

(76) النفح (4/70) . والقصة واردة أيضا بالاحاطة ، مخطوط الاسكوريال .

التشبث برواية حفظها من بعض شيوخه ، وهو أحرص الناس وأشدهم تمسكا بما يروى وينقل عن الأسلاف . ولو أراد القالي أن يغير ويبدل ما شاء في مروياته ومحفوظاته ، ليأتي بها على النحو الذي يرضي الأدباء والأذواق الشعرية ، لأغضب الأمانة العلمية ، وأتهمه الناس بما أتهموا به شيخه أبا بكر بن دريد ، حين نسبوه الى الوضع فقالوا : انه كان يورد الشيء كما أراد . ولقد كان يحدث للقالي في مجالسه بالزهراء مع تلاميذه أشياء من هذا القبيل ، فكان دائما يتشبث بروايته . روى البكري في البيت الذي أنشده القالي بأماليه :

مُهْرَ أبي الحبحاب لا تَشَلِّي

بارك فيك الله من ذي أل

ان أصحاب أبي علي قالوا : «وقفناه على قوله :

* بارك فيك الله من ذي ألّ *

فأبى الا كسر الكاف» (77) .

وقد كان الحكم بن الناصر حصيفا حين أمر ابن رماحس ، أن لا ينقص القالي شيئا من التكرمة اثر الحادثة ، فسوف يعليه الاختبار أو يحطه كما قال ولقد شاء الله الا أن يفوز أبو علي بقصب النجح ، اذ نظم قصيدة من 85 بيتا أعرابيا ، استقبل بها الناصر ، وأسكت الخصوم ، ولم يخل فيها بوزن كلمة أو ببيت كما زعموا عنه ، ثم أملى جميع كتبه ومجالسه ، وأغرب في التأليف ، وحشا كل ذلك بالأشعار والقصائد ، فلم يخل فيها أيضا بوزن شطر من الأشطار ، بل صار عندهم حجة وعمدة في الأشعار والأخبار واللغات .

وهبه بعد هذا أخطأ أو أغفل ، أكان في الأمر ما يحط من قيمته وهو الذي تخرج على يديه أفواج من العلماء والطلاب كلهم أصبحوا من ذوي المنازل والأقدار في بلدهم ؟ ... ولقد وصل الآن الى قرطبة ، وأنشد في حفل التكريم الذي هيء له قصيدته الطويلة ، وأبان عن علمه وفصاحته ، فبالغ بنو أمية في اجلاله وتعظيمه وأسبغوا عليه النعم وكسوه بالجود والفضل . قال ابن حيان يصف مبلغ الحفاوة التي قوبل بها : «فأكرم الناصر مورده ، وأحسن تقبله ، وأكرم مثواه ، وبوأه لديه أسنى مبوأ ، وأوسع عليه في الانزال والاقطاع ، وناغاه في ذلك ابنه ولي عهده الحكم بفضل عنايته بالعلم ، ونزاعه الى أهله ، فنال بها أمنيته ... وأوعز اليه

---

(77) اللآلىء (173/1) . والال : السرعة .

بنشر (78) ما يحمله من علمه في الناس ، واشاعة اسماعهم وافادتهم ، وتأليف ما التقط من منثور ما أعيا عليهم . فسارع الى ذلك بجد وقوة ، وأفاض على طلاب العلم منه ما عظم انتفـاعهم به جدا ، وصحح لهم صحـائف كانت عندهم بورا ، فأخذ لسان العرب عندهم نشورا (79) ؛ وكان من أعظم من وفد الى الأندلس من العلماء بركة ...» (80) .

وفي هذا النص بالاضافة الى ذلك ، ما يفيد اعترافا صريحا بشدة تأثير القالي في سير الدراسات اللغوية والعربية عموما بأرض الأندلس .

وفي مقدم أبي علي ومقام الاحتفال به وتكريمه ، مدحه شاعر الحكم المستنصر وتلميذ القالي فيما بعد ، أبو عمر يوسف بن هارون الكنـدي الرمادي ، بقصيـدته اللامية الرائعة ، يقول في مطلعها :

من حاكم بيني وبين عذولي
الشجو شجوي ، والعويل عويلي
في أي جارحة أصون معذبي
سلمت من التعذيب والتنكيل

ثم يخلص الى المدح ، فيقول :

روض تعاهده السحاب كأنه
متعاهد من علم اسماعيل
قسه الى الأعراب تعلم أنه
أولي من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات جمعت
فيهم ، وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما
نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا (81) بغيبته وموت شيوخه
عنهم ، ولما يظفروا ببديل

---

(78) في الأصل : (فنشر) وهو لا شك تصحيف من الناسخ . اذ سياق الجملة مع ما بعدها ، يقتضي أن تكون هذه الكلمة بالباء .

(79) كـذا .

(80) المقتبس . مخطوط الخزانة الملكية ، رقم 87 ، الورقة 181 الظهر .

(81) كذا وردت اللفظة عند الثعالبي في اليتيمة عند رواية هذا البيت والذي يليه . وهي ربما كانت مصحفة ، أو متعلقة ببيت محذوف من القصيدة . الا على تأويل أن الضمير في (جمعوا) يعود على (الشرق) بمعنى المشاركة .

مذ جاءهم (82) وهم بليل همومهم
منه ، فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمس بدت في غربنا
وتغربت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقل
زورا ، ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ
لم أرج غير القرب في تأميلي (83)

وعلى كل ، فان الناصر قد أوكل الى ابنه الحكم أمر رعايته وتنشيطه ، واعانته على التأليف بواسع عطائه ، وشرح صدره بالافراط في اكرامه (84) . ففسح له طريق الاتصال برجال الأندلس وطلابها الذين تحلقوا حوله في مسجد الزهراء ، وكان الناصر قد فرغ منه قريبا . وهناك تألق نجمه وعلا صيته وبلغ من المجد والخلود ما أراد بما نشر من مخبؤ العلم وما وضع من تآليف ، وناول وأقرأ وأجاز من الكتب التي أدخلها معه ، فيما موضوعه الشعر واللغة والأخبار . فلما عرف أهل الأندلس قدره ، مالوا للأخذ عنه ، وفيهم ثلة من الذين اعترف الناس بموضعهم في العلم قبل دخوله . فقد كان بقرطبة وقتئذ أمثال أبي بكر بن القوطية ، وهارون بن موسى كاتب الحكم ووزيره ، وأبي عمر يوسف بن هارون الشاعر الرمادي ، وكلهم من ذوي الاقدار والمنازل فلم يأنفوا مع ذلك من الجلوس له ، والتواضع لعلمه .

ومن قبيل التكريم الذي لقيه البغدادي ، أنه اصطفي دون من هنالك من بلغاء الأندلس وأدبائها ، ومنهم منذر بن سعيد البلوطي الواعظ المفوه وامثاله ، وقدمت مرتبته عليهم ليتولى أمر الخطبة بين يدي الناصر وولي عهده ووجوه الدولة وقوادها ، وذلك يوم الحفل العظيم ، والمشهد الكبير الذي أطنب أصحاب التواريخ في وصف قيامته ، وما أبرزه الناصر فيه من مظاهر الأبهة وآلاء الملك ، اذ كان القصد عنده ادخال الهيبة التي لخلافته في نفوس وفد الروم القادم عليه من ملك القسطنطينية ، حاملا اليه هدية ثمينة ، كان ضمنها كتاب (ديسقوريدس) في الطب والأدوية (85) .

---

(82) يظهر أن الصواب في رواية هذا البيت (مذ جاءنا) .

(83) الأبيات في اليتيمة (ص 100-101) ج 2 - والنفح (74/4) - والوفيات (226/7) .

(84) النفح (74/4) . وقد جعلت شدة كلف الحكم المستنصر بالقالي بعض الباحثين المحدثين يذهبون الى أنه كان أحد تلامذته . (أنظر على سبيل المثال : كتاب : الأدب الأندلسي ، لأحمد هيكل ص 190) وان لم أجد في ذلك نصا صريحا لدى القدماء .

(85) ذكر (غرسيا غومس) في كتابه : (الشعر الأندلسي) (ص 37) أن كتب ديسقوريدس في الطب ، وضعت بالأندلس بذور نهضة العلوم الطبيعية التي بلغت أوجها في القرن الثالث عشر الميلادي .

ونحن مع الأسف لا نستطيع القطع نهائيـا في أمر السنة التي دخل فيهـا وفد الروم المذكور الى قرطبة ، اذ هناك خلاف معروف بين المؤرخيـي حول هذا الأمر . فابن عذارى (86) يؤرخ لذلك بسـنة 334 هـ ، ثم ما يلبث مرة أخرى أن يذكر القصة أو شبهها في حوادث سنة 338 هـ (87) . كما ذكر ابن حيان فيما نقل عنه المقري (88) . ويجعلها ابن خلدون سنة 336 هـ (89) . ويروي ابن أبي اصيبعة في كتابه (90) عن ابن جلجل ، أنها كانت سنة 337 هـ . وهذا شيء يجعلنا نظن أن قرطبة عرفت على عهد الناصر فيما بين سنتي 334 هـ و 338 هـ ، أكثر من سفارة واحدة للدولة البيزنطية ، وفي كل مرة كانت تنظم احتفـالات كبرى ، وفي مشهد من هذه الاحتفالات وأعظمهـا شأنا ، دعي القالي ليكون خطيب المشـهد الأول ، فيزيد بفصاحته وبيانه من جلالة الخلافة ، ويعرب عن خطرها ، ويشيد بمآثرها (91) . وكان الذي رشحه لذلك ، أميره

(86) البيان المغرب (213/2) .
(87) البيان المغرب (215/2) .
(88) النفح (343/1) – وأزهار الرياض (258/2) .
(89) نفس المصدر (343/1) . وأنظر دولة الاسلام في الأندلس (ص 410) .
(90) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص 494) .
(91) حكم القسطنطينة خلال الفترة الواقعة بين سنتي (913–959 م) (301–348 هـ) الملك قسـطنطين السابع المعروف بـ (بورفيرو جينيتوس) وهو ولد ليون السادس . وقد شاركه في السلطة أثناء حكمه لمدة خمس وعشرين سنة (919–944 م) (307–333 هـ) (رومانوس الأول ليكابينوس) القائد الحربي الكبير . ثم اعتزل السلطة سنة (944 م – 333 هـ) فأصبح قسطنطين منفردا بالملك الى سنة (959 م – 348 هـ) . (أنظر كتاب الأمبراطورية البيزنطية للدكتور نبيه عاقل) (ص 215) .
ولكن بعض المصادر العربية مثل (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة (ص 493–494) تذكر أن الملك الذي كاتب الخاليفة الناصر الأموي وبعث اليه وفدا سنة 337 هـ. هو (رومانوس) وهو شيء يعتبر مناقضا للتاريخ . اذ كان (رومانوس) قد اعتزل الحكم سنة (333 هـ – 944 م) كما سبق . وقد نبه على هذا الخطأ أيضا الأستاذ عبد الرحمان الفاسي في (ص 21) من بحثه : (محاولة للدفاع عن بر العدوة) طبعه المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة 1969 م) .
أما المصـادر العربيـة الأخرى فتذكر أن الملك الذي راسـل الناصر وبعث اليه بالوفود والسفارات ، هو قسطنطين السابع بن ليون السادس . غير أنه ورد بأزهار الرياض (260/2) أن الرسـالة التي بعثهـا الملك قسـطنطين الى الخليفة سـنة 338 هـ . كان في ترجمة عنوانهـا : (قسطنطين ورومانوس المؤمنـان بالمسـيح الملكان العظيمان ، ملكا الروم) ، فان صحت هذه العبارة ، وصح ما ذكره ابن جلجل من أن الملك البيزنطي هو (رومانوس) فسنكون مضطرين اذ ذاك لتصديق رواية ابن عذاري التي تقول : أن الوفد استقبل بقرطبة سنة 334 هـ . اذ من الجائز في هذه الحال أن يكون أعضـاء السـفارة قد غادروا القسطنطينة خلال الأشهر الأولى من سنة 333 هـ (944 م) قبل أن يعتزل رومانوس السلطة . ولكنهم لم يصلـوا الى قرطبة الا بعد سـنة أو أكثر .
ومن الجائز بعد ذلك أن يكون قسطنطين السابع حين اعتزل رومانوس ، وعاد هو الى ممارسة الحكم قد فكر في بعث سفارة ثانية تؤكد للناصر فحوى المأمورية التي كلفت بها السفارة الأولى التي بعثها رومانوس .
أما الأستاذ عبد الرحمان الفاسي في بحثه المشار اليه أعلاه ، فيجزم أنه وقعت سفارتان من

وولي نعمته ، الحكم بن الناصر . وأوشر هنا أن أورد القصة كما حكاها الحميدي ، لأنها عنده ، أكثر تلخيصا وتركيزا . قال : «.. وذلك أن الحكم المستنصر كان شغوفا بأبي علي القالي ، يؤهله لكل مهم في بابه . فلما ورد رسول ملك الروم أمره عند دخول الرسول الى الحضرة ، أن يقوم خطيبا بما كانت العادة جارية به . فلما كان في ذلك الوقت ، وشاهد أبو علي الجمع وعاين الحفل ، جبن ولم تحمله رجلاه ، ولا ساعده لسانه . وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد فوثب وقام مقامه ، وارتجل خطبة بليغة من غير أهبة ، وأنشد لنفسه في آخرها :

هذا المقال الذي ما عابه فند
لكن صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا
لكنني منهم ، فاغتالني النكد
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها
ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد» (92)

وبعض الذين أوردوا القصة ذكروا أن الحكم كان قد هيأ للخطبة الفقيه محمد ابن عبد البر ، وأمره بالتأهب لذلك واعداد كلمة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، فلما أرتج عليه ، قام القاضي أبو الحكم ، وهي حكاية ابن حيان (93) والنباهي (94) . وقد نبه المقري على خطأ ذلك مرتين ، ثم أيد الرواية التي تقول أن البغدادي كان أول من دعي للخطبة (95) .

ولست أدري ما الذي حبس أبا علي ، وأسكته عن قول كلام يرضاه الناس ، ولا يؤاخذه به المؤرخون . فلقد كانت هي المرة الثانية التي تأتي الأحداث فيها على فضح عيوبه ، مع علو منزلته لدى الدولة الأموية .

على أنه يجب ألا ننسى عاملا دخل هذه القصة ، فشوه بعض حقائقها ، وأخرجها في قالب المبالغة والتزيد . وذلك العامل هو ورودها في اطار الاعجاب بالشخصية

= لدن ملك القسطنطينية (قسطنطين السابع وليس رومانوس) الى الناصر الأموي . وكانت الأولى سنة 334 هـ أو 336 هـ . والثانية سنة 338 هـ . وأن الحفل الذي دعي اليه القالي كان في السفارة الثانية . ويلحظ في هذا الرأي أنه لا يقدم الأدلة الكافية لاثبات ما ذهب اليه .

(92) الجذوة (ص 326) . والقصة مذكورة بأوفى من هذا في ترجمة منذر بن سعيد بتاريخ قضاة الأندلس (ص 66 – 145) – ومعجم الأدباء (19/174 – 4/229) – والنفح (1/345) وما بعدها . وفي غير ذلك من المصادر .

(93) النفح (1/345) .

(94) المرقبة العليا (ص 66) .

(95) النفح (1/345–350) .

الأندلسية ، واظهار قدرتها على تحطيم التفوق المشرقي ، من لدن كتاب نصبوا أنفسهم لابراز معالم هذه الشخصية . ولقد كان التحرش بعلماء المشرق الوافدين ، والتعرض لاختبارهم أو التشنيع بأخطائهم ، هو دأب علماء الأندلس المعجبين بطبيعة بلادهم الخصبة ، ومواهبهم الخلاقة ، والمعتزين برجالهم وأدبائهم . وهاك مثالا من صاعد البغدادي الوافد على المنصور بن أبي عامر ، فقد تعرض لصنوف شتى من السخرية والاستهزاء حتى صورته الروايات الأندلسية في شكل مهرج مضحك .

وصادف حادث اغراق كتابه (الفصوص) بنهر قرطبة هوى في أنفسهم ، فجعلوه حديث فكاهة يتندرون بها ، اذ رأوا ذلك من الاتفاقات العجيبة . هذا مع اعجابهم بشخصية القالي وتقديرهم لعلمه وواسع معرفته ، تقديرا يفوق النعت والوصف ، ولكن ذلك لم يتم الا بعد أن خبروا ثقافته وعجموا عوده ، ووجدوه أصلب ما في كنانة هؤلاء الوافدين عليهم ، حتى لنجد ابن حزم في رسالته يعده من مفاخر بلاده ، ويدافع عن جنسيته الأندلسية ، فيقول : «.. فمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به ، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا ، الذين اجماعهم فرض اتباعه ، وخلافه محرم اقترافه . ومن هاجر منا الى غيرنا فلاحظ لنا فيه ، والمكان الذي اختاره أسعد به . فكما لا ندع اسماعيل بن القاسم ، فكذلك لا ننازع في محمد بن هانىء سوانا ، والعدل أولى ما حرص عليه ، والنصف أفضل ما دعي اليه ، بعد التفضيل الذي ليس هذا موضوعه» (96) .

هذا الى أن القصة وما فيها من اختلاف بين الرواة حول أول من كلف بالخطبة المذكورة ، ربما أفادت أن القالي ـ ثقة بفصاحته وعلمه ، وهو بوصف عند بعضهم بأمير الكلام ـ لم يطالب قبل الحفل بصنع كلمة أو تهيىء خطبة ، فيكون أمامه وقت للاستعداد ، وانما وقع ترشيحه لذلك فجأة ، وهو في مكانه بين الحاضرين . فحين أمره الحكم بالوقوف وارتجال كلمة مناسبة بهت وقطع ، لأنه أخذ على حين غرة . ومثل هذه المواقف الجليلة تحتاج الى فسحة يجيل فيها الرجل بذهنه معاني الكلام ، ويستحضر بعض أساليب البيان . فعذره في هذه الحال بين . وهبه أيضا ايس من فرسان البلاغة ، ولا من مفوهي الخطباء ، وصفه بما شئت من نعوت الحصر والعي ، فما كان ذلك ليهز مكانته العلمية ، اذ كل امرىء وما هيء له .

ولا يخفى علينا بعد ذلك ، أن المكانة التي رقيها هذا البغدادي ، والخطوة التي نالها عند بني أمية دون غيره من المواطنين أو الوافدين قد أثارت ضده حسادا

---

(96) رسالة فضل الأندلس (ص 9ـ10) . وهو كلام وارد في النفح (4/158ـ159) ضمن الرسالة .

كثيرين ، وسـببت له كره بعض ذوي النفـوس الضيقة من أهل قرطبة . ولا يخفى كذلك أن منهم منذر بن سعيد الذي وقف في الحفل خطيبا فبهر الناس ، وأحرز رضى الخليفة الذي ولاه اثر ذلك قضاء الجماعة ، ثم خرج وهو يجر الأذيال مترنما بالأبيات الفارطة ، وفيهـا ما يشير الى حسده وتشكيه من ضيـاع منزلته ، في وقت يتكلف الناصر وولي عهده تعظيم الغرباء الوافدين . وفي أبيات أخرى نجده يعرض بشكل سافر ، بقصة القالي السابقة ، فيقول (97) :

مقالي (98) كحد السـيف وسط المحـافل
أميـز بـه مـا بيـن حـق وباطـــل
بقلـب ذكـي قـد توقـد نـــوره
كبـرق مضيء عند تسـكاب وابـــل
فمـا زلقـت رجلـي ولا زل مقولـــي
ولا طاش عقلـي عنـد تلك الـــزلازل
وقـد حدقت حولـي عيـون أخالهــا
كمثل سـهام أشـبت (99) في المقـاتل
أخيـرَ إمـام كان أو هو كائـــن
بمقتبـل أو في العصـور الأوائـــل
وفـود ملـوك الروم حـول فنائــه
مخـافة بأس ، أو رجـاء لنائـــل
.... الأبيات

فلخص فيها أحداث القصة ، ومدح الناصر ، وعرض أثناء ذلك كله بالقالي في حفل الوفود ، وكأنه ينتقد من طرف خفي ، أبنـاء قومه وسـياسة الحكـام الذين لا يعترفون بالموهبـة والتفوق الا لمن طرق أبوابهم من الغرباء ، منكـرين أو جاحدين فضل مواطنيهم .

والمهم من هذا ، أن القالي لم تغض من قيمته في قلوب أهل الأندلس تلك الحادثة العابرة . ونقول أنها حادثة (عابرة) بالنسبة للأندلسيين ، لأنهم – ولا ريب – قد وجدوا له من بعدها أعذارا كثيرة ، تسمو به عن تعريض الحاسدين وبهتان المتقولين . فقد

(97) الأبيات في معجم الأدباء (19/184–185) – وطبقات الزبيدي (296) – ومطمح الأنفس (ص 216 مخطوط الخزانة الملكية) رقم 805 .

(98) في طبقات الزبيدي والمطمح : (مقال) وهناك اختلافات كثيرة في رواية هذه الأبيات بين المصادر الثلاثة .

(99) كذا في المعجم . وفي المطمح : (اثبتت) .

ترك من المصنفات ما يعد به في كبار العلماء ، ونشر من المعارف والآداب ما يكسبه كل اجلال وتقدير ، وله فوق ذلك قدوة فيما حدث بكثير من الأئمة والخلفاء ، ممن صعدوا المنابر ثم نزلوها صامتين ، وقد فضحتهم المواقف وخانتهم العبارات ، فلم يفقدوا مع ذلك درجة من أقدارهم ... ولكنها بالنسبة للقالي لم تكن ـ فيما يبدو ـ واقعة يسهل تناسيها أو التغاضي عنها ، ولا سيما أنها تنكأ في نفسه جرحا قريبا يعود تاريخه الى سنة 330 هـ ، حين تصدى لطريقه ابن رفاعة الألبيري مدعيا عليه عجزه عن اقامة وزن بيت يحفظه الصبيان .

وهنا يفترض الأستاذ عبد الرحمن الفاسي في بحثه المنشور بمجلة المجمع العلمي العراقي (100) ، انه لما كان منذر بن سعيد البلوطي وابن رفاعة الألبيري من أصل بربري ، فان القالي المجروح في كبرياء علمه ، وشمم لغته وعبارته ، لم يجد وسيلة للانتقام سوى الطعن بآلة حادة في افهام وعبارات (أهل العدوة) ـ وهم من البربر ـ ورميهم بالغباوة وقلة الادراك . وذلك في النص الذي حكاه عنه ابن بسام بمقدمة الذخيرة حين قال : «.. لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الأمصار ، فأجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ..» (101) .

ولم يقف اعتراضه عند هذا الحد ، بل لقد جعل من تلك الكلمة المنسوبة للقالي أساس بحثه كله ، ومدار أحاديثه وآرائه ، فزعم أن تلك الشهادة التي سجلها أبو علي على افهام وعبارات أهل العدوة كانت منه تواطؤا مع الأندلسيين المتعصبين لبلدهم ضد المغاربة ، بل أنها كانت أساس ما نشأ بالأندلس من رسائل وكتابات مشحونة بالعصبية الاقليمية ، كرسالة ابن حزم وابن سعيد والشقندي وغيرهم . وفي ذلك يقول : «.. وأغلب الظن أن هذه الكلمة من الامام القالي التي ذيلت بثناء خاص على أهل الجزيرة الأندلسية ـ وقد كان بينهم وبين أهل بر العدوة صراع ومفاخرات فكرية لها ذكر مشهور في غير ما كتاب ـ قد أمدت بالغذاء عواطف بعض الأندلسيين الاعلام أولئك الذين جمحت بهم الحمية لبلادهم والعصبية لرجالهم ..» (102) . ثم يقول في موضع آخر بعبارة أكثر وضوحا وهو يتحدث عمن هاجموا المغرب في القرون الهجرية الأولى من الأندلسيين ، ورموه بالعقم ووصفوه بالغباوة «.. وربما كانوا مستندين في ذلك على شهادة صادرة من عارف لا يتطرق الى معرفته أو حياده ما

---

(100) المجلد 17 . ثم طبعه المجمع في فصلة مستقلة سنة 1969 م وهو بعنوان : (محاولة للدفاع عن بر العدوة) .

(101) سبق ايراد هذا النص .

(102) محاولة للدفاع عن بر العدوة (ص 6) .

يوجب الطعن في حكمه على هذه الأوطان ، تلك هي شهادة بحر اللغة وامام الكلام وشيخ الأدب ببغداد الوافد على شبه جزيرة الأندلس في عهد بني مروان أبي علي القالي صاحب الأمالي» (103) .

وهكذا يحمل الأستاذ الفاسي هذا الرجل أشق ما يحتمل من الأعباء ، ويلبسه من التهم ما لا يلائمه ، فاذا هو الآن رافع لواء العصبية الأندلسية ، وشارع باب عريض يدخل منه كل متعصب عنيد ينسب للأندلس كل فضل ، ويسلب المغرب كل مزاياه ، حتى من رجال الطبقات وأصحاب التراجم الذين يعتبرون أندلسيا كل من مر بالأندلس أو مات فيها أو حج اليها ، ولو كان مولده في تونس أو مراكش أو سبتة ...

والواقع ان ما ذهب اليه الباحث الفاضل في خصوص هذه المسألة لا يصح عندي من وجوه :

أولها ـ ان ابن رفاعة الألبيري (أبا عبد الله محمد بن يزيد) ليس من المؤكد أنه من أصل بربري ليكون مع منذر بن سعيد موضع نقمة من القالي على البربر قاطبة في شخصيهما ، بل لقد ذكر ابن الخطيب في (الاحاطة) والسيوطي في (الوعاة) (104) أنه أموي ، فيبقى الشك بعد ذلك في هذا النسب الأموي ، هل هو صليبة أم ولاء ؟ على أن المعروف عن مدينة (البيرة) أنها كانت مسكن كثير من القبائل العربية المهاجرة (105) .

وثانيها ـ أن ما لقيه أبو علي القالي بأرض الأندلس من (اختبارات) وما صادفه من حساد ، يجب أن ننظر اليه في اطار حساسيات أهل الجزيرة تجاه الوافدين من علماء المشرق وأدبائه ، فقد كررت مثل هذه الظاهرة بتاريخ الأندلس ، ولنا عليها شواهد كثيرة ، نذكر منها ما صار لزرياب الشاعر الفنان مع يحيى الغزال ، وما كان لصاعد البغدادي مع الزبيدي والعاصمي وابن العريف في مجالس المنصور ، فليست المسألة كما تصورها الأستاذ الفاسي صراعا بين عرب وبربر ، بل هي ذات وجه آخر .

وثالثها ـ أن الصراع الذي تحدث عن وجوده بين أهل الأندلس وبر العدوة من المغاربة ، والذي قال عنه أن علماء الأندلس المتعصبين قد اعتمدوا فيه على شهادة

---

(103) نفس المصدر (ص 4) .

(104) مرت ترجمة ابن رفاعة ومصادرها فيما سبق .

(105) من هذه القبائل التي استوطنت (البيرة) وقراها . كما يذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب ـ بنو مرة بن عوف بن ذبيان (252ـ254) ـ وبنو أسد من بني عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة (ص 196) ـ وبنو قشير بن كعب بن ربيعة (ص 290) ـ وآل عطيف بن شعيب من بني خثعم (ص 391) ـ وبنو همدان (ص 397) ـ وبنو نجيح بن سالم من بني خولان (ص 418) ـ وبنو خشين بن النمر بن وبرة (ص 455) .

القالي ، صراع قديم الجذور ، واحساس الأندلس بشخصيتها المستقلة وقيمتها المتفوقة على المغرب لم يكن في حاجة الى شهادة القالي ، بل هو شعور وجد مع بداية النهضة الشاملة التي عرفتها الجزيرة قبل دخول القالي ، ثم اذكاه الناصر والمستنصر اللذان صنعا من ذلك الوطن بلدا صار مرمى الأبصار ومهوى الأفئدة في عصر تداعت فيه الخلافة بالمشرق ، وقصرت الدويلات الناشئة عن بلوغ ما بلغته بفضل عوامل شتى .

ورابعها – ان قالة أبي علي التي تصور حال اللغة في البوادي والأمصار التي مر بها بعد خروجه من القيروان على عهده ، ينبغي ألا تفسر على غير قصدها الحقيقي من حيث هي شهادة تاريخية على واقع قد لمسه وعرفه . هذا ولن نحتاج الى شحن القالي بطاقة من الحقد على البربر ، والحال أن الباحث نفسه يورد الأدلة تلو الأخرى وكلها تشهد بأن المغرب في تلك الفترة وقبلها لم تتمكن منه ملكة اللغة العربية ولم يعرف نشاطا أدبيا كبيرا ، وهو الذي ينتهي في آخر بحثه الى تقرير النتيجة التالية بعد جولة طويلة في محاولة معرفة الأسباب والدواعي التي خلفت المغرب أدبيا ولغويا عن الأندلس والمشرق ، فيقول : «.. وهكذا أنتهي الى القول بأن أهل هذا الوطن – يعني بر العدوة أو المغرب – لم تساعدهم ظروفهم وأحوالهم في أثناء الأجيال الهجرية الأولى على الاختلاط والامتزاج بالعرب ، فلم تتمكن منهم ملكة اللغة ، ولم ينطلق لسانهم بمأثور الكلام . ولعل هذا ما عناه ابن سعيد في كتابه ''المرقص والمطرب من أشعار أهل الأندلس والمغرب'' حين تكلم على شعراء المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط ، فقال : ''أن الجاهلية وما بعد الى المئة الرابعة ، عاطلة مما هو من شرط هذا الكتاب''» (106) .

وخامسها – أن هناك احتمالا نبه اليه الباحث نفسه ، وهو أن الكلمة التي رواها ابن بسام عن القالي «ربما حرفت بتناقلها على الألسنة مع تطاول الأيام ، وانحرف مبناها فتغير معناها ، فأصبحت على لسان صاحب الذخيرة وقد أريد بها ما لم يرد عالم بغداد» (107) . ذلك أن ابن بسام – فيما قال – قد انفرد بروايتها أولا ، مع بعد ما بينه وبين القالي من الزمان ، ولم يذكر سنده فيها ثانيا ، ولم يغرفها من كتاب أو وثيقة مسجلة ثالثا ، وهي فوق ذلك واردة عنده في اطار المفاخرة بأهل بلده ومحاسن جزيرته الأندلسية (108) . فاذا صح هذا الاحتمال فسيكون مما يؤيد رأينا .

(106) (ص 35) . ويجب ملاحظة أن الحكم على المغرب بخلوه من الآداب أو عدم تمكنه من اللغة هو حكم نسبي عام لا يراعي الاستثناءات التي لا تقارن بالازدهار العلمي والأدبي في المشرق والأندلس .

(107) (ص 20) .

(108) ويستأنس الباحث على دعوى التحريف بكلمة (الغباوة) التي حرفت في رأيه عن (العبارة) . =

ومهما تكن الحال ، فان القالي بعد تلك الواقعة ، ظل في الأندلس ستة وعشرين عاما يواصل الحلقات ، ويردف العطــاء بالعطاء ، تارة يملي بالزهراء مجالســه ، وتارة ينشــر بين الطــلاب فوائده وآثاره ، ويصحح مــا بأيدي الناس من الكتب والصحائف ، ناشطا للتأليف معانا عليه بأمير عالم ، حتى استطاع في ظرف وجيز أن يترك هنــاك آثارا عميقة في سير الدراســات اللغوية والأدبية ، ظلت مثمرة بعد وفاته قرونا طويلة .

وكانت المدة التي قضــاها بالأندلس موزعة شطرين : شطرا أمضاه في خلافة الناصر المتوفى سنة 350 هـ ، وشطرا قضاه في حياة ابنه المستنصر ، الى أن كان يوم من سنة 356 هـ ، فوافاه أجله ، ودفن بقرطبة . وحكي أنه وجد في لوح رخام كان قد سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي عند تهدمها هذان البيتان :

صلوا لحد قبري بالطريق وودعــوا
فليس لمن وارى التراب حبيـــــب
ولا تدفنــوني بالعــــراء فربمــــا
بكى أن رأى قبر الغريب غريب (109)

مات اذن في مغتربه البعيد عن موطن آبائه وأجداده ، ودفن في مهــاجره الذي ساقه اليه طموحه لينشر العلم وينال المجد . فلئن تغرب جسده في تلك التربة ، فما تغرب علمه ولا اندثرت أياديه وآثاره .

وفي يتيمة الدهر للثعــالبي (110) أن تلميــذه أبا بكر الزبيدي رثاه بقصيدة : «.. جزلة الألفاظ ، كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم» . قال : وهي قصيدة طويلة أولها (السريع) :

تالله لا يبقــى لصــرف النـــــوى
ذو جسد في رأس نيق (111) منيــف

وبموت القالي طويت صفحــة خالدة من صفحــات تاريخ العلم بالأندلس ، بعد عمر طويل قضى أكثره في التحصيل والحفظ ، وبعضه في الرحلة والتطواف ، وآخره في التدريس والتعليم والتأليف .

= واذا صح ذلك يجب قراءة النص الوارد بالذخيرة على هذا النحو : (لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدهم درجات في العبارة وقلة الفهم ..) .

(109) النفح (4/70-74) .

(110) اليتيمة (2/71) .

(111) النيق : أرفع موضع في الجبل .

أبنــاؤه :

المعروف من أبنــاء القالي : جعفر الشــاعر الذي كأن من مادحي المنصــور الحاجب . وسـتأتي ترجمته ضمن تلاميـذ والده ، وفي الذيل والتكملة للمراكشي ترجمة لولد آخر من أولاده هو القاسم . ولكن المؤلف ارتاب فيه فقال : «والمعروف جعفر» (112) . كما وجد بخط الحكم المستنصر أن القالي خلف من الأبنــاء محمدا المعروف بأبي الهيجاء ، وجعفرا المعروف بأبي القاسم (113) . فقد نقل ذلك المحقق د . احسان عباس من هامش نسخة خطية لكتاب الذيل والتكملة . غير أننا لا نعرف عن محمد والقاسم شيئا من الأخبار ، ان صح أنهما من أولاده .

---

(112) الذيل والتكملة (ق 2 س 5 ص 543) .

(113) هامش المصدر السابق (ص 544) .

القسم الثاني

أثر القالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس

تمهيــــد

حول تأثيـر القالي

1 ـ أن الحديث عن تأثير القالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس ، هو بادىء ذي بدء ، حديث عن التأثير الثقافي المشرقي في المغرب ، ابتدأ بدخول العرب الفاتحين ، ونمته أسباب الاتصال بين شطري العالم الاسلامي : كالتبعية السياسية للحكم المركزي لفترة معينة ، وتبادل الرحلات واستيطان المهاجرين العرب في هذا الجناح الغربي ، واستجلاب الكتب التعليمية والموسوعات ، وتبني منـاهج الشرق في التدريس والتلقين ، واتخاذ علماء مشارقة في التأديب والتوجيه والتثقيف . ثم زاده نماء ، تشجيع الخلفاء والأمراء الأمويين العرب ، المحافظين على ثقافة وتراث الأسلاف .

نذكر هذا دون أن ننسى أن الأندلس لم تنفصل في العمق قط ، وطيلة وقوعها في يد المسلمين ، عن الخريطة الكبرى للعالم العربي . بل ظلت قنطرة التواصل بينهما راسخة الأعمدة . وروابط القربى متواشجة . ولا سيما أن اللغة العربية أولا والدين الاسلامي ثانيا كانا في مقدمة هذه العرى التي لا تنحل ، وتخصب اللحمة التي لا تتمزق .

لذلك لا نعجب مثلا حين نرى كتاب سيبويه ، يدرس في مسجد الرصافة ببغداد ، كما يدرس في المسجد الجامع بقرطبة ، أو مسجد عقبة بالقيروان أو القرويين بفاس ، في فترات متفـاوتة أو متقاربة . كمـا لا نعجب ان رأينا أن كتاب الجمل في النحو للزجاجي ، الذي ألفه صـاحبه ببغداد ، ضرب الرقم القيـاسي في كثرة ما وضع

الأندلسيون حوله من شروح واختصارات ودراسات وأن تأثير شاعر كبير كالمتنبي في القسم الشرقي للعالم العربي ، لم يكن أكثر من تأثيره وصداه في القسم الغربي لهذا العالم ، وأن المختارات الشعرية والأدبية والرسائل الفنية ، كانت تحفظ وتقلد في كل العواصم الاسلامية بلا استثناء . ولشد ما تجدني معجبا برجل كالثعالبي الذي تمتع بحس عميق ، ووطنية لا تعترف بالحواجز ، حين جمع في يتيمته نماذج من أشعار ومحاسن أهل عصره ـ دون تمييز أو تضييق ـ فيها الأندلسي ، والشامي ، والمصري ، والعراقي ...

وهكذا نجد أن هذا التأثير الذي نسميه عادة : (تأثير الشرق في الأندلس أو الغرب الاسلامي) هو في حقيقته ، نوع من (تأثير الشرق في الشرق) ، أو تأثير العروبة بعضها في بعض ، كتأثير الحجاز في العراق ، وتأثير العراق في الشام .

واذا كان ابن بسام الأندلسي في كتاب الذخيرة ، يصرخ قائلا : «.. ان أهل هذا الأفق أبوا الا متابعة أهل المشرق ، يرجعون الى أخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما . وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مرمى القصية ، ومناخ الرذية ..» (1) . فاننا لا يجب أن نفهم كلامه على أنه نابع عن اقليمية ضيقة ، أو وطنية محدودة فيما بين البحرين : المتوسط والأطلسي ، بل هو مجرد غيرة منه ، دفعته لتتبع محاسن أهل جزيرته ، واعتزاز بالذات وشعور بالشخصية الأندلسية ، التي كانت في وقته قد برزت ملامحها وخرجت من طور التقليد الى طور الأصالة والابداع . وان شئت فقل : هي ثورة منه على القديم البالي ، دون تقيد بزمان أو مكان ، ودعوة الى الالتفات للجديد والحديث الذي أتى به أهل بلده ، لأنه لأصالته يجب أن يوضع بازاء الأصيل من أدب الشرق . قال : «اذ كل مردد ثقيل ، وكل متكرر مملول ، وقد مجت الأسماع :

يا دارَ ميَّةَ بالعلياء فالسَّنَدِ

وملت الطباع :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

---

(1) الذخيرة : القسم 1 المجلد 1 (ص 2) ـ والقصي والقصية من الناس والمواضع : المتنحي البعيد ، والقصايا أيضا جمع قصية : خيار الابل ـ والرذي من الابل : المهزول الهالك الذي لا يستطيع براحا ، والأنثى رذية (لسان العرب) .

ومحت (2) × قفا نبك × في يد المتعلمين ، ورجعت على ابن حجر بلائمة المتكلفين . فأما : (أمن أم أوفى) فعلى آثار من ذهب العفا ، أما آن أن يصم صداها (3) ، ويسأم مداها ؟ وكم من نكتة أغفلتها الخطباء ، ورب متردم غادرته الشعراء ، والاحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور ، وعزيز علي الفضل أن ينكر ، تقدم به الزمان أو تأخر . ولحى الله قولهم : (الفضل للمتقدم) ، فكم دفن من احسان ، وأخمل من فلان . ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير ، وذهب أدب غزير» (4) أفلا ترى في كلامه صورة طريفة لمعركة قائمة منذ وجدت الآداب بين القديم والحديث ؟ ولا سيما أنه يعانق دعوة أبي تمام ، لأنه قمة الثورة على التقليد الشعري في أدبنا القديم ، ويتمثل بقوله المشهور :

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قــرت
حياضك منه في العصور الذواهــب
ولكنه صوب العقــول اذا انجلــت
ســحائب منه ، أعقبت بســـــحائب

حقا أن ابن بسام ، وغيره من أدباء عصره المعتزين بنفسهم الواثقين بمواهبهم ، كانوا ينطلقون من روح المنافسة بين المغرب والمشرق ، ولكن هذا التنافس يجب أن لا يســاء فهمه ، اذ ما كان لابن بسام مثلا ، أن يرفض الثقافة المشرقية رفضا ، وهو الذي يقلد في أسلوبه المسجوع المنتقى أســلوب مدرسة شرقية متصنعــة ، ويبني كتابه الذخيرة ، على مثال يتيمة الثعالبي حذو النعل بالنعل ، من العنوان الى التصميم والهدف ، ويملأ بطن مؤلفه بالمقارنات بين شعراء وأدباء الأندلس ، وشعراء وأدباء المشرق ، وينبه خاصة على السرقات المأخوذة من المتنبي وأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وأمثالهم من المشاهير . وقد طبع حديثا الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور كتابا في (سرقات المتنبي ومشكل معانيه) ينسب اليه (5) .

وأما ابن حزم في رسالته التفاضلية ، فقد كان هو الآخر منافسا بأدباء بلاده ، أدباء المشرق ، ولكنه لم يكن متنكرا أو متنصلا من المثــال الشرقي ، لأنه المثال الذي احتذاه أدباء اللغة العربية جميعا . فهو حين يفاضل بأمالي القالي ، يشبهه بكامل المبرد ، وحين يفاخر بأبي الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر ، لا يبــارى به الا جريرا والفرزدق ... وهكــذا لم تكن صرخة أهل الأندلس الا مجرد مظاهرة احتجاج صاخبة على انصراف الناس – ولا سيما في الأندلس – عن هذا الأدب النابع من أرضهم ، مع شدة تعلقهم بالأدب الوافد . وهي صرخة تنبىء – بقدر

(2) محت : بليت .
(3) صم صداه : أي صوته : هلك ومات .
(4) الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد 1 (ص 2) .
(5) طبع بتونس سنة 1970 م .

ما تنبىء عن تفطن هؤلاء الأدباء الى أصالتهم ، ومطالبة وقوفهم على قدم المساواة مع أدباء بغداد أو الشام – عن رسوخ (الشرقية) في ثقافة وأذواق الناس ، هذا الرسوخ الذي كان القالي أحد أعمدته القوية في القرن الرابع .

اننا نتلمس حزنا عميقا ، ومرارة مؤسفة في أبيات ابن حزم الذي لم يكترث له عصره ، بل ضايقه الناس وآذوه لا لشيء ، الا لأنه معاصر لهم ، وابن مألوف من أبناء الوطن ، والنفس مغرمة بحب الغريب ، مستشرفة كل آت :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع
لجد على ما ضاع من ذكري النهب

وفيها يقول .

هنالك يدرى أن للبعد قصة
وان كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا
له ، ودنو المرء من دارهم ذنب (6)

فهذه (الشرقية) اذن ، قد أصبحت لفترة طويلة مستحكمة في الطباع متمكنة من الأذواق . ومثالا للسمو والكمال الأدبي .

2 – أما دور القالي في ترسيخ هذه الثقافة الشرقية وتعميمها بالأندلس ، فان جمهرة الباحثين – من عرب ومستعربين – يقفون مواقف متفاوتة في فهمه وتقديره ، وان كان أكثرهم يكاد يحمل القالي نصف المسؤولية أو أعظمها .

فأحمد أمين مثلا في مقدمة العقد الفريد ، يرى أن الأندلس عرفت مدرستين ثقافيتين ، احداهما تعنى بالأدب الأندلسي وتدوينه ، والأخرى تعنى بنقل أدب الشرق لأهل الأندلس ، «كما فعل أبو علي القالي نزيل الأندلس ، في كتابه الأمالي ، وكان به زعيم هذه المدرسة . **فقد كان كتابه النواة الأولى التي بذرها أبو علي في بلاد الأندلس** من علوم المشرق ، فنمت وأثمرت ونضجت ، وأتت أكلها كل حين باذن وبها . **وقد كانت أماليه المدرسة التي تخرج عليها مشهورو الأدباء في الأندلس» . ثم يقول : «وأتى بعده من تلاميذ هذه المدرسة ابن عبد ربه»** (7) .

---

(6) المعجب (48) – تحقيق العريان والعلمي ، ط . القاهرة 1949 م .

(7) مقدمة العقد الفريد ، بتحقيق أحمد أمين ، وابراهيم الأبياري ، 1940 م القاهرة . في مقدمة التحقيق [illegible]

وفي مقدمة لطبعة أخرى ، بتحقيق الأستاذ سعيد العريان ، صدرت في نفس الفترة ، يرد العريان على قول أحمد أمين الذي غالى فيه وأخطأ خطأ تاريخيا كبيرا حين زعم ـ كما رأيت ـ ان ابن عبد ربه تلميذ مدرسة القالي ، وان كتابه (العقد ..) هو ثمرة (الأمالي) (8) . ثم يقول : «فلا يمكن مع هذا أن يكون علم أبي علي جديدا على أهل الأندلس ، في أواسط القرن الرابع ، وأن يكون نواة وقدوة ، ومنشىء مدرسة يتخرج عليها مثل ابن عبد ربه مؤلف العقد» (9) .

وقد جمعت بين هذين الرأيين لأن أحدهما يكمل الآخر ، ويبصر بما فيه من أخطاء . واذا كنت أوافق الأستاذ أحمد أمين فيما ذهب اليه ، من أن القالي قد أوجد مدرسة متميزة أثمرت وأتت أكلها ، فاني لا أوافقه على أن القالي هو واضع النواة الأولى للعلوم الشرقية ، بل هو في الكتاب الواحد بعد ذلك ، يناقض نفسه حين يزعم أولا أن القالي وصاعد البغدادي ، كانا أول من وضعا «أساس الثقافة الشرقية في الأندلس في اللغة والأدب» (10) ثم يعود ثانيا ليقول : «وقد قلنا من قبل : أن ليس أبو علي أول من بذر البذرة ، فقد بذرها العرب والبرابرة ، فاتحو الأندلس . وانما أبو علي نماها ، ونظم تعليمها . وربما كانت هناك كتب من المشرق تتسرب الى المغرب ، فيأخذ منها الأندلسيون أدبهم ..» (11) وعلى كل ، فالمرء لا يملك الا أن يوافقه على هذا الرأي الأخير .

وبالمقابل ، فاني اذا وافقت الأستاذ العريان فيما رد به على زميله من أن علم أبي علي لم يكن جديدا على أهل الأندلس ، وأنه لم يضع النواة الأولى للعلوم العربية بالأندلس ، ولم يتخرج من مدرسته ابن عبد ربه المتوفى قبله ، فلن أوافقه مع ذلك على أن القالي لم ينشيء قط مدرسة خاصة متميزة أثناء القرن الرابع ، فهذه المدرسة هي موضوع القسم الثاني من هذا البحث .

واذا تركنا أحمد أمين وزميله العريان ، وجدنا آخر يذهب مذهبا مغاليا ، وذلك هو الدكتور محمود على مكي ، الذي يقول في مقدمة تحقيق ديوان ابن دراج القسطلي ، إن الثقافة الأندلسية في عصر الخلافة ، كانت تسير في طريق النضج والاستقلال بخطى سريعة ، ثم يقول : «وكان العلماء الأندلسيون الذين لم يكفوا قط

---

(8) والمعروف أن ابن عبد ربه توفى سنة 328 هـ وانتهى من تأليف كتابه ـ كما يستنتج الأستاذ العريان في مقدمة التحقيق ـ سنة 322 هـ . أي قبل دخول القالي بسنوات .

(9) مقدمة العقد الفريد . تحقيق العريان ، ط. 1 سنة 1940 ـ القاهرة .

(10) ظهر الاسلام (3/23-24) .

(11) نفس المصدر (3/88) .

عن الرحلة الى المشرق في سبيل العلم ، قد أرسوا قواعد هذا النضوج (12) الثقافي ، بحيث لم يعودوا بحاجة الى «أساتذة» مشارقة يوجهونهم في هذا الميدان ، ولهذا فان استقدام بعض علماء المشرق في عصري الناصر والمستنصر ، انما كان ضربا من ضروب الترف والمباهاة ، لا حاجة ماسة ضرورية . حتى تأثير أبي علي القالي في الأندلس قد بولغ فيه الى حد كبير ، فالواقع أن معظم ما أتى به القالي من كتب كان مما يعرفه الأندلسيون من قبل ، اذ أتى به من المشرق من قبل ذلك علماء أندلسيون . الا أنه لم يكن هناك بأس على أية حال ، في أن تفاخر قرطبة أترابها من العواصم الاسلامية ، بأن هناك من علماء المشرق من يتخذونها ملاذا ومستقرا ..» (13) .

فاذا كنا نقبل منه الفكرة الأولى في هذا النص بتحفظ ـ لأننا نراه مبالغا بدوره في تقدير حالة الثقافة في عصر الخلافة ، حين تمثلها وقد وصلت مرحلة التشبع والنضج ، بحيث لم تعد الأندلس معها في حاجة لأساتذة ، وحين أصدر هذا الحكم على عصر الخلافة بأتمه ، دون أن يلاحظ أن القالي دخل الأندلس في بدايته ، فكان له دور مهم في تسوية هذا النضج ـ أقول : اذا قبلنا منه تلك الفكرة بتحفظ ، فنحن نخالفه تماما في الفكرة الأخيرة التي يشكك بها في قيمة تأثير القالي بالأندلس ، ويجعل وجوده بها كوجود قطعة خزف في متاحف الأثرياء ، للمباهاة والمنافسة ، لا للاستعمال والمشاركة في صنع الحياة وتوجيه الفكر والعلم . وأصل هذا التصور عند الدكتور مكي ، أنه مبني على خطأ لا بد من التنبيه عليه ، اذ المفهوم من عبارته أن أثر القالي ، كان محصورا فيما جلبه معه من كتب الشرق . وهذا عندي ـ كما يوضحه البحث ـ أضعف نواحي تأثيره . والا فالقالي أثر أولا بواسطة تلاميذه الذين تعاقبت أجيالهم ، طبقة بعد أخرى ، ثم بمؤلفاته التي وضعها بالأندلس ، فتبعه وسار على خطته المتأثرون به ، ثم بتشجيعه للذوق التقليدي في الأدب واللغة والدراسة والتأليف ، فاذا نظرنا بعد استكمال قراءة القسم الثاني من هذا البحث الى ما قاله الدكتور مكي ، وجدناه مبنيا على السرعة والاستعجال .

أما غير هؤلاء من الدارسين ـ فيما وقفت عليه من آراء ـ فهم واثقون جميعا بوجود مدرسة (قالية) ذات تأثير قوي بالأندلس . وفيهم من غالى مغالاة أحمد أمين ، أو هو الذي غالى مغالاة غيره ، مثل بروكلمان الذي يقول : «أما الأندلس فكان أول من نقل اليها علم الأدب ، أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون» (14) وهي دعوى عريضة ـ كما سبق القول ـ لا يتسع لها جهد القالي . وغيره كان يرى أن للقالي

---

(12) كذا

(13) مقدمة ديوان ابن دراج . تحقيق الدكتور محمود علي مكي . ط 2 1389 هـ .

(14) تاريخ الأدب العربي (277/2) ط. 2 (الترجمة العربية) .

مدرسة خاصة في الشعر . وهو الدكتور أحمد كمال زكي (15) ويقصد بذلك تأثيره الخاص في الاتجاه التقليدي في الشعر الأندلسي (16) .

أما من القدامى ، فيكفي للتمثيل لآرائهم ، أن نذكر بنص ابن حيان السابق (17) ، الذي يقول فيه بالخصوص : ان القالي كان «أعظم من وفد الى الأندلس من العلماء» .

3 — ولكي نزداد تصورا لهذا التأثير ، ونعرف مقدار الفراغ الثقافي الذي ملأه وجود الرجل بالأندلس — ونحن لا نزعم أنه كان يمثل العامل الوحيد في نهضة القرن الرابع وما بعده — علينا أن نعرف ولو باختصار ، حصيلة الثقافة الأدبية واللغوية في الأندلس قبل دخوله ، وأن نقيس مقدار ما كان منها موجودا . حتى اذا فرغنا من هذا البحث ، عرفنا قيمة الاضافة التي تركتها مدرسة القالي وما خلفته من أعلام كبار ، واتجاهات وتيارات .

فاذا كنا من قبل قد ذكرنا أن القالي حقا لم يجد الأندلس بلدا عقيما ، ولا سطحا جافا لا أثر فيه لتجاعيد النبوغ والذكاء ، ولا خاليا من الكتب والدراسات والعلماء ، وأنه لم يضع النواة الأولى للثقافة العربية المشرقية بها ، وانما نماها وأثراها ووجهها ، فلأنه كان هنــاك — كما سبق في فصل آخر — علمــاء رحلوا الى الشرق ، وآخرون رحلوا منه الى الأندلس ، وتم على يدهم جميعا نقل بذور هذه الثقافة بكتبها ومؤلفاتها . وحكى الزبيدي في طبقاته ، أن أبا جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي — وهو أحد المشارقة الوافدين أدخل الى الأندلس كتب ابن قتيبة وبعض كتب الجاحظ — حين دخل الى الأندلس ، ثم خرج منها عائدا لبلاده ، قيل له : كيف تركت الأندلس ؟ فقال : «والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم أن أراه مع نأى دارها . لقد رأيت فقهــا وشــعرا ، ونحويين وأدباء» (18) . بل أن الأندلس قبل القالي ، كانت على اتصال مباشر بكل التيــارات الفكرية والشــعرية ، والأدبية واللغوية في المشرق ، ما ان يجد هنالك مذهب أو يقوم شاعر أو لغوي أو أديب ، حتى تجد له في الأندلس أنصارا ومعجبين

---

(15) تراث الانسانية ، المجلد 5 (ص 55) .

(16) وأنظر من آراء بقية الباحثين : رأي سعد اســماعيل شلبي في كتــابه (دراسة أدبية في الشعر الأندلسي) (ص 26) — وألبير حبيب مطلق في (الحركة اللغوية بالأندلس) (ص 204) — واحسان عباس في (تاريخ الأدب الأندلسي) (1/64—65) — وحسن ابراهيــم حسن في (تاريخ الاســلام) (355/3) — والمرحوم محمد الفاضل ابن عاشور في مقاله بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (السند التونسي في علم متن اللغة) (ج 19 ص 8) سنة 1965 م — وغارســيا غومس في كتــابه (الشعر الأندلسي) (ص 37) — والدكتــور أحمد هيكل في (الأدب الأندلسي) (ص 191) — وليفي بروفنسال في الفصل الذي تحدث فيه عن التأثير الشرقي في الثقافة الأندلسية من كتابه (تاريخ اسبانيا الاسلامية) (Histoire de l'espagne musulmane) (ج 3 ص 496 . باريس 1953 .

(17) أنظر المقتبس لابن حيان . مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 87 الورقة 181 ظ .

(18) طبقات الزبيدي (272) . وكان ذلك في نهاية القرن الثالث .

وقارئين . غير أن هذا الذي قلناه ، لا يصور الحقيقة تامة ، فالوجه الثاني لهذه الحقيقة : هو قلة ما كانت تتوفر عليه الأندلس ـ قبل مرحلة القالي ـ عن المؤلفات والدراسات الأدبية واللغوية . فلو قمنا بوضع ثبت أندلسي بما ألف من ذلك قبل دخول القالي ، لوجدنا أنفسنا أمام قائمة صغيرة . ولا بأس أن أورد هنا ما استخرجته من طبقات الزبيدي من هذه الكتب التي انتهت الينا أسماؤها :

المؤلف	وفاته	الكتاب	الصفحة
1) جودى بن عثمان	198 هـ	1) تأليف في النحو	256
2) خصيب الكلبي	ق : 3	2) مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيد	259
3) ابن أبي غزالة	ق : 3	3) كتاب ألفه في العربية	259
4) عبد الملك بن حبيب السلمي	ق : 3	4) كتاب في اعراب القرآن 5) كتاب في شرح الحديث 6) دواوين في الأخبار ؟	260
5) أبو بكر بن خاطب المكفوف	ق : 3	7) تأليف في النحو	273
6) أبو الحسن مفرج بن مالك (البغل)	ق : 3	8) كتاب في شرح كتاب الكسائي	273
7) ابن الأغبس وعبد الملك ابن شهيد	ق : 3	9) كتاب استخرجاه من كتاب العين	275 - 276
8) الأقشتبن	307 هـ	10) شواهد الحكم 11) طبقات الكتاب	282
9) زيد البارد	300 هـ	12) كتاب جمع فيه بين الأبواب في كتاب الأخفش	284
10) الخشني	ق : 3	13) كتاب في شرح الحديث	285
11) عثمان بن سعيد (حرقوص)	320 هـ	14) كتاب في طبقات الشعراء بالأندلس	288
12) عمر بن عثمان الجرز	ق : 4	15) رسالة ناقض بها ابن المقفع في اليتيمة	301
13) أحمد بن موسى الرازي	344 هـ	16) كتاب في أخبار أهل الأندلس	302

المؤلـف	وفاته	الكتـاب	الصفحة
14) أبو العباس الطبيخي	352 هـ	17) شـرح في شـعر حبيب وصريع	304
15) أبو الأصبغ البوشقيري	ق : 4	18) تأليف في النحو	308
16) أبو عبد الله محمد بن عبد الرؤوف	ق : 4	19) الف في الأخبار والتواريخ وطبقات الشعراء بالأندلس	309
17) قاسم بن ثابت السرقسطي	ق : 4	20) كتـاب الدلائل في شـرح الحديث	284
18) منذر بن سعيد البلوطي	ق : 4	21) كتاب الغريب	295

تلك بالتقريب ، حصيلة ما ألفه الأندلسيون قبل دخول القالي من كتب اللغة والأدب ، وهي تحتوي أيضا على مؤلفات لرجال عاشوا مع القالي الى آخر حياته . فان زيد على هذه اللائحة شيء مما يكون في غير طبقات الزبيدي من كتب التراجم الأندلسية ، فلن يتعدى جملة قليلة لا تؤثر فيما نرتب من نتائج . وهي كما ترى قائمة صغيرة لا تتناسب بحال ، مع ما يزيد على قرنين وثلث قرن ، من الوجود العربي بهذه الجزيرة . هذا مع التنبيـه على أن كل هذه المـؤلفات ، لم تكن ذات أثر يقوي قوة مؤلفات المدرسة القالية . ولهذا السبب قد يكون (العقد الفريد) لابن عبد ربه المؤلف سنة 322 هـ ، هو أقرب هذه الكتب من حيث خصـائصه الى أمالي أبي علي ، وأكثرها قيمة .

وكما أن ساحة المؤلفين لم تكن خالية ، فكذلك سـاحة المؤدبين والمدرسـين والأساتذة ، بل ان الأندلس عرفت عددا كبيرا من العلمـاء ، أتى الزبيدي على ذكر ست طبقات منهم الى منتصف القرن الرابع . وكان أشهر الأساتذة والمؤدبين ممن كان لهم تأثير في اللغة والأدب ، وكونوا مع القالي وتلامذته نهرا واحدا متدفقـا ، متعدد الجداول والفروع .

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخشـني القرطبي (ت 286 هـ) وكان من تلامذة أبي حاتم السجستاني وغيره ، وأدخل الأندلس الكثير من الحديث واللغة ، والشعر الجاهلي (19) .

(19) الوعاة (52) ـ الطبقات للزبيدي (268) (وهو عنده : محمد بن عبد السلام) .

(2) يزيد بن طلحة العبسي . وكان أستاذا في علم العربية واللغة (20) .

(3) طاهر بن عبد العزيز أستاذ ابن القوطية وجماعة (21) .

(4) موسى بن أزهر الاستجي ، وكان عالما باللغة ، يقرأ عليه شرح الحديث ، والغريب المصنف (22) .

(5) يوسف البلوطي اللمتوني (ت 334 هـ) وكان يقرأ عليه كتب الأدب ، وكتاب يعقوب بن السكيت في اصلاح المنطق ، ونحو ذلك من كتب اللغة والأدب (23) .

(6) محمد بن يحيى الرباحي ، لقي أبا جعفر النحاس ، وحمل عنه الكتاب فكان يقرأ عليه بالأندلس ، ويعقد للمناظرة فيه مجلسا في كل جمعة ، وهو من المتأخرين (ت 358 هـ) (24) .

(7) محمد بن عبد الله الغازي القرطبي (ت 296 هـ) وهو من تلامذة السجستاني والرياشي ، وأدخل الأندلس الأخبار والأشعار العربية وأخذها عنه أصحاب الأندلس (25) وقد سبق ذكره (26) .

ولائحة العلماء والأساتذة الذين كانوا يدرسون – بجانب القالي أو قبيل قدومه – في قرطبة والحواضر الأخرى طويلة الذيل ، وهم جميعا من المشتغلين باللغة والنحو والأدب ، والمعجبين بالثقافة التقليدية الأصيلة . ولكن الذي يبقى بعد هذا أن أحدا من هؤلاء ، لم يكن له دور القالي ، وتأثيره الذي سنراه .

4 – وأخيرا اذا توصلنا الى وضع هذه المقدمات للشروع في دراسة التأثير الخاص بالقالي ومدرسته ، فلكي تكون لنا على هديها علامات وصوى ، تحدد طرائق وجوانب هذا البحث حين تتشعب خطوطه ، وتلتوي دروبه .

وقد رأينا أن ننظر الى هذا التأثير من جوانبه الكبرى ، ونحدده في ثلاث زوايا أو أشكال واضحة تكون موضوع هذا القسم ، وهي :

(1) التأثير بواسطة المؤلفات .

---

(20) طبقات الزبيدي (271) .
(21) نفس المصدر (273) .
(22) نفس المصدر (276) .
(23) نفس المصدر (298) .
(24) نفس المصدر (310) .
(25) الوعاة (58) .
(26) أنظر حديثنا عن النهضة الثقافية بالأندلس في الفصل الأول من الباب الثاني من القسم الأول من هذا البحث .

(2) التأثير بواسطة التلاميذ .
(3) التأثير بواسطة الكتب التي أدخلها الأندلس .

وسنضمن خاتمة البحث ، كلاما مركزا وموجزا عن أثر القالي في تشجيع الذوق الأدبي التقليدي ورعايته وتوجيهه ، وبذلك سيضاف شكل آخر من أشكال هذا التأثير .

الباب الأول

تأثير القالي بواسطة مؤلفاته

الفصل الأول :

1 ـ التحقيقــات

2 ـ المؤلفــات

أ ـ الكتب التي لم تصل إلينا

ب ـ المؤلفات الموجودة .

الفصل الثاني :

المقصور والممدود وأثره

الفصل الثالث :

كتاب الأمالي وأثره

الفصل الرابع :

كتاب البارع في اللغة وأثره

الفصل الخامس :

كتاب أفعل من كذا .

الفصـــل الأول

(1) التحقيقـــات

لقد تكرر القول أن ليس في النصوص المتصلة بحياة القالي وأخباره ، ما يفيد أنه جلس للتدريس في بغداد ، أو تحلق حوله بعض من طلابها . كما لا نعرف شيئا من مؤلفاته وتصانيفه ، وقد اشتهر عند وراقيها قبل الدخول للأندلس . وان كانت حياته الطويلة التي قضاها بالمشرق لا تمنع من وقوع ذلك . وهكذا فنحن لا نعرف من مؤلفاته في تلك المرحلة سوى جزء من كتاب أشار اليه ابن خير ، ضمن ما جلبه أبو علي الى الأندلس من الأخبـــار فقـــال على لسانه : «**لغة مجموعة** ، تأليف ولم أتمه» (1) . بالاضافة الى بعض التحقيقات والتعليقـــات الموجزة على حواشي تلك الكتب التي أدخلها معه . ويبقي بعد هذا ، أن مجموع مؤلفاته وكتبه الأخرى ، هي (أندلســية الوضع) وان كانت بغدادية الروح ـ كما قال المرحوم محمد الفاضل بن عاشور (2) ـ ويمكن تقسيم آثار القالي التي خلفها الى :

(1) ما هو تأليف بالمعنى الانشائي .

(2) ما هو من قبيل التحقيق والتعليق على مؤلفات غيره .

ذلك أنه من الاجحـــاف في حق الرجل أن يغمض في هذا البحث المفصل ، عن جهوده في تحقيـــق الأصول القديمة وتوثيقها ، وتبويبهـــا وتنظيمها ، حتى صارت صحيحة معتمدة .

---

(1) فهرسة ابن خير (399) .

(2) أنظر مقاله . حول السند التونسي في علم متن اللغة . مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد 19 سنة 1965 (ص 8) .

وأبدأ بهذا القسم الأخير لاختصاره ، فأقول : اذا كانت عادة الدارسين اليوم ، أنهم لا يلتفتون في آثار وانتاج الشخص الذي يدرسونه ، الا لما كان منها تأليفا بالمعنى الانشائي والاملائي ، دون أن يهتموا بالجانب الآخر من أعماله المتمثلة في التصويبات ، والتعليقات ، والاحالات التي يثبتها العالم بهوامش الكتب التي يشتغل بها درسا أو تدريسا ، أو ما يقوم به من تبويب وتنظيم ، ومقابلة للأصول قبل اعتمادها ، مما يدخل جميعا تحت ما نسميه اليوم : بالتحقيق والتوثيق . فاني أتساءل : ما هو الفرق بين هذا العمل المنسوب للأسلاف على علاته ، وبين العمل الذي يقوم به اليوم جمهرة علمائنا وباحثينا ، حين يعمدون للأصول العتيقة فيقابلونها بأصولها ، ويصححون أخطاءها ، ويوثقونها ، ثم يخرجونها في صورة علمية يصح الاعتماد عليها ، والاستفادة منها على الوجه الأكمل ، وينالون بذلك كله درجات علمية وألقابا جامعية ؟ هذا مع العلم أن مثل تلك الوظيفة القديمة ، لم تكن ميسرة للجميع ، ولا مباحة لكل عالم ، بل أن لقب (المحقق) أو (الثقة والموثق) كان عندهم مقصورا على شيوخ العلماء وأئمتهم ، الذين تجتمع لهم أدوات وشروط شاقة ، كالحفظ ، والأمانة ، والتثبت ، والضبط ، والاتقان ، والكفاءة ، والعقل . الى غير ذلك من الصفات التي اقتبسها اللغويون من المحدثين ، وخضعوا فيها مثلهم الى نقد منهجي صارم يسمى (التعديل والتجريح) وبمعنى ثان فان درجة المحقق عندهم كانت أعلى من درجة العالم . فكيف يجوز مع هذا أن يكون اسم الدارس المحدث مقرونا بكتاب من الكتب التي حققها ، فيقال : كتاب كذا ، وتحقيق فلان ... ولا يقال مثله للقدماء ، وهم أول من عرف هذا العلم ؟ على أن الفارق الموجود في هذا الأمر بين القديم والمحدث ، مرده فقط الى تفاوت بسيط بين المنهجين في الشروط والقيود ، كالتفاوت بين التأليف عند القدماء . وطريقته عندنا .

وأعمال القالي في هذا الميدان كثيرة جدا ، لا سبيل لحصرها واحصائها . ويكفي أن تكون أكثر المؤلفات التي جاء بها من المشرق ، قد قوبلت عنده بأصولها التي قرأ فيها على عدد من شيوخه ، فصارت عمدة أهل الأندلس فيما يدرسون ويؤلفون . فهذا أبو عبيد البكري ، يتخذ من خطوط القالي ، وخطوط شيوخه على الكتب التي أدخلها ، مصدرا أساسيا فيما انتقده ونبه فيه على أبي علي نفسه .

فهو مثلا يرجع الى خطه في أمالي ابن الأنباري عند شرح هذا البيت من (الأمالي) :

وآمِرَةٍ بالبخل قلت لها : اقصري
فذلك أمر ما اليه سبيل

فيقول : «ورأيته **بخط أبي علي** ، في أمالي ابن الأنباري : اقصدي وعليه **بخطه** : أقصدي الى قول الحق» (3) .

ويرجع الى خطوطه في نوادر ابن الأعرابي ، لشرح هذا البيت المنسوب في الأمالي لشاعر قديم :

وعاذلة هبت بليل تلومنـــــي
ولم يغتمزني قبل ذاك عـذول

ويقول : «قال المؤلف : هذا الشعر لبعض بني فزارة . ورأيت عن أبي تمام في نوادر ابن الأعرابي **بخط أبي علي** ، ومن هناك نقله ، وعنه رواه : ''ولم تغتمزني قبل ذاك عذول'' بالتاء ، والاغتماز : الاستضعاف ، **وبخطه هنـاك** : ''فلا تتبعي العين الغوية'' ...» (4) .

ويرجع أيضـا الى نوادر ابن الأعرابي ، فينقـل منهـا ، وهي بخط أبي موسى الحامض وأصل أبي علي . كما ينقل أيضا عن الكتب التي أملى منها النوادر (5) .

والشيء نفسه يفعله في كتابه الآخر : (معجم ما استعجم) في مواضع كثيرة . ويفعله أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي في (الاقتضاب) وغيرهما من العلماء المحققين .

وقد كان أبو علي أهلا للمكـانة التي ارتقـاها ، حين أصبح عمدة في التحقيق والتوثيق ، لما اتصف به من أخلاق علمية ، وأمانة ، وضبط ، واتقان . وفي فهرسة ابن خير ، نعثر على كثير من العبارات التي تعطينا فكرة عن أمانته وحرصه على الصدق ، وتحرجه من الكذب والادعاء . فهو يقول مثلا عند الحديث على جزء أدخله للأندلس ، وفيه عدة من أيام العرب ، ومعاني الشعر للباهلي : «وقد كنت اشـتريت هذه النسخة على أن أقابلها ، فقطعني عن ذلك الشغل» (6) .

وفي الأمالي وغيرها من كتبه ، وقفات يعرب فيها عن تشككه وحذره ، وتصحيحاته للأخطاء ، ومقابلاته بين الروايات المتناقضة والمختلفة ، ستعرض لنا أمثلة منهـا عند دراسة المؤلفات .

ونورد هنا أمثلة محدودة لآثاره الداخلة تحت هذا النوع .

---

(3) اللآلىء (138/1) .
(4) اللآلىء (159/1–160) .
(5) نفس المصدر (339/1) .
(6) فهرسة ابن خير (338) .

(1) تحقيق كتاب العين :

فمن أهم الأعمال التي قام بها في الأندلس ، أنه كلف مع ثلاثة من تلاميذه وهم : أبو بكر محمد بن الحسين الفهري ، وأحمد بن أبان بن سيد ، ومحمد بن أبان بن سيد ، بمقابلة نسخ كتاب العين للخليل ، بأمر من الحكم المستنصر ، واستخراج نسخة صحيحة معتمدة لهذا المعجم اللغوي الشهير . وكانت نسخة منذر بن سعيد البلوطي ، واحدة من تلك النسخ المقابلة (7) .

(2) تبويب كتاب لحن العامة للسجستاني :

ذكر ذلك ابن خير (8) الذي رواه عنه بواسطة تلاميذه . وكان أبو علي يقول : «قرأته غير مبوب على أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني مؤلفه رحمه الله» .

(3) حواش وتعليقات على أدب الكتاب لابن قتيبة :

نقل منها واعتمدها ابن السيد البطليوسي ، في شرح أدب الكتاب . فهو يقول في ص : 207 من الاقتضاب :

«وأجاز أبو علي البغدادي في مرفق اليد ، فتح الميم مع كسر الفاء ، وكسر الميم مع فتح الفاء . ولم يجز ذلك في المرفق من الأمر . **حكي ذلك عنه في بعض تعاليق هذا الكتاب»** .

ويقول في ص 230 :

«قال في هذا الباب (9) : خفيت الشيء : أظهرته ، وكتمته . قال المفسر :

هذا غلط . انما اللغتان في أخفيت الذي هو فعل رباعي . وقد ذكره في باب تسمية المتضادين باسم واحد . فأما خفيت الثلاثي ، فانما هو بمعنى أظهرت لا غير . **وقد ذكر أبو علي البغدادي هذا في جملة ما رده على ابن قتيبة»** . وواضح أن هذه الردود المنسوبة للقالي على صاحب أدب الكتاب ، هي من جملة تعاليقه وحواشيه .

ثم قال في ص 269 (باب مفعلة «بكسر العين» ومفعلة «بفتح العين») :

«قال (10) في هذا الباب : مَضْرِبة السيف ، ومَضْرَبَتُه . ووقع في تعاليق الكتاب

---

(7) أنظر القصة في أنباه الرواة (3/71) – والجذوة (47) .
(8) فهرسة ابن خير (348) .
(9) أي ابن قتيبة في باب (فعلت وفعلت بمعنيين متضادين) .
(10) أي ابن قتيبة .

عن أبي علي البغدادي ، أنه قال : لا يقال : مضربة ومضربة . انما هو مضرب ، ومضرب» .

ومن خلال التمعن في مثل هذه التعليقات ـ وهي كثيرة جدا ـ يبدو أن بعضها كان مما سجله القالي بقلمه على نسخته من أدب الكتاب ، وبعضه مما حفظه ورواه عنه تلاميذه ، فسجلوه على نسخهم . وكان ابن السيد البطليوسي في هذه الحال يعتمد على تلميذ القالي أبي نصر هارون بن موسى ، فروايته عن القالي بهذا الكتاب تتردد بكثرة . وفي كلتا الحالين ، فان هذه التعليقات والتصحيحات والتنبيهات ، لو قيض لها أن تضم وتجمع في كتاب ، لخرج منها مؤلف لا يقل قيمة عن طرر البطليوسي ، والوقشي ، والبكري ، على الكامل للمبرد .

(4) حواش على الغريب المصنف لأبي عبيد :

وقد ورد النقل عنها في حواشي مختصر العين للزبيدي من النسخة المحفوظة بخزانة القرويين رقم (ط 363/80) . والتي يظن أنها لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي . فقد جاء في حاشية (ص 100) من الكتاب ما نصه : «قال أبو علي : الحدأة ، بفتح الحاء : هي الفأس ذات الرأسين ، والحدأة بكسرها ، هي الطائر . وأنكر أن يقال للفأس بالكسر . وكان في كتاب ابن الأعرابي بكسر الحاء . هذا لأبي علي في حاشية المصنف» .

(5) وقد ذكر بروكلمان (تاريخ الأدب العربي 75/2) ان نسخة الاسكوريال من ديوان أبي تمام ، تحتوي على (زيادات لأبي علي القالي) . ولكن يظهر أنه بالغ في الأمر ، ولم يدقق العبارة . فما وجد بآخر هذه النسخة لا يدل على زيادات ، ولكن يوجد بها فقط من حين لآخر ، بعض التصحيحات والروايات ، والتعليقات التي تدل على أنها نسخة مقابلة . وكتب بآخرها ما يدل على أنها منقولة من القراطيس التي كتبها أبو تمام بخطه ، وأدخلها القالي للأندلس ، مروية عن ابن درستويه ، وقام أبو القاسم بن الافليلي بعد ذلك باضافة ما ألفاه زائدا على الديوان ، في الكتب التي استقرت بخط القالي وروايته في خزانة المنصور بن أبي عامر . ولذلك اعتبرت نسخة الاسكوريال الموصوفة ، أصح أصل يعتمد في التحقيق (11) . على أن ديوان أبي تمام وشعره كانا معروفين في الأندلس قبل مجيء القالي ، فممن أدخل شعره :

---

(11) أنظر مقدمة تحقيق ديوان أبي تمام ، بقلم الأستاذ محمد عبده عزام (ص 38-39-40) من الجزء الأول ، ط. دار المعارف سنة 1964 م .

عثمان بن المثنى (ت 273 هـ) وهو أندلسي (12) . وأبو اليسر الرياضي (ت 298 هـ) وهو بغدادي وافد على المغرب (13) . وكلاهما لقي أبا تمام بالمشرق .

وهذا قل من كثر ، من نشاط القالي في ميدان التحقيق والتوثيق ، أهله لمنزلة رفيعة عند علمـاء الأندلس ، وأصبح فيهم المعلم الأول ، الذي يرجعون لأصـوله وخطوطه ، رجوع الحديث الى قتادة ، وصار عند السيوطي في المزهر ، المثل الذي يضربه دائما للعالم المتثبت المحقق (14) .

---

(12) الزبيدي (266) .

(13) النفح (135/3) تحقيق د . احسان عباس .

(14) أنظر على سبيل المثال كتاب المزهر (331/2) وما بعدها .

(2) المؤلفـــات

أ ـ الكتب التي لم تصل إلينا

لم يبق من المؤلفات التي نسبتها له كتب التراجم والآداب والتواريخ ، سوى أربعة سندرسها بالتفصيل . ونكتفي هنا بذكر ما لم يصل الينا منها :

(1) كتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها :

هكذا ذكره ابن خير (ص 355) . وقال انه في خمســة أجزاء . وعند الزبيدي (ص 186) أنه (كتاب الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعهـا) . وفي معجم الأدباء (29/7) وأنباه الرواة (206/1) أنه (كتاب الابل ونتاجها) . وفي غير ذلك يكتفى في الاشـارة اليه باسم (كتـاب الابل) كما في النفح (74/4) والوعاة (198) والحلل السندسية (ق 4 جـ 1 ص 1030) وكشف الظنون (1383/2) . واذا كان هذا الكتاب قد ضاع منا ، فان بالأمالي (جـ 1 ص 21ـ22ـ51) أحاديث ينقلها أبو علي عن الأصمعي ـ وهو ممن ألف قبله في الابل ـ (15) في أوصاف هذا النوع من الحيوان ، وترتيب أسنانه وأسمائه ، يظن أنه قد استفاد منها في هذا الكتاب .

ولم نجد صدى لكتاب الابل في الأندلس ، سوى سند يذكره ابن خير في فهرسته ربما أفاد أن الكتاب ، كان موجودا الى القرن السادس الهجري . فقد رواه ابن خير عن أبي عبد الله النفزي ، عن أبي محمد غانم بن وليد ، عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء ، عن أبي بكر الزبيدي عن القالي مؤلفه .

---

(15) ابن النديم (82) .

(2) كتاب تفسير القصائد المعلقات ، وتفسير اعرابها ومعانيها :

هكذا ورد اسمه عند الزبيدي (ص 186) . وفي ابن خير (ص 355) . وأنباه الرواة (206/1) أنه : (تفسير القصائد والمعلقات ... الخ) وفي الوفيات (226/1) : (كتاب شرح فيه القصائد المعلقات) . والوعاة (ص 198) : (شرح المعلقات) . وفي كل من معجم الأدباء (29/7) ، ومعجم المؤلفين : (286/2) ، والحلل السندسية (ق 4 جـ 1 ص 1030) ، أنه (تفسير السبع الطوال) .

وقد روى الكتاب بالأندلس بالسند السابق الذي ذكره ابن خير في كتاب الابل .

ولا شك أنه أصبح مصدرا من مصادر شروح المعلقات الأندلسية فيما بعد ، كشروح الشنتمري على الشعراء الستة . وقد وجدت نقولا عن القالي في شرح أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي المتوفى سنة 494 هـ ، لديوان أمرىء القيس (16) – وهو جزء من شرحه على ديوان الشعراء الستة – وأرجح أنها من كتاب أبي علي المذكور .

فمن هذه النقول قوله في شرح بيت امرىء القيس :

غدائره مستشزرات الى العلى
تضل المداري في مثنى ومرسل

«وروى أبو علي : تضل العقاص ، وهو جمع عقيصة . وقال في تفسيره : ربما عقدت المرأة عقيصة من شعر غيرها ، فتصلها بشعرها فاراد انها وصلت من شعر غيرها بشعرها ، فضل في شعرها لكثرته . والأول أحسن» (17) .

وقال في شرح بيت آخر لامرىء القيس :

(وتضحي فتيت المسك فوق فراشها ... البيت) .

«قال أبو علي : هذا البيت فيه ثلاث تتبيعات ، والتتبيع (18) ان يريد الشاعر ذكر شيء ، فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه بالدلالة . فوصف في البيت بالترف والنعمة ، وقلة الامتهان في الخدمة» (19) .

وقال ينقل عن أبي علي بعض أخبار امرىء القيس :

«قال أبو علي : لما أوقع أمرؤ القيس بني كنانة (...) اختلف أصحابه عليه ،

---

(16) مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1314 د .
(17) مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، الورقة 28 الظهر .
(18) في الأصل : (تبيعات والتبيع ..) . وهو خطأ ، أنظر العمدة (313/1) .
(19) شرح ابن عاصم لديوان أمرىء القيس ، الورقة 28 الظهر .

وقالوا : أوقعت بقوم براء وظلمتهم . فخرج الى اليمن الى بعض مقاول حمير ، وكان اسمه قرمل ، فاستجاشه فثبطه قرمل ، وذلك حيث يقول :

وكنا أناسا ... البيت ..» (20) .

فهذه الأمثلة وأضرابها (21) ، تدل بلا شك على أن عاصم بن أيوب قد نقل من تفسير القالي للمعلقات . والدليل الآخر على ذلك ، أن أبا علي حين روى ديوان الشعراء الستة وأدخله للأندلس ، لم يقم بشرحه ، وانما شرحه من جاء بعده من العلماء ومنهم الأعلم الشنتمري . وهذا يحملنا على الظن أن عاصم بن أيوب لم ينقل من شرح هذا الديوان ، ولكن من تفسير المعلقات .

وأما محمد بن ابراهيم بن خروف الحضرمي المتوفى سنة 609 هـ ، فهو لا شك أيضا كان ينقل عن هذا الكتاب في شرحه لديوان الشعراء الستة (22) ، خلال الاشارات الواردة بمواضع متفرقة منه (23) وهذا مثال لما أرجح أنه منقول عنه :

قال في شرح بيت امرىء القيس :

(كأن ثبيرا في عرانين وبله .... مزمل) .

«**وقال أبو علي** : أراد مزمل فيه ، ثم حذف الجار فارتفع الضمير فاستتر على مذهب سيبويه» . (24) .

ولو نشرت جميع شروح الأندلسيين على المعلقات والأشعار الجاهلية ، لعثرنا على نقول أخرى ، نستطيع من خلالها تصور مذهب القالي ، وطريقته في شرح تلك الأشعار ، ولتكون مما يمكن جمعه جزء من هذا الكتاب الذي نفتقده .

3ـ4) كتاب حلى الانسان ، والخيل وشياتها :

هكذا ورد عنوانه في كل من : طبقات الزبيدي (ص 186) وفهرسة ابن خير (ص 355) وأنباه الرواة (206/1) . ومعجم الأدباء (29/7) والوفيات (226/1) وورد في الوعاة (ص 198) : (كتاب حلى الانسان) . وفي النفح (74/4) : (كتاب الخيل) وفي كشف الظنون (723/1) أنه (خلق الانسان) . ورغم ما اتفقت عليه الجماعة الأولى ، فالظاهر أن الكتاب كتابان : واحد في حلى الانسان أو خلق الانسان ، والثاني في الخيل وشياتها . اذ المؤلفون السابقون والمعاصرون للقالي ، كانوا يفردون كلا من

(20) نفس المصدر ، الورقة 69 الوجه .

(21) أنظر أمثلة أخرى من هذه النقول في الورقات 47 الظهر ـ 53 الظهر ـ 69 الوجه ـ 32 الوجه ـ 90 الظهر ـ 103 الوجه .

(22) مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم 923 د .

(23) أنظر أمثلة منها في الورقات (108 الظهر ـ 124 الظهر ـ 125 الوجه ـ 208 الظهر) .

(24) الورقة (131 الوجه) .

الانسان والخيل ، وباقي أنواع الحيوان ، برسائل خاصة . ولم يكن صاحبنا سابقا للتأليف في هذه الموضوعات اللغوية ، التي تشمل الانسان والحيوان ، بل هي رسائل وحلقات في سلسلة طويلة ، تكونت منها الموسوعات المعجمية حسب المعاني أو الموضوعات ، كالغريب المصنف لأبي عبيد ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن سيدة الأندلسي .

وكان أشهر المؤلفين في خلق الانسان من أساتذة القالي خاصة : أبو اسحاق الزجاج ، وأبو بكر بن الأنباري . وأشهر المؤلفين في الخيل من أساتذته أيضا : الزجاج ، وابن الأنباري المذكوران ، وابن دريد . على أن هذا النوع من التأليف القديم لم ينقطع بعد القرن الرابع .

وفي الأمالي للقالي ، حوالي ست صفحات واردة بالجزء الثاني (من ص 243 الى ص 253) ، يتحدث فيها عما يستحب طوله وقصره من الفرس ، وعما يستحب في الفرس تفصيلا ، وما فيه من أسماء الطير كما ينقل عن الأصمعي ، وابن الأعرابي في نوادره .

وفي الأمالي أيضا (3/182) يذكر قصة فرس أهديت لمعاوية . وفي (ص 184ـ 3/185) حديث عن أسماء بعض الخيل وأنسابها . وفي (ص 3/191) يأتي القالي بقصيدة من كتاب أبي عبيدة في الخيل ، ويورد معها شرحا طويلا . ثم يذكر في (ص 3/193) مطلبا لما في الفرس من أسماء الطير مرة أخرى .

فمن الجائز اذن أن يكون القالي قد انتقى من هذه المواضيع أو ضمنها جميعا كتابه في الخيل وشياتها . كما وردت في الأمالي موضوعات أخرى ، يتحدث فيها عن خلق الانسان وأوصافه ، لا شك أنها ستكون من موضوعات هذا الكتاب الخاص بالانسان .

واذا كنا لا نجد ذكرا لهذين الكتابين في الأندلس ، ولا شيئا من النقول عنهما فيما بلغه اجتهادي ، سوى اشارة ستمر بنا قريبا ، فان ابن خير قد احتفظ لنا كالعادة بسند روايتهما ، وهو نفس السند المذكور في الكتابين الأول والثاني .

وللأندلسيين في الخيل وشياتها كتب وقصائد ظهرت بعد مؤلف القالي ، مما كانت تدعو اليه ضرورة الحروب المستمرة بين المسلمين والنصارى ، وما يتطلب ذلك من تشجيع الفرسان ، وتحبيب الجهاد اليهم . فمما عرفته لهم في الموضوع :

أ) أرجوزة لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن ذنون الاشبيلي :

«ضمنها أسماء خيل العرب ، والمشاهير من أهل الاسلام ، وشرحها مبينا

قصصهـــا» . ورفعهـــا الى والي سجلماســـة أبي محمد عبد الله بن أبي زكريا بن ابراهيم (25) .

ب) **أرجوزة أبي عبد الله ابن المنــاصف** (ت 620 هـ) المســـماة : (المذهبة في نظم الصفات ، من الحلى والشيات) . وهي قسمان : قسم فيه نظم حلى الانسان وأوصافه (السن ـ اللون ـ الأنف ـ العينان ـ الحاجبان ـ الوجه ـ الفم ـ الرأس ـ الأذنان ـ سائر الأطراف) وقسم خاص بشيات الخيل والتنبيه على محاسنها ومعايبها ، ويتضمن فصلا في ذكر ما بالفرس من أسماء الطير . وقد أضاف اليها (المعقبة لكتاب المذهبة) في الأنعام والظبا وحمر الوحش والنعام (26) .

ج) **بغية المرتيط ودرة الملتقط** : وهو مؤلف جمعــه أبو بكر محمد بن أبي الحكم الملقب بابن المرخي المتوفى سنة 615 هـ للناصر الموحدي . وهو كما وصفه ابن عبد الملك المراكشي «من أنبل الموضوعات وأعظمها جدوى» (27) .

د) **أبو مروان عبــدوس بن حكم** ، وكان أديبا لغويا كاتبـــا ، له مصنف في (الحلى والشـــيات المستعلمة في ديوان الجيش) . وهو كتاب مختصر نبيل مفيد كما يقول المراكشي (28) .

هـ) **حلية الفرسان وشعار الشجعان** (29) ، لعلي بن عبد الرحمان بن هذيل الأندلسي من القرن الثامن الهجري ، وألفه للمستعين أبي عبد الله محمد بن يوسف ، أحد ملوك الدولة النصرية من بني الأحمر . وهو يشـــتمل كما يقول صاحبه في المقدمة على «جلاد وكفاح ، وخيل وسلاح ، وما يختار من صفاتها ، ويكره ويذم من شـــياتها ، وجميع ما يختص بأحوال المركوب ويتضمن تعليم الركوب ، وتتميم المطلوب» (30) .

وقد خصص منه بابا للحديث عما تســـميه العرب من أعضاء الفرس ، وما في ذلك من أســـماء الطير ، وتحدث في باب آخر عما يستحب في أعضـــاء الفرس من الصفات ...

---

(25) الذيل والتكملة س 5 ق 1 (ص 372) .

(26) لارجوزة ابن المناصف نســـختان خطيتان في قسم الوثائق بالرباط (رقم 3748 د ـ 1725 د) . وأنظر بحث الأستاذ ابراهيم الكناني بمجلة (الباحث) المغربية (مجلد 2 سنة 1972 م) (ص 13) بعنوان : (أبو عبد الله ابن المناصف المجتهد المغربي) ، وفيه يشير نقلا عن الأستاذ المنوني الى أن الأرجوزة طبعت بالتقويم الجزائري كاملة سنة 1330 هـ ، كما يشير الى نسخ خطية لها خارج المغرب .

(27) الذيل والتكملة س 6 (ص 487) .

(28) الذيل والتكملة ق 1 س 5 (ص 113) .

(29) نشر بتحقيق محمد عبد الغني حسن بدار المعارف سنة 1951 م .

(30) مقدمة الكتاب (ص 24ـ25) .

واذا كان ابن هذيل لم يذكر كل مصادره التي رجع اليها ونقل منها ـ لنزارة هذا المنقول ـ كما يقول في المقدمة ، فأظن أنه رجع الى كتاب أبي علي في الموضوع ، ولا سيما في البابين المذكورين سابقا .

5) **كتاب فعلت وأفعلت :**

وذكره كل من ابن خير (ص 352) والزبيدي (ص 186) والمقري في النفح (74/4) . وصاحب الوعاة (ص 198) والوفيات (226/1) ومعجم الأدباء (29/7) والحلل السندسية (ق 4 ج 1 ص 1030) وأنباه الرواة (206/1) وكشف الظنون (1447/2) وقد ألفه أبو علي القالي للناصر أو الحكم المستنصر فيما يظهر . اذ ابن خير يذكر أنه «أوصله لأمير المؤمنين أبقاه الله حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج» . دون تحديد لاسم السلطان . ومن هنا يبدو كذلك أنه قد احتذى فيه حذو أستاذه أبي اسحاق الزجاج ، الذي روي له بالأندلس كتاب بنفس العنوان (31) أدخله أبو علي (32) . وتابع فيه بلا شك شيوخه الآخرين الذين ألفوا في الأفعال ، كابن دريد في الجمهرة ، وابن درستويه ، وغيرهما .

وبما أن القالي قلد أستاذه الزجاج على حد ما قد يفهم من كلام ابن خير ، فلعله اقتدى به أيضا في طريقة تأليفه . وطريقة الزجاج في كتابه يوضحها في المقدمة بأن يقول : «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد ، وما تكلمت به على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف ، وما ذكر فيه فعلت وحده ، وما ذكر فيه أفعلت وحده ، مما يجري في الكتب والمخاطبات . وهو مصنف مبوب على حروف المعجم فأول باب فيه باب الباء ، وآخر باب فيه ما أوله الهمزة ، وتسميه (33) الناس الألف» .

فهو يعنى اذن بطائفة خاصة من الأفعال مع التعرض لمعانيها المتفقة أو المختلفة ، وما كان منها على صيغة فعلت وحده ، وما كان على صيغة أفعلت وحده ، ثم يذكر أنه بوبه على حروف المعجم . ومن الأمثلة التي يأتي بها قوله : «بشرت الرجل بخير وأبشرته أبشره ، وأبشره . وبس الرجل الشيء اذا خلطه ، وأبس الناقة اذا دعاها لتحلب ...» .

واذا كان مؤلف القالي الصغير ـ كما يظن ـ من المؤلفات التقليدية في سلسلة معاجم الأبنية الخاصة بالافعال ، فان تلميذه وصديقه أبا بكر ابن القوطية ، قد استفاد فيما يظن من مؤلف أبي علي المذكور ، في وضع كتابه المسمى (كتاب

(31) نشره عبد المنعم خفاجي سنة 1949 م . ضمن مجموع رسائل وكتب بمصر .
(32) ابن خير (352) .
(33) كذا . والصواب (وتسميها) .

الأفعال) (34) الذي غطى بشهرته على كتاب القالي ، وفتح به ـ كما يقول مترجموه ـ هذا الباب . اذ سرعان ما نشأت بعده بالأندلس سلسلة طويلة من المؤلفات في صيغ الأفعال المختلفة ، سنتعرض لها عند ترجمة ابن القوطية . ولعل الفرق بين تأليف ابن القوطية ومن نهج نهجه في الأندلس وغيرها ، وبين مؤلف القالي وأشباهه ، أن كتب (فعلت وأفعلت) تعنى بصيغ خاصة من الأفعال الثلاثية المجردة ، ثم الرباعية المزيدة ، في حين تشمل كتب الأفعال الصيغ العامة .

وبما أن كتاب ابن القوطية ، لا يهتم بذكر الأسانيد والروايات والاعلام ، والمصادر ، فأنه يصعب علينا أن نعرف مدى افادته من كتاب القالي .

وفيما عدا ذلك ، لم أجد خلال ما وقفت عليه ، ذكرا لهذا الكتاب في الدراسات الأندلسية ، غير ما هو وارد في شرح المقامات لأبي جعفر الجذامي (35) .

فقد جاء في الورقة (135 الوجه) ما نصه : «وقال أبو علي القالي في كتاب ''فعلت وأفعلت'' له ، يقال : حك هذا الأمر في صدري ، وأحك . بمعنى واحد» .

وجاء في الورقة (158 الوجه) قوله : «وأجاز أبو علي القالي في كتابه في ''فعلت وأفعلت'' محضت الود والنصيحة ، وامحضته . كذلك قال الزجاج في كتاب (فعلت وأفعلت) له ، وأبو بكر بن القوطية في أفعاله ..» .

فأنت ترى كيف ورد هذا النص ـ فيما نقل الجذامي ـ عند الزجاج ، ثم القالي ، ثم ابن القوطية على التتابع . وترى أيضا أن منهج أبي علي يشابه منهج أبي اسحاق وقد عرضنا له .

وبعد هذا ، فان الكتاب روى بالأندلس في سندين على الأقل ، ذكرهما ابن خير الاشبيلي :

ففي السند الأول : رواه ابن خير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكي عن أبي مروان عبد الملك بن سراج عن أبي سهل يونس بن أحمد الحراني عن أبي الحجاج يوسف ابن فضالة عن القالي مؤلفه .

وفي السند الثاني : رواه ابن خير عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح

---

(34) طبعه لأول مرة بليدن المستشرق : جويدي سنة 1894 م ثم أعاد طبعه سنة 1952 م. بمصر الأستاذ علي فوده .

ونسب أحمد أمين لابن القوطية كتاب (فعلت وأفعلت) (ظهر الاملام) (89/3) وذكر في الهامش أنه نشر بعناية جويدى وهو في الواقع (كتاب الأفعال) .

(35) مخطوط الخزانة العامة بالرباط . تحت رقم 1266 د (السفر الثالث) .

الرعيني عن أبي محمد علي بن حزم عن أبي محمد عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي عن أبي علي القالي (36) .

(6) فهرسة أبي علي ، وأخباره ، وتسمية كتبه وتواليفه : ذكرها ابن خير (ص 434) . وألفها القالي جريا على عادة العلماء ، في وضع فهارس أو برامج لشيوخهم وأنسابهم ، وأسانيد رواياتهم للكتب والعلوم ، وقد كثر هذا النوع لدى الأندلسيين فيما بعد القرن الرابع كثرة ملحوظة .

وروى ابن خير فهرسة القالي بالسند التالي :

ابن خير ← أبو عبد الله النفزي ← أبو محمد غانم بن وليد ← أبو عمر يوسف بن خيرون ← أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد ← أبو علي القالي .

ويظهر أن هذا الكتاب ظل معروفا في الأندلس والمغرب مدة وربما اعتمده أبو بكر محمد بن الحسين الفهري ، وجعله مصدرا أساسيا في كتابه الذي وضعه حول نسب القالي ورواياته ودخوله الأندلس . ونحن نجد أحد أعلام المغرب في القرن المعاصر ، وهو عبد الحي محمد الكتاني (ت 1382 هـ) يحتفظ بسند هذا الكتاب الذي يتصل بسند ابن خير المذكور . قال : «أبو علي البغدادي ، له فهرسة أرويها به (37) الى ابن خير ، عن أبي عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي ، عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد ...» (38) .

(7) لغة مجموعة :

ذكره ابن خير (39) ، ضمن ما جلبه القالي الى الأندلس من كتب الأخبار فقال : «**لغة مجموعة** ، تأليف ولم أتمه» حكاية عن أبي علي ، فهو اذن من مؤلفاته في بغداد ، جاء به قبل أن يتم . ولعله أكمله بالأندلس ، أو ضمنه بعض مؤلفاته الأخرى (40) .

وقد روى هذا الكتاب بالأندلس ضمن جملة أخرى من الكتب التي أدخلها بالسند التالي :

ابن خير ← أبو عبد الله النفزي ← أبو محمد غانم بن وليد ← أبو عمر يوسف بن خيرون ← أبو القاسم أحمد بن أبان ← أبو علي مؤلفه .

---

(36) ابن خير (ص 352) .

(37) أي بسند ذكره قبل ذلك .

(38) فهرسة الفهارس للكتاني (111/1) .

(39) فهرسة ابن خير (399) .

(40) ذكر الزميل أحمد هريدى . أن هذا الكتاب ربما كان نواة كتاب القالي الأول الذي وضعه بالأندلس ، وهو المقصور والممدود . (مقدمة تحقيق المقصور ص 40 مطبوعة على ورق الاستنساخ) .

(8) **كتاب مقاتل الفرسان :**

ذكره الزبيدي (ص 186) وابن خير (ص 355) وصاحب النفح (74/4) وأنباه الرواة (206/1) والوفيات (226/1) ومعجم الأدباء (29/7) والحلل السندسية (ق 4 جـ 1 ص 1030) ومعجم المؤلفين (286/2) وكشف الظنون (1778/2) ، وفي الوعاة (ص 198) أنه (مقاتل العرب) والظاهر أنه تصحيف .

والكتاب أيضا ، حلقة من سلسلة الرسائل اللغوية المشهورة . وقد كتب في هذا الموضوع قبل أبي علي ، كل من أبي عبيدة (ت 211 هـ) ومحمد بن حبيب النحوي (ت 245 هـ) وغيرهما . وكان كتاب أبي عبيدة مما أدخله القالي الأندلس فاستفاد منه علماؤها مثل البكري في معجم ما استعجم (41) .

وروى بالأندلس ، بالسند الذي ذكره ابن خير في الكتب رقم (1-2-3-4) .

---

(41) جـ 1 / 1359 . وذكر أن النسخة التي أفاد منها هي أصل أبي علي القالي .

ب ـ المؤلفـــات الموجـــودة

وهي :

1 ـ كتاب المقصور والممدود .

2 ـ كتاب الأمالي .

3 ـ كتاب البارع في اللغة .

4 ـ كتاب أفعل من كذا (في الأمثال) .

وسنفصل الحديث عنها (42) .

---

(42) وقد ذكر بروكلمان (2/280) أن الأستاذ على الخاقاني النجفي كتب الى الأستاذ (رتر) أن عنده (المســائل الشيرازيات) للقالي . وقال : (ولم نجد ذكرا لهذا الكتــاب في فهارس مصنفــاته) . والواقع أن الكتاب كما لاحظ مترجم كتاب بروكلمان ، هو لأبي علي الفارسي ، نسبه اليه مشهور جدا (أنظر حاجي خليفــة 2/1068 و 1667 ـ وابن خيــر 318) على نمط البغــداديات ، والبصريات ، والحلبيات ، والعســكريات ... وغيــرها من الرســائل التي ألفها الفارسي أثنــاء تجواله بتلك البلدان .

الفصـــل الثـــاني



كتـــاب المقصـــور والممـــدود

أولا : دراســـة الكتـــاب

تعتبر المصنفات في المقصور والممدود والمهموز ، ضمن كتب ابنية الأسـماء التي بدأ التأليف فيها مفردة منذ القرن الثاني وبداية الثالث الهجري . فألف فيها الفراء (ت 207 هـ) ، والأصمعي (ت 216 هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) . ثم تتـابع هذا التأليف على يد ابن السـكيت (ت 243 هـ) ، وأبي العبـاس المبرد (ت 285 هـ) ، والمفضل ابن سلمة (ت 290 هـ) .

وما أن جـاء القرن الرابع حتى ازداد التأليف في هذا الموضـوع ازدهارا ، فكتب فيه من أساتذة القالي كل من أبي بكر بن دريد ، وأبي بكر بن الأنباري ، (بعد والده قاسم بن محمد الأنباري) (43) . ثم ابن درستويه ، وأبي اسحاق الزجاج ... ومن معاصريه جمـاعة نجد فيهم أبا العباس أحمد بن محمد بن ولاد (ت 332 هـ) ، والصـاحب بن عبـاد (ت 385 هـ) ، وأبا الفتح بـن جني (ت 392 هـ) ، وجمـاعة غيرهم (44) . عدا أهل الأندلس كابن القوطية ، وابن مالك وهو من المتأخرين عن القالي .

---

(43) حاجي خليفة (1462/2) .

(44) أنظر لائحة طويلة من كتب المقصور والممدود في كشف الظنون (1461/2) .

توثيق الكتاب

وقد كان أبو علي أول من نبهنا الى وجود هذا الكتاب ، فقد أحالنا عليه في الأمالي خلال الصفحات (176–240–245) من الجزء الثاني . ثم توالت بعد ذلك الاشارات اليه ، سواء لدى أصحاب التراجم وكتب الطبقات الذين ذكروه ضمن مؤلفاته ، أو في الكتب الأندلسية والمشرقية التي نقلت عنه ، أو جعلته ضمن مصادرها كما فعل البغدادي في خزانة الأدب (45) .

وهكذا فقد ذكره الزبيدي قائلا : «وكتابه في الممدود والمقصور بناه على التفعيل ، ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصى في بابه ، لا يشذ عنه شيء من معناه ، ولم يوضع له نظير» (46) . ثم ذكره كل من ابن حزم ، والحميدي ، وسمياه (المقصور والممدود والمهموز) (47) . وتسميه باقي المصادر الأخرى (المقصور والممدود) مثل النفح (74/4) والوعاة (ص 198) وأنباه الرواة (206/1) ومعجم الأدباء (29/7) والوفيات (226/1) والحلل السندسية (ق 4 ج 1 ص 1030) ومعجم المؤلفين (286/2) وكشف الظنون (1462/2) وهو الاسم الذي يتردد عند الكثير من الناقلين عنه ، كالسيوطي في المزهر (48) ، والبطليوسي في الاقتضاب (49) . وبه رواه ابن خير في الأندلس ، وقال انه في عشرة أجزاء (50) وهو الثابت أيضا في عنوان الأصل المخطوط ، فضلا عن أنه يساير منهج المؤلف في الكتاب ، اذ قدم أبواب المقصور على أبواب الممدود .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على نسختين مخطوطتين للكتاب .

أولاهما :

نسخة مغربية ، كانت في خزانة المرحوم محمد الجواد الصقلي الحسيني عميد كلية الشريعة بفاس ، وعلى ورقة الغلاف تمليك بخط يد مشتريها والده عبد السلام ابن عبد الله الحسيني الصقلي .

ومن هذه النسخة صورة على الشريط بقسم الوثائق بالرباط رقم (967) . وهي تحتوي على 228 صفحة ، بخط أندلسي جميل ومضبوط بالشكل التام (51) ولكنها مع

(45) 1 / ص 10 – (المقدمة) .
(46) طبقات الزبيدي (186) .
(47) رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (ص 15) – والجذوة (156) .
(48) أنظر المزهر (135/1–218–220) ومواضع أخرى في الجزء الثاني .
(49) الاقتضاب (ص 137–174–276) .
(50) فهرسة ابن خير (353) .
(51) ليس في هذه النسخة ما يفيد تاريخ كتابتها بالضبط ، ولكن الأستاذ محمد المنوني . يظن أنها كتبت حوالي القرن الخامس الهجري . وذلك بمقارنة خطها العتيق . بخطوط هذا العصر .

ذلك ناقصة ، لا تحتوي الا على نصف الكتاب ، وتنهتي بنهاية القسم الأول منه ، وهو المقصور (52) .

وفي الورقة الثانية من الكتاب (ص 2) كتب بعد البسملة «حدثني أبو عمر أحمد ابن عبد العزيز بن أبي الحباب ، حدثنا أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي» . فهذه النسخة اذن من رواية تلميذ شهير للقالي ستمر بنا ترجمته ، وعنه أخذها تلميذ آخر من رجال الطبقة الثانية .

وورد في هامش (ص 104) ما نصه : «... هذا كما ذكر ابن التياني "لم يكن في كتاب أبي بكر محمد بن حسن (53) . لم أجد باب لَغْوَى في كتاب أبي بكر ، ولا في كتاب ابن حمود الزبيدي (54) ، وانما وجدته في كتاب أبي المطرف العروضي شيخنا ، وعليه قرأت جميع هذا الكتاب عن أبي علي"» .

وابن التياني صاحب هذا التعليق الذي نقله الناسخ أو أحد المصححين ، تلميذ لأبي المطرف العروضي (55) تلميذ القالي .

وورد في هامش آخر منها بصفحة 134 «لم يكن في كتاب أبي عمر (56) أيضا الذي ألحقته ، وهو صحيح عند غيره» .

وهناك بعد ذلك هوامش وتصحيحات ، واستدراكات من كتب الزبيدي ، وابن القوطية ، وابن سيدة ، وأبي سعيد السيرافي وأغلبها من كتاب ابن ولاد .

فهذه النسخة اذن ، مصححة ومقابلة ، وموثقة من قبل الأيدي التي تداولتها ومعارضة بنسخ أخرى كثيرة ، منها نسخ أبي بكر محمد بن حسن وابن حمود الزبيديين ، وأبي عمر بن أبي الحباب ، وأبي المطرف العروضي ، وابن التياني .

واما الثانية :

فهي مصورة عن دار الكتب المصرية عن أصل محفوظ بها تحت رقم (184 لغة) ، وعدد أوراقها 137 . وهي مكتوبة بخط مغربي قديم مضبوط بالشكل التام ، سنة 556 هـ . وقد قوبلت هي الأخرى بنسخة من أصل اللغوى الكبير صاحب الاعتناء بكتب القالي ، رواية ودرسا ، وتعليقا : أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) وعلى هوامشها كذلك تعليقات وتصحيحات مفيدة . وهي النسخة الوحيده التي اعتمدها الزميل أحمد هريدي في تحقيق الكتاب ، رغم ما بها

---

(52) نرمز لهذه النسخة بحرف (م) .

(53) أي الزبيدي ، تلميذ القالي المشهور .

(54) وهو أيضا من تلامذة القالي .

(55) ذكره صاحب التكملة (545/2) (كوديرا) وقال انه روى عن القالي . وأن من تلاميذه أبا غالب تمام بن غالب التياني المذكور . وستمر بنا ترجمتهما .

(56) وهو أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب ، راوية الكتاب عن القالي .

من خروم في الصفحات الأولى اضطر الى ترقيعها (57) . وأهمية هذه النسخة أنها تكمل النسخة الأولى الناقصة ، وأنها تحتوي في صفحاتها الأخيرة على قصيدة القالي في مدح الناصر الأموي ، وتنفرد بذلك (58) .

تاريخ تأليفه

سبقت الاشارة الى أن هذا الكتاب ، قد تردد اسمه خلال (الأمالي) الذي ألف في حياة الخليفة الناصر . وهذا يعني انه سابق في تأليفه للأمالي ، وهو كذلك سابق للبارع الذي مات المؤلف قبل وضعه في صيغته النهائية . وعند الرجوع لمقدمة (المقصور والممدود) نفسه ، نجد أن القالي يصرح بأنه ألفه في حياة الخليفة عبد الرحمان بن محمد الناصر ، صاحب النعمة والأفضال ، وتقرب به الى ولي عهده الحكم ، الذي مثل له أمثلة احتذاها ، وحثه على تصنيفه ، وأنهج له فيه سبلا سلكها . وفي ذلك يقول : «فكان مما بعثني عليه وأمرني به ، تأليف هذا الكتاب الذي لا يستغني عنه العالم المبرز ولا الأديب المتقدم ، ولا الكاتب المرسل ، ولا الخطيب المسلق ولا الشاعر المفلق ، اذ كل طائفة ممن ذكرنا محتاج الى معرفة الممدود والمقصور للحفظ والخط» .

فالكتاب اذن ألف في الفترة الأولى من اقامته بالأندلس ، وان كنا لا نستطيع تحديدها بالسنوات . وهو أخيرا كتاب أندلسي الوضع ، وان كانت مادته قد حملت من المشرق .

منهجه

يبتدىء القالي كتابه بمقدمة عامة ، صرف القسم الأوفر منها لمدح الخليفة الناصر وولي عهده الحكم وما أضفيا عليه من النعم ، واستقبلاه به من الحفاوة . وضمن ذلك شكواه من جهل الناس في المشرق بقيمة العلماء ، وانصراف آل العباس في العراق عن العناية بالثقافة ، وما كان عليه الحكم ولي العهد اذ ذاك من واسع المعرفة وغزير الاطلاع ، فكان هذا الكتاب استجابة لرغبته في أن يخرج على أمثلة

---

(57) قدم أحمد هريدي هذا التحقيق لجامعة القاهرة . قصد نيل الماجستير سنة 1972 م . ولكني لم أطلع عليه لأنه لم ينشر . وانما أطلعت على أوراق المقدمة التي كتبها لتحقيقه بعثها الي مشكورا . وهي مطبوعة على الآلة الراقنة ولهذا اضطررت للاعتماد على النسختين المخطوطتين . وقد كتبت الى الأستاذ هريدي أخبره بوجود النسخة المغربية فعمل بعد ذلك على تصويرها ليستفيد منها في المقابلة عند طبع الكتاب .

(58) ونرمز لهذه النسخة بحرف (ك) .

وضعها له من جهة ، وتلبية لحاجة الطلاب والكتاب والأدباء لمثل كتابه الجامع في موضوعه من جهة أخرى .

ومن خلال هذه المقدمة أيضا ، تتبين لنا خطوط عامة لمنجهه الذي نوى تطبيقه في الكتاب بقسميه (المقصور) ثم (الممدود) . وذلك بأن يراعي فيه الأشياء التالية :

- أن يصنفه على الأمثلة (الصيغ) ، وأن يرتبه على حروف المعجم .

- أن يعتمد على أوائل الكلمات فقط ، دون حشوها وآخرها تسهيلا على الطالب للمادة .

- أن يبتدىء بأمثلة الثلاثي ، مع مراعاة المفتوح الأول منها فالمكسور فالمضموم على الترتيب ، وذلك للاعتبارات الصوتية ، اذ أن الفتح أخف الحركات ويليه في ذلك الكسر ، فالضم . ولأن الفتحة لا تكلف الناطق سوى فتح الفم دون استعمال عضو ، والكسرة تكلف استعمال عضو واحد ، والضمة عضوين . وهو يراعي في ذلك أيضا التسهيل على القارىء الذي يبتدىء بالخفيف الذي لا كلفة فيه ، ثم بما فيه شيء من الثقل ، ثم الثقيل .

- أن يفرق في الأمثلة بين ما هو اسم لا غير ، وما هو صفة لا غير ، وما هو اسم وصفة .

- أن يبتدىء بأقصى الحروف من حيث مخرجها ، ثم الذي يليه ثم الذي يليه على مدرج المخارج ، الى أن تنتهي لأدناها على هذا الترتيب :

الهمزة - هـ - ع - ح - غ - خ - ق - ك - ض - ج - ش - ي - ل - ر - ن - ط - د - ت - ص - ز - س - ظ - ذ - ث - ف - ب - م - و .

واعتذر عن عدم ذكر الألف بين هذه الحروف ، لأنها لا يمكن الابتداء بها لعدم امكان البدء بالساكن ، لاعتياصه على المنطق .

- أنه قد يحدث اغفال بعض الحروف عند التطبيق ، لعدم توفر المواد ، كأن يذكر ما أوله همزة ، ثم يتلوه بما أوله حاء ، ثم بما أوله قاف متجاوزا عن الحروف التي بينها .

- أنه قد يورد رأيا على مذهب أهل البصرة ، ويتبعه برأي لأهل الكوفة في نفس الموضوع . ويعلل ذلك بأنه لم يقصد سوى التفرقة بين آراء المذهبين واظهار حجة كل منهما .

ويمكن لنا أن نضع للكتاب فهرسة بمواضيعه وأبوابه على النحو التالي :

المقدمة العامة للكتاب

1 ـ المقصور :

- أمثلته القياسية (وعددها 57 مثالا ، منها 35 اسما ، و 13 اسما وصفة ، و 9 صفات فقط) .
- باب ما يعرف من المقصور بالقياس .
- باب تثنية المقصور .
- المقصور المفتوح الفاء (27 بابا) .
- المقصور المكسور الفاء (13 بابا) .
- المقصور المضموم الفاء (15 بابا) .
- المقصور المهموز (7 أبواب) .
- المقصور الممدود (باب واحد) .
- أحرف نادرة (غير مبوبة) .

2 ـ الممدود :

- أمثلته القياسية (وعددها 45 مثالا ، منها 35 اسما ، وتسعة أسماء وصفات ، وواحد صفة ، سوى أمثلة المصادر) .
- باب ما يعرف من الممدود بالقياس .
- باب تثنية الممدود .
- الممدود المفتوح الفاء (20 بابا) .
- الممدود المفتوح من المصادر (باب واحد) .
- الممدود المكسور الفاء (11 بابا) .
- الممدود المكسور الفاء من المصادر (7 أبواب) .
- الممدود المضموم الفاء (12 بابا) .
- أحرف نادرة (3 أبواب) .

واذا كنا نرى أن القالي في الجملة ، قد التزم بمنجهه الذي رسمه في المقدمة العامة (من التأليف على الصيغ أو الأمثلة ، مثل "فعل ، وفعل ، وفعل ..." ـ بفتح الفاء وكسرها وضمها مع العين المفتوحة ـ وترتيب المواد فيما بينها ترتيبا يعتمد أوائل الحروف حسب المخارج) فلنا أن نلحظ عليه أنه كان في القسم الثاني من الكتاب (الممدود) أدق تنظيما وأحرص على تطبيق منهجه منه في القسم الأول (المقصور) .

(1) فقد أخل بالمنهج في باب (المقصور والممدود) اذ جمع فيه ما أمكنه من

الألفاظ جمعا عشوائيا دون ترتيب معين ، ولم يكلف نفسه الارتباط بالقيود التي وضعها . وهكذا فقد وردت مواده على هذا النحو (هيجا ـ هأها ـ جرا ـ رأرا ـ نأنا ـ دهنا ـ فحوا ـ فأفا ـ خطأ ـ قصأ ـ ضوا ـ شفا ـ نجاء ـ سنا ـ فرا ـ وحا ـ ونا ـ حما ـ شرا ـ صلا ـ صناء ـ زنا ـ فدا ـ بكا ـ بغا ـ مرا ـ هاؤلاء ـ خطاء ـ خاء ـ هاء ـ ياء ـ تاء ـ ثاء .. الخ).

وقد كان عليه أولا أن يصنفها تحت أمثلة حسب المجموعات المشتركة في الصيغ ، وكان عليه ثانيا أن يخضعها للترتيب المعجمي حسب المخارج ، بأن تقدم الكلمات المبدوءة بالهاء ، فالعين ، فالحاء ، فالغين ، فالخاء ، فالقاف .. الخ . على غيرها . وكان عليه ثالثا أن يرتبها حسب حركة الحرف الأول المفتوح فالمكسور ، فالمضموم . وكان عليه رابعا أن يقدم الثلاثي من الأسماء على ما سواه .

(2) ومن الاخلال بالمنهج أيضا ، أنه حين اعتنى بترتيب الأحرف النادرة من الممدود حسب الأمثلة ، وجعلها تخضع لباقي شروط المنهج ، أغفل ذلك بالنسبة للأحرف النادرة من المقصور اغفالا تاما .

(3) كما نلحظ أنه لم يعتن بذكر المصادر وتنظيمها في القسم الأول ، اعتناءه بها في القسم الثاني ، اذ لم يذكر من المصادر في قسم المقصور سوى باب واحد ، ورد ضمن أبواب المقصور المكسور الفاء (59) .

خصائص الكتاب

1 ـ الطابع المعجمي

اعتاد مؤرخو المعاجم العربية أن يصنفوا كتاب (البارع) للقالي ، ضمن المدرسة المعجمية الأولى وهي مدرسة العين ، التي تضم خمسة معاجم (60) ، ناظرين في

نصار (217/1) .

ذلك الى خاصيته الأساسية ، وهي اعتماده في ترتيب الحروف على المخارج الصوتية أولا ، واعتناؤه في كل مادة بتقاليبها ثانيا . غير أن (البارع) لم يكن أول كتاب للقالي رتبه على المخارج الصوتية ، بل اننا نجده يمهد لهذه التجربة في (المقصور والممدود) الذي سبق البارع في وضعه بزمن طويل .

واذا كان النحويون واللغويون جميعا قد اهتموا بالمقصور والممدود ، ودرسوهما من حيث القواعد الخطية والمقاييس الصرفية ، ومن حيث السماع والقياس ، فان

---

(59) ص 157 (م) باب (فعيلى) .

(60) هي كتاب (العين) و (البارع) و (التهذيب) و (المحيط) و (المحكم) أنظر المعجم العربي لحسين

القالي حاول أن يجمع بين الوظيفتين معا : وظيفة اللغوي ووظيفة النحوي . فمهد لكل من المقصور والممدود ، بمقدمة أتى فيها على القواعد النحوية المعروفة ، ثم انتقل الى جمع واستقصاء موادهما ، فبلغ في ذلك مبلغا فاق به سابقيه من المؤلفين . ولما تكاثرت المواد أمام القالي التمس وسيلة لترتيبها ، وتقديمها للقارىء المتخصص ، ولعامة الأدباء والخطباء والكتاب والشعراء ، فلم يجد أحسن من نظام المعاجم يوفي بالغرض ويجمع الشتات .

وهكذا طبق طريقة الخليل المعجمية رغم تعقيدها وما فيها من مشقة على القارىء ولم يتابع شيخه ابن دريد الذي حاول في كتاب (الجمهرة) تبسيط هذه الطريقة باتخاذ الترتيب الألفبائي .

فالكتاب من هذه الناحية معجم متخصص ، وضع لاحصاء مفردات لغوية ذات خصائص متشابهة ، تنتهي بالألف المفتوح ما قبلها وتسمى المقصور ، أو تنتهي بهمزة قبلها ألف ساكنة وتسمى الممدود . غير أن أحد الباحثين يتردد في اطلاق اسم (معجم) على هذا النوع من المؤلفات ، لأنها كمؤلف القالي ، تعتني بأبنية خاصة من الأسماء ، وليس كل الأسماء (61) . ولست أرى داعيا لاخراج هذا النوع من المؤلفات من دائرة المعاجم العربية ، ولا سيما كتاب القالي . ذلك أن هذا الباحث ربما لم يطلع على هذا الكتاب ـ رغم أنه أشار لوجوده مخطوطا ـ وأنه ربما قاسه بما سبقه ولحقه من كتب هذا النوع الخاص من أبنية الأسماء ، التي لم تتقيد بالشروط المعجمية مثلما تقيد القالي . واني لاتساءل عن السبب الذي يجعلنا ندخل كتب الصيغ الخاصة من الأفعال مثل (فعلت وأفعلت) (62) ضمن سلسلة المعاجم ، ونتهيب في نفس الوقت من فعل شبيه بذلك بالنسبة للكتب التي تهتم بالصيغ الخاصة من أبنية الأسماء ، كالمقصور ، والممدود ، والمهموز . وانه لحري بنا في الواقع ، أن نصفق لكل خطوة تتقدم بنا الى ايجاد أكثر ما يمكن من المعاجم المتخصصة التي تختزل المشقات أمام الباحث . وانه ليخيل الي أيضا ، أن القدماء من أسلافنا كانوا أول المتفطنين لمثل هذه الحاجة ، فوضعوا معاجم للأفعال ، وأخرى للأسماء والصفات ، بل ذهبوا الى أدق من ذلك ، فخصصوا مؤلفات مفردة لأنواع من الأفعال وأنواع من الأسماء ، وأنواع من الأمثال (63) ... واذا كان لنا

---

(61) وهو الدكتور أحمد مختار عمر في مقالته (معاجم الأبنية في اللغة العربية) مجلة اللسان العربي ، المجلد 8 ، ج 3 (ص 11) .

(62) وقد درس الدكتور مختار من هذا النوع . كتاب الزجاج وأبي حاتم السجستاني (المصدر السابق ، ص 12-13) .

(63) مثل كتب الأمثال التي تهتم بالصيغ التي تأتي على وزن (أفعل من ...) .

من دور في العصر الحاضر ، ازاء هذا الموضوع ، فهو أن ننمي هذا الاتجاه ونعمل على تطويره .

أما الترتيب الذي اختـاره القالي لكتابه ، فسنرى أنه أقرب من ترتيب سيبويه الذي غير قليلا في ترتيب أسـتاذه الخليل . ولأجل المقارنة ، أورد ترتيب الحروف حسب مخارجها عند كل من الخليل ، وسيبويه ، والقالي في هذا الكتاب .

الخليـل (64) :

ع ـ ح ـ هـ ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ج ـ ش ـ ض ـ ص ـ س ـ ز ـ ط ـ د ـ ت ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ د ـ ر ـ ل ـ ن ـ ف ـ ب ـ م ـ و ـ ا ـ ي ـ ولم يجعل للهمزة حيزا .

سـيبويه (65) :

الهمزة ـ هـ ـ ا ـ ع ـ ح ـ غ ـ خ ـ ق ـ ك ـ ج ـ ش ـ ي ـ ض ـ ل ـ ن ـ ر ـ ط ـ د ـ ت ـ ز ـ س ـ ص ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ ب ـ م ـ و .

القـالي (66) :

الهمزة ـ هـ ـ ع ـ ح ـ غ ـ خ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ي ـ ل ـ ر ـ ن ـ ط ـ د ـ ت ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ ب ـ م ـ و .

ولم يجعل للألف حيزا .

ومن خلال هذه المقارنة يتضح أن القالي أخذ نظام سـيبويه مع مخـالفته في المواضع التالية :

(1) جعل سيبويه الألف بعد الهمزة والهاء ، بينما لم يخصص لها القالي حيزا تنسب اليه . وقال : «ولم نذكر الألف لأنها لا تكون كلمة أولها ألف من أجل أنه لا يمكن الابتداء بالساكن لاعتياصه على المنطق» (67) .

(2) جعل سيبويه حرف الضاد بعد الأحرف الشجرية الثلاثة (ج ـ ش ـ ي) بينما جعلها القالي قبلها في الترتيب .

---

(64) كتاب العين (ص 65) ج 1 تحقيق د . عبد الله درويش .
(65) الكتاب (ج 405/2) باب الادغام .
(66) المقصور والممدود (ص 10) (م) .
(67) المقصور (ص 10) (م) .

(3) رتب سيبويه الأحرف الذلقية الثلاثة هكذا (ل – ن – ر) ، بينما رتبها القالي هكذا (ل – ر – ن) ، فقدم الراء على النون .

(4) جعل سيبويه الأحرف الأسلية الثلاثة هكذا (ز – س – ص) ، ورتبها القالي في المقصور على نحو آخر (ص – ز – س) ، فقدم الصاد على الزاى .

أما ما يختلف فيه القالي مع الخليل فكثير ، أوله أن الخليل ابتدأ بالعين وانتهى بالياء . وابتدأ القالي بالهمزة مثل سيبويه وانتهى بالواو . وجعل الخليل الألف حرفا بعد الواو ، بينما لم يفرد لها القالي حيزا . كما أن الخليل جعل حرف الياء بعد الواو والألف ، وجعلها القالي حرفا بعد السين وقبل اللام ... الخ .

والخلاصة أن القالي لم يشأ متابعة الخليل ، ولا متابعة سيبويه متابعة تامة ، بل أتى بنظام خاص يختلف عن الأول والثاني ، وان كان مجمل هذه الاختلافات لا تتعدى في حد ذاتها تقديم حرف وتأخير آخر ، بين الحروف التي تنتمي لمخرج واحد .

وقد نلحظ هذا الاختلاف عند الشخص الواحد ، كما فعل سيبويه نفسه حيث نراه مرة ثانية يأتي بهذه الحروف مرتبة على نحو ثان ، فيجعلها كما يلي :

(الهمزة – ا – هـ – ع – ح – غ – خ – ك – ق – ض – ج – ش – ي – ل – ر – ن – ط – د – ت – ص – ز – س – ظ – ذ – ث – ف – ب – م – و) (68) .

وواضح أن هذا الترتيب يختلف قليلا عما ذكر سابقا . فقد قدم الكاف على القاف لأن مخرجهما متقارب ، وكذلك قدمت الألف على الهاء لاتحاد مخرجهما وقدمت الصاد على الزاى لأن مخرج الصاد والزاى والسين واحد ... وهكذا .

وقد طبق القالي بدقة ، الترتيب الصوتي الذي اختاره خلال أبواب كتابه ، لم يشذ عن ذلك الا في موضع واحد ، وهو (المقصور الممدود) حيث تخلص من منجهه كله .

وأما طريقته في تطبيق هذا الترتيب المعجمي الصوتي ، وفي تطبيق منهجه العام ، القائم على أربعة أسس هي :

(1) الاعتماد على الأمثلة (الصيغ) .

(2) تقديم الثلاثي على غيره .

---

(68) الكتاب (404/2) (باب الادغام) .

(3) تقديم المفتوح الفاء من الكلمات على المكسور والمضموم .

(4) ترتيب الكلمات حسب مخارجها باعتبار الحرف الأول .

فهي طريقة متداخلة ، ومعقدة ، ودقيقة في نفس الوقت . ولأجل التوضيح أقول انه سار في تطبيقه لهذا المنهج على محورين : أفقي ، وعمودي .

المحور الأفقي : افراغ المادة في صيغ وأمثلة وترتيبها حسب الحركات

فقد ابتدأ المؤلف أبواب كتـابه ، بباب سـماه (باب ما جاء من المقصور على مثـال "فعل" من الأسـماء والصفـات) (69) وذلك بعد أن انتهى من ذكر القواعد النحوية والخطية . وذكر تحت هذا الباب ، الكلمات التي جاءت على ذلك الوزن ، وأتبعه ببـاب ما جاء على (فعل) بالتشديد ثم (فعلى) بفتح وسكون ثم (فعلى) بفتح وسـكون منون ثم (فعلى) بالتحريك ثم (فعالى) ثم (فعـائل) ثم (فعلى) بفتح الفاء والعين وتشديد اللام ثم (فعللى) بفتح وسكون وفتح .. الخ . متدرجا من الثلاثي الى الرباعي فالخماسي وهكذا .

ثم تأتي بعد ذلك أبواب الأمثلة المكسورة الفاء (فعل – فعلى – فعلى – فعلى – فعلى – فعيلى – فعللى ...) (70) حسب التدرج من الثلاثي لما بعده .

وتأتي أخيرا أبواب الأمثلة المضمـومة الفاء (فعل – فعل – فعلى – فعلى – فعالى – فعالى ...) (بفتح العين في الأول وتشديدها في الثاني وتسكينها في الثالث وفتحها في الرابع والخامس وتشديدها في الأخير) .

فالذي نلحظه هنا ، أن المؤلف قد صنف مواد المقصور ، حسب صيغ وأمثلة معينة أولا . ثم رتبها فيما بينها ، بأن قدم المفتوح الفاء على المكسور فالمضموم . ونفس الشيء صنعه في الممدود .

المحور العمودي : ترتيب المادة داخليا حسب المخارج أولا ، والبسيط والمركب ثانيا

ففي كل بناء من الأبنية المعقود لها الباب ، يأتي القالي بالكلمات والألفاظ التي استطاع جمعها واستقصاءها مرتبة ترتيبا داخليا حسب مخارج الحروف الصوتية . ففي المثـال الأول ، وهو (باب ما جاء من المقصور على مثـال فعل من الأسـماء والصفات) يرتب المفردات على النحو التالي (71) .

---

(69) ص 26 (م) .

(70) بفتح العين في الأول وتسكينها في الثاني والثالث وفتحها في الرابع وكسرها في الخامس والسادس وتسكينها في الأخير .

(71) أرقام الصفحات تشير هنا الى النسخة المغربية . وفعل هنا بالتحريك .

فنرى أنه راعى في ترتيب هذه الكلمـات ، تطبيق النظـام الصوتي الذي ذكر سابقا ، فقدم الكلمات المبدؤة بالهمزة ثم تلاها بالكلمات المبدؤة بالهاء ، ثم العين ، ثم الحاء ، ثم الغين ... متجاوزا عن ذكر بعض الحروف التي لم يجد ما يندرج تحتها من المواد كالياء . ونلحظ ثانيا أن جميع مواد هذا الباب ، جاءت على مثال (فعل) من الثلاثي المفتوح الفاء ، ثم تتلوها أمثلة الرباعي وما بعده ، وهكذا في جميـع الأبواب .

ومن هنا يتضح أن منهج القالي ونظامه الدقيق ، لا يشبههما شيء من تنظيمات كتب المقصور السابقة واللاحقة ، سوى كتاب علي بن اسماعيل بن سيدة (ت 458 هـ) الذي جعله ضمن معجمه الكبير (المخصص) ، وهو متأخر عنه ، ومقلد له ، وكان كتاب القالي لذلك أدخل في المعاجم اللغوية من كتاب ابن ولاد .

2 ـ الاستقصـــاء

ولما كان ادعاء الاســتقصاء أمرا صعبا عصيـا ، احترس أبو علي في البداية فقال : ان الاحاطة من صفات الباري لا البرية . ورغم ذلك فان مقارنة كتابه بالكتب الأخرى ، تثبت تفوقه عليها في هذا المجال أيضا . فاذا كان كتاب ابن ولاد أو في كتب المقصور والممدود ، وأغناها شاهدا ومادة ـ فيما ســبق القالي ـ اذ ورد به (1168) مادة لغوية ، و (420) شاهد من الشعر والقرآن وغيرهما ، فان كتاب القالي يزيد عليه بأشياء كثيرة ، اذ ورد به حوالي (1544) مادة لغوية و (1981) شاهد . وهو أيضا أكثر جمعا واستقصاء من كتب ابن الأنباري ، والفراء ، وابن مالك الأندلسي المتأخر عنه (72) .

ومع هذا كله ، فلا يمكن أن نتصور الكمال المطلق لهذا الكتاب من حيث الجمع والاستقصاء ، لما كان عملا من أعمال يد بشرية . فقد غابت عن القالي في الحقيقة وفاتته أشياء كثيرة ، استدركها عليه مطالعو الكتاب ومقابلوه بالكتب المصنفة في الموضوع . وكانت التعليقات المسطورة بهامش النســختين المغربية والمصرية ، مفيدة في تسجيل هذه الاستدراكات والتنبيهات على ما فات صاحب الكتاب ، مما هو موجود في كتب ابن ولاد ، والسيرافي ، وابن القوطية ، وابن سيدة ، وكتاب الجيم ، وكتاب أبنية الزبيدي .

– ومن أمثلة ذلك ما ورد تعليقـا على مادة (الحصى) التي ذكرها أبو علي فقال : «ويقال : ماله حصاة ، ولا أصاة» . فعقب على ذلك أحد المعلقين بقوله (73) :

---

(72) قام بهذا الاحصاء المقارن الزميل أحمد هريدي في مقدمة تحقيق الكتاب المقصور والممدود للقالي

(73) هامش صفحة 37 (م) .

«لم يذكر الأصاة قبل هذا في باب الهمزة ، انظر ان كان يقال : أصى» (74) .

وبعد أن أتم القالي ذكر مواد حرف العين مما هو على مثال (فَعْلَى) ــ بسكون العين ــ من الاسماء والصفات . استدرك عليه أحد المعلقين بقوله :

«ابن ولاد : جراد عظلى ، وعظالى ، ركب بعضه بعضا ولم يبرح .

قال :

يا أم عمرو أبشرى بالبشرى   موت ذريع وجراد عظلى

أراد أم عامر ، وهي الضبع .

والعَلْهى : المشتاقة الى وطنها من الناس والابل» (75) . ولم يذكر القالي في الباب (العَظْلى) ولا (العَلْهى) .

– وفي تعليق ثالث على ما أغفل القالي ذكره في باب (فَعَلى) بالتحريك من الأسماء المقصورة ، جاء ما نصه :

«ابن ولاد : وجدت بخط أبي عن ثعلب ، قال : وجدت بخط اسحاق بن ابراهيم : الشَجَجَى : العقعق ، والشَقَذَى : العقاب» (76) .

وهما من المواد التي لم يذكرها القالي في هذا الباب (77) . على أنه من أسباب اهمال القالي لبعض المواد المستدركة عليه ، أنه لم يحاول استقصاء ما ينقاس من الأبنية قياسا مطردا ، وهو شيء طالما نبه عليه ، وكرر القول فيه ، قال في (ص 98 م) «والصفات في هذا الباب (78) تكثر وتنقاس . ونحن نذكر منها اليسير» . فلعله لذلك لم يذكر (عظلى) وهي من صفات الجراد التي تنقاس . وكذلك (العلهي) وهي صفات المشتاق من الابل والناس . وذكر الخليل في كتاب العين ، ان العلهان : الجائع ، وامرأة علهى . ويجمع على علاه ، ونسوة : علاهى (79) .

ثم قال أبو علي مرة أخرى حين انتهى من ذكر المواد التي على مثال (فعالى)

---

(74) لم يذكر ابن ولاد ، ولا الفراء مادة (اصاة) أو (اصى) .

(75) المقصور للقالي (ص 100) (م) وقد ورد هذا النص المنقول في التعليق على النحو التالي في المقصور والممدود لابن ولاد (ص 75) طبعة مصر . «ويقال جراد عظلى ، وعظالى ، اذا ركب بعضه بعضا ولم يبرح ، قال الشاعر :

يا أم عمرو أبشري بالبشرى   موت ذريع ، وجراد عظلى

أراد يا أم عمرو وهي : الضبع . والعلهاء : المشتاقة الى وطنها من الناس والابل» .

(76) ص 113 (م) .

(77) أنظر المقصور لابن ولاد (ص 60) وفيه الشقذى بالدال المهملة .

(78) باب ما جاء على مثال (فعلى) من الأسماء والصفات .

(79) العين جـ 1 (ص 123) تحقيق د . عبد الله درويش .

من الأسماء والصفات (ص 120 م) «وهذا المثال يكثر عليه الجمع وينقاس ، فلذلك اقتصرنا (80) منه على اليسير» .

وقال ثالثة بعد الفراغ من باب (فعائل) (ص 122 م) «وهذا الباب ينقاس قياسا مطردا لا اقتسار فيه ، فلذلك ذكرنا منه اليسير» .

وقال رابعة (ص 190ـ191 م) «وهذا باب ما جاء من المقصور على مثال (فعالى) من الأسماء ولا يكون وصفا ، الا أن يكسر عليه الواحد للجمع . نحو خجالى ، وكسالى ، وسكارى ، فهذا الضرب ينقاس فنحن نستغني عن ذكره» .

والشواهد على هذا الأمر كثيرة ، وكلها تؤكد أنه كان اذا وصل لشيء يطرد فيه القياس ، اكتفى بضرب اليسير من الأمثلة ، كما صنع في باب (فعائل) من المقصور . وكأنه أراد لكتابه أن يستغني عما يمكن معرفته والوصول اليه عن طريق القياس . ولكنه خوف أن ينعت بالقصور والاهمال ، اضطر لذكر نماذج معدودة من الأبنية القياسية . ذلك لأن الكتاب وضع لدراسة وتسجيل ما هو موجود ـ شأن بقية المعاجم ـ لا لدراسة ما يمكن أن يوجد قياسا على غيره . ومع هذا الذي ذكرت ، فهو أوفى كتاب في موضوعه .

3 ـ كثرة الشواهد وتنوعها

واذا كنا نعتبر هذا الكتاب نوعا من المعاجم المتخصصة ، فلا يجب أن نفهم من ذلك أنه خلا من الشواهد المتنوعة ، على نحو ما اتجهت اليه المعاجم المتأخرة . بل ان كثرة ما تضمنه منها ، تجعلنا نصنفه من جهة أخرى بين المصادر الأدبية الغنية بالنصوص الشعرية والنثرية على اختلافها .

وتنقسم شواهد الكتاب الى شعرية ونثرية . ففي الشعر نجده يستشهد بالجاهليين أولا كالنابغة ، وعنترة ، وامرىء القيس ، وتأبط شرا ، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم ، وزهير ، والمهلهل ، والأعشى ، وعدى بن زيد ، وكثير من الأعراب ، وغيرهم . ثم أشعار الاسلاميين ثانيا ، كجرير ، والأخطل ، والفرزدق ، والطرماح ، والحطيئة ، والعجاج ، وجميل ، وليلى الأخيلية ...

الا أن هناك أشعارا كثيرة يصعب تحديد قائليها ، لاكتفائه فيها بالعبارة الشائعة (قال الشاعر) أو (قال الراجز) ، أو لاستعماله عبارات أخرى مبهمة ، كأنشد رجل من بني شيبان ، أو رجل من بكر ، وامرأة من العرب ، ورجل من بني فزارة ... الخ .

وهناك جانب آخر من الأشعار ، كان يرويها القالي على لسان كبار اللغويين ،

---

(80) في (م) اقتسرنا بالسين .

كأبي عبيدة ، وابن الأعرابي ، والكسائي ، والأصمعي ، وابن الأنباري ، وابن دريد ، فيستغني بذلك عن ذكر أصحابها .

أما النثر في الاستشهاد عند القالي فهو أنواع . منه الآيات القرآنية ، ومنه الأحاديث الشريفة وهي أقل من الآيات ومنه أقوال الصحابة وهي قليلة (81) ومنه الأمثال العربية (82) ونصيب ضئيل جدا من الأسجاع القديمة ، وذلك كقول بعضهم : «اذا طلعت الشعرى ، كشف الثرى ، وأجن الصرى ، وجعل صاحب النخل يرى» (83) .

وهناك أيضا أقوال بعض الأطباء (ص 203 م) وأقوال فقيه العرب (235 ك) ، وأخبار وأقاصيص على نحو ما نجد عنده في الأمالي ، كأخبار ابنة الخس وغيرها (84) . وكذلك أجزاء من الخطب والوصايا والعظات (ص 176ـ177 ك) .

وأخيرا ، فان عدد ما أحصي من هذه الشواهد المتنوعة مما وقع في الكتاب ، فاق كل كتب المقصور والممدود السابقة واللاحقة ، وزاد على (1981) شاهد . ومن هذا تبدو قيمة الكتاب الأدبية ، بجانب قيمته اللغوية ، لما تضمنه من نصوص كثيرة ، جاءت نتيجة توسع القالي في الشواهد التي جمعها من المصادر .

وان مما يلحظ ، أن القالي كان حريصا في هذا الكتاب (اللغوي ـ النحوي ـ الأدبي) . على أن يقتصر في شواهده على العصرين المتفق على الاستشهاد بهما وهما الجاهلي والاسلامي . ولم يتعدهما الى العصر العباسي أو الأموي المتأخر الا نادرا ـ وذلك للايفاء بشرط الفصاحة التي يتطلبها القياس عنده ، وهو رجل يعتمد المذهب البصري ـ فقد كان يضطر في هذا القليل النادر لمخالفة القاعدة ، كما فعل عندما رضي بالاستشهاد ببيتين لأحد شعراء العصر العباسي ، وذلك في مادة (جدوى) بفتح ، قال أبو علي (ص 102 م) :

«الجدوى : العطية . أنشدنا أبو بكر بن الأنباري في كتابه (الممدود والمقصور) :

أعطيتني يا ولي الحمد مبتدئا
عطية كافأت مدحي ولم ترني
ما شمت برقك الا نلت صيبه
كأنما كنت بالجدوى تبادرني

(81) أنظر على سبيل المثال (ص 162ـ181) (م) .
(82) أنظر مثلا الصفحات 174ـ199ـ219 (م) و 173ـ206 (ك) .
(83) ص 150 (م) وأجن الصرى بفتح الصاد والراء : تغير الماء المتجمع في الغدران لشدة الحر . وجعل صاحب النخل يرى : أي تبين صاحب النخلة تمرها ، لأنه حينئذ يكثر ويزهي .
(84) أنظر مثلا الصفحات 151ـ152ـ170 (م) 200ـ203ـ231ـ239 (ك) .

وهذان البيتـان لعلي بن جبلة العكـوك وليس علي بحجة ، وانما الحجة الذي يقول :

ويا نخـلات القـاع قلبي موكـــل
بكن ، وجدوى خيـــركن قليــــل
ألا هل الى شـم الخزامي ونظـــرة
الى قرقرى قبل الممـات ســبيل»

فنحن نجد شـيخه ابن الأنباري ـ وهو أعلم من رآه من الكوفيين كما قال في مقدمة الكتاب ـ يستشهد ببيتين لعلي بن جبلة ، وهو من شـعراء العصر العباسي ومعاصر للمأمون (85) . واذا القالي يعترض عليه بأن ليس الشاعر المذكور حجة ، ثم أتى ببيتين آخرين ذكرهما في الأمالي مع قصة وشـعر ليحيى بن طالب (86) ، وهو من شعراء العصر العباسي أيضا ، ومن معاصري الرشيد . فلست أدري السبب الذي رفض من أجله ابن جبلة ، وقبل الاستشـهاد بابن طالب ، مع أنهمـا من عصر واحد . وكل ما بينهما من الاختلاف أن الأول ـ وهو ابن جبلة ـ عاش في بغداد ، والثاني كان في اليمـامة فلعل الأمر لذلك ، أي أنه طعن في ابن جبلـة لأنه اختلط لسانه بعجمة أهل المدن ، ولا سيما أنه شخص الى خراسان ومدح بها عبد الله بن طاهر كما يحكي الأصبهاني . على أن اليمامة نفسها لم تكن مما تؤخذ لغاتها ، فقد نقل السيوطي في المزهر عن الفارابي في كتاب (الألفاظ والحروف) قوله : «وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سـكان البراري ممن كان يسـكن أطراف بلادهم المجـاورة لسـائر الأمم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ، ولا من جذام ... ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم» (87) .

4 ـ الاعتماد على الفصيح

كان القالي ـ كما سبق القول (88) ـ يخلط بين آراء المذهبين البصري والكوفي ويرجح منهما ما يراه مناسبا . وان كان في أغلب ما يراه يسير فيه سير البصريين . وتعتبر قضية الفصيح وما يخالفه من النادر والشاذ من جملة القضـايا التي عمل فيها بآرائهم وتابعهم في أقوالهم . وهكذا فانه حين جمع مواد كتابه هذا اقتصر فيها

(85) أنظر الأغاني (جـ 18/235) دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ 1955 م .
(86) الأمالي (1/123) . وفي هذا الموضع يذكر القالي أن يحيى بن طالب مات في حياة الرشيد .
(87) المزهر (1/212) .
(88) أنظر خصائص ثقافة القالي في القسم الاول من هذا البحث .

على ما كان فصيحا في اللغة . أما ما كان شاذا أو نادرا فقد أهمله واكتفى بالتنبيه على وجوده ليكون في علم القارىء فقط ، لا لأنه يأخذ به ، كما هو شأنه في مادة (أفعلاء) بضم الهمزة والعين اذ قال (89) :

«أفعلاء اسم نحو أربعــاء ، وهو نادر . حكاه اللحياني . وقد ذكر هذا الحرف ابن الأعرابي على (أفعلاء) بفتح العين فقال : يقال مشى الأرنب الأربعاء بفتح الباء ، وجلس فلان الأربعــاء وهو نوع من الجلوس ، وهذا أندر وأكثر شـذوذا مما ذكره اللحياني ، فلذلك أهملناه» .

وقول الواحد عنده لا حجة به ، ذلك أن القاعدة لا تستنبط عند أهل البصرة من مثال واحد خالف الجميع ، كما قال أبو علي نفسه «والواحد اذا أتى بشاذ نادر ، لم يكن قوله حجة مع مخالفة الجميع» (90) . فلذلك رفض ما ذكره أبو زيد من جواز مد (سيميا) لأنه سمع أعرابيا يقول ذلك .

كما أنه لم يقبل القياس على ما كان اسما أعجميا فارسيا أو نبطيا أو غير ذلك ، بحجة أنه «ليس من أمثلة العرب» (91) .

وعلى العكس ، فان ما شاع بين العرب وكثر في كلامهم ، هو ما يجب اعتماده . كالقصر والهمز في (الخطأ) قال : «والخطأ يمد ويقصر ، وقصره وهمزه أكثر في كلام العرب» (92) .

ومرة أنكر القالي ما قاله شيخه ابن الأنباري الذي تابع أهل الكوفة في تجويز تثنية (رحى) بالواو ، والقول عند سيبويه والبصريين بالياء . فقال : «والقول عندنا ما قال سيبويه ، لأنا لم نجد أحدا من فصحاء العرب قال : رحوان الا ترى أن مهلهلا قال ــ وهو أحد الفصحاء ــ :

كأنــا غدوة وبنــــي ابينــــا
بجنب عنيزة ، رحيا مديــر (93)

واذن ففصاحة الكلمة شرط في قبولها والقياس عليها ، ولا تثبت فصاحتها الا بأن يأتي بها فصيح كالمهلهل .

ان محافظة القالي وتشبثه بأصول منهج أهل البصرة في هذه المسألة لا حد له .

---

(89) ص 159 (ك) .
(90) ص 150 (م) مادة (سيمى) .
(91) ص 160 (ك) مادة (خصيصاء) .
(92) ص 216 (م) مادة (خطأ) .
(93) ص 63 (م) مادة (رحى) . وقد تقدم هذا المثال في (ص 113) من البحث .

وأنظر ماذا يصنع في مادة (العوّى) (94) : فبعد أن يأتي عليها بشـاهد من قول الساجع ، وثلاثة شواهد من الشعر الفصيح يقول : «والعوى ، ذكره صاحب كتاب العين ، وهو صحيح في الاشتقاق والقياس فلذلك ذكرته وهو فعل عوى يعوي» (95) ، فلذكر هذه المادة أتى بثلاث حجج :

(1) حجة ورودها في النثر والشعر الفصيح .
(2) حجة ورودها في كتاب العين ، وصاحب العين حجة موثق .
(3) حجة صحتها في الاشتقاق والقياس ، فهي (فعل) من عوى يعوي . وكأنه كان يخشى أن يتهم بوضع اللغة وانتحـالها ، لأن شيخه ابن دريد ، لم يذكر سوى (العوة) بالتاء (96) .

وما نبه عليه القالي من الشاذ والنادر كثير ، لا فائدة من احصائه هنا . غير أني أريد أن أتبع هذا ، بمثال آخر ورد في مادة (العزاء) (ص 169 ك) ، يعلق فيه على قول لصاحب العين فيقول : «.. ولكن قوله : عزي الرجل يَعْزَى عزاء ممدود واني لعزي اذا كان حسن العزاء على المصاب ، شـاذ عن القياس لا أعلم أن أحدا أتي به غيره» .

وكثيرا ما وقف القالي مثل هذه المواقف من كبار علماء اللغة ، فيرد أقوالهم ويشكك في فصاحة ما قد يأتون به مخالفا للقياس ، من ذلك رده لما أجازه اللحياني من المد في (زليلى) فقال : «وليس بمرضي» (97) ، ولما زعمه من مد (مكيثى) أيضا فقال أبو علي «وليس بحق» (98) ، وعقب على ما قاله الكسـائي من أنه سـمع (ما يفعل ذلك الا خصيصاء قوم ، على مثال فعيلاء) بأنه شاذ نادر (99) . الى غير ذلك من المواقف الصارمة أمام هذا الشاذ الذي لا يقاس عليه .

(5) الاعتماد على الاشتقاق في التفسير

قسم علماء اللغة الاشتقاق أقساما ثلاثة : الصغير ، والكبير ، والأكبر ، وأضافوا (الكبار) أو (النحت) اليها أحيانا .

---

(94) ص 97 (م) مادة (العوى) على وزن (فعل) بفتح الفاء وتشديد العين وهي من منازل القمر . وقد ذكرها ابن ولاد (ص 74) في حرف العين .
(95) ص 98 (م) .
(96) نفس المصدر والصفحة .
(97) ص 159 (م) مادة (زليلى) من قولهم : زللت في الطين .
(98) ص 159 (م) مادة (مكيثى) .
(99) ص 159 (ك) (ابتداء الممدود) .

ويهمنا من هذه الأنواع ، الاشتقاق الصغير (أو الأصغر) الذي يعرفه ابن جني بقوله : «فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه ، فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغ مبانيه» (100) ويقصد بذلك (ارتداد التصاريف المختلفة المتشبعة عن المادة الأصلية ، الى معني جامع مشترك بينها) (101) .

وقد كان القالي في هذا الكتاب ـ كما في غيره ـ يركن لهذا النوع من الاشتقاق البسيط ويستروح اليه ويتعلل به ، كما كان ابن فارس يستروح الى الاشتقاق الأكبر . فيما حكى عنه ابن جني (102) .

ونستطيع التوصل الى هذا الحكم بسهولة اذا نحن استقرأنا كثيرا من الأمثلة المبثوثة في الكتاب ، ونكتفي هنا بالبعض منها .

(1) مادة (شرى) (ص 56 م) :

«وقال أبو علي : أصل الشرى الكثرة والانتشار ، ألا ترى أنه لا يقال : شراة للواحدة من الرذال ولا من الخيار وانما يقال ذلك للقطعة الكثيرة . ولا يقال شرى الرجل اذا غضب غضبة خفيفة ، وانما يقال ذلك اذا اشتد غضبه وتتابع فيه . ولا يقال شرى البرق اذا لمع لمعة واحدة أو اثنتين أو ثلاثا ، حتى يكثر لمعانه . ولذلك قيل للذي يظهر بالجسد شرى لأنه يكثر وينتشر . والشرى لا يكون الا الناحية الواسعة المنتشرة ، والسعة فيها معنى الكثرة» .

وبمقارنة هذا بما قاله ابن فارس في (المقاييس) (103) نجد أن القالي جعل لهذه المادة أصلا واحدا وهو الكثرة والانتشار ، بينما جعل ابن فارس (للشين والراء والحرف المعتل) ثلاثة أصول ، الثالث منها شبيه بما ذكره القالي وهو عنده (هيج في الشيء وعلو) . وذلك لأن القالي مهتم هنا بالاشتقاق البسيط (الصغير أو الأصغر) والثاني يذهب بعيدا الى الاشتقاق الكبير .

(2) مادة (صغى) (ص 77 م) :

قال أبو علي ، بعد أو أورد كثيرا من آراء وأقوال أهل اللغة في معاني هذه المادة :

---

(100) الخصائص (134/2) .
(101) دراسات في فقه اللغة (ص 176) .
(102) الخصائص (133/2) .
(103) (266/3) (شرى) .

«وقال أبو نصر يقال : أصغى حظه يصغيه إصغاء ، اذا نقصه . قال أبو علي : هو عندي من الميل لأنه يميله الى النقص» .

ويمكن كذلك مقارنة هذا بما قاله ابن فارس في مادة (الصاد والغين والحرف المعتل) (104) من أن لها أصلا صحيحا واحدا يدل على الميل . فهما هنا يتفقان .

(3) مادة (ندى) (ص 67 م) :

قال : «قال أبو علي : أصل الندى : الرطوبة ، ولهذا قيل : فلان أندى كفا من فلان أي أسمح ، ولهذا قيل للسماحة ندى ، ولهذا قيل فلان أندى صوتا من فلان ، لأن الرطوبة في الصوت تبعد ذهابه» .

وهكذا نجد القالي في هذه الأمثلة وغيرها ، لغويا بعيد النظر ، متذوقا لأسرار العربية ، لا يقنع في تفسير الألفاظ بما تقدمه المعاجم ويردده الرواة والحفاظ ، وتمتلىء به الشواهد الكثيرة من المعاني الظاهرة ، بل يغوص باحثا عن جذورها منقبا عن الأسباب والعلاقات التي تربط بين معان كثيرة للفظة الواحدة . حتى اذا عثر على علتها ، ساقها بعد أن يورد أقوال غيره . فالشرى مثلا ، يقال لرذال المال وخياره ، وللبرق اذا لمع ، وللرجل اذا غضب ، والشيء الذي يظهر بالجسد فيعمه . والعلة في وجود كل هذه الدلالات ، هي اشتراكها في أصل واحد اشتقت منه تلك المعاني ، وهو (الكثرة والانتشار) .

ونجد في مادة (لحاء) أن اللحاء والملاحاة بين الرجلين ، هو أن يتهم أحدهما الآخر .

واللحاء أيضا ، قشر كل شيء ومنه لحاه لحوا اذا قشره .

ويبحث القالي عن العلاقة بين المعنيين ، فيتوصل الى أن المعنى الأول مشتق من الثاني فيقول :

«واللحاء بين الرجلين من هذا ، لأن كل واحد منهما يقشر صاحبه بالشتم» (105) .

وكان نظره يؤديه أحيانا الى الرجوع للأصل التاريخي للكلمة ، عند محاولة فهم معانيها العميقة ، كما نجد في مادة (الكداء) (ص 230 ك) . فقد ذكر الآصمعي أن قولهم «أعطى قليلا وأكدى» ، بمعنى ، قطع . أما القالي ، فلم يطمئن لهذا التفسير ولا للشاهد الذي أتى به من الشعر رواية عن الأصمعي ، بل نراه يقول : «والكداء

(104) المقاييس (289/3) .
(105) ص 233–234 (ك) مادة (اللحاء) .

عندي ، المنع . وهو الاسم من أكدى يكدي إكداء اذا منع . وأصله في الحفر ، اذا بلغ الحافر الكدي . وهي الأرض الغليظة ، فلم يمكنه الحفر قيل : أكدى الحافر» .

فقد رأيت أنه عاد يبحث عن العلة الأولى في اطلاق هذا الاسم ، ومثل هذا البحث يفيد في معرفة التطور التاريخي للألفاظ العربية ، التي كثيرا ما تستخدم استخداما سيئا نتيجة الجهل بأصلها الموضوع أولا .

على أنه لا يجب أن نبالغ في صنع اطار أكبر مما تحتمله صورة القالي المتواضعة في هذا الباب ، ذلك أنه لم يكن دائما يكلف نفسه عناء البحث عن الأصول الاشتقاقية للكلمات ، ولم يكن دائما في بحثه يهتدي الى نتيجة بل كثيرا ما اعترضت طريقه قضايا من هذا النوع فأغفلها اغفالا . والذي يهمنا من الموضوع هو أن ننبه الى شعور القالي بالمتعة في تعليل الأسماء ، والبحث عن أسباب تسميتها واطلاقها ، ليسهل بذلك أمامه تفسير ما يشتق ويفرع من الصيغ ، مثلما فعل وهو يبحث عن سبب تسمية كل من الطائر ، والعسل ، بالسلوى . فوجد أنهما سميا بذلك لكونهما يسليان أهلهما «فان السلوى عندهم السلو» (106) . أو مثلما فعل وهو يبحث عن سبب تسمية المال بالرفاء ، فوجد أنه كذلك «لأن المال تلتئم به البذاذة وسؤ الحال» (107) ، مأخوذ من الرفاء الذي هو الاتفاق والالتئام . وهكذا ذهب يطلب هذه المتعة ويتكىء عليها في تفسير الألفاظ بين الحين والآخر . على أن ذلك لم يكن همه في كل مادة ولا في أكثرها ، بل هي حالات يلجأ اليها عندما لا تقنعه تفاسير الرواة والعلماء ، أو عندما يطمئن عقله الى علة من أمثال العلل المذكورة فيذكرها ويقابل بها رأي غيره .

واذا كان ابن جني وأستاذه ابن فارس ، قد فطنا لما هو أهم من أنواع الاشتقاق ، فمضيا يبحثان فيها ويضعان النظريات ويبثان الآراء ، فان القالي لم يكن واضع نظريات في اللغة . وما رأيناه هنا من عنايته بالبحث عن أصول الكلمات وعللها ، لم يكن سوى خواطر ونظرات عابرة ، ولم يكن حتى في هذه النظرات العابرة سابقا ومؤصلا ، بل أن هذا النوع من الاشتقاق – كما قال ابن جني – موجود في كتب الناس ، غير أن القالي لا شك قد تأثر بآراء بعض شيوخه الذين كان لهم مذهب معروف في مسألة الاشتقاق . ولا سيما أبا بكر بن السراج – أستاذ ابن جني في هذه المسألة – فقد كان ألف كتابا خاصا في الاشتقاق الأصغر (أو الصغير) قال عنه صاحب الخصائص «فهذا هو الاشتقاق الأصغر . وقد قدم أبو بكر – رحمه الله –

(106) ص 108 (م) مادة (سلوى) .

(107) ص 234 (ك) مادة (الرفاء) بالكسر . والبذاذة بالفتح : سوء الحال . وفي الأصل : البذارة ، وهو تصحيف .

رسالته فيه بما أغنى عن اعادته لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحا واحكاما وصنعة وتأنيسا ..» 134/2 . والظاهر أن ابن السراج هو الآخر انما تابع في ذلك المذهب شيخه وشيخ القالي أبا بكر الزجاج الذي ألف كما مر بنا (108) كتابا في (الاشتقاق) وهو الذى كان يكفيه أن يجد لفظين قد اتفقا في بعض الحروف ليقول باشتقاق أحدهما من الآخر . لقد كان الرجلان اذن يقفان في صف واحد . وكان في معارضتهما رجل آخر من شيوخ القالي وهو نفطويه الذي قال عنه القفطي : «وكان ينكر الاشتقاق في كلام العرب ويحيله (109) وله في ذلك مصنف . وكل حجة فيه مدخولة . وكان أبو بكر بن السراج في طرف آخر في هذا النوع ، يتهافت في الاشتقاق واثباته واستعماله تهافتا يخرج عن حد الحقيقة الماشية على أصول من تقدم» (178/1) . واذن فلقد كان القالي من أتباع الزجاج وابن السراج ولم يكن من أنصار نفطويه .

مصادر الكتاب

ان مصادر القالي في (المقصور والممدود) كثيرة ومتنوعة ، ويمكن سلكها في طرائق على هذا النحو :

(1) فهناك المصادر الكتابية التي صرح بالنقل عنها وذكر اسماءها ، وهي :

- كتاب العين (في غير موضع) .
- كتاب سيبويه (في غير موضع) .
- فصيح ثعلب (مادة نسى) (ص 69 م) .
- الممدود والمقصور لأبي بكر بن الأنباري (مادة جدوى) (ص 102 م) .
- الغريب المصنف (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص 123 ، قهقري ، م) و (ص 216 ، الطباقاء ، ك) .
- كتاب النقائض (بين جرير والفرزدق) لأبي عبيدة (ص 220 ، صلاء ، م) . قرأه على أبي عبد الله نفطويه .
- خلق الانسان ، للأصمعي (ص 198 ، العنقاء ، ك) . قرأه على ابن دريد .
- كتاب الصفات للأصمعي (ص 227 ، الحواء ، ك) .
- كتاب الهمز للأصمعي (ص 234 ، الرفاء ، ك) .
- كتاب الأبواب للأصمعي (ص 216 ، عياياء ، ك) . قرأه على ابن دريد .
- كتاب الهمز لأبي عبيد (ص 234 ، الرفاء ، ك) .
- نوادر ابن الأعرابي (ص 255 ، الرواء ، ك) . قرأه على المطرز .
- أشعار هذيل (ص 224 ، عداء ، ك) . قرأها على ابن دريد .

(108) أنظر ترجمة الزجاج في القسم الأول من هذا البحث . وكذلك ترجمة نفطويه وابن السراج .

(109) يحيله : أي يرى فساده . وأنه محال .

(2) وهناك بعض المصادر الكتابية الأخرى التي نقل عنها فلم يصرح بأسمائها ، مكتفيا بأسماء مؤلفيها وبالتلميح بجملة أو كلمة الى أن المصدر الذي يأخذ عنه مصدر كتابي :

– فقد أشار في عدة مواضع الى كتاب لأبي زيد (110) لعله (كتاب الهمز) أو (كتاب النوادر) .

– وأشار في مواضع أخرى لكتاب الأصمعي (111) .

– وأشار الى كتاب لثابت (112) ، لعله (كتاب الفرق) أو (خلق الفرس) أو (خلق الانسان) .

– وأشار لكتاب عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قرأ فيه على ولد المؤلف أحمد ابن عبد الله (113) . والراجح أنه (أدب الكتاب) .

– ووردت أيضا اشارات الى كتاب لأبي بكر بن الأنباري ، قد يكون (الممدود والمقصور) السابق الذكر ، وقد يكون غيره (114) .

(3) وهناك مصادر كتابية أخرى ، أهمل التصريح بها أو الاشارة اليها ، ويكتفي عندها بأن يقول : (قال فلان) أو (أنشد فلان) (115) .

وقد ينقل عن مصدر فيصرح به مرة ولا يشير اليه أخرى ، كما فعل في كتاب سيبويه الذي كان ضمن ما رواه القالي من كتب النحو واللغة ، وكان عمدة مصادره في المسائل النحوية بهذا الكتاب ، ينقل عنه تصريحا ودون تصريح . وقد بينت عند الكلام على مذهب القالي في النحو واللغة مواضع نقل منها أبو علي من الكتاب دون تصريح ، فلا حاجة لاعادتها هنا .

(4) وبجانب هذه المصادر الكتابية المتنوعة ، كان أبو علي يأخذ من أفواه أساتذته وشيوخه ، معبرا عن ذلك بألفاظ الرواية الشفوية ، كأنشدني ، وحدثني ، وأخبرني ... الخ . وممن يصرح بالأخذ عنهم بهذا الطريق ، أبو عمر المطرز (116) ومحمد بن درستويه (117) ، وعلي بن سليمان الأخفش (118) ، وأبو المياس الراوية (119) ،

---

(110) كما في ص 70 (طوى) وص 80 (صدى) (م) .
(111) كما في ص 129 (دلنظى) (م) .
(112) كما في ص 172 (طلى) (م) .
(113) ص 185 (سماء) (ك) .
(114) ص 198 (قرواء) (ك) . وص 99 (علقى) (م) .
(115) وفي هذه الحال يعرف المصدر بأنه مصدر كتابي بالفاظ دالة كان يقول : (قال في موضع آخر).
(116) ص 172 (طلى) (م) . وص 193 (العوجاء) (ك) .
(117) ص 111 (هبصى) (م) .
(118) ص 90 (فدى) (م) .
(119) ص 110 (مدحى) (م) .

وأبو بكر بن الأنباري في غير موضع (120) ، وأبو بكر بن دريد في مواضع كثيرة ، والغالبي (محمد بن نصر بن غالب) (121) .

وهو ينقل بالاضافة لهذا ، عن بعض الشيوخ دون التصريح بأسمائهم مكتفيا بمثل هذه العبارة (بعض مشايخنا) (122) .

كتاب القالي بين المؤلفات الأخرى

لقد ألف في المقصور والممدود ـ كما ذكر آنفا ـ كثير من العلماء السابقين واللاحقين للقالي ، ولا بد من مقارنة موجزة بين أهم ما وجد من مؤلفات هؤلاء حتى تكتمل بذلك صورة كتاب القالي ، وتتضح الفروق التي تميزه عن غيره وتكون بمثابة شاهد على ما قلناه سابقا ، من أن كتابه فاق بخصائصه كل هذه المؤلفات ، الا كتاب ابن سيدة المرسي الذي أتى بعد القالي وتأثر به ، وسنؤجل المقارنة بينهما لما بعد .

(1) المنقوص والممدود للفراء (ت 207 هـ)

أما هذا الكتاب ، فهو عبارة عن رسالة قصيرة في 50 صفحة ، (طبعت بتحقيق عبد العزيز الميمني سنة 1967 م بدار المعارف المصرية) . وقد قسم الفراء كتابه الى أبواب قصيرة ، ميز فيها بين المقصور وحده ، والممدود وحده ، وما يمد ويقصر ، وما يقصر ويهمز . ثم جعل الممدود بدوره ثلاثة أقسام حسب حركات الحرف الأول من الكلمة (المكسور ، فالمفتوح ، فالمضموم) . وطريقته في عرض المواد بسيطة جدا ولا تراعي أي ترتيب معجمي معين . فهو يبدأ (باب المقصور الذي لا يشبهه شيء) على هذا النحو : «من ذلك **الهدى** ، **والرؤى** ، **والرحى** بالياء والألف ، **والشّوَى** بالياء **والقِضّا** بالألف : النبت ، **والأذى** بالياء ، **والسّدى** بالياء واحدته سداة ، وهو على ثلاثة أضرب : السدى من الندى ، والسدى : لحمة الثوب ، واحدى البلح ، الواحدة سداة . ويقال في سدى الثوب : **سنى** يكتبن ثلاثتهن بالياء والألف . **والقَرا** : الظهر ، يكتب بالألف . ويقال فرس قرواء : اذا طال ظهرها ، وربما كتبت بالياء ..» الخ (123) .

فالذي نلحظه في هذا الكتاب . أنه يعنى بالتنصيص على طريقة كتابة الألفاظ

---

(120) أنظر على سبيل المثال ص 195 (الحوباء) (ك) .
(121) ص 197 (الخرساء) (ك) .
(122) كما في (ص 111) (م) .
(123) (ص 31-32) .

مع فقر في الشواهد واختصار تام في الشرح ، وغلبة الطابع النحوي والصرفي على الطابع اللغوى ، فضلا عن قلة المواد التي لا تعدو (497) مادة .

(2) كتــاب ابن درســتويه :

وهو رسالة صغيرة جدا ، تقع في سبع صفحات من الحجم الصغير ، وعنوانه **(شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال)** (124) . فهو خاص ـ كمــا يبــدو من العنوان ـ بالمقصور ، ومــا يكتب منه بالياء (الألف المقصــورة) على الأخص . وقد جمع فيه بين أبنية الأسماء والأفعــال ، بينما قصر القالي كتابه على الأسماء فقط (125) .

ورغم قصر هذه الرسالة فهي مرتبة حسب الحروف الأبجدية العادية : (أ. ب. ت. ث...) والمثال التالي يوضح طريقته في عرض المواد .

قال في (باب ما أوله ألف) (ص 1) :

«فمن ذلك قولك : **أبى** وهو فعل ماض ، من قولك أبيت ، **وأتى** مثلــه من قولك أتيت . **والأذى** : الاسم وهو مصــدر . قولك أذي يأذى أذى . وأنى بفتح الأول فعل ماض : من أنيت يقال : أنى لك أن تفعل كذا ، أي حان لك ، قال جرير ...» .

(3) المقصور والممدود للمطرز : (غلام ثعلب) (126)

وهو في ثلاث صفحــات من الحجم الصغير مختصر جدا ، وعبــارة عن تقييد للحفظ والتذكر السريع ، ولم يعتمد صاحبه فيه ترتيبا معجميا معينا ، ولكنه قسمه الى أبواب كالتالي :

- الحروف (الكلمات) المقصورة .
- أسماء ممدودة على ألفاظها مقصورة ، مختلفة المعاني .
- حروف المد المستعمل ، المخفوض الأول .
- الممدود المفتوح الأول .
- الممدود المضموم الأول .
- ما يمد ويقصر ، فاذا قصر كتب بالياء .
- ما يقصر فاذا غير لبعض حركات بنائه مد .

---

(124) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 100 ق (ضمن مجموع) .

(125) قد تكون هذه النسخة الموجودة من كتاب ابن درستويه مجرد جزء من الكتــاب الأصلي ، لان مترجمي ابن درستويه مثل ابن النديم (ص 93) يذكرون أنه ألف (المقصور والممدود) .

(126) مخطوط الرباط رقم 100 ق (ضمن مجموع يضم الكتاب السابق) .

ويلحظ أن المؤلف قد رتب المواد في هذه الأبواب حسب الحرف الأول كما فعل القالي ، ولكنه قدم المكسور على المفتوح كما فعل الفراء ثم تلاه بالمضموم .

وطريقته في العرض بسيطة جدا لا تختلف عن طريقة الفراء قال في (ص I) : «هوى النفس . وذى : الأرض . وذى : الجود . وحقى : الدابة . وشجى : الحزن . والشجى : في الحلق . والكرى : النوم . والأذى والقذى في العين . والخنى في (...) والضنى : المرض الخ ...» .

(4) المقصور والممدود لابن ولاد (127) (ت 332 هـ)

وهو أهم من سابقيه جميعا ، لأنه روعي فيه عدد من الشروط المنهجية السليمة . فهو أولا مؤلف حسب حروف المعجم العادية ، ففي حرف الألف مثلا ، نجد كل الكلمات المبدوءة بالهمزة . وفي حرف الباء ، الكلمات المبدوءة بالباء ، وهكذا ... وروعي فيه ثانيا نظام الحركات باعتبار الحرف الأول (المفتوح ، فالمكسور ، فالمضموم) وروعي فيه ثالثا تقديم البسيط على المركب أي الثلاثي على ما سواه . ولكنه مع ذلك يقل عن كتاب القالي في عدد المواد التي بلغت (1168) مادة ، في حين بلغت مواد القالي (1544) مادة . فضلا عن أنه لم يبن كتابه على الأمثلة ، ولم يفرق بين المصادر والأسماء والصفات ، ولم يكثر من الشواهد اكثار صاحبنا القالي ، وهو أخيرا أقل حجما وفائدة (من الناحية اللغوية والأدبية) من كتاب أبي علي .

(5) تحفة المودود في المقصور والممدود (128)

لابن مالك الجياني الأندلسي (ت 672 هـ) وهو عبارة عن منظومة طويلة ذكرت فيها مواد المقصور والممدود ، وبلغت (651) مادة ، يتخلل أبياتها شرح سريع موجز ، مع بعض الشواهد الشعرية القليلة . ويبدأها على هذا النحو :

«أطعت الهوى فالقلب منك هواء
قسا كصفا مذبان منه صفاء

الهوى بالقصر ، هوى النفس . وبالمد مصدر هوى الشيء اذا خلا . قال جرير :

ومجاشع قصب هوت أجوافها
لو ينفخون من الخؤورة طاروا

ثم قيل لكل خال هواء ، كما قيل له : خلاء ... الخ .» (129) .

---

(127) طبع بمصر سنة 1908 م . ط. الأولى (مكتبة الخانجي) .
(128) طبع بمصر سنة 1329 هـ. بتصحيح أحمد بن الأمين الشنجيطي .
(129) باب (ما يفتح أوله فيقصر ويمد باختلاف المعنى) .

وهي تقلد الى حد ، قصيدة ابن دريد التي أولها :

لا تركــــنن الــى الهـــــوى
واذكــر مفـــارقة الهــــواء (130)

وهي منظومة لا بد وأن القالي قد أفاد منها أيضـــا ، اذ كانت تحتوي على ثلث المقصور والممدود كما قيل .

ومن هذه المقارنة السريعة بين هذه المؤلفات يتضح حقا أن كتاب القالي أوْفَى الكتب السابقة واللاحقة حسب الموجود منها ، وأكثرها مادة وشاهدا وأدخلها في المعاجم اللغوية والكتب الأدبية ، وأشدها احكاما وتنظيما .

قيمــة الكتــاب

ان كتاب (المقصور والممدود) لأبي علي ـ كما رأينا ـ لا يعدو أن يكون جمعا مستفيضا ومتنوعا من المصادر الكثيرة ، وقد وقع مؤلفه في بعض الهفوات المنهجية التي أشرنا اليهـا ، ومع ذلك كله فان قيمة الكتــاب تظل راجحة اذا نحن اعتبرنا الأشياء التالية :

فهو مصدر لا غنى عنه في معرفة جوانب من الشخصية العلمية للقالي لما يقدمه من أضواء ومعلومات . فنتعرف منه على ثقـافته اللغوية الغزيرة ، وعلى شطر من أساتذته وشـيوخه ، وجزء من الكتب التي قرأها أو اسـتفاد منها ، وعلى انتمائه النحوي واتجاهه اللغوي والأدبي . كما أنه وثيقة نتعرف بهـا على أشـياء تتعلق بالكتاب نفسه ، كتاريخ تأليفه بالتقريب وأسـباب ذلك . ونؤرخ بها لفترة من حياة مؤلفه ، وهي فترة اتصـاله بالناصر وولي عهده الحكم ، وما عرف به عهدهما من حب للعلم وتكريم للعلماء ، وهي الفترة التي رحل فيها كثير من العلماء عن بغداد لعدم استقرارها السياسي ، وظهور المراكز الثقافية الأخرى .

وللكتاب أهمية أخرى موضوعية وهي قيمة ما يحتويه كما وكيفـا من نصوص أدبية . على أن أكثر تلك النصوص ـ الشواهد هو ممـا يتداوله أهل اللغة والنحو . وقد نقل القالي عن كثير من المصادر ضاع بعضهـا ككتاب الأبواب ، وكتاب الهمز لأبي زيد ، وأبي عبيدة ... الخ .

ولا تخفى أيضـا قيمته بين كتب القالي الأخرى ، اذ هو الكتاب الوحيد ـ فيما

---

(130) ديوان ابن دريد (ص 138) ويروي الشطر الثاني (واحذر مفارقة الهواء) وهو الصحيح .

وصل الينا من كتبه ـ الذي يجمع بين المنهجية والتنظيم ، وبين الاستقصاء والجمع ، ولم يضاهه في ذلك الا كتاب البارع الذي لم يصل الينا كاملا .

ولعل قيمته أيضا بالنسبة لكتب غيره ، كانت من أهم الأسباب التي هيأت شهرته بالأندلس وغيرها ، وان مال الناس مع ذلك لكتاب ابن ولاد لسهولة ترتيبه الهجائي .

شخصية القالي في الكتاب

ان قارىء الكتاب وهو يمر بنصوص كثيرة (من لغة ، وشعر ، وقرآن ، وحديث ، وسجع ، ومثل ، وحكمة) . وبراو من هنا ، وكتاب من هناك ، يكاد يخرج بصدر يضيق ، ونفس تمل من العثور على خطوط واضحة لشخصية القالي ، ولكن ذلك لا يصدنا بالمرة عن رسم جوانب من شخصيته ، فها نحن نستطيع اذن ، أن نرى القالي رجلا عميق الاطلاع غزير الحفظ واسع الرواية ، من خلال النصوص الكثيرة والمواد التي جمعها في المقصور والممدود ، وشخصية تتمتع بقدر وافر من الأخلاق العلمية ، كالتواضع ، والحذر ، والتثبت ، والاحتراس ، والاعتراف بالقصور فيما لم يبلغه علمه ، والحرص على نسبة كل رأي أو قول لصاحبه . قال مرة وهو يخشى أن يتهم بانتحال آراء غيره «وهذا الذي ذكرته في الحية ، لأبي حاتم» (131) . وقال في موضع آخر «وهذه الأحرف عن ابن الأنباري» (132) .

وحرصه على نسبة الأقوال الخطيرة لأصحابها ، شيء لا يحتاج الى دليل في هذا الكتاب الذي امتلأ ـ حتى لا تكاد تخلو منه صفحة ـ بأسماء الرواة والعلماء والشعراء وغيرهم ، كل ازاء ما نسب اليه . ولعله حين يهمل الاشارة لمصدر معين ، يعول على شهرة النص أو الكتاب لصاحبه .

واذا كانت ميزة القالي الأساسية هي الضبط والتوثيق ، فانه كثيرا ما اعتمد الشك واستخدمه ذريعة لرفع العتاب عنه ازاء القضايا التي لا يتحققها . قال في مادة (ذرأ) : «قال أبو عبيدة : أنشد فيها يونس ، أو قال : أنشدتها يونس ، والشك من أبي علي» (133) . وقال في موضع آخر : «قال الأصمعي : العودى ، نبت . ولا أدري أيذكر أم يؤنث» (134) .

فلو لم نجد في هذا الكتاب الا هذه الأمانة العلمية والاخلاقية وهذا التواضع

---

(131) ص 204 (قصيرى) (م) .
(132) ص 205 (م) .
(133) ص 211 (م) .
(134) ص 148 (عودى) (م) .

الجم ، وهذا الاعتراف بالقصور عند التوقف ، وهو أستاذ أجيال أندلسية ، ولو لم نجد الا هذا الاحتراس والضبط ، لكفانا ذلك سببا لاجلاله .

وهو الى هذا شخصية لها بعض نظراتها في اللغة ، ولفتات في الاشتقاق ، والقياس ، والفصيح ، والشاذ ، والنادر ، ولها انتماؤها النحوي واللغوي .

وهو رجل يتدخل كثيرا في نزاعات اللغويين ويشهد تضارب أقوالهم ، فاذا به لا يقف أمام المشهد صامتا راويا ، بل يلقي بدلوه بين الدلاء .

قال في مادة (العراء) (135) : «والعراء ، المكان الخالي . قال الله تعالى : "فنبذناه بالعراء وهو مذموم" . قال الحطيئة (...) وقال أبو عبيدة : العراء ، وجه الأرض . وأنشد لرجل من خزاعة :

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها
ونبذت في بلد العراء ثيابي

قال أبو علي : وليس في هذا البيت ما يدل على أن العراء وجه الأرض . بل فيه دليل على التفسير الأول ، لأنه يريد ، ألقيت بالبلد الخالي ثيابي . وقال صاحب كتاب العين ، العراء ، الأرض الفضاء التي لا يستتر فيها شيء ، والجمع ، الأعراء ، وقلته ، أعرية . وتذكره العرب تقول : انتهينا الى عراء من الأرض واسع (...) وأعراء الأرض ، ما ظهر من متونها وظهورها . وهذا عندي والتفسير الأول صحيحان في الاشتقاق ، لأن المكان الخالي قد عري من أن يكون فيه أحد . والذي لا يستتر فيه شيء منكشف عار . قال : والعراء أيضا كل شيء أعريته من سترته ، يقال : أستره من العراء» .

ونظراته في الكتاب على هذا النحو من الردود على اللغويين والعلماء كثيرة تدل على توقفه عند كل قول ، وتثبته من كل شيء يورده ويرويه .

وهو أخيرا ، راوية للغة والأدب ، حافظ لهما ، محقق لما يروي ويحفظ ، وان لم يكن مبدع نظريات ومبتكر آراء ومذاهب ، كما كان ابن فارس وتلميذه ابن جني . وهذا الجانب الخاص من شخصيته ، هو الذي حاول أن يظهر به في كل مؤلفاته ، وأن يطاول به أقرانه من العلماء ، ويؤثر به في تلاميذه .

---

(135) ص 171 (العراء) (ك) .

ثانيـا ـ أثر الكتـاب في الأندلس

لعل القالي بوضعه لهذا الكتـاب الذي يظن أنه أول تأليفـه بالأندلس ، قد أقنع علماء قرطبة وحكامهـا ، بقيمته العلمية ومكانته من الحفظ والرواية ، بعد الحادثة التي اتهم فيها بالعجز عن اقامة وزن بيت من الشعر ، وأثبت به كفاءته التي فتحت له باب الشـهرة والمجد ، فأصبح امام أهل الأندلس والمصدر الذي اليه يعودون ، والدليل الذي به يحتجون .

ورغم أن الكتاب لم ينل الشهرة التي نالها عندهم كتاب ابن ولاد ، نظرا لطوله وتوسعه من جهة ، وصعوبه نظامه المعجمي الخليلي من جهة ثانية ـ وهما سببان داعيان الى اهماله ونبذه من قبل الدارسين غير المختصين ـ أقول : انه رغم ذلك قد وجد صدى طيبـا ، وقبولا حسـنا ، وأثرا في بعض الدراسات والمؤلفات وان أعوزتنا الأمثلة الكثيرة . على أن قلة توفرنا على الأمثلة والشواهد في حد ذاته ليس حجة على قلة أثره ، اذ نحن نفتقد الكثير من الكتب والدراسات اللغوية الأندلسية ، مما ضاع خلال المحن الكثيرة التي تعرض لها ذلك الفردوس المفقود ، وتعرض لها التراث الأندلسي بدوره ، فضلا عن أن المنشور مما تبقى من ذلك التراث نزر قليل ، وهو شيء يجعل نتائج دراسة أثر الكتاب في الأندلس ، وبالتالي نتائج دراسة سائر كتب القالي محصورة ومحدودة . وستبقى لذلك هذه الصفحات التي نسجل فيها تأثير كتب القالي ومنها (المقصور ...) ، في حاجة الى اضـافات أخرى تأتي بها نتـائج البحوث والكشوف المستقبلة . ومن هنا فان نتائج بحثنـا في هذا الجانب من كتب القالي ، لا يجب أن تعتبر نهائية . لأن ذلك لن يتم على الوجه الأكمل ، الا بعد الفراغ من مرحلة نشر التراث جميعه محققا ومدروسا .

ويمكن بعد هذا أن نتلمس أثر كتاب (المقصور والممدود) بالأندلس في الجوانب التالية :

(I) الروايــة

احتفظ لنا ابن خير الاشبيلي في فهرسته (I35) بسند روايته الكتاب بالأندلس ، على هذا النحو :

ابـن خيـر
↓
أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي
(قراءة عليه في منزله)
↓
أبو مروان عبد الملك بن سراج (سماعا عليه)
↓
أبو سهل ، يونس بن أحمد الحراني (قراءة)
↓
أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب
↓
القـالي مؤلفـه

وقد سبق أن رأينا ، أن النسخة المغربية التي اعتمدناها في الدراسـة ، هي أيضا من رواية أحمد بن أبي الحباب .

على أن سند ابن خير ، ليس السند الوحيد الذي روي به الكتاب واشـتهر في الأندلس مدة طويلة ، فقد مر بنـا (حسب التعليق الموجود بصفحة I04 م) أن ابن التياني روى بدوره كتاب (المقصور ...) عن أبي المطرف العروضي الذي أخذه عن القالي ، وهذا سند ثان . وأن كلا من أبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ، وابن حمود الزبيدي ، قد روى الكتاب عن القالي ، وكانت لهما منه نسختان .

وممن روى الكتاب أيضا ، أبو العباس أحمد بن القاضي اللخمي المعروف بابن عزفة المتوفى سنة 633 هـ . رواه عن شيخه أبي محمد عبيد الله الحجري ، فيما قرأه عليه من كتب اللغة والأدب التي منها نوادر القالي (I36) .

ولقد احتفظ لنا القفطي في (انبـاه الرواة) بنص مهم حول بعض تلاميذ القالي

(I35) فهرسة ابن خير (ص 353) .
(I36) برنامج شيوخ الرعيني (ص 44) .

الذين رووا الكتاب عن مؤلفه . فقال : «شوهد على كتاب المقصور والممدود للقالي بخط القالي ''قرأ جميع الممدود والمقصور محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي ، ومحمد ابن أبان بن سيد ، وعبد الوهاب بن أصبغ ، ومحمد بن حسن الزبيدى ـ أعزهم الله ـ وأعانوا بانتساخه ونقله من طوامير (137) تخريجي له ، وقابلوا به كتبهم . وكثير من تعاليق هذا الكتاب مخرج بخط القرشي منهم . ومتن هذا الديوان بخط عبد الوهاب بن أصبغ منهم . وسمعه سائر أصحابهم بقراءة القرشي له علي ، وسمعوه خاصة بقراءتي لهم . جعله الله علما نافعا مقربا منه''» (138) .

(2) النقل عنه

وهو جانب ثان من الجوانب التي يبحث فيها عن أثر الكتاب .

فمن الذين نقلوا عنه فيما وقفت عليه :

أ ـ أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت 379 هـ)

نقل عنه في كتابه (لحن العوام) . قال في (ص 75) «وقال أبو علي في باب (فعايل) من الممدود والمقصور : وان العلاوة ما يعلى على الجميع بعد أن يحمل على البعير ، من سيطل أو سفرة . وسألته عنه عند قراءة الكتاب ، فقال لي : هو دخيل في كلام العرب» (139) .

وفي هذا النص نرى الزبيدي يعترف بقراءته للكتاب على شيخه ، كما نراه في كتاب (طبقات النحويين واللغويين) (ص 186) يصف (المقصور والممدود) وصف رجل درس الكتاب وطالعه ووقف على خصائصه . فقال : «ومنها كتابه في الممدود والمقصور بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصى في بابه ، لا يشذ عنه شيء من معناه ، لم يوضع له نظير» . فانظر كيف لخص في هذه العبارة المركزة سمات الكتاب ومميزاته .

ب ـ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت 521 هـ)

نقل عنه في كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) (ص 137ـ174 وغيرهما) .

---

(137) الطوامير : جمع طامور : الصحيفة .

(138) أنباه الرواة (64/3) .

(139) السيطل : طاس صغير . قاله في لحن العوام . والنص في (ص 120 م) وارد بهذه الصيغة : (والعلاوة أيضا ما يعلى على الحمل . بعد أن يحمل البعير من سطل أو سفرة) . وقد نقل عنه مرة أخرى في (ص 108) .

جـ ـ أبو عبيد البكري (ت 487 هـ)

نقل عنه في (معجم ما استعجم) (ص 3/1073 ـ 3/338 ـ 763/3 دون اشارة ، وفي مواضع أخرى) .

– ونقل عنه أيضا في (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) للقاسم بن سلام (ص 398) .

د ـ أبو جعفر أحمد بن داود الجذامي (ت 597 أو 598 هـ)

نقل عنه في شرح مقامات الحريري (الورقة 47 الوجه) (140) .

هـ ـ ومن ذلك ما نقل عنه في الحواشي الموضوعة على مختصر العين للزبيدي (141)

ومثاله ما ورد بهامش (ص 151) قال في مادة (الخطأ) :

«وحكى أبو علي في الممدود والمقصور ، أنه يمد ويقصر . وأنشد :

ان من لا يرى الصواب صوابـــا
في الملمــات ، والخَطَاءَ خَطَـــاءَ»

وهو نص موجود بنفس الصيغة في (ص 216 م) من كتاب القالي .

(3) التعليقــات

لم أعثر على كثير من النقود والاستدراكات الموضوعة على هذا الكتاب ، ولكن الموجود من التعليقات بهامش النسختين المغربية والمصرية بأقلام أندلسية ، وما تضمنته من مقابلات على كتب المقصور والممدود ككتاب ابن ولاد ، وابن القوطية ، وكتب اللغة والمعاجم لابن ســيدة ، والزبيدي ، وغيرهمــا . يدل على أن كثيرا من الأندلســيين قد اهتموا بالكتاب ، وأولوه حظــا من العنــاية ، وعمدوا الى توثيقه والاستدراك عليه بالتهميش والتعليق .

وقد كان أبو عبيد البكري الذي شرح الأمالي ونبه عليها ، أحد المستدركين على كتــاب المقصور أيضا . قال في معجمه في مادة (حقاء) ، وهو اسم موضع «ولم يذكره أبو علي في الممدود» (142) ، ولعله يقصد بهذه العبارة ، ان القالي لم يذكر (حقــاء) في أمثلة الممدود على أنه اسم موضع . والا فالمادة موجودة بكتــابه ، مشروحة أو في شرح . قال أبو علي (ص 228 ، حقاء ، ك) .

---

(140) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1266 د .

(141) مخطوط القرويين رقم 363/80 ط . وهي حواش يظن أنها لابن السيد البطليوسي .

(142) معجم ما استعجم (459/2) .

«والحِقاء ، جمع حَقْوٍ وهو مَعْقِد الازار من الخصر . وقال ابن الأعرابي ، والحقاء أيضا ، الذي يشد على الخصر . ورجل مَحْقو . وقال الأصمعي ، والحقو أيضا الازار ، وجمعه ، حقي . وفي حديث النبي ، صلى الله عليه وسلم ؛ أنه أعطى النسوة اللواتي غسلن ابنته حِقْوة . فقال : أشْعِرْنها إياه» (143) .

وورد في ترجمة أبي محمد المتوكل بن الأفطس (عمر بن محمد بن سلمة) المتوفى سنة 487 هـ . في كتاب الذيل والتكملة ما نصه : «وكان أديبا بارع الخط ، حافظا للغة ، وقفت على بطاقة بخط أبي علي الغساني ، أدرجها في ذكر (المعا) أثناء ما جاء من المقصور على (فعل) من كتاب أبي علي البغدادي في المقصور والممدود بخط أبي شجاع ، ونصها "وروى بعضهم ، المؤمن يأكل في معا واحدة . والكافر يأكل في سبعة أمعاء . فقال : معًا واحدة فأنث ، وقال : سبعة بالتاء ، فذكر ، جمع بين اللغتين . أفادنيه المتوكل على الله ، أيده الله" ، انتهت» (144) .

وهذا النص يعتبر من التعليقات على الكتاب . فان القالي في كتابه ذكر الحديث بهذه الصيغة : «وفي الحديث "المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ، فالهاء في السبعة تدل على التذكير» (145) . فلم يجمع بين اللغتين . وهو يدل أيضا على عناية أهل الأندلس عامتهم وملوكهم بكتب القالي اللغوية .

(4) التاليف في المقصور والممدود

قبل دخول القالي للأندلس وتأليفه لهذا الكتاب ، لم نجد أحدا من أهل تلك الجزيرة يصنف في موضوع المقصور والممدود – فيما نعلم – وانما اشتغل الناس بهذا الموضوع بعد ذلك . واذا كنا لا نجد دائما الأدلة على تأثر جميع مؤلفات الأندلسيين من هذا النوع بكتاب القالي تأثرا مباشرا ، لأن بعضها ضاع ككتاب ابن القوطية ، وبعضها ألف على طريقة النظم التعليمي كما فعل ابن مالك الجياني ، فهذا لا ينفي أن أولئك المؤلفين قد اعتمدوا الكتاب أو نظروا فيه وجعلوه مصدرا من مصادرهم . اذ لا يمكن أن يستفيدوا من كتب المشارقة كابن ولاد ، وابن الأنباري ، وابن دريد ، والفراء ، ثم يغفلوا أهم كتاب في الموضوع وهو كتاب القالي . ولا

---

(143) أي البسنها اياه . وروى البخاري في الصحيح هذا الحديث في باب الجنائز على هذا النحو : (.. عن أم عطية ، رضي الله عنها ، قالت : دخل علينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن نغسل ابنته فقال : اغسلنها ثلاثا او خمسا أو اكثر من ذلك بماء وسدر ، واجعلن في الآخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني ، فلما فرغنا آذناه فالقى الينا حقوة (بالكسر) فقال : أشعرنها اياه) . وقد رواها أيضا بعبارة أخرى : (فاعطانا حقوه فقال أشعرنها اياها) .

(144) الذيل والتكملة ق 2 ، س 5 (ص 466) .

(145) ص 147 (م) .

سيما أن منهم من كان تلميذا مباشرا وصديقا للقالي كابن القوطية ، أو تلميذا بالرواية كابن سيدة ــ وتأثر هذا الأخير به واضح جلي كما سنرى ــ على أنه يكفي القالي أن يكون باعث الشرارة الأولى في هذا الموضوع بالأندلس ، وواضع أول كتاب لتأتي بعده المصنفات والكتب .

فمن الذين ألفوا في الموضوع بعده:

(أ) تلميذ القالي وصديقه أبو بكر بن القوطية (ت 367 هـ)

له (كتاب المقصور والممدود) ذكره السيوطي في البغية (ص 69) والمقرى في النفح (73/4) وابن فرحون في الديباج (ص 262) وياقوت في المعجم (275/18) وغيرهم . وهو من الكتب المفقودة الآن .

(ب) أبو عبد الله محمد بن أحمد السبتي المعروف بابن هشام اللخمي

المتوفي سنة 570 هـ . له شرح على مقصورة ابن دريد التي تحتوى على ثلث المقصور والممدود كما قال حاجي خليفة (146) .

(3) أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي الجياني الأندلسي المتوفى سنة 672 هـ

له قصيدة طويلة في المقصور والممدود على نحو قصيدة ابن دريد ، بعنوان (تحفة المودود في المقصور والممدود) وهي مطبوعة وسبق الحديث عنها . وقد شرحها مؤلفها نفسه ثم شرحها المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (147) .

(4) وفي المزهر للسيوطي نقول كثيرة عن كتاب يسميه **(المقصور والممدود للأندلسي)**

(الصفحات 277–310–335–394 من الجزء الأول . والصفحات 117–228 من الجزء الثاني) ولا نعرف اسم هذا الأندلسي الذي ينقل عنه . وقد ذكر محققو الكتاب في هامش (ص 2/228) أنه ابن سيدة المرسي دون أن يقدموا حجة على ما زعموا . وفي موضع آخر من كتاب المزهر ، يقول السيوطي «**قال بعض من ألف في المقصور والممدود** من أهل الأندلس ، جميع ما انتهى الينا من أمثلة المقصور ثمانية وسبعون مثالا ، سوى ما استعمل من كلام المعجم المعرب ، مما لم نضمه الى ثقاف وزن ،

---

(146) كشف الظنون (1808/2) . والكتاب منه مخطوطتان بالخزانة العامة بالرباط . الاولى تحت رقم 1268 د. والثانية تحت رقم 185 د .

(147) توجد من شرح الكنتي نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2572 ك .

ومن حروف الأدوات والأصوات . قال : وأمثلة الممدود اثنان وستون مثالا سوى المعرب ...» (148) .

فاذا كان هذا المؤلف المذكور في النص ، هو نفسه (الأندلسي) الوارد في باقي النقول الأخرى بالمزهر ، فسيكون بالضرورة رجلا آخر غير ابن سـيدة المرسي ، لأن ابن سيدة ذكر في المخصص أن أبنية المقصور ثمانون وأبنية الممدود خمسون .

(5) أو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي (ت 458 هـ)

ولعله أهم من تأثر بكتـاب القالي من الأندلسـيين . فقد كتب في (المقصـور والممدود) بابا طويلا من 194 صفحة ، خلال معجمه الكبير (المخصص) (149) حذا فيه حذو القالي ، اذ رتبه أولا حسب الأمثلة التي بلغت في المقصور ثمانين بنـاء ، وفي الممدود خمسين بناء ، ففاق بذلك ما ذكره أبو علي منها . ثم ميز في كل من المقصور والممدود بين ما هو اسم وصفة . ورتب المواد ثانيا حسب الحرف الأول منها بادئا بالمفتوح ، فالمكسور ، فالمضموم على نحو ما فعل القالي في كتابه . وأخضع المواد ثالثا للنظام المعجمي ، بترتيب الحروف حسب مخارجها الصوتية . وهي طريقة لا نعلم أحدا سبق القالي اليها بالأندلس . وقدم أخيرا الثلاثي على الرباعي وما بعده .

ولأجل المقارنة أورد هنا المواد التي ذكرها في (باب ما جاء على فعل مقصورا) حسب ترتيبه (150) :

---

(148) المزهر (2/66-67) .

(149) من (ص 95 جـ 15 الى ص 79 جـ 16) .

(150) المخصص جـ 15 (ص 158) . وفعل هنا بالتحريك .

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
الاذى	الحشا	الخذا	القفا	الجبى	الضمى	الطنى	الظرى	اللقى	الفغا	مدى
الاسى	الحجا	خجا	القذى	الجثى	الصهى	الدخى	الذوى	اللثى	الفصى	الوفى
العثا	حما	خزا	قعا	الشجا	الصخى	الدفا	الذرا	اللوى	الفلا	الوجى
العصا	حلى	الغسا	قطا	الشذا	الصغا	الدرا	الذزى	اللعى	الفحا	الودى
العذا	هلاهلا	فوى	القرا	الشبا	الصوى	الدبا	الرحا	اللحى	الفجا	الوأى
الحطا	هيا	الغض	القدا	الشوى	الصرى	الدلا	الردى	اللجى	البزا	الورى
الحصى	هجا	الغص	القنا	الشنا	الصدى	الدنى	اللمى	اللطا	متى	الوقى
الحرى	الخنا	الغشى	الكثا	الشلا	السبا	الدمى	اللاى	اللكى	مطى	الومى
حقا	خسا	الغقا	الجأى	الضنى	السلى	الثوى	اللغا	النوى	المكا	لاوعى
الحذى	ختا	الغذا	الجوى	الضفا	السنى	الثمى	اللظى	النشا	منى	

ونحن نلحظ أن القالي متفوق على ابن سيدة في عدد المواد التي ذكراها . ويبدو ذلك جليا من خلال المقارنة بينهما في هذا الباب من المقصور على صيغة (فعل) اذ أورد الأول فيه 168 مادة ، ولم يورد الثاني منها سوى 109 مادة . ونلحظ ثانيا كيف أن ابن سيدة ، قلد صاحبه في النظام المعجمي ، اذ رتب مواده حسب المخارج الصوتية ، وهي الميزة الأساسية لكتاب القالي .

واذا كان اسم أبي علي لم يتردد عند ابن سيدة غير مرة واحدة . حيث صرح بالنقل عنه في مادة (دفقى) (151) ، فلا شك أنه اعتمده ونقل عنه في مواضع أخرى دون أن يشير لذلك . اذ يصعب تحديد هذه النقول ، لوجود المواد المشتركة بينهما في كتب المقصور والممدود الأخرى .

واذا كان ابن سيدة - فيما ذكره بالمخصص - أوفى مادة من جميع الكتب السابقة واللاحقة في الموضوع ، وأدق منها تنظيما وترتيبا ، فانه يبقى رغم ذلك متأثرا بالقالي في منهجه من جهة ، وأقل منه اعتناء بالشواهد الأدبية المتنوعة ، وان فاقه في عدد ما ذكره من الأمثلة ، (الأبنية) .

على أنه ربما كان لأبي الحسن بن سيدة ، كتاب مستقل في المقصور والممدود ، زيادة على ما جمعه في (المخصص) . وهو ما يمكن أن يستفاد من هذه العبارة الواردة بمقدمة كتاب المحكم . قال : «وأما ما أتركه من الأشعار بالتذكير والتأنيث ، فانما ذلك لأني قد أفردت له كتابا لم يوضع في معناه ما يؤديه ، فضلا عما يساويه . وكذلك المقصور والممدود (152) . وهو نفس ما استشعره محققا (المحكم) اذ قالا : «وتشعرنا العبارة الأخيرة في الفقرة السابقة انه ربما ألف في المقصور والممدود أيضا» (153) . وأما مترجمو ابن سيدة ، فلم يذكروا في ذلك ما يستفاد .

ولا شك - بعد هذا - أن كتاب القالي ، كان من ضمن مصادر المؤلفات النحوية الأندلسية التي أفردت للمقصور والممدود والمهموز بابا من أبوابها . كما أنه كان من مصادر بعض الكتب المشرقية كالمزهر للسيوطي ، وخزانة الأدب للبغدادي ، الذي ذكره في المقدمة ضمن مراجعه (ج 1 ، ص 10) .

---

(151) المخصص ج 15 (ص 207) . وقارن بكتاب القالي (ص 155) (م) .
(152) مقدمة المحكم (ص 14) .
(153) مقدمة التحقيق (ص 8) .

الفصل الثالث

كتاب الأمالي

أولا ـ الدراسة

عرفت الحركة العلمية في مراحل تطورها الأولى ، أسلوبا خاصا من التدريس عند علماء الحديث ، ما لبث أن نقل بكامله الى العلوم اللغوية والأدبية بعد أن استقلت بنفسها . وذلك الأسلوب ، هو (الاملاء) الذي يعد أعلى وظائف الحافظ (154) . وقد وصف السيوطي طريقة اللغويين في ذلك فقال : «وطريقتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء ، يكتب المستملي أول القائمة ''مجلس أملاه شيخنا فلان ، بجامع كذا ، في يوم كذا'' ويذكر التاريخ ، ثم يورد المملي باسناده كلاما من العرب والفصحاء ، فيه غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسره ، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ومن الفوائد اللغوية باسناد غيره وغير اسناد ، ما يختاره» (155) .

ومن هنا كانت كثير من المؤلفات التعليمية المشهورة ، طيلة القرون الأربعة الأولى ، تحمل اسم (الأمالي) أو (النوادر) أو (المجالس) . لأنها عبارة عن (محاضرات) سجلها الذين عرفوا بالحرص والملازمة من التلاميذ .

وليس كتاب القالي الذي ندرسه ، سوى حلقة في تلك السلسلة الطويلة من مجموعات الأمالي اللغوية والأدبية ، يغنيني عن ذكر بعضها ، أن أحيل على فهرست

(154) والوظيفة الثانية : الاقتداء ، والوظيفة الثالثة والرابعة : الرواية والتعليم (المزهر للسيوطي 2/313) .

(155) نفس المصدر (2/313-314) .

ابن النديم (ص 130) وكشف الظنــون لحاجي خليفــة (1980/2) ، حيث نجد قائمة طويلة بأسماء كتب النوادر ، عدا ما ذكره هذا الأخير في مادة (الأمالي) . وتتضمن هذه القائمة بالطبع نوادر وأمالي شـيوخ القالي الذين منهم ابن دريد ، والزجاج ، وابن الأنباري . وقد اطلع أبو علي ــ بحكم وظيفته العلمية العالية ــ على أهم هذه المصنفـات ، بل انه حمل معه جملة منهـا عند دخوله الأندلس ، فأخذت عنه رواية وقراءة . وسنؤجل ذكرها لما بعد .

تقسيمــات الكتــاب

طبع الكتــاب لأول مرة ، ســنة 1324 هـ . بمطبعــة بولاق ، ثم أعيد طبعــه سنة (1344 هـ ــ 1926 م) بدار الكتب المصرية . وعن هاتين الطبعتين أخذت باقي الطبعات المتداولة . وقد وضع المستشرقان (كرنكو) ، و (بيفان) ، فهارس للأشعار الواردة في الأمالي ، واصدراها في كتاب عام (1913 م) بمطبعة ليدن .

وتحتوي طبعة دار الكتب التي اعتمدتها في هذا البحث على قسمين منفصلين :

القسم الأول : وهو الأمالي في جزئين .

القسم الثاني : وهو (ذيل الأمالي ثم النوادر) في جزئين صغيرين .

وقد سمى الأســتاذ عبد العزيز الميمني في سمط اللآلي ، الجزء الأول من هذا القسم الثاني (بالذيل) ، وسمى الثاني منه (صلة الذيل) .

ونحن نعتبر هذا القسم بجزئيه ، جزءا ثالثا للأمالي لأنه لا يختلف في خصائصه وموضوعه عن الجزئين الأولين .

ويظهر ــ بعد هذا ــ أن الكتاب في القديم ، عرف تقسيما آخر ، وأجزاء أكثر . وذلك ما يمكن استنتاجه من نســختين خطيتين محفوظتين في قسم الوثائق بالرباط ضمن نسخ أخرى .

أ ــ فالنســخة الأولى ، وهي تحت رقم (368 ق) تحتوى رغم ما فيها من نقص وخلط واضطراب ، على تجزئة يوضحها الجدول التالي :

الصفحة في المخطوط	الأجـــزاء	مقابلها في الأمالي المطبوع
7	تم الجزء الثامن	ج 2 ، ص 41
22	تم الجزء التاسع	ج 2 ، ص 81
58	ثم الجزء الحادي عشر	ج 2 ، ص 159
89	ثم الجزء الرابع عشر	ج 2 ، ص 201
100	تم الجزء الثالث عشر	ج 2 ، ص 228

فهذه الأجزاء الموجودة بالنسخة المذكورة ، كلها تقع ضمن الجزء الثاني من الأمالي المطبوع .

ب ـ والنسخة الثانية (وهي تحت رقم 967 د) كتبت في وجه الورقة الأولى منها هذه العبـارة «الجزء الأول من كتـاب النوادر لأبي علي اسـماعيل بن القاسم بن عيذون ..» وبآخرها «كمل السفر الأول من النوادر لأبي علي بعون الله» ولكن نهايتها تقابل (ص 41 ج 2) من الأمالي المطبوع ، أي نهـاية الجزء الثامن من النسـخة السابقة .

ج ـ وهناك نسخة ثالثة أحدث عهدا من السابقتين (156) ، وتحمل رقم (1006 د) وهي تكون (الأمالي) بجزئيها حسب المطبوع ، ولا تحتوي على تجزئة .

واذا كنا لا نستطيع أن نسـتنتج من النسـختين (أ) و (ب) التجزئة الصحيحة للكتاب في القديم ، فاننا على الأقل نطمئن الى وجودها ، ويزداد لدينـا تأكيدا ، ما ذكره ابن خير في فهرسته حين قال : ان الكتاب أملي بالزهراء في سـتة عشر جزءا للعامة ، ثم زاد فيه القالي ، فبلغه عشرين جزءا لأمير المؤمنين (157) . وعند ما ذكر (ذيل النوادر) قال : «وهو أربعة أجزاء وصل بها النوادر . حدثني به شيوخي المتقدم ذكرهم» (158) .

---

(156) كتبت سنة 1312 هـ . عن أصل كتب سنة 1049 هـ .

(157) ابن خير (ص 325) .

(158) نفسه .

فما يجب استنتاجه من ابن خير في قوليه ، هو أن القالي وضع كتاب الأمالي في ستة عشر جزءا صغيرا عندما أملاه ، ثم صار يزيد فيه ويضيف اليه مرة ومرة ، حتى اكتمل له مقدار أربعة أجزاء جعلها ذيلا وصلة للكتاب الأصلي ، وحين ذلك رفعه الى الخليفة الناصر (159) . ولا عبرة بعد هذا بما قاله السيوطي في مقدمة كتاب (البغية) ، من أنه في خمسة مجلدات ، فحجم الأجزاء يزيد وينقص .

والواقع أن النسخة الخطية (أ) تؤيد بشكل قاطع تجزئة ابن خير المذكورة اعتمادا على المعطيات التالية :

1 - اذا كان الجزء الرابع عشر من هذه النسخة يقابل (ص 261) من الجزء الثاني من طبعة دار الكتب .

2 - واذا كان مقدار الجزء في هذه النسخة يقابل ما بين 32 و 40 صفحة من طبعة دار الكتب ، اعتمادا على الجدول السابق .

3 - فنهاية الجزء السادس عشر من نسخة (أ) لا بد أن تقابل (ص 326) من الجزء الثاني من طبعة دار الكتب ، وهي آخر الأمالي . وسيكون مقدار الجزئين 15 و 16 حوالي 65 صفحة .

اسم الكتاب :

لم يتفق القدماء على وضع اسم محدد لهذا النوع من الكتب التي تتضمن (نوادر) و (أمالي) في اللغة والأدب وغيرهما ، وتلقى في (مجالس) على شكل (محاضرات) ، ما لم ينتبه أصحابها الى تسميتها بأسماء خاصة ، كما فعل المبرد في أماليه التي سماها (الكامل) . ومن هنا نجد أن كتاب ابن دريد مثلا ، يسمى (النوادر) عند ابن النديم (ص 130) ، ويسمى (الأمالي) عند السيوطي في المزهر (160) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (161) ، ومنه نسخة خطية تحمل عنوان (الأمالي) (162) .

وكان كتاب أبي العباس ثعلب يسمى (المجالس) تارة ، و (الأمالي) تارة أخرى ، والأمثلة عديدة .

وهذا الذي حصل لكتاب ابن دريد وغيره ، هو نفس ما حصل لكتاب القاليَ . اذ أن الذين تعرضوا لذكره من أصحاب الطبقات والتراجم وكتب الأدب الأندلسية

---

(159) لأنه ألف في عهد هذا الخليفة كما سنرى .

(160) المزهر (313/2) .

(161) (ص 1/162) .

(162) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 188 ف .

والمشرقية ، لا يتفقون على تحديد عنوانه . فنحن مثلا نجد الزبيدي في طبقاته (163) ، والحميدي (164) ، وصاحب الصلة (165) ، وابن خير (166) ، وغيرهم يسمونه (النوادر) . ونجد ابن الفرضي (167) يسميه (الأمالي) ، وابن الابار في التكملة يسميه (النوادر) تارة (168) ، ويدعوه بالأمالي تارة أخرى (169) . ويسميه صاحب النفح (الأمالي والنوادر) معا (170) . وذكره حاجي خليفة مرة بين كتب الأمالي ، ثم أعاد ذكره بين كتب النوادر .

واذا حاولنا أن نتأكد من ذلك فيما نقله عنه المؤلفون اللغويون والأدباء ، كان ابن السيد البطليوسي أول من نجده من هؤلاء . فهو يحيلنا في طرره على الكامل للمبرد (171) ــ عند ذكر أبيات سلمة بن يزيد التي تمثل بها علي بن أبي طالب (ص 53) ــ على (النوادر) ، ولكننا نجدها في (الأمالي 2/101) حسب المطبوع .

وكذلك حين يحيلنا في (الاقتضاب) (ص 211) ، على (النوادر) عند ذكر البيت :

له خفقان يرفع الجيب كالشجا
يقطع أزرار الجربان ناثره

فاننا نجده في (الأمالي 2/60) حسب المطبوع . وكذلك الأمر في هذا البيت :

يقلن : لقد بكيت ، فقلت : كلا
وهل يبكي من الطرب الجليد

فقد ذكره في (الاقتضاب ص 107) وأحالنا على (النوادر) وهو موجود ضمن ثلاثة أبيات في (الأمالي 1/50) حسب المطبوع .

وأما أبو الحسن النباهي ، فهو يحيلنا في (شرح مقامة الاكليل) (172) عند نقله

---

(163) (ص 106) .
(164) الجذوة (ص 156) .
(165) الصلة (1/65) .
(166) ابن خير (ص 323) .
(167) تاريخ العلماء (1/84) .
(168) (1/111-282-393) .
(169) (1/170-2/811)
(170) النفح (4/70) .
(171) النسخة المصورة على الشريط في قسم الوثائق بالرباط رقم 171 ، ورقم الأصل بالزاوية
(172) مخطوط الرباط رقم 328 ق . واسمها الكامل (مقامة الاكليل في فضل النخلة عن ــ كذا ــ كرمة العنب) (ص 12) .

الأبيات الأربعة التي أولها :

وكنـا كغصني بانة ليس واحـــد
يزول على الحالات عن رأي واحـــد

على مصدرها فيقول : «ومن أبيات ''النوادر''» ، وهي في الحقيقة واردة (بالأمالي 103/2) حسب المطبوع .

على أن بعض الناقلين كانوا أكثر توسعا في استعمال كلمة (الأمالي) أو (النوادر) ، اعتبارا لموضوع الكتاب الشامل الذي يكون وحدة متماسكة . ولم يفرقوا بين الأمالي وذيله ، فربما أطلقوا الاسم الأول وأرادوا الثاني باعتباره جزءا منه . ومثال ذلك ما نجده في شرح مقامات الحريري لأبي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة (173) . فقد نقل المؤلف بيتي حسان بن ثابت اللذين أولهما :

ان يأخذ الله مـن عيني نورهمـــا
ففي لسـاني وقلبي منهمـا نـــور

بعد أن قال : «أضاف أبو علي البغدادي في أماليه هذين البيتين الى حسـان بن ثابت (174) . وليس البيتان في (الأمالي) حسب المطبوع ولكنهما في (الذيل ص 15) .

وهو نفسه يحيـل مرة أخرى على الكتـاب فيقول : «قال أبو علي في أماليه» عند نقله بيت النمر بن تولب :

هـلا سـألت بعـادياء وأهلـه
والخل والخمـر التي لم تمنـــع

الذي نجده حقا في الجزء الأول من الأمالي (ص 194) .

وكذلك فان السيوطي الذي أكثر من النقل عن الكتاب في مزهره ، نجده مرة (175) يحيل على (الأمالي) في نص موجود بالذيل (ص 69) . وأما البغـدادي الذي جعله ضمن مصادره المعتمدة في (خزانة الأدب) ، فقد ذكر كتب النوادر ثم قال : «ونوادر أبي علي القالي وشرحها لأبي عبيد البكري» . ثم ذكر كتب الأمالي فقـال : «وأمالي أبي علي القالي وشرحها لأبي عبيد البكري ، وذيل أمالي القالي أيضا ، وصلة ذيل الأمالي له أيضـا» (176) . وسـياق كلامه يوهم أن الكتـاب كتابان الا لمن تأمل .

---

(173) مخطوط الرباط رقم 1090 ق .
(174) نفس المصدر (ص 74) .
(175) المزهر (539/2) (حديث أم الهيثم) .
(176) خزانة الأدب ـ المقدمة (ص 10/1) ـ طبعة بولاق .

والمعروف أن للبكري شرحا واحدا هو شرحه على (الأمالي) أو (النوادر) ، وهذا ما يزيل الوهم هنا .

وهكذا نطمئن أخيرا الى أن للقالي كتابا واحدا يسمى (بالأمالي) اعتبارا لطريقة تأليفه ونوع المصنفات اللغوية والأدبية التي ينتمي اليها ، ويسمى (النوادر) أيضا ، اعتبارا لمضمونه ومحتواه الذي هو عبارة عن شوارد ومنتخبات ، وهو ليس كتابين على كل حال (177) .

تاريخ تأليفه

اننا وان كنا لا نعرف على وجه التحديد ، تاريخ تأليف الكتاب واملائه ، فان هناك أمرين على الأقل نستطيع بهما تقدير هذا التاريخ تقديرا تقريبيا .

أولهما : ما ذكره القالي في مقدمة الكتاب ، من حلوله في فناء أمير المؤمنين عبد الرحمان بن محمد الناصر ، وولي عهده الحكم ، وأنه كان يمليه من حفظه في الأخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء . ومنه نعلم أنه كتاب أندلسي الوضع ألف في حياة الناصر وقبل أن يتولى الحكم الخلافة . أي ما بين سنتي 330 هـ – وهي سنة دخوله قرطبة – و 350 هـ – وهي سنة وفاة الناصر – .

وثانيهما : أن القالي يحيل في أماليه أكثر من مرة ، على كتاب (المقصور والممدود) (178) الذي علمنا فيما سبق ، أنه ألف بدوره في حياة الناصر ، والحكم ما يزال ولي عهده . وبذلك يمكننا أن نختزل من العشرين سنة (ما بين قدوم القالي ووفاة الناصر) قدرا قليلا لا نستطيع ضبطه ، ولكننا نقول : ان الأمالي ألف بعد الفراغ من تأليف (المقصور والممدود) ، وخلال الفترة المذكورة ، ولا سيما أن مدة املائه استغرقت وقتا طويلا .

موضوعه ، وطريقة تأليفه

حين تهيأ للقالي من الحفاوة البالغة ، والنعمة السابغة ، من يدي خليفة الأندلس العظيم ، وولي عهده المحب للعلوم ، ما أطلق لسانه مديحا ، وملأه ثقة واطمئنانا بعلمه ومكانته ، دعي الى جامع الزهراء – وهو جامع قصر الخلافة الحديث العهد بالبناء – فاعتلى فيه أرفع مكان ، واجتمع له من (بني الملوك) وغيرهم من أهل قرطبة (179) ما اكتظ به مجلسه ، وكان فيه من المستملين من هو معدود في العلماء كابن القوطية ، فأخذ يملي من محفوظه ، وينشر من مخبوء علمه هذا الكتاب .

---

(177) وقد وقفت أخيرا على المقالة القصيرة التي كتبها الأستاذ عبد العزيز الميمني بمجلة (الزهراء) . المجلد 3 سنة 1345 هـ (ص 592) بعنوان (الأمالي والنوادر للقالي هما شيء واحد) فوجدته قد أتي ببعض الشواهد أيضا على أن الأمالي والنوادر كتاب واحد .

(178) الأمالي (ص 176–240–245) من الجزء الثاني .

(179) ابن خير (ص 325) . وفيه (بني الملول) . وهو خطأ .

ولسنا نجد كلاما نوجز به وصف مضمونه ومواضيعه ، أحسن مما ذكره القالي نفسه حين قال في المقدمة :

«وأودعته فنونا من **الأخبار** ، وضروبا من **الأشعار** ، وأنواعا من **الأمثال** ، وغرائب من **اللغات** ، على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ، ولا ضربا من الشعر الا اخترته ولا فنا من الخبز الا انتخلته ، ولا نوعا من المعاني والمثل الا استجدته .· ثم لم أخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم . على أنني أوردت فيه من **الابدال** ما لم يورده أحد ، وفسرت فيه من **الاتباع** ما لم يفسره بشر ، ليكون الكتاب الذي استنبطه احسان الخليفة جامعا ، والديوان الذي ذكر فيه اسم الامام كاملا» .

وعلينا بعد ذلك أن نتصور الشيخ القالي ، وقد جلس في ذلك الجمع من طلابه ، فيفتتح مجلسه بآية قرآنية تيمنا وتبركا ، ثم يجيل خاطره في غريبها وألفاظها ، فاذا الغامض يستدعي شرحا وتفسيرا ، والشرح يستدعي شاهدا ودليلا ، والشاهد قد يفضي الى أبيات أو قصيده ، والقصيده لها قصة ، والقصة فيها نوادر من الألفاظ يسأل عنها ، وضروب من الأمثال يستحسن ذكرها ... وما يزال على هذه الحال ، ينتقي من الأشعار ، ويتخير من مأثور الكلام ، مما يدور على ألسنة الأعراب الفصحاء ، والنساء البليغات ، الى ما يتخلل ذلك كله من أحاديث شريفة ، ويتطلبه المقام من شروح واستطرادات ، حتى يمتزج الخيطان ، وتتبدد سحابة الخميس الأول ، لتتلوه الأخمسة والمجالس ، فاذا الصحف كثيرة ، والرقاع مليئة ، واذا الكتاب أخيرا في عشرين جزءا .

وذلك هو منهجه لو أحببنا أن نسميه منهجا . فاذا علمنا مع هذا ، أن القالي – وهو من هو في الحفظ والرواية – لم يكن يتكىء في أماليه على مكتوب أو مسطور ، وانما كان معوله على ذاكرة قوية ، ومحفوظ كثير – وان كان يخلو الى كتبه بين الحين والحين ليطالع ويراجع – استطعنا أن نفهم بسهولة ، كيف أن الرجل لم يطوق عنقه بشيء ، ولم يرسم لطريقه منهجا . بل المنطق هو أن نقول : ان الكتاب ما كان ليخرج على غير ما هو عليه ، لأن الطريقة التعليمية التي صاحبت تأليفه ، هي التي جاءت به في هذه الصورة بحيث لا يختلف في كثير عن باقي كتب النوادر والأمالي .

فليس الكتاب في حقيقته تأليفا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، بل هو تسجيل أمين ، وتقييد مضبوط لمجالس تدريس عالية ، أملى فيها القالي ما أملى ، وحاضر بما حاضر .

فاذا كان الأمر لا بد يحتاج الى مثال ، فعلينا فقط أن نقرأ من خمس الى عشر صفحات ، ولنتخيرها من أي موضع شئنا من الكتاب ، لنتحقق صدق ذلك .

وهكذا نكون قد سجلنا أول ملحوظة حول موضوعات الكتاب ، وهي الطابع الاملائي الذي يتحكم في كل قطعة من أجزائه .

تحليل الكتاب

تستطيع قراءتنا للكتاب أن تهدينا بسهولة الى ملحوظة مبدئية ، وهي أنه بامكاننا أن نصنف سائر موضوعاته ، ونردها على تشعبها وتداخلها الى موضوعين أساسيين ، أو ظاهرتين بارزتين هما : **الظاهرة اللغوية ، والظاهرة الأدبية** . ويمكننا بعد ذلك أن نعود للطريقة التحليلية ، فنفرع كلا من الظاهرتين الى أقسام وروافد جزئية على النحو الآتي :

أ ـ الظاهرة اللغوية

(1) الأثر المعجمي

ان أول ما يلفت نظرنا في كتاب الأمالي ، هو احتواؤه على مجموعة من المواد اللغوية ، يسهل ضمها في معجمين صغيرين ، يكون أولهما للألفاظ ، وثانيهما للمعاني أو الموضوعات .

فمما هو داخل في معجم الألفاظ ، هذه المواد الكثيرة الموزعة في تضاعيف الكتاب ، ونجد أمثلة منها في الجدول الآتي :

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
نسأ	4	أسر	103	بشر	210
لحن	4	عرض	118	خفي	211
حرد	7	ربع	144	خيف	212
ثمل	17	خلف	158	خوف	212
نجد	25	حس	175	أكل	224
حفر	27	عقب	184	وتر	234
ضرع	57	خلل	192	جلا	245
عور	59	درأ	200	خلل	245
عقل	74	ذرأ	200	غرر	263
قرف	95	شعف	205	جأب	277
غفر	97	شغف	205	جبأ	277

وذلك في الجزء الأول .

وفي الجزء الثاني نجد من أمثلة هذه المواد (هجر ـ 193 ـ عدا 228 ـ جنب ـ 259) .

فهذه الأمثلة وغيرها ، هي النواة التي سوف يستثمرها القالي في معجمه الكبير الذي ألفه فيما بعد . وأما في الأمالي فانه كان يجعل من أغلب هذه المواد ، أساسا يدور حوله المجلس الذي يعقـده للاملاء . وقد بدأ أول مجلس ، بالحديث عن مادة (نسأ) وأوجه استعمالها في القرآن ، والحديث ، والشعر . ثم انتقل منها للكلام على مادة (لحن) بشتى معانيها ، ضاربا على ذلك الأمثلة المتعددة أيضـا من الشعر ، والقرآن ، والأقوال المأثورة ، والأحاديث الشريفة ، والقصص والأخبار .

وأما المواد التي تتدرج تحت معجم المعاني أو الموضوعات ، فقد كانت هي الأخرى موضع عناية كبرى من المؤلف ، وقد جمعت منها جملة أبواب يرتبها الجدول التالي :

1 ـ في الجزء الأول

الأبـــواب	الصفحات
أسماء الزوجة	20ـ19
أسنان الابل وترتيبها	21
أسماء الرجل الذي يحب محادثة النساء	24
أسماء الشخص	25
أسماء الألوان	34
أسماء الشيء البالي	38
أسماء تدل على الغضب	65ـ64
أوصاف الرجل الذي لا يملك شيئا	91ـ90
ما يقال في معنى (لا أفعل ذلك أبدا)	232
ما يقال في معنى (أخذت الشيء كله)	244
ما يقال في معنى (ما بالدار أحد)	249

2 ـ في الجزء الثاني

الأبــــواب	الصفحات
أسماء القداح	6
الكلمات التي جاءت بمعنى (أصل الشيء)	16
الكلمات التي تدل على الكسر	28ـ27ـ26
الألفاظ التي تفيد معنى (الثبات والاقامة)	189
الكلمات التي تقال في الدعاء على الانسان	200
أوصاف أكرم الابل	221
ما يقالِ في قصر الفرس وطولها	248
أوصاف الفرس المستحبة	249
ما في الفرس من أسماء الطير	252
أسماء القيم على المال	322
أسماء القداح (مرة ثانية)	303

3 ـ في الجزء الثالث

الأبــــواب	الصفحات
أسماء الانسان في كل أطوار حياته	38
أسماء الداهية	63
أسماء بعض الخيل وأنسابها	185ـ184
أسماء الطير في الفرس (مرة ثانية)	193

فهذه الأبواب التي نجـدها عادة في معـاجم المعاني ، كالغريب المصنف لأبي عبيد ، والمخصص لابن سيدة ، هي التي كانت بلا شك نواة تأليفه الأخرى في الخيل ، والانسان ، والابل ، وغيرها .

(2) شرح الغريب

ونجد في الغالب اثر كل قصيدة أو قصة أو خطبة تذكر ، حصة تقصر أو تطول ، يشرح فيها أبو علي ما لا بد من شرحه ، ويذكر ما يحضره من الأوجه الممكنة للكلمة الغريبة ، معتمـدا على أقوال اللغويين وآرائهم . وقد يطول هذا الشرح حتى يأتي على صفحـات متعددة ، وذلك كمـا فعل عند شرحه لحديث الجواري الخمس اللائي وصفن خيل آبائهن (ص 187 وما بعدها من الجزء الأول) وفي شرحه لقصيـدة أبي

صفوان الأسدى (237/2) ، والأمثلة عديدة . وربما خالف العادة ، فأتى بقصائد وأخبار طويلة دون أن يعمد الى لفظة واحدة فيجلو غامضها ، أو يدل على غريبها (180) .

على أن المؤلف ليس ملوما حين يطيل في شرح الغريب وتفسيره ، ما دام الكتاب يؤدي أغراضا تعليمية ، ولكنه يلام أحيانا كثيرة حين يقدم هذا الغريب في صورته الجافة مؤثرا الاقتضاب والاجحاف في الشرح ، بأن لا يعدو ذكر الكلمة وما يرادفها من كلمات أخرى ، كما هو واضح من هذا النص الذي أقتضبه من شرحه لحديث زبراء الكاهنة . وهو شرح استغرق حوالي الصفحتين على نسق واحد ، وفيه يقول (129/1) :

«والظنبوب : مقدم عظم الساق . ومسرودة : مشكوكة . ومقتبل : مستأنف الشباب . وأشايب : أخلاط من الناس . والصيابة : صميم القوم وخالصهم . وأم اللهيم الداهية . والحواصب : الرياح التي تسفي الحصباء . والخوامع : الضباع . واللاحب : القاشر ، لحبت الشيء : قشرته . والمخارص : واحدها مخرص ، وهو سكين كبير مثل المنجل يقطع به الشجر . وخريص البحر : خليج منه كأنه مخروص أي مقطوع من معظمه . والصاقب : جبل معروف . وحجر : حرام . والأعذبان : النكاح والاكل . والاحمران : اللحم والخمر . والسر : النكاح ...» .

فهذا مقطع قصير من أصل صفحتين ، رصفت فيهما الكلمات المعجمية الغريبة وصفا جافا مملا .

(3) الاتباع

لقد صدق القالي وعده حين قال في المقدمة ، بأنه سيأتي بما لم يفسره أحد من الاتباع . فقد عقد لذلك فصلا من نحو عشر صفحات (181) ، وجمع فيه الكثير من الأمثلة المشروحة ، ناقلا من اللحياني ، والأصمعي ، ويونس بن حبيب ، وابن الأعرابي ، وشيخه ابن دريد الذي سبقه الى عقد باب خاص بالاتباع في (جمهرة اللغة) .

وقد ألف في ظاهرة الاتباع اللغوية من معاصري القالي ، كل من أبي الطيب اللغوي (ت 351 هـ) صاحب (كتاب الاتباع) ، وأحمد بن فارس (ت 395) صاحب كتاب (الاتباع والمزاوجة) . على أن هذين العالمين كانا مسبوقين بمؤلف آخر في القرن

---

(180) أنظر مثالا على ذلك (ص 216 الى ص 222) من الجزء الثالث .
(181) الأمالي من (ص 208 الى ص 218) ج 2 .

الثالث الهجري ، وهو أبو حاتم السجستاني (ت 255 هـ) الذي وضع بدوره كتابا خاصا في الاتباع ذكره ابن النديم (ص 87) ، وفي المزهر للسيوطي باب من 12 صفحة ، جمع فيه المؤلف أقوال المتقدمين والمتأخرين المنثورة بمصنفاتهم في موضوع الاتباع (182) . على أن السيوطي نفسه (ت 911 هـ) مال الى التأليف في ذلك ، فاختصر كتاب ابن فارس وزاد فيه ما فاته ، وسماه (الالماع) في الاتباع (183) .

ونعود الآن للقالي ، لنجده أول الأمر ، يجعل الاتباع صنفين :

صنف يستفاد منه معنى التأكيد ، وهو أن يكون الثاني بمعنى الأول ومثاله : أسوان أتوان ، (وكلاهما يفيد الحزن) ، وحسن بسن ، وقسيم وسيم ...

وصنف لا يستفاد منه ذلك ، وهو ما كان ثانيه في غير معنى الأول ، ومثاله : عطشان نطشان (أي عطشان قلق) . وشيطان ليطان (أي شيطان لصوق) .

وليت القالي مضى في كل ما أتى به في هذا الباب من الأمثلة على نحو هذا التقسيم الواضح ، اذ نلحظ أنه أثناء الشرح والتمثيل ، كان كمن يحدو غاية واحدة ، وهي الاستدلال بكل سبيل على أن الكلمة الثانية ترد في الغالب بمعنى الأولى لتؤكدها . وتحايل على ذلك ما استطاع ، حتى توغل وأفرط ، ولا سيما حين نراه يتعسف في تخريج قولهم : (حسن بسن) على أن اللفظ الثاني فيه بمعنى الأول . وفي ذلك يقول :

«ويقولون : حسن بسن . قال أبو علي : يجوز أن تكون النون في بسن زائدة ، كما زادوا في قولهم : امرأة خلبن ، وهي الخلابة ، وناقة علجن من التعلج وهو الغلظ . وامرأة سمعنة نظرنة ، وسمعنة نظرنة (184) ، اذا كانت كثيرة النظر والاستماع . فكان الأصل في (بسن) بسا . وبس ، مصدر بسست السويق أبسه بسا فهو مبسوس ، اذا لتته بسمن أو زيت ليكمل طيبه . فوضع البس موضع المبسوس وهو المصدر ، كما قلت : هذا درهم ضرب الأمير ، تريد مضروبه ، ثم حذفت احدى السينين ، وزيد فيه النون ، وبني على أمثال : حسن ، فمعناه حسن كامل الحسن .

وأحسن من هذا المذهب الذي ذكرناه ، أن تكون النون بدلا من حرف التضعيف ، لأن حروف التضعيف تبدل منها الياء ، مثل : تظنيت ، وتقضيت وأشباههما مما قد مضى . فلما كانت النون من حروف الزيادة ، كما أن الياء من حروف الزيادة ،

---

(182) المزهر (414/1) .
(183) نفس المصدر .
(184) سمعنة : الأولى بكسر السين والعين وسكون الميم . وكذلك نظرنة ، والثانية بضم السين والعين .

وكانت من حروف البدل ، كما أنها من حروف البدل ، أبدلت من السين ، اذ مذهبهم في الاتباع أن تكون آواخر الكلم على لفظ واحد ، مثل القوافي والسجع ، ولتكون مثل حسن . ويقولون : حسن قسن . فعمل بقسن ، ما عمل ببسن على ما ذكرنا . والقس تتبع الشيء وطلبه ، فكأنه حسن مقسوس أي متبوع مطلوب» (185) .

فأنظر كيف تحايل القالي على (بسن) حتى وجد لها معنى ، وجعلها من بس السويق . ثم لم يكتف بذلك حتى أضاف اليها النون ، الى أن آل أمرها الى (حسن كامل الحسن) . وحين لم تقنعه هذه الحجة ، أضرب عنها لأخرى ، فاذا النون في (بسن) من حروف التضعيف مثل تظنيت ، واذا هي تبدل من السين كما أبدلت النون من الياء ... وهكذا .

وهو شرك فلسفي وقع فيه القالي حقا ، فذهب به التكلف مذهب النحاة في البحث عن العوامل ، وأتى بحجج أوهى من حججهم ، جعلت البكري في القرن الخامس الهجري ، يقف منه ساخرا اذ يقول : «هذه هذرمة ، وحجاج مقحمة» (186) . وحاصل ما ود به البكري على القالي ، أن القياس الأول لا يصح ، لأن (خلبن) و (علجن) ليسا مما يقاس عليه ، اذ كلمة (بسن) من ذوات الثلاثة ، وهي لا تحتمل الزيادة لما كانت أقل الأصول . وأما القياس على تظنيت ، فهو لا يصح أيضا لأن النون هناك أبدلت ياء لتوالي ثلاثة أمثال ، وليس الأمر كذلك في (بسن) .

أما نحن فلا نرى في مثل قولهم (حسن بسن ، وحسن قسن) وأمثالهما مما لا يحتمل اللفظ الثاني فيه أي معنى ، سوى اضافات اقتضتها جمالية السجع المحببة في مثل هذه الجمل التي تتردد على الأسماع ، وتنزل منزلة الأمثال في سيرورتها وظروف قولها . ألا ترى أنك حين تقول لرجل أتى بعمل معجب (أنت عفريت) وتصمت ، يكون ذلك أقل رونقا ، وأدنى تأثرا في النفس من قولك له (أنت عفريت نفريت) ؟ وما أكثر ما تدعونا الضرورة الى ارتجال مثل هذه الكلمات في حديثنا اليومي ، لنزخرف بها أقوالنا . فاذا رددناها الى أصولها من لساننا الذي نتكلم به لم نجد لها أصلا . وما أحسن تعليل الذي قال : «هو شيء نتد به كلامنا» (187) وكفى .

على أن المرء لا بد أن يحتاط في القول ، اذ لا يمكن أن نطلق هذا الحكم على كل أمثلة الاتباع . ففيها ما هو قابل بالبداهة أن يكون الثاني فيه بمعنى الأول ، ولكن من غير حاجة الى تأويله بالطرق الصعبة التي حاولها القالي في أكثر ما قال ، معتمدا على معرفته واطلاعه الواسع على نادر اللغة وغريبها .

---

(185) الأمالي (216/2) .
(186) التنبيه (ص 113) .
(187) المزهر (414/1) .

واذا نحن انتقلنا من القالي الى أبي الطيب اللغوي ، وجدناه يزيد على أبي علي ، ويفضله بميزات ، أولها أنه جعل للاتباع مؤلفا خاصا (188) . وثانيها أنه رتب أمثلته على حروف المعجم . وثالثها أنه فرق في وضوح بين ما هو اتباع وما هو توكيد . فهو يبدأ بحرف الألف مثلا ، بأمثلة الاتباع مع شواهدها ثم يتبعها بأمثلة التوكيد وشواهدها . حتى اذا انتقل لحرف الباء ، فعل فعله في الحرف السابق ، وهكذا الى آخر الكتاب .

وأما الأساس الذي اعتمده أبو الطيب اللغوي في التفرقة بين الاتباع والتوكيد ، فهو أنه أولى الاعتبار الأول للفظ الثاني أو التابع . فان لم يكن هذا التابع ذا معنى خاص في ذاته ، أو كان له معنى المتبوع فجاء ليتده ويؤكده ، ثم لم يتكلم به وحده اذا أفرد ، فهو اتباع . ومثال ذلك أن نقول : (حاج وداج) و (حظيت المرأة وبظيت) . فان كلا من التابعين ليس له معنى مستقل في نفسه حين يفرد .

وان كان التابع يشارك اللفظ الأول في المعنى ويؤكده ، ويمكن اذا أفرد أن يفيد معنى ، كان ذلك توكيدا . ومثاله قولهم : (قسيم وسيم) . وهكذا نرى أن أبا الطيب أضاف شرطا آخر على ما ذكر القالي ، وهو أن التوكيد لا يسمى كذلك الا اذا أفاد معنى مستقلا حين افراده .

ويعود الفضل الى المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي في المقارنة الواسعة التي عقدها بين أمثلة أبي الطيب وأمثلة القالي وابن سيدة في المخصص ، وذلك في هوامش تحقيقه للكتاب . ومنها نستفيد أن القالي قد شارك معاصره في كثير مما أورده من الأمثلة ، وزاد عليه في بعض آخر ونقص عنه في بعض ثالث . ومن هذه المقارنة نعلم أيضا أن كلا من القالي وأبي الطيب ، قد جمع أمثلته من مصادر واحدة أو متقاربة ، كالجمهرة لابن دريد والغريب المصنف لأبي عبيد ، وكتب الأصمعي ، وثعلب ، والكسائي ، ويونس ، وغيرهم . على أنهما زادا بهذا الجمع على من تقدمهما ، ولكن أحدهما ـ وهو أبو الطيب ـ فضل الآخر بحسن ما صنع من التقسيم والدقة في التبويب .

أما ابن سيدة الأندلسي في القرن الخامس ، فهو بكل تأكيد قد استفاد من مادة القالي المجموعة في الفصل المذكور من أماليه ، وفيما هو منثور عنده بين الحين والآخر في ثنايا شروحه للنصوص الأدبية واللغوية (189) تدلنا على ذلك بالخصوص هذه المقارنة الدقيقة التي كلف عناءها التنوخي ، رحمه الله ، في تعليقاته وحواشيه .

(188) طبع بتحقيق المرحوم عز الدين التنوخي بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الأجزاء الأربعة من المجلد 36 سنة 1961 م . ثم طبع بعد ذلك في كتاب مجموع .

(189) فمن باب الاتباع ما ذكره القالي في الأمالي (54/2) حين روى عن أبي عمرو الشيباني قوله : (مهلا وبهلا : اتباع) .

وهناك آراء كثيرة ومتضاربة حول تفسير معنى الاتباع والتوكيد ، والمزاوجة ، لم يرد القالي أن يدخل نفسه في مناقشتها أو التعرض لها ، وقد كفانا السيوطي في مزهره أمر جمعها ، فلم نعرج على ذكرها لما كان القصد أن لا يذهب بنا الحديث مذهب الاستطراد .

(4) الابــدال

عرف ابن فارس الابدال بقوله : «من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض» ومثل لذلك بقولهم : مدحه ، ومدهه ، وفرس رفل ورفن ، اذا كان طويل الذنب (190) . وهذا النوع من النظائر اللغوية في الحقيقة ، هو ما يدرس عادة في باب (الاشتقاق الأكبر) ، وهو أن تشترك كلمتان في باقي الحروف ، وتختلفا في حرف واحد . كحنك وحلك ، وصلت وسلت ، وغالبا ما يراعى في ذلك تقارب المخرجين بين الحرفين اللذين وقع بينهما التعاقب كالحاء والهاء ، والنون واللام . ولذلك نرى ابن جني لا يقبل من الابدال الا ما كان فيه التعــاقب اللفظي واضحــا ، كأز وهز ، وعسف وأسف ، لما كانت الهمزة أخت الهاء ، وكذلك العين أخت الهمزة . فالتصاقب اللفظي عنده شرط في التصاقب المعنوي (191) . غير أن بعض اللغويين توســعوا كثيــرا حين فتحــوا الباب على مصراعيه وقالوا : انه لا نكاد نجد حرفا الا وفيــه ابدال (192) . وبذلك أصبح الناس في مأمن من الرمي بالتصحيف ، ما دام بالامكان أن نقول : حاس وجاس ، والزحاليف والزحاليق (193) والطخرور والطحرور (194) .. وما الى ذلك ممــا دأب على ايراده اللغويون حتى توغلوا وأكثروا . ولهذا نرى أن النحويين والصرفيين احترسوا كثيــرا عندما حصروا الابدال في حروف معدودة ، اختلفوا في تحديدها . فسيبويه مثلا يجعلها ثمــانية ، بالاضــافة الى حروف العلة الثلاثة . وهي عنده : الهمزة ، والهاء ، والتاء ، والدال ، والطاء ، والميم ، والجيم ، والنون (195) . وهي عند ابن هشام في أوضح المسالك تسعة فقط جمعها في قوله : (هدأت موطيا) (196) . وهي عند غيرهما تزيد وتنقص . وقد كان القصد من تقييد الابدال بهذا العدد القليل أو ذلك من الحروف ، أنهم ــ كما يقول ابن يعيش ــ انما

---

(190) المزهر (460/1) . ورفل ورفن بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد الحرف الأخير .

(191) الخصائص (145/3) وما بعدها (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) .

(192) المزهر (461/1) . وهو رأي أبي الحسن بن الصائغ .

(193) الزحاليف والزحاليق : أثر تزلج الصبيان من فوق الى أســفل جمع زحلوفة وزحلوقة (الأمالي 178/2) .

(194) طخرور وطحرور والجمع طخارير : قطع من السحاب مستدقة رقاق (الأمالي 111/2) .

(195) الكتاب (313/2) (باب حروف البدل ...) .

(196) أوضح المسالك (312/3) .

راعوا الكثرة والاشتهار ، ولم يريدوا أنه لم يقع البدل في شيء من الحروف سوى ما ذكر (197) .

وهكـذا نرى أن الابدال ابدالان ، ابدال لغوي وابدال نحوي أو صرفي . وهو نفس التقسيم الذي أتى على ذكره القالي حين قال : «اللغويون يذهبون الى أن جميع ما أمليناه ابدال ، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو وانما حروف الابدال عندهم اثنا عشر حرفا . تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها . فأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا "طال يوم أنجدته" ، وهذا أنا عملته» (198) .

ثم شرع بعد ذلك في تفصيـل المواضع التي يكون فيها الابدال بين الحروف الاثني عشر التي ذكرها ، بادئا بالطاء ومنتهيا بالهاء . وعند النظر فيما ذكره – في مقدار صفحة ونصف – (199) من هذا الابدال النحوي ، لم نجد فيه جديدا عما ألفنا أن نجده في كتب النحاة . بل أن القالي لينقل بالحرف ما أتى به سـيبويه في الباب الذي سماه (هذا باب حروف البدل ...) من الكتاب (200) رغم أنه لم يشر الى ذلك . وليست هذه هي المرة الأولى التي يكون فيها القالي عالة على شيخ أهل البصرة ، فلقد رأينا في المقصور والممدود ، لا يخرج عما ذكره في قواعدهما النحوية ، بل يتقيد بألفاظه أيضا كما هنا .

ذلك هو الابدال النحوي في كتـاب القالي . وأما الابدال اللغوي ، فانه آثر أن يكون موزعا خلال الجزء الثاني من أماليه (ما بين صفحتين 22 و 186) وهو مفصل هنالك على النحو التالي :

---

(197) شرح المفصل ج 10 (ص 6) .
(198) الأمالي (186/2) .
(199) ما بين (ص 186 و 187) من الأمالي ج 2 .
(200) ج 2 (ص 313–314) .

الحروف التي وقع فيها الابدال	ص	الحروف التي وقع فيها الابدال	ص
الصاد والضاد	22	العين والغين	134
الفاء والثاء	34	القاف والكاف	139
اللام والنون	41	اللام والراء	145
الميم والباء	52	الكاف والجيم	146
العين والحاء	67	الصاد والطاء	155
الهمزة والهاء	68	الهاء والخاء المعجمة	155
السين والتاء	68	الدال والطاء	155
ابدال الباء جيما في لغة فقيم	77	التاء والطاء	156
الخاء والجيم	78	الدال واللام	156
الهمزة والعين	78	الياء والهمزة	160
النون والميم	89	الهمزة والواو	166
الهاء والحاء	97	الدال والذال	171
الخاء المعجمة والحاء	111	الكاف والفاء	171
الدال والتاء	112	الزاى والذال	172.
الصاد والزاى	113	الراء والهاء	172
السين والثاء المثلثة	114	طائفة متنوعة مما يقع فيه الابدال	177–178
الثاء والذال المعجمة	119	كلمات متنوعة مما يقع فيه الابدال	184
السين والشين	125	السين والزاى	185

فمن هذه القائمة الطويلة ، نرى أن القالي كاد يأتي على كثير مما ذكره السابقون له في هذا الباب . وهو لا ينسى أن يشير الى بعضهم مثل الأصمعي الذي نقل عنه أغلب الأمثلة ، واللحياني ، وأبي عمرو الشيباني ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، وأبي عبيدة ، وثعلب ، وابن دريد ، والفراء ، وابن الأعرابي ... ولقد اهتم العلماء من قديم بالتأليف في الابدال ، سواء منهم الذين خصصوا له أبوابا أو فصولا في مؤلفاتهم ، كابن دريد في الجمهرة ، وأبي عبيد في الغريب المصنف ، أو الذين اكتفوا بذكر أمثلة متفرقة منه حال مرورهم بها عرضا ، كثعلب في أماليه . على أن بعضهم خص هذا الباب برسائل مفردة نذكر منها على سبيل المثال ، كتاب (القلب والابدال) للأصمعي (ت 217 هـ) وكتاب (القلب والابدال) لابن السكيت (ت 246 هـ) ـ وهو مما أدخله القالي للأندلس ـ وكتاب (الابدال والمعاقبة والنظائر) لأبي القاسم الزجاجي (ت 337 هـ) ، وكتاب (الابدال) لأبي الطيب اللغوي (ت.بعد 350 هـ) .

ولقد كنا في شوق لمعرفة رأى القالي في نظرية الابدال اللغوي أو (الاشتقاق الأكبر) ، بعد أن خاب ظننا في الابدال النحوي . اذ الابدال ظاهرة خطيرة في لغتنا ، تقبلها فريق بصدر رحب ، واعتبرها وسيلة من وسائل نماء اللغة وتراثها وتطورها ،

ورأى فيها فريق آخر من الفائدة ما يساعدنا على وضع المصطلحات العلمية الحديثة ، لوجود فروق دقيقة بين كل لفظين وقع فيهما الابدال (201) . وقد كان بعض القدماء أول من تفطن لوجود مثل هذه الفروق ومنهم القالي الذي أورد نماذج منها مثل ، القبض بأطراف الأصابع ، والقبض بالكف كلها (2/23) – واللفام واللثام . قال الفراء : «اللثام على الفم ، واللفام على الأرنبة» (2/34) – ومثل الحنك والحلك ، قال أبو زيد : الحلك اللون ، والحنك : المنسر ، أي المنقار (2/44) .

وهناك الذين رأوا بازاء هذا ، ان الابدال ليس سوى نتيجة تعدد اللهجات . فتقول قريش مثلا (كشطت) بينما تقول أسد وتميم وقيس (قشطت) (202) (أي نزعت الجلد) . أو أنه مجرد كلمات مترادفة . فقد قال المازني «سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ ''فحاسوا خلال الديار'' . فقلت : انما هو جاسوا . فقال : حاسوا وجاسوا واحد» (203) . ومن المحدثين من لاحظ أن الابدال في جميع حالاته ليس سوى نتيجة تطور صوتي . وهذا ما ذهب اليه ابراهيم أنيس (204) ، غير أن هذه الآراء وأشباهها مما لم نر فائدة في استعراضه ، لم تكن لتغنينا عن سماع صوت جديد ، لو لم يفضل القالي أن يظل محجبا وراء أكداس من الأمثلة والأقوال التي اكتفى بجمعها وروايتها . على أن القالي اذا لم يكن دارسا أو فقيها لغويا ، فان له فيما قام به من جمع ورواية وضبط ، فضيلة لا يستهان بقدرها .

فاذا كان ابن السكيت في رسالته (القلب والابدال) قد جمع ثلاث مئة كلمة فقط ، مما يقع بين كل كلمتين منها ابدال (205) ، فان ما أحصيته في كتاب القالي من هذه الكلمات يفوق ذلك بكثير ، ويضاعفه حتى يصل الى نحو السبعمائة كلمة ، بين كل حرفين من كل كلمتين تعاقب وابدال . مع ميزة أخرى وهي الاكثار من الشواهد الشعرية ، ولا سيما في الكلمات التي وردت شاذة ونادرة من لهجات القبائل . فهذه المادة الغزيرة المجموعة الموثقة ، تصلح بعد ذلك أن تكون مجال درس من طرف العلماء المهتمين بأسرار اللغة العربية .

(5) الاشتقاق

والمتتبع للقالي خلال شروحه للنصوص اللغوية والأدبية ، يلحظ أن ولوعه في هذا الكتاب بالاشتقاق العام أو الصغير ، أشد وأكثر من ولوعه به في (المقصور

(201) ذلك هو رأي الأستاذ التنوخي في مقاله المنشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج 1 ، المجلد 35 سنة 1960 م بعنوان : (الابدال أو الاشتقاق الكبير) .

(202) الأمالي (2/139) .

(203) الأمالي (2/78) .

(204) من أسرار اللغة (ص 75) .

(205) من أسرار اللغة (ص 69) .

والممدود) . لأن كتاب الأمالي أفسح مجالا من سابقه ، وأغزر مادة ونصوصا . ولا أحتاج هنا لأمثلة كثيرة على اعتناء أبي علي بهذه الظاهرة اللغوية بل أكتفي بواحد منها .

قال في تفسير كلمة (الطخاء) الواردة في الحديث الشريف : «أكل السفرجل يذهب بطخاء القلب» .

قال أبو بكر (206) : «الطخاء ، الثقل والظلمة» . ثم قال : «قال أبو علي : وحقيقته عندي ، أي ما جلل القلب ، حتى يسد الشهوة ، ولذا قيل للسحاب طخاء ، لأنه يجلل السماء . ولذلك قيل لليلة المظلمة طخياء ، لأنها تجلل الأرض بظلمتها» (207) .

فترى أنه ربط بين معاني الكلمة ، وجعلها من أصل واحد ، وهو تجليل الشيء وتغطيته (208) . وقد مر بنا في دراسة (المقصور والممدود) أن القالي كان في مسألة الاشتقاق متأثرا بشيخيه الزجاج ، وابن السراج .

(6) الأضداد

اهتم الأقدمون بهذه الظاهرة اللغوية وأفردوا لها كثيرا من المؤلفات ، كما فعل الأصمعي والسجستاني وابن السكيت . ويعتبر كتاب أبي بكر بن الأنباري شيخ القالي أشهر هذه المؤلفات وأكثرها مادة وشاهدا (209) . فأما صاحبنا فلم تلق عنده هذه الظاهرة عناية كافية ، ولم يولها كبير اهتمام ، الا ما كان من اشارة عابرة ، أو كلمة مقتضبة . ومن أمثلة ذلك في الكتاب قوله : «النبل : الصغار هاهنا . والنبل : الكبار ، وهو من الأضداد» (210) . وقوله : «وقال أبو عبيدة : البين : الوصل . والبين : الافتراق ، وهو من الأضداد» (211) .

وفي مثل ثالث يقول : «والجادي : السائل والمعطي ، وهو من الأضداد» (212) .

---

(206) يقصد : محمد بن القاسم الأنباري .

(207) الأمالي (2/270) .

(208) وأنظر في الأمالي اشتقاق هذه الكلمات : (حذاء 1/117) – (لفت 1/122) – (خاف 1/211) – (ضاف 2/23) – (نسر 2/44) – (فهق 2/98) – (عقل – لحد – ضريح 2/117) – (كفر – جلم 2/146) – (ملائكة 2/165) – (النحيت 2/170) – (المعدن – البليد 2/200) – (المعدة 2/216) – (الحرب 2/220) – (المحال 2/269) – (المائدة 2/277) – (عنترة – حربة 3/162) – (لص – سفينة – الحراقة – الزلال – الطيار – الملاح 3/163) .

(209) طبع هذا الكتاب بليدن سنة 1881 م . ثم أعيد طبعه بمصر سنة 1325 هـ . وطبع ثالثة سنة 1960 بالكويت بتحقيق محمد (أبو الفضل) ابراهيم .

(210) الأمالي (1/67) .

(211) الأمالي (2/132) .

وقد تحدث السيوطي في المزهر عمن أنكر وجود الأضداد في لغتنا ، وأتى ضمن ذلك بمثالين أوردهما القالي في هذا المجال وهما قوله : «الصريم : الصبح ، سمي بذلك لأنه انصرم من الليل . والصريم : الليل ، لأنه انصرم عن النهار ، وليس هو عندنا ضدا . وقال : النطفة : الماء ، تقع على القليل منه والكثير ، وليس بضد» (213) .

غير أن هذا لا يجب أن يوهم أن القالي كان له رأي واضح في القول بالأضداد أو نفيها . وانما كان يحتكم لفكره وذوقه اللغوي في الأمثلة التي تعرض له ، فينفي منها ما يراه قابلا للنفي ، ويقبل ما يراه قابلا للاثبات . ففي المثالين المذكورين ، يطلق الصريم على الصبح لأنه ينصرم من الليل وينسل منه ، وهو جائز أن يسمى به الليل أيضا لأنه بدوره ينصرم من النهار ، فالجامع بين المعنيين هو الانصرام في الكل ، فلا ضد هنا (214) . والنطفة اذا كانت تعني الماء مجردا ، فان اطلاقها على القليل منه والكثير سواء ولا ضد . كما اذا أطلقت العسل على الشيء القليل منه والشيء الكثير .

وقريب من هذا ما ذكره القالي في هذا المثال : «وقال أبو زيد : السدفة في لغة قيس : الضوء . وفي لغة تميم : الظلمة» (215) . فالذي يمنع التضاد هنا اختلاف المتحدثين بالكلمة (216) .

وفي غير هذه الأمثلة ، فان القالي لا يسعه الا الاعتراف بالأضداد عندما يعوزه الدليل ، ويفتقر الى الحجة ، كما هو الحال في (الجادى ـ البين ـ والبسل) (217) (الأمالي 132/1 ـ 279 ـ 326/2) .

(7) القلب

حين عرف ابن سيدة القلب قال : انه تصيير الشيء على نقيض ما كان عليه (المخصص ج 13 ، ص 267) . ومثل له ابن فارس بقولهم : جبذ وجذب ، وبكل ولبك (المزهر 476/1) . ولقد سهل الخليل على اللغويين أمره حين بنى معجمه (العين) على التقاليب ونبههم اليه ، فخصوه بمؤلفات ورسائل . وهو ما اعتمد عليه ابن جني

(212) الأمالي (326/2) .
(213) المزهر (397/1) .
(214) أما ابن الأنباري في كتابه فقد جعل الصريم من الأضداد . قال (والصريم من الأضداد . يقال لليل صريم وللنهار صريم لأن كل واحد منهما يتصرم من صاحبه) (ص 84) .
(215) الأمالي (125/2) .
(216) وابن الأنباري في كتابه يعتبر (السدفة) من الأضداد أيضا (ص 114) .
(217) البسل : الحلال وهو بفتح الأول وسكون الثاني .

في نظرية الاشتقاق الكبير (ويسميه الأكبر) الذي حاول فيه أن يربط كل تقاليب الكلمة الواحدة بمعنى واحد . أما القالي صاحب معجم البارع الذي بني على التقاليب ، فأنه اكتفى في الأمالي ببعض أمثلة يوردها بين الحين والآخر . فمن ذلك قوله : «وأفصت الدجاجة اذا انقطع بيضها . ويقال : أصفت الدجاجة ، وأصفى في الشعر . وهو من المقلوب» (218) . وقال في مثال آخر : «الطادي : الثابت ... والموطود : المثبت . وموطود : من وطد يطد . واللغويون يقولون ان هذا من المقلوب» (219) .

وتحدث بأكثر من هذا عن قلب المضاعف ياء ، فنقل عن أبي عبيدة قوله : «العرب تقب حروف المضاعف الى الياء فيقولون : تظنيت ، وانما هو تظننت» (220) . ثم نقل أمثلة أخرى لهذا النوع مثل : التقضي الذي أصله ، التقضض (من الانقضاض) والسرية من تسررت وملب من ألبيت ، والتصدية من صددت ، وقصيت من قصصت ، وتلعيت من اللغاعة ... الخ. (221) .

نرى من خلال الأمثلة التي أوردها القالي للمقلوب ، أنه لم يعد من ذلك الا ما أمكن تلمس معناه الأصلي بسهولة ويسر ، أما ما خفي عليه أمره ، وأغلق فهمه ، فأنه لم يعده من المقلوب . أو على الأقل فأنه لم ينبه عليه . يدلنا على ذلك المثال التالي ، قال : «ذكر أعرابي رجلا فقال : ما له لمج أمه فرفعوه الى السلطان فقال : انما قلت : ملج أمه . قال أبو بكر : قال أبو العباس : لمجها : نكحها ، وملجها : رضعها» (222) . فلم ينبه على وجود قلب بين (ملج ولمج) ، لأنهما يؤولان الى معنيين يصعب التوفيق بينهما ، الأول نكح ، والثاني رضع . فلم يكن القالي اذن صاحب ذلك الذهن الثاقب الذي يستطيع به أن يلمح المعنى الخفي الذي يجمع بين التقاليب الستة للكلمة الثلاثية الواحدة ، على نحو ما حاوله ابن جني ، وهو لم يحاول أن يفعل ذلك حتى في معجمه الذي بناه على التقاليب . فان تسامحنا مع القالي قلنا : انه لم يحاول أن يشتط ويتعسف مثلما تعسف ابن جني .

وهناك بعد هذا ، قضايا لغوية كثيرة في الكتاب ذات أهمية ضئيلة ، كالنحت والألغاز . لم نشأ متابعتها لأنها لم تلق العناية الكافية من القالي .

---

(218) الأمالي (34/1) .
(219) نفس المصدر (201/2) .
(220) نفس المصدر (171/2) .
(221) نفس المصدر ، والصفحة .
(222) الأمالي (137/1) .

ب ـ الظـاهرة الأدبيـة

الآن وقد انتهى بي الحديث الى هذا الموضوع ، فأني سأتناوله بطريقة أشـبه بتناولي للموضوع اللغوي ، متحدثا عن الأشعار ، والقصص ، والأخبار ، والأمثال ، والخطب والرسائل ، والآيات ، والأحاديث ، والحكم ، والعظات ، متوخيا الاختصار جهد الامكان .

(1) الأشـعار

ان هذه الأشـعار الواردة بالأمالي ، وهي تحظى بالقسمة الكبرى بالقياس الى موضوعات النثر ، بامكان الباحث أن يجعلها صنفين كالتالي :

(1) **صنف الأشـعار الشواهد :** وهي التي لم تقصد في ذاتهـا لغاية فنيـة أو جمالية ، وانما قصد بها الاستدلال والاحتجاج اللغوي ، على قضايا الشاذ والغريب من الألفاظ والتعابير ، فهي مما يكثر دورانه في كتب اللغة والنوادر . ويتمثل هذا الصنف في أبيـات مفردة ، وأنصـاف أبيات ، لشعراء ورجاز من العصر الجاهلي والاسلامي ، ممن يصح الاستشهاد بأقوالهم . فاذا نحن وصفنا هذا النوع من الشعر بالجفاف والعقم ، واتهمنا به القالي الأديب في ذوقه ، كنا بذلك ربما أنصفنا الأدب والأدباء ذوي الأذواق الرقيقـة الذين لا يقنعون الا بشـعر يحرك وجدانهم ، ويهـز عواطفهم . ولكننا أيضا سنكون قد ظلمنا القالي اللغوي الذي لم يكن يرضى بغريب أو نادر الا وعليه شاهد أو مثـال ، وتجنينـا على طريقة عصره التي لم تكن تقبل دراسة اللغة الا وهي معززة بالشواهد ، موثقة بالأدلة .

(2) **وصنف ثان من الأشعار ، يتمثل في مقطعات وقصائد** ـ لا في أبيات مفردة ـ فقد تطول القصيدة حتى تزيد على الأربعين ، كما في قصيدة كثير التي مطلعها :

ألا حييـا ليلى أجـد رحيلـي
وأذن أصحـابي غدا بقفـولي (223)

أو على الخمسين والستين ، كما في قصيدة قيس بن ذريح ، وأبي صفوان الأسـدي ولامية الشـنفرى (224) . بل لقد نيفت على الثمانين قصيـدة عروة بن حزام التي مطلعها :

---

(223) الأمالي (62/2) .
(224) نفس المصدر (2/237 ـ 2/314 ـ 3/203) .

خليلـــي من عليـــا هــلال بن عامــــــر
بصنعاء ، عوجا اليوم وانتظرانـــي (225)

وهذا الصنف من الأشـعار في الأمالي ، هو الذي يعطيهـا بحق القيمة الأدبية الخطيرة ، لما تأنق القالي في اختيارها ، وأفرغ فيها من جهده وقدم منها النصوص الوافرة الكثيرة ، التي تقوم حجة على ذوقه ، ودليلا على سلامة حسه الأدبي . وكأني بالقالي وقد عهدت اليه مسؤولية التثقيف والتوجيه ، يقدر تلك المسؤولية العظيمة ، وهي توجيه الذوق الفني لطلابه بالأندلس ، واعطاؤهم النماذج الرفيعة التي تصلح للتقليد والتمثل . فاختار أغلب نماذجه من الغزل لعذوبته ورقته ، حتى أكثر منه كثرة ملحوظة ـ وتكاد تكون كل القصائد الطويلة من هذا الباب ـ فضلا عن المقطعـات الأخرى في بكاء الحمائم ، ووصف الليل الطويل ، وتباعد الأحبة ، ومفارقة الخلان والأوطان ، ورثاء الأهل ، ووصف الدموع ، وطروق الخيال ، والسحاب والأمطار .. الخ . وكلها موضوعات عاطفية وجدانيــة ، ولا ينفي هذا وجود موضوعات أخرى لشـــعراء عرفوا بالجزالة والقوة من جاهليين واسلاميين كلبيد ، وامرىء القيس ، والفرزدق ، والشنفرى ، والأخطل ، ورؤبة ، والعجاج ، وغيرهم . ولكن القالي لم يورد لهم من الشعر أكثر مما أورد لقيس ، والمجنون ، وجميــل ، وكثير ، وعمر بن أبي ربيعة ، وابن ميــادة ، ومسلم بن الوليد ، والمعلوط ، والعبــاس بن الأحنف ، والبعيث ، وابن مقبل ، وليلى الأخيليــة ، وتوبة بن الحمير . من الشعراء الغزلين والمفتونين ، بالاضافة الى أشعار أخرى غير منسوبة . وان الطابع الوجداني لظاهرة متحكمة في هذا الصنف من النصوص الشـعرية ، التي لا تحيــد ـ مهمــا اختلفت مواضيعها ـ عن (مذهب العرب) أو عمود الشعر القديم . واذا كان القالي لم يخل كتابه من نماذج لشعراء العصر العباسي كالبحتري ، وأبي تمــام ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي العتاهية ... فان ما رواه لهؤلاء لا يتعدى الأبيــات تلو الأبيات ، ولا يقــاس في قلته بمقدار ما رواه لشعراء العصر الأموي والجاهلي . وقد يكون السبب في ذلك هو نزعته المحافظة ، وذوقه التقليدي ، ازاء التيارات التجديدية التي عرفت آنذاك . وقد تكون العلة أنه ألف كتــابه لدولة أموية ، فأحب أن يملأه بفضائل عصر أسلافهم بالمشرق . ومثل هذا يمكن قوله عن النصوص النثرية التي اختار جل نماذجها من الجاهلية والاسلام والعصر الأموي كما سنرى .

أما مصادره في هذه الأشعار ، فمن السهل التعرف عليها . فبالاضافة لما ذكره ابن خير في فهرســته من دواوين الشــعراء التي أدخلها القالي الأندلس ، نجد في

(225) نفس المصدر (158/3) .

الأمالي ما يدلنا على طرق روايته لكثير منها . فقد قرأ على ابن دريد شعر جميل بثينة (226) ، وأبي النجم (227) ، وأشعار هذيل (228) ، وشعر الأعشى (229) ، وكثير (230) ، وكعب الغنوي (231) ، وقيس بن الخطيم (232) ، ومعن بن أوس (233) . وقرأ المفضليات على أبي الحسن الأخفش (234) . وقرأ على نفطويه شعر عمر بن أبي ربيعة (235) ، وشعر النابغة (236) . وعلى أبي بكر بن الأنباري ، شعر ابن مقبل ، وشعر توبة (237) .

ومع هذا ، فهناك المصادر العامة من كتب النوادر واللغة والأدب . ويدلنا كتاب الأمالي أيضا على تمرس القالي بالشعر ، وتحككه به ، حتى كانت له فيه اختيارات واستحسانات ، كتلك التي كان ينتقيها ويختارها ثم يقدمها ليقرأها على شيخه ابن دريد ، مثل اختياراته من شعر معن بن أوس (238) ، واستحسانه من شعر قيس بن الخطيم (239) .

(2) القصص والأخبار

والقصص والأخبار تؤلف الموضوع الثاني في الكتاب من حيث الأهمية بعد الشعر . وأول ما يلفت نظرنا في هذه القصص ـ قبل التعرض لأسلوبها ـ هو أن قسما كبيرا منها يدور حول بني أمية في الشرق ، مما يروي سيرة خلفائهم ويصور مجالسهم مع الأدباء والشعراء ، وأوصافهم وأخلاقهم . حتى فاق ما أحصيت من ذلك السبعين ، ما بين القصة الطويلة والخبر القصير . فاذا أضفنا الى هذا ما جاء من أخبار ولاتهم وعمالهم على الأقاليم ، كالحجاج ، وزياد . ورجالات ذلك العصر كعبد الله ابن الزبير ، وأخيه مصعب ، وأضفنا الى هذا كله ما سبق أن أشرنا اليه من

---

(226) الأمالي (1/124 ـ 2/299) .
(227) نفس المصدر (1/108) .
(228) نفس المصدر (1/271) .
(229) نفس المصدر (1/75) .
(230) (ص 2/107) .
(231) (ص 2/147) .
(232) (ص 2/273) .
(233) (ص 2/102) .
(234) (ص 3/130) .
(235) (ص 2/305 ـ 2/306 ـ 2/309 ـ 2/310 ـ 314) .
(236) (ص 2/2) .
(237) (ص 1/229 ـ 1/166) .
(238) (ص 2/102) .
(239) (ص 1/43 ـ 1/65 ـ 2/273) .

الأشعار الكثيرة التي تنسب الى هذا العصر ، وأن القالي لم ينقل من أشعار آل العباس وآدابهم وقصصهم وأخبارهم ، الا نزرا يسيرا لا يطرق مديحا ولا يصور عظمة الخلافة ، مع أن العصر كان أكثر اغراء لكي توضع حوله القصص والأخبار ... اذا جمعنا هذه الملابسات والقرائن ، كان الظن عندنا قويا بأن القالي انما أراد بهذا أن يتقرب للدولة التي قوي شأنها في الأندلس ، والى الخليفة الذي أولاه نعمه ، وأسبغ عليه فضائله .

ولننظر بعد في عامة الأقاصيص التي ذكرها القالي ، لنلحظ أنها في الغالب مما رواه عن شيخه أبي بكر بن دريد ، فعوض عن قلة روايته عنه في اللغة بكثرة ما أخذه عنه من الأشعار والأخبار . واذا تفحصنا جملة ما يأتي به ابن دريد من هذه القصص ، وجدنا فيها من آثار الوضع والاختلاق ما يبدو واضحا في المضمون والشكل والهدف . فأما المضمون ، فلأن موضوعاتها تكاد تكون وحدة متشابهة فمن قصص تحكى عن أقيال اليمن وحمير بأسلوب يصعب تصديقه أن يأتي على ألسنة أولئك ، الى قصص يطلب فيها من الأزواج أن يصفوا زوجاتهم ، ومن الزوجات أن يصفن أزواجهن ، أو بنات يصفن ما يحببن من الرجال ، ويتمنين من الأزواج ، أو رجل يطلب منه وصف فرس له ، أو أعرابية تصف سحابا أو برقا ... وغير ذلك مما لا يكاد يخرج عن هذا النطاق الا قليلا . فتبقى الصيغة والطريقة بداية ونهاية ، ويتغير الأشخاص والأبطال . بل ان من أولئك الأبطال من يتكرر دورانه في أكثر من قصة .

وأما الشكل ، فلأن نسج هذه القصص على ذلك الأسلوب المحبوك الذي لا يكاد يخلو من سجع رتيب ، ولغة قوية متينة تتضمن النادر والغريب ، يبدو شيئا لافتا للأنظار ، مستوقفا للباحث ، ولا سيما اذا كان ذلك جاريا على ألسنة حمير وأقيالهم .

وأما الهدف ، فلأن كل قصة من هذه القصص ، انما جيء بها لتؤدي دورا تعليميا واضحا ، ولم يوردها القالي في كتابه الا في هذا الاطار . فبعد أن يذكر القصة أو الخبر ، يفك ما فيها من غريب ، ويحل الغوامض والألغاز ، مستشهدا بما لديه من الأمثال والأشعار ، ثم ينتقل لمادة أخرى .

وهذا مثل يبين عن القصد التعليمي :

قال أبو علي بعد ذكر سنده : «ابتاع شاب من العرب فرسا ، فجاء الى أمه وقد كف بصرها ، فقال : يا أمي ، اني قد اشتريت فرسا . فقالت : صفه لي . قال : اذا استقبل فظبي ناصب واذا استدبر فَهِقْلٌ خاضب ، واذا استعرض فَسِيدٌ قارب . مُؤَلَّلُ المسمعين ، طامح الناظرين ، مُذْعَلَّق الصِّبْيِّيْنْ . قالت : أجودت ان كنت أعربت .

قال : أنه مُشْرِف التّليل ، سَبْط الخَصيل ، وَهواةُ الصهيل . قالت : أكرمتَ فارتبطْ»(240)
ثم شرع في شرح مفردات النص كلمة ، كلمة .

على أن هناك من القصص ما يمكن تسميته (بقصص الأشعار) ، و (قصص الأمثال) . كما يمكن تسمية النوع الذي مثلنا له (بقصص الغريب) . لأن الغرض يكون حينذاك ، هو وضع قصص أو أخبار تشرح الشعر أو المثل أو الغريب .

واذا عدنا الى الشيخ الدريدي الذي تعزى اليه أغلب هذه القصص ، وجدناه متهما منذ قديم بالوضع والاختلاق في اللغة ، كما روى ذلك السيوطي عن بعضهم (241) . وقد وقف الحصري موقفا فريدا بالنسبة لقصصه أيضا ، وذلك بمناسبة حديثه عن بديع الزمان الهمذاني فقال : «ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين ابن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنتجها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها اذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربع مئة مقامة ...» (242) .

وقد كان من أول المتنبهين لهذا النص الدكتور زكي مبارك ، فبنى عليه بحثه في النثر الفني الذي انتهى به الى عدة نتائج ، منها أن ابن دريد كان واضع الأقصوصة الأول في العربية ، وأنه كان أسبق من الهمذاني في كتابة المقامات ، وهي التي سماها الحصري بالأحاديث . وأن كثيرا من هذه الأحاديث الدريدية منقول عند القالي في أماليه (243) .

على أن القالي في الحقيقة ، لم يرو هذه القصص والأخبار عن ابن دريد وحده ، فقد روى عن أبي بكر بن الأنباري ، والأخفش الصغير ، وابن شقير ، ونفطويه ، وابن أبي الأزهر ، وغيرهم ، من القصص ما يتشابه مع أخبار ابن دريد أحيانا الا في أسلوبه . كما أننا حين نرجع الى قائمة ما أدخله الأندلس من كتب الأخبار ، نعلم أن

---

(240) الأمالي (1/41) ناصب : الذي نصب عنقه ، وهي صفة حسنة في الفرس – الهقل : الذكر من النعام – الخاضب : الذي أكل الربيع فاحمرت ظنبوباه – والسيد : الذئب – ومؤلل : محدد – ومذعلق : أكل الذعلوق ، وهو نبت – الصبيان : مجمع لحييه من مقدمهما – التليل : العنق – الخصيل : كل لحمة مستطيلة (من الأمالي نفس الصفحة) .
(241) المزهر (1/93) .
(242) زهر الآداب (1/261) .
(243) النثر الفني (1/243) وما بعدها .

مصادره في هذا الباب كانت كثيرة ومتنوعة ، وان كان ما حمله من أخبار ابن دريد أكثرها (244) .

وقد رأيت أحد الدارسين المعاصرين (245) ، يشير الى أن القالي ، نقل الى كتابه الأمالي كثيرا من قصص النساء ، وما يتعلق بأخبار فصاحتهن ونوادرهن وصفاتهن ... من (بلاغات النساء) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280 هـ) . غير أن المقارنة التي قمت بها بين الكتابين ، دلت على أن المتشابه فيهما من هذه القصص والأخبار قليل من جهة ، كأخبار أبي الأسود الدؤلي مع زوجته (246) ، وقصة الملكة من حمير حبب النساء لها الزواج (247) ، وقصة المرأة تمدح زوجها لأمها (248) ، وقصة عبد الملك بن مروان مع عزة كثير (249) ، وأبيات أم عمرو ترثي أخاها ربيعة (250) ، وقصة رملة بنت معاوية التي افتخر عليها زوجها (251) ، وقصة خطبة هند بنت عتبة (252) ، وقصة المرأة التي ترثي الأحنف بن قيس (253) ، وقصة أم قطن التي قتل ولدها (254) ، وقصة المرأة التي نزل عندها معاوية (255) ، وقصة ابنة الخس وسؤالها عن أحب الرجال والنساء (256) .

وأن الفروق — في هذه الأخبار — بين القالي وطيفور ، تدحض بما لا يقبل الشك أن يكون الأول نقل عن الثاني ، وهي فروق تتلخص في نقطتين :

(1) أن سند رواية القالي لهذه الأخبار ، ليس فيه ذكر لطيفور ولو مرة واحدة . واذا نحن استثنينا مرتين أو ثلاثا انتهى فيها سندهما معا الى ابن الكلبي أو العتبي — وهما ممن نقلت عنهم الأخبار — لم نجد أحدا من رجالات سندهما يقع عليه الاتفاق . وليس المهم أن يقع الاتفاق حول مؤصل الرواية ، كالأصمعي ، والقتبي ، والتوزي ،

---

(244) ذكر ابن خير (ص 398) أن ما أدخله القالي من أخبار ابن دريد وسماعه 58 جزءا .

(245) وهو الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه (مناهج التأليف عند العرب) (ص 361) طبعة دار العلم للملايين — بيروت سنة 1973 م .

(246) الأمالي (12/2) ⟵ البلاغات (ص 71 الى 74) .

(247) نفس المصدر (80/1) ⟵ البلاغات (ص 124) .

(248) نفس المصدر (221/1) ⟵ البلاغات (ص 121) .

(249) نفس المصدر (107/2) ⟵ البلاغات (ص 226) .

(250) نفس المصدر (12/3) ⟵ البلاغات (ص 246) .

(251) نفس المصدر (221/1) ⟵ البلاغات (ص 200) .

(252) نفس المصدر (104/2) ⟵ البلاغات (ص 206) .

(253) نفس المصدر (27/3) ⟵ البلاغات (ص 75) .

(254) نفس المصدر (41/3) ⟵ البلاغات (ص 244) .

(255) نفس المصدر (193/2) ⟵ البلاغات (ص 176) .

(256) نفس المصدر (107/3 — 119) ⟵ البلاغات (ص 83) .

والمدائني ، وابن الكلبي ... لأن الآخذين عن هؤلاء أمة لا يحصون ، والنقل عنهم شائع مباح للجميع . ولكن المهم هو السند الذي روى عن هؤلاء ، وهو ما لم يقع عليه اتفاق بينهما قط .

(2) أن صياغة القصة في الأمالي تختلف ـ الا نادرا ـ عنها في (البلاغات) واذا أردنا الدليل على ذلك ، ذكرنا من الأمثلة قصة ابنة الخس ، فانها في (البلاغات) (257) مروية عن ابن الأعرابي ، وتقع في سبع صفحات متصلة ، وأبطالها ثلاثة أشخاص ، هند ، وجمعة ابنتا الخس ، والقلمس (258) الذي يدير الحوار بينهما ، فيسأل الواحدة عن الابل وما تحبه وتبغضه منها ، ثم يسأل الأخرى السؤال نفسه . فاذا أجابتا عن ذلك واستحسن ما قالتاه ، سألهما بالطريقة نفسها عن النوق ، وذكور الخيل وإناثها ، وعن المعزى ، والسحاب ، والنساء ، والرجال . ثم تختم القصة بطائفة من الأشعار تتباريان فيها في موضوعات شتى . وأخيرا لا يستطيع القلمس الا أن يحكم لهما معا دون أن يفضل احداهما على الأخرى .

فاذا التمسنا هذه القصة في الأمالي ، وجدناها قصتين لا قصة واحدة . الأولى في (ص 3/107) رواها القالي عن ابن أبي الأزهر عن الزبير بن بكار في حوالي نصف صفحة ، وتدور حول سؤال والد ابنة الخس ابنته عن أشياء عدة ، ثم عن النساء والرجال ، وهي تجيب عن ذلك ... وتوجد القطعة الثانية في (ص 3/119) ـ في أقل من صفحة ـ وهي تدور حول سؤال بعض الأعراب لابنة الخس عن أي الرجال أحب اليها . وقد رواها القالي بسند آخر ينتهي الى أحمد بن يحيى ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب . فالقصتان اللتان ذكرهما القالي ـ كما ترى ـ لا تتفقان في شيء من العبارات والألفاظ والصياغة والسند والأشخاص مع قصة طيفور ، الا ما كان من الموضوع العام الموحد ، دون الجزئيات ، وصيغة السؤال المتشابه .

ويبقى أخيرا أن نعرف موقف القالي من هذه القصص التي ملأ بها كتابه ، وهي قريبة الشبه بالأساطير والخرافات (259) ، مع ما عرف به الرجل من الجدية فيما يطرقه ، ومن التثبت فيما يحفظه ويرويه .

والواقع أن موقف أبي علي من هذا الموضوع ، لم يكن الا موقف المحايد أو القائل بالتسليم . فلم أقف له على تعليق يفيد شيئا من الشك والارتياب ، الا عبارة

---

(257) (ص 83) .

(258) القلمس : على وزن عملس : الرجل الخير المعطاء . والسيد العظيم ، والرجل الداهية . ورجل كناني من نسأة الشهور ، كان يقف عند جمرة العقبة ويقول : اللهم اني ناسيء الشهور وواضعها مواضعها ، ولا أعاب ولا أجاب . القاموس ـ مادة (قلس) .

(259) أنظر على سبيل المثال : القصص الواردة بالأمالي (1/134 ـ 3/150 ـ 3/152) .

ختم بها مرة أو مرتين بعض هذه القصص فقال : «والله سبحانه وتعالى أعلم» . فهل نحكم اذن ، على عقلية القالي بأنها عقليه ساذجة أو خرافية ؟ أم نتلمس له الأعذار ونبرىء ساحته ؟

وعندي أن هذه القصص التي حكاها صاحبنا ، لا يجب أن نجردها أو نبعدها عن طبيعتها الأدبية . بل هي قطع أدبية ولا جدال . ويجب أيضا أن لا نخرجها من الاطار الذي أراد القالي أن يقدمها فيه ، وهو اطار يخدم الهدف التعليمي . وحينذاك فلا مجال لرفض هذه النصوص ، اذ ليس الخيال الأدبي مما يهتم فيه بصدق الوقائع أو كذبها ، فلست مستطيعا أن تقول لشاعر : أنت كاذب ، في صورة من صوره الخيالية البديعة ، ولا كذلك القصاص . ولما كان القالي يبحث عن الصيغة اللائقة المحببة التي يقدم بها لطلابه تلك المفردات الجافة ، والألفاظ الحوشية الغريبة من اللغة - لأنه ليس مقبولا أن يتلوها على مسامعهم بطريقة معجمية - اضطر الى هذه القصص التي تتوفر على عناصر فنية كالتشويق ، وتصور مرحلة من مراحل النثر العربي القديم . فاختارها لتتناسب مع الأشعار التي قدمها ، ولتكون بازائها ، تكمل هدفها ، وتساعدها في أداء الأغراض الأدبية واللغوية والتعليمية . والناس بعد ذلك في حاجة الى أن يعرفوا صورة عن النثر القصصي بالاضافة الى نثر الخطابة والرسالة والمثل . واذا كنت لم أغال فيما زعمت ، ففي اعتقادي أيضا أن القالي لو لم يجد طلبته في هذه القصص والأخبار ، وكان في حاجة الى ذلك الاطار المناسب الشيق الذي يقدم به درسه للطلاب ، وكان مع هذا أيضا ذا خيال خصب ، وروح مرحة خلاقة ، لاضطر الى وضع قصص أخرى ، مثلما يحكون عن شيخه ابن دريد . فليس القالي ملوما اذا هو غض الطرف عن أصل هذه القصص ، واهتم بها وأثبتها في كتابه ، ولا سيما أنه كان يخدم غايتين بذلك ، غاية آنية مهنية ، هي التي تحدثنا عنها ، وغاية بعيدة تتمثل في كونه احتفظ لنا بنصوص أدبية تصور مرحلة من مراحل النثر العربي ، والقصة خاصة .

(3) الأمثـال

ولأبي علي عناية بالأمثال ، سابقة على تأليف الأمالي . فقد روى فيها كثيرا من الكتب والرسائل الخاصة التي أدخلها الى الأندلس ، ككتاب الأمثال لأبي عبيد (260) ، وكتاب الأمثال للأصمعي (261) ، وكتاب الأمثال لأبي زيد (262) ، فضلا عما استفاده

(260) ابن خير (ص 339) .
(262) نفس المصدر (ص 371) .
(261) نفس المصدر (ص 340) .

ورواه في كتب اللغة والأدب الأخرى كالغريب المصنف ، والجمهرة ، وأدب الكتاب ، وكتب الأمالي والنوادر التي لا تخلو في العادة من أمثلة متعددة للأمثـال العربيـة وقصصها . وسنجد القالي بالاضافة لهذا ، يعنى بوضع تأليف صغير في نوع خاص من الأمثال ، وهو كتابه (افعل من كذا ...) فلذلك لا نستغرب اذا كنا نجد في الأمالي ، من الأمثال ما يزيد على مئة وسبعين مثلا . روى أغلبها عن الأصمعي ، ثم عن أبي زيد ، وأبي عبيدة ، وابن دريد . وروى قدرا قليلا آخر عن غيرهم . وهو عدد يفوق ما في كتاب (أفعل ...) وذلك طبيعي ، لأن هذا الأخير قد خصص لنوع منها ، وهو ما كان على صيغة (أفعل ...) كأحسن من كذا ، وأقبح من كذا . بينما شملت أمثال الأمالي الصيغ عامة .

ودور هذه الأمثال في الكتاب لا يقل أهمية عن القصص والأشعار . فالمثل نوع جميل من القول المأثور السائر على الألسنة ، يستخدم في الاستشهاد أحيانا على ألفاظ اللغة وغريبها ، ويرتبط بقصة تحكي الظروف التي ناسبت قواه . بل يظهر أن كثيرا من القصص الخاصة بالأمثال ، لم يوضع في أصله الا ليكون شرحا لها . وفي الكتاب بعض أمثلة قليلة لهذا النوع من قصص الأمثال (263) .

(4) نصوص أخرى

ولم يخل كتاب القالي أيضا من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، الا أنه راعى فيها القصر مع أداء الغرض ، وهو أن تستوفي ما يتطلبه من شاهد أو حجة ، ولا سيما أن القراءات واختلافها ، تلعب دورا مهما في مجال الاحتجاج ، وكان القالي ممن احتكم الى ذلك مرات عديدة (264) . وكثيـرا ما كانت هذه الآيات والأحاديث مما يفتتح به مجـالسه العلمية ، (كما نشـاهد في أول الكتاب) ويجعلها أساسا لشروحه وتفسيراته وما يستنبطه من لغات وأقوال . فهي لا تختلف في غايتها عن أي نص من الشعر أو النثر .

وهناك بعد ذلك ، نماذج كثيرة من رسائل وخطب العصر الجاهلي والاسلامي ، وبعضهـا منسوب لخلفاء بني أمية كمعاوية وعمر بن عبد العزيز ، أو بعض ولاتهم وعمـالهم . وفي هذا المجال أيضا تدخل العظات ، والوصـايا ، والحكم الموجزة المختصرة التي تهدف الى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالروح والوجدان (265) .

---

(263) أنظر على سبيل المثال : الأمالي (1/19 ـ 2/19) .

(264) أنظر مثلا : (2/112 ـ 2/171) .
56 ـ 57 ـ 70 ـ 157 ـ 167) .

(265) أنظر من الخطب والحكم والوصايا ، الصفحات (1/240 ـ 252 ـ 273 ـ 283 ـ 2/20 ـ 29 ـ

مصـــادره

اعتمد القالي في الموضوع اللغوي ، على كبـار اللغويين المشـهورين الذين تتكرر أسماؤهم في كل كتاب من كتبه الموجودة ، أمثال الأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، وأبي عمور الشيباني ، وابن الأعرابي ، واللحياني ، وابن السكيت ، والفراء ، وثعلب ، والكسائي ، وغيرهم .

وأما الأصمعي خاصة ، فقد كان عنده ـ فيما يبدو ـ بمنزلة عالية شريفة من بين هؤلاء . فأكثر من النقل عنه في الأمثـال ، وأوصـاف الخيل ، والابل ، وخلق الانسـان . وانتهى سنده اليه في عديد من القصص والأخبـار التي تصور حياة الأعراب والبدو . بل لقد كان أثنـاء دراسته ببغداد ، متعصبا للأصمعي فيما رواه عنه البكري (266) . ولعله من قبيل تعظيم صاحبنـا للأصمعي ، ما نجده في الأمالي (ص 2/22) من دفاعه عن شرح هذا اللغوي الكبير لبيت ابن ميادة :

تبادر (267) العضاه قبل الاشـراق
بمقنعـــات كقعـــاب الأوراق

الذي رده ابن الأعرابي ، وخالفه فيه .

وأكثر نقـول الرجل في الموضوع الأدبي عن أبي بكر بن دريد ، وأبي بكر بن الأنبـاري ، ونفطويه ، والمبرد ، وثعلب ، وجحظـة ، وغيرهم . ونرى أنه بقدر ما أكثر من النقل عن شيخه الدريدي في رواية الأشعار والقصص والأخبار والخطب ... بقدر ما أهمله في رواية اللغة ، فلم ينقل عنه الا قليلا . وقد علل الدكتـور حسـين نصار ، عدم اكتراثه واهتمـامه به في (البارع) خاصة ، بأنه على حد تعبيره «آثر السلامة فلم يستق منه كثيرا على الرغم أنه أسـتاذه» (268) وذلك لما اتهم به ابن دريد من الوضع والاختلاق في اللغة من طرف معاصريه ومن تابعهم .

وفي الأمالي مع هذا ، طائفة قليلة من الكتب التي رواها عن شيوخه ، وقرأ فيها نصوصا نقلها الى أماليه ، مقيدا ذلك بمثل هذه العبارات (رويته في كتاب كذا ...) و (سمعته في كتاب كذا ، على الشيخ فلان ...) و (كنت قرأت في كتاب كذا) . وهذا يفيد أنه لا ينقل من الكتب البي سنذكرها مباشرة ، ولكنه يعود الى محفوظه ورواياته عنها . وهذه أسماء الكتب الواردة بالأمالي :

---

(266) اللآلىء (1/412) .

(267) كذا عند القالي . وفي اللآلىء (2/656) (تباكر) والمقنع : الفم الذي تعطف أسنانه الى الداخل . والقعاب جمع قعب . والأوراق جمع ورق وهو الفضة (الأمالي (2/22) .

(268) المعجم العربي (1/324) .

(1) الغريب المصنف (37/1-53/1-122/1-28/2-52/2) .
(2) نوادر ابن الأعرابي (84/1-165/1-102/2-233/2-237/2-320/2-50/3) .
(3) كتاب طبقات العلماء (269) لمحمد بن سلام [الجمحي] (157/1) وينقل عنه أشياء تتعلق بخلف الأحمر .
(4) أمالي أبي العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) (177/1) (قرأها على المطرز) .
(5) كتاب الصفات للأصمعي (181/1-193/2-285/2) .
(6) كتاب النبات للأصمعي (181/1) .
(7) كتاب لأبي بكر بن دريد (217/1-207/2 ، ولعله الجمهرة) .
(8) كتب الواقدي في المغازي (237/1 ، قرأها على ابن شقير) .
(9) كتاب الأبواب للأصمعي (246/1) .
(10) كتاب بخط [ابراهيم] بن سعدان (39/2-50/2 ، قرأ فيه القالي على نفطويه . وأنظر اللآلىء (ص 675/2) .
(11) كتاب المتناهي في اللغة لابن دريد (44/2) .
(12) اصلاح المنطق لابن السكيت (116/2) .
(13) مصحف ابن مسعود (139/2) .
(14) عيون الأخبار لابن قتيبة (159/2) .
(15) كتاب المثالب لأبي عبيدة (192/2) .
(16) كتاب لابن الأنباري (279/2) .
(17) كتاب المعاني الكبير ليعقوب [بن السكيت] (279/2) .
(18) نوادر ابن دريد (279/2) .
(19) المفضليات (130/3) .
(20) كتاب الخيل لأبي عبيدة (191/3) .

هذا فضلا عن كتابه (الممدود والمقصور) الذي أحال عليه ثلاث مرات (270) .

---

(269) هكذا ورد اسم هذا الكتاب بالأمالي . والمعروف لابن سلام ، هو كتاب (طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين) كما عند ابن النديم (ص 165) .
والعبارة التي ينقلها القالي من كتاب (طبقات العلماء) وهي قول ابن سلام : «.. كنا اذا سمعنا الشعر لابن محرز لا نبالي أن نسمعه من قائله ..» موجودة في (طبقات الشعراء (23/1) مع اختلاف قليل في اللفظ . وهذا نص العبارة في (طبقات الشعراء) : «.. كنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ، أن لا نسمعه من صاحبه ..» .

(270) ومن أوهام بروكلمان أنه ذكر في تاريخه : (كتاب المجالسات لثعلب) . وقال أن القالي ذكره في أماليه (213/2 تاريخ الأدب العربي) وليس هناك في الحقيقة اشارة لأي كتاب بهذا الاسم . والذي أحال عليه القالي هو اسم (الأمالي) لثعلب كما في القائمة ، وليس اسم (المجالسات) أو (المجالس) .

بين الأمالي والكامل للمبرد

ومما ذكره الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه (271) أن القالي نقل عن الكامل للمبرد ، ومجـالس ثعلب ، فأما المجالس أو (الأمالي) ، فهي حقا من المصـادر الكتابية المصرح بها كما رأينا في القائمة السـابقة . وأما الكامل ، فان ابن حزم الأندلسي كان أول من لاحظ وجود شبه قوي بينه وبين كتـاب القالي الذي وصفـه بقوله : «وهو مبار لكتاب الكامل لأبي العباس المبرد . ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا» (272) . ولعل هذا الشبه القوي بين الكتابين ، هو الذي جعل الأندلسيين يدرسون الأمالي بازاء الكامل . فمن درس الأول وحفظه ، درس الثاني وحفظه أيضا . غير أن ذلك لا يعني أن القالي نقل عن المبرد ، على سبيل القطع والجزم . بل يبدو لي أن القالي لم ينقل عن الكامل مبـاشرة ـ وهو لم يشر الى ذلك مرة واحدة ـ وانما كان يعتمد فيما ذكره للمبرد (ت 285 هـ) على رواياته عنه بواسطة أشياخه . فاذا كان هناك كثير من النصوص الشعرية والأدبية المشتركة بين الكتابين ، فالعلة فيها ما ذكرت . فالأبيات اللامية الموجودة بالكامل (2/10) لدعبل الخزامي وأولها :

نعـوني ولما ينعني غير شـــامت
وغيـر عدو قـد أصيبت مقاتلـــه

وردت عند القالي (3/111) مروية عن أسـتاذه ابن أبي الأزهر عن المبرد . واذا كنا لا نجد خلافا عندهما في الأبيات المذكورة ، فالخلاف موجود في أبيات أخرى من روي التاء لنفس الشاعر ، ذكر منها المبرد ثمانية ، وزاد عليها القالي ثمانية أخرى ، مع تقديم وتأخير في الترتيب واختلاف في ألفاظ الرواية (273) .

ومن ذلك أيضا الأبيات المنسوبة لأبي حية النميري في الأمالي (1/70) وعددها أربعة عشر ، لم يذكر منها المبرد في كامله الا بيتا واحدا (الكامل 3/134) ودون أن ينسبه لقائله ، وقد رواها القالي عن شيخيه نفطويه وابن دريد ، والأول رواها عن المبرد وثعلب .

فهذا يفيد أن القالي حين يقول في أماليه (قال المبرد ...) أو يقول : (ذكر أبو

---

(271) مناهج التأليف عند العرب (ص 361) .
(272) رسالة فضل الأندلس (ص 16) .
(273) الأمالي (3/111) ← الكامل (2/ص 9) .

العباس كذا ...) فليس يعني أنه ينقل عن كتاب الكامل ، وانما ينقل عن أشياخه (274) عن المبرد ما أخذوه عنه في مجالس تدريسه واملائه . والدليل على ذلك أيضا ، أننا نجد نصوصا كثيرة مروية عن المبرد ، ولا أثر لها في الكامل المطبوع (275) .

والذي يهمنا بعد ذلك ، هو المقارنة بين خصائص الكتابين التي نوجزها في النقط التالية :

(1) تأثر القالي في أماليه بطريقة المحدثين في ايراد الأسانيد وتقديمها بين يدي النصوص الواردة . بينما تكاد تختفي هذه الظاهرة من كتاب المبرد ، الا في القليل النادر . فهو في هذه النقطة أشبه بثعلب في أماليه منه بالمبرد في كامله .

(2) وتبعا للملحوظة السابقة فان شخصية أبي العباس المبرد تبدو أكثر حيوية وبروزا . اذ يفرض حضوره من خلال شروحه وانشاداته ، بينما تظل شخصية القالي محجبة وراء أولئك الرواة الذين ملأ بهم كتابه .

(3) وتمتاز شروح المبرد بالبحث عن المعاني الغامضة بدلا من شرح الألفاظ والمفردات ، كما هو طابع شروح القالي في أماليه .

(4) وتقل القصص والأساطير في الكامل وهي كثيرة في الأمالي .

(5) وفيما عدا ذلك ، فموضوعات الكتابين متشابهة .

شخصية القالي في الكتاب

اذا كنا قبل قليل ، قد قلنا عن شخصية القالي إنها ليست ذات أثر في الكتاب ، وانما ظلت متخفية وراء أسانيده ورجال رواياته ، فقد كنا نقصد بذلك الحكم العام ، وتبقى بعده استثناءات وجزئيات ، لولاها لداخلنا شيء من الشك في نسبة الكتاب لصاحبه . وهذه الاستثناءات التي تظهر فيها شخصية القالي ، لا تتمثل الا في تدخلات سريعة ومقتضبة بين الحين والآخر ، ويمكن حصر أنواع هذه التدخلات الموجزة في النقط التالية :

(1) التدخل لابداء حذر أو شك في رواية أو كلمة أوردها ، ومثال ذلك مما هو في الجزء الأول قوله «وقال أبو بكر (276) القعواء ، المتباعدة ما بين الفخذين ولم

(274) منهم أبو بكر بن أبي الأزهر ، ونفطويه ، وابن الانباري ، وابن درستويه ، وهم الرواة عن المبرد . وقد يستعمل القالي أحيانا هذه العبارة : (أنشدنا بعض أصحاب المبرد) أو (بعض أصحاب أبي العباس) كما في (ص 1/141) فيكون المقصود بهم هؤلاء .

(275) أنظر على سبيل المثال ما في هذه الصفحات من الأشعار المروية عن المبرد وليست موجودة بالكامل حسب فهرس أشعاره التي وضعها محققه أبو الفضل ابراهيم (الأمالي 3/49 – 115 – 121 – 126 – 127 – 128 – 170) .

(276) ويقصد به ابن دريد .

أسمع هذا من غيره . والذي ذكره اللغويون في كتبهم فيما قرأته الفجواء ، المتباعدة ما بين الفخذين» (277) .

(2) التدخل للتنبيه على أوهام العلماء ، واصلاح ما فسد في منطق العامة ، ومثاله قوله : «وقال اللحياني ، دورى ، ودؤرى ، يهمز ولا يهمز . قال أبو علي : دورى منسوب الى الدور . فأما دؤرى بالهمز فهو عندنا غلط» (278) .

(3) التنبيه على اختلاف الروايات عند العلماء . ومثاله قوله : «وكان أبو بكر ابن دريد ينشد (رجبيــة) (279) بتشديد الياء فقط . وأنشــدنا أبو بكر بن مجــاهد المقرىء عن أحمد بن يوسف التغلبي (رجبية) بتشديد الجيم والياء ، وكذلك أقرأني أبو بكر بن الأنباري في الغريب بتشديد الجيم والياء» (280) .

(4) ابداء رأيه في قضــايا لغوية ، والرد على بعض العلمــاء في تأويلاتهم وشروحهم ، ومثاله قوله :

«واللغويون يقولون : معقول ، أي عقل ، وأبو علي يقول : انما أراد بمعقول (281) أي ما له شيء عقل أي شد أي ليس له هناك عقل أمسك عليه» (282) .

(5) اصدار بعض أحكامه النقدية السريعة ، وبالخصوص فيما يسمى بالسرقات الأدبية . ومثاله قوله : «.. وقرأت على أبي بكر بن دريد ليزيد بن الطثرية :

عُقَيْلِيَّــــةٌ ، اما مَــلاثُ إزارهـــــا
فدِعْصٌ ، واما خصــرها فَبَتيــــلُ
تَقَيَّظُ أكنــــافَ الحِمَــى ويُظِلهــــا
بنعمــان من وادي الأَراك مَقيــــلُ
أليس قليـــلا نظـرةٌ إن نظرتهـــــا
اليــك وكلا ليس منــك قليــــلُ

(277) (1/105) . وأنظر حول هذا النوع الأمالي (1/93 – 2/ص 5 – 2/28 – 2/130) .

(278) (1/250) وأنظر في هذا النوع الأمالي (1/63 – 1/251 – 2/33 – 2/49 – 2/127 – 2/130 – 3/123 – 3/134 – 3/162) .

(279) أي في قول الشاعر :

ليست بسَنهاءٍ ولا رُجّبية   ولكن عرايا في السنين الجوائح

(الأمالي (1/125) والسنهاء التي أصابها الجدب والترجيب هو أن تعمد النخلة برجبة . وعرايا جمع عرية . وهي التي يوهب ثمرها .

(280) الأمالي (1/122) . وأنظر في هذا النوع وهو كثير (الأمالي) (1/162 – 1/165 – 1/183 – 2/148 – 2/323 – 3/8 – 3/158) .

(281) أي في قولهم : (ما له معقول) : أي عقل .

(282) (2/133) . وأنظر من أمثلة هذا النوع (1/95 – 2/167 – 194 – 237 – 248 – 270–275 .

قال أبو علي : أخذ من هذا اسحاق بن ابراهيم الموصلي ...

هل الى نظرة اليك سبيل
يُرْوَ منها الصدى ويُشْفَ الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي
وكثير ممن تحب القليل (283)

واذا أردنا أن نزيد شيئا على هذا ، لم نجد الا لفتات أخرى كان يلتفتها ليحدثنا في اقتضاب عن كتاب قرأه ، أو شيخ لقيه ، أو مجلس حضره . ومن أطرف ذلك ما نقله عن محاورة جرت في مجلس ابن دريد ، وكان فيها ابن خير الوراق يسأل الشيخ عن اشتقاق بعض الكلمات ، والقالي يسمع ذلك ويسجل (284) .

تقويم أخير

لا شيء عندي يصور قيمة هذا الكتاب أخيرا ، ويلخصها في أوجز عبارة ، وأدقها ، من قولة ابن خلدون المعروفة «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ، أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها» (285) .

وفي نسخة خطية ، من نسخ الكتاب المغربية ، كتبت ترجمة القالي بقلم أحد القراء أو النساخ وأولها «ومن أمثال أهل الغرب ، من لم يقرأ أمالي القالي ، فهو للأدب العالي قالي (كذا)» (286) .

ولعل الذي ضمن هذه الشهرة الواسعة ، والمكانة الرفيعة العالية لكتاب أبي علي عند أهل المغرب خاصة وفي العالم الاسلامي عامة منذ تأليفه الى الآن ، هو ما حفل به من النصوص اللغوية والأدبية الغزيرة ، التي أكثر الناس من النقل والرجوع اليها . فاذا عرفنا من خصائص القالي أنه موصوف عندهم بالثقة ، منعوت بالأمانة العلمية والتثبت في الرواية ، زاد ادراكنا لذلك جيدا . فقد وصفه الحميدي فقال : «وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والاتقان» (287) . وذكره

---

(283) (1/196) وخصر بتيل : هضيم ، دقيق . والدعص : قطعة من الرمل مستديرة . وأنظر من أمثلة هذا النوع (1/226-229-230) .
(284) أنظر (ص 2/117) .
(285) المقدمة لابن خلدون ج 4 (ص 1267) ط. 1 . تحقيق د . علي عبد الواحد وافي . القاهرة 1962 م.
(286) مخطوط الرباط رقم 1006 د .
(287) الجذوة (ص 155) .

السهيلي في أماليه فقال : «وهو ثقة» (288) وجعله السيوطي في المزهر ، عمدته ونموذجه الذي يأخذ منه النصوص ، ويضرب به الأمثلة على آداب اللغوي في التثبت والرواية ، والحفظ والأمانة .

وبالنسبة الينا ونحن نبحث عن شخصية القالي وأثره وتأثيره ، فان الكتاب يفيدنا في أشياء أكثر أهمية مما ذكر .

فهو يساعدنا على معرفة جوانب من حياة القالي في الشرق أيام سعيه لتلقي العلم ، والصبر على مكابدة مشاقه ، ومن لقي أثناء ذلك من الشيوخ والحفاظ والشعراء ، وما قرأه عليهم من كتب في موضوعات شتى ، ونوع الثقافة التي لقنها على أيديهم . فان ذلك كله يكون وثيقة هامة نؤرخ بها حياة القالي الفكرية . وانه لطريف مثلا ، أن نعرف كيف كان دخوله على شيخه ابن دريد وحضوره أول درس من دروسه ، وسماعه أول كلمة منه (289) . وطريف أيضا ــ فيما أحسب ــ أن نعرف شيئا عما كان يجري في مجالس بعض أساتذته ، وما احتج به مثلا على أبي بكر بن الأنباري وخالفه فيه (290) ، أو ما علق بذاكرته من أشعار هؤلاء الشيوخ كابن دريد ، وجحظة ، ونفطويه . والأطرف من هذا أن نعرف بالضبط المكان الذي قرأ فيه كتب المغازي على شيخه أبي بكر ابن شقير النحوي (291) .

ونحن بهذا كله نستطيع أن نفهم نوع الثقافة التي أدخلها الأندلس ، والمنهج العلمي الذي سلكه ثم بثه في تلاميذه .

وبعد ، فان الأمالي اذا ضم الى بقية كتب القالي ، فسيؤلف لا شك عنصرا هاما من الثقافة الشرقية التي دعمت الثقافة الأندلسية الناشئة .

---

(288) أمالي السهيلي (ص 117) .
(289) الأمالي (1/283) .
(290) نفس المصدر (1/270) .
(291) نفس المصدر (1/237) .

ثانيـا ـ أثر الأمالي في

الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس

بدأ اهتمام طلاب العلم والعلماء في الأندلس بكتاب الأمالي ، منذ الخميس الأول الذي جلس فيـه القالي لاملائه بالزهراء . وقد كانت الحلقـة الواسـعة من طلابه ومريديه ، هي أول طبقة تلقفتـه من فم صـاحبه ، ثم عملت على تدريسـه واقرائه وتقليده ، وشرحه وتلخيصه ونقده والنقل عنه في مصنفاتها . وعن هذه الطبقة أخذ الكتاب طريقه الطويل ، بواسـطة الرواية وكل أسـاليب الأخذ والتحمل المعروفة آنذاك . واسـتمرت الحال على ذلك طبقة بعد طبقة ، وجيلا بعد جيل ، حتى القرن الثامن الهجري . حيث نجد أحد رجالات الدولة النصرية بغرناطة يحتفظ لنا بسنده في رواية الكتـاب ، وهو أبو الحسن النباهي الجذامي . بل لقد ظلت سلسلة رواية الأمالي متواصلة في خفاء الى ما بعده بقرون . فان الأحداث الخطيرة التي أعقبت القرن الثامن ، من تشريد مسـلمي الأندلس وتفريق شملهم ، وتمزيق دولتهم ، وما صاحب ذلك من ظروف لا نحتاج لشرحها . قد جعلتنا لا نعثر على بعض حلقات هذه السلسلة الا في مطلع القرن الثالث عشر الهجري في سند صالح بن محمد الفلاني (ت 1218 هـ) المنحدر من أسرة أندلسية مهاجرة . فقد ضاعت اذن حلقات أخرى ما بين القرنين الثامن والثالث عشر . وسنرى من خلال الفقرات الآتية ، أن ما لقيه الكتاب من ذيوع وشهرة في الآفاق ، يضاعف بكثير ما لقيه أي كتاب آخر من تأليف أبي علي البغدادي . ولقد تجلى هذا الاهتمام في نواح متعددة ، نحاول ابرازها فيما يلي :

أ ـ روايتــه بالأندلس

انه من الطبيعي أن يكون طلبــة القالي والآخذون عنه ، هم أول من يحمل هذا الكتاب ويرويه . واذا كنا نخشى المبالغة ان قلنا ان كل تلاميذه من الطبقة الأولى قد أخذوا عنه الأمالي أو جزءا منه على الأقل ، فان الذين تأكد ابن خير الاشبيلي من شأنهم ، جماعة ذكر منهم تسعة عشر رجلا وهم :

(1) أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي .
(2) أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد القاضي .
(3) أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد .
(4) أبو عثمان سعيد بن عثمان القزاز .
(5) أبو علي الحسن بن أيوب الفقيه الحداد .
(6) أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل .
(7) أبو بكر بن مروان بن زهر الأيادي .
(8) أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري .
(9) أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب .
(10) أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الجسور .
(11) أبو القاسم محمد بن أحمد بن معارك العقيلي .
(12) أبو عمر أحمد بن سعيد بن ابراهيم ـ يعرف بابن الهندي ـ .
(13) أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري .
(14) أبو سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحي .
(15) ابراهيم بن عبد الرحمان التنيسي .
(16) القاضي أبو محمد عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي .
(17) القاضي أبو القاسم خلف بن غمرون .
(18) القاضي أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون (ابن السابق) .
(19) القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث (أخذ عنه يسيرا منها) (292) .

وبعد هذه الطبقة ، نجد من الذين اعتنوا برواية الكتاب وقراءته وحفظه ، عددا يصعب أن يأتي عليه احصاء ، وانما نكتفي هنا بذكر أمثلة قليلة منهم :

(1) **أبو عمر القرموني** قرأ النوادر سنة 395 هـ على أبي نصر هارون بن موسى الذي قرأها بدوره على القالي . وبقراءة القرموني أخذها أبو عبد الله الخولاني . نص على ذلك ابن الأبار (293) .

---

(292) فهرسة ابن خير (ص 325) .
(293) التكملة : الترجمة رقم 2245 (ص 184) (بالنسيا) .

(2) **أبو عبد الله محمد بن بهلـول الكفيف** (ت 460 هـ) من أهل يطليـوس ومن أصحـاب أبي عبد الله الحجـاري . قال ابن الأبار : «ذكره ابن عزيز ، وقال : دخل ينيشتة بلدي سنة 455 . فاجتمعنـا اليه في الكامل والنوادر ، وكان من القائميـن عليهما» (294) وواضح من الفقرة الأخيرة أن الكفيف كان يدرس الأمالي والكامل .

(3) **مسعود بن علي بن مسعود الأديب الأنصاري الأندلسي** من علمـاء القرن السادس الهجري . قال ابن الأبار : «وقفت على أخذ النوادر لأبي علي [القالي] عنه في صفر سنة 512 هـ» (295) .

(4) **أبو مروان حزب الله بن محمد بن علي بن عبـد الرحمـان الأزدي** من أهل لرية (عمل بلنسية) المتوفى سنة 585 هـ . قال عنه ابن الأبار : «وكان أديبا شاعرا حافظا كامل المبرد ، ونوادر أبي علي واقفا عليها» (296) .

(5) **أبو القاسم بن البراق : محمد بن علي بن محمد الهمـداني** من وادي آش المتوفى سـنة 596 هـ . روى عن أبي بكر بن رزق عن أبي عبد الله بن مكي ، كتـاب النوادر لأبي علي . وقد روى بجانب ذلك طبقـات الزبيدي ، والأشعار الستة شرح الأعلم ، والفصيح لثعلب ، والكامل للمبرد (297) .

(6) **أبو محمد عبد الله بن نتتان النحوي** ، ممن روى عن أبي عبد الله الحجاري ، وأبي الحجاج الأعلم . قال ابن الأبار : «وكان عالما بالعربية حافظـا لكتب الآداب والأشعار ، ذاكرا لكامل المبرد ، وأمالي أبي علي البغدادي» (298) ، ولم يذكر وفاته ، ولكنه قال انه علم بقرطبة في سنة 598 هـ .

(7) **أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الأوسي** من أهل قرطبة ، توفي قريبا من سنة 606 هـ . قال ابن الأبار : «وكان ذا رواية ، أديبا ، ذاكرا لأمالي أبي علي القالي» (299) .

(8) **أبو القاسم بن الطيلسان** ، سليمان بن أحمد بن محمد بن سليمان الأنصـاري المتوفى سـنة 607 هـ . قال ابن عبد الملك المراكشي : «قال أبو القاسم بن أخيـه : قرأت عليه بمتعبده من الجامع بقرطبة ، الغريب المصنف لأبي عبيد ، والأمثال له ، ونحو ربع أمالي القالي . وكان يحفظ هذه الكتب أو أكثرها» (300) .

---

(294) التكملة (393/1) ـ طبعة عزت العطار الحسيني ـ مصر .
(295) التكملة (716/2-717) ، طبعة الحسيني .
(296) التكملة (382/1) ـ الحسيني . ولعل الصواب في الكملة الأخيرة : (عليهما) .
(297) الذيل والتكلمة (463/6) .
(298) التكملة (811/2-812) ـ الحسيني .
(299) التكملة (99/1) ـ الحسيني .
(300) الذيل والتكملة (58/4-59) .

(9) **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع** من ساكني جيان توفى سنة 610 هـ . أو نحوها . قال ابن الأبار : «ورأيت السماع عليه في النوادر لأبي علي البغدادي سنة 592» (301) .

(10) **أم الفتح فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب القرطبي الشراط** المتوفاة سنة 613 هـ . قابلت مع أبيها صحيح مسلم ، والسيرة النبوية ، والكامل ، والنوادر (302) .

(11) **أبو العباس بن أبي عزفة** ، أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد اللخمي المتوفى سنة 638 هـ . سمع عن شيخه أبي محمد بن عبيد الله الحجري مختصر العين للزبيدي ، وأدب الكاتب ، والجمهرة لابن دريد ، والكامل للمبرد ، ونوادر القالي ، والمقامات . كما قرأ عليه وسمع المقصور والممدود للقالي أيضا . ثم قرأ على أبي القاسم عبد الرحمان بن علي بن عبد الرحمان الجذامي « الأمثال ، والنوادر ، والأشعار الستة» (303) .

(12) **ابو عبد الله بن الصفار** ، محمد بن عبد الله بن عمر الأنصاري الأوسي المتوفى سنة 639 هـ بتونس . سمع كتاب الأمالي على أبي عبد الله بن زرقون ، كما قرأ الكامل للمبرد على أبي الحسن بن لجبة (304) .

(13) **أبو الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي** المتوفى سنة 639 هـ . قرأ على أبي عبد الله بن حميد (النوادر لأبي علي القالي ومقامات الحريري وبعض الايضاح) . وهو من شيوخ الرعيني صاحب البرنامج (305) .

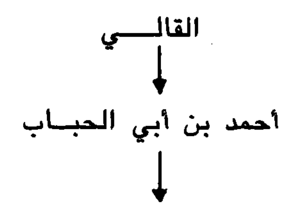
(14) **أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي** المتوفى سنة 666 هـ . (صاحب برنامج شيوخ الرعيني) . قرأ على أبي بكر **محمد بن طلحة بن محمد** بن حزم الأموي وسمع أكثر الكتب الأدبية واللغوية ، كالجمل ، والأشعار الستة ، وأدب الكاتب ، واصلاح المنطق ، وفصيح ثعلب ، والحماسة ، والمقامات ، قال : « وسمعت عليه كثيرا من كتاب سنيبويه ، ومن الكامل ، وشعر حبيب ، ونوادر أبي علي وغير ذلك ، على طريقة التفقه والتعلم ..» (306) .

(301) التكملة (592/2) - الحسيني .
(302) نفس المصدر (747/2) - كوديرا .
(303) برنامج شيوخ الرعيني (ص 44-45) . والمقصود بالنوادر في العبارة الأخيرة : نوادر القالي . أي أماليه .
(304) الذيل والتكملة (288/6) .
(305) برنامج شيوخ الرعيني (ص 60) .
(306) برنامج شيوخ الرعيني (ص 79) .

(15) **اشراق السويداء العروضية** ، مولاة أبي المطرف عبد الرحمان بن غلبون القرطبي الكاتب . قال السيوطي عنها «أخذت النحو واللغة عن مولاها ، ولكن فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي وتشرحهما (307) . قرأ عليها أبو داود بن نجاح ، وماتت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين وأربع مئة» (308) . وأما مولاها عبد الرحمان بن غلبون فقد كان تلميذا لابن أبي الحباب الذي أخذ الأمالي وغيرها عن الشيخ القالي ، وكان من أشهر تلاميذه . فلاشراق اذن سند واضح في رواية الكتاب وهي التي جلست لاقرائه بعد موت مولاها سنة 443 هـ (309) .

وسيطول بنا الأمر لو مضينا في تذييل هذه القائمة وتمطيطها ، بأسماء الرواة والآخذين للكتاب في مختلف العصور ، ولذلك سنكتفي بذكر ستة أسانيد لروايته بالأندلس ، أغلبها ينتهي الى القرن السادس الهجري ، وبعضها الى بداية السابع ، ثم الثامن الى الثالث عشر . وهي أسانيد أبي محمد بن عطية ، والقاضي عياض ، وابن خير الاشبيلي ، وأبي عبد الله التجيبي ، وأبي الحسن النباهي الجذامي ، وصالح بن محمد الفلاني – حسب الترتيب الزمني – موضحة في السلاسل الآتية . ومنها يبدو لنا خطر انتشار هذا الكتاب ، ومدى الاقبال والعناية التي لقيها بمر العصور .

1 – سند أبي محمد بن عطية (310)
في رواية الكتاب (311)



---

(307) وفي الذيل والتكملة (قسم الغرباء) المخطوط المصور بالرباط رقم 1705 د (ص 247) : (وتنصهما) .

(308) بغية الوعاة (ص 200) .

(309) التكملة (548/2) – كوديرا – وقد ورد اسم مولاها عند السيوطي (عبد الله) وورد اسمها عنده (السوداء) والتصحيح من الذيل والتكملة .

(310) هو أبو محمد عبد الحق بن عطية المتوفى سنة 541 هـ . (ترجمته في المرقبة العليا 109 – معجم الصدفي 259 – المطرب لابن دحية 91–213 – المغرب لابن سعيد 117/2 – الكتيبة الكامنة 269) .

(311) مستخرج من فهرسة ابن عطية . مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 130 ك (ضمن مجموع ص 24) .

أبو مروان بن حيـان

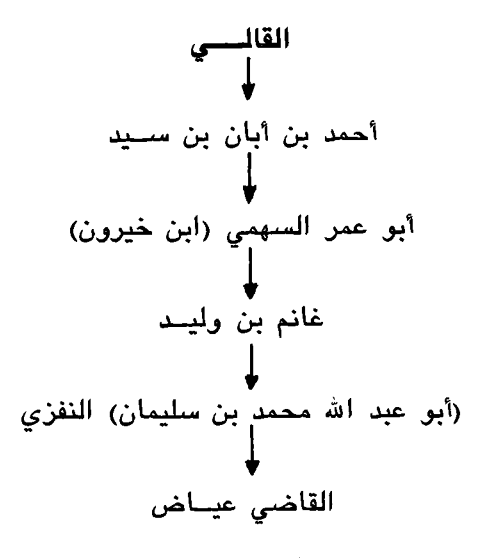
↓

أبو علي الغسـاني

↓

أبو محمد بن عطيـة

2 ـ سـند القاضي عيـاض (312)
في روايـة الكتـاب (313)



(أخذه قراءة ، ومناولة ، وسماعا)

وقد روى عياض كتاب الأمالي أيضا ، عن أستاذ آخر غير النفزي ، وهو الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوى التاهرتي (314) المتوفى سنة 501 هـ . ولكنه لم يذكر سند هذا الشيخ الذي روى عنه ، بالاضافة للأمالي ، كتاب الواضح للزبيـدي ، والكافي لأبي جعفر النحـاس ، وأدب الكتـاب لابن قتيبة ، والايضـاح للفارسي ، وفصيح ثعلب ، والمقتضب للمبرد . واكتفى بأن قال : «قرأت عليه أكثر

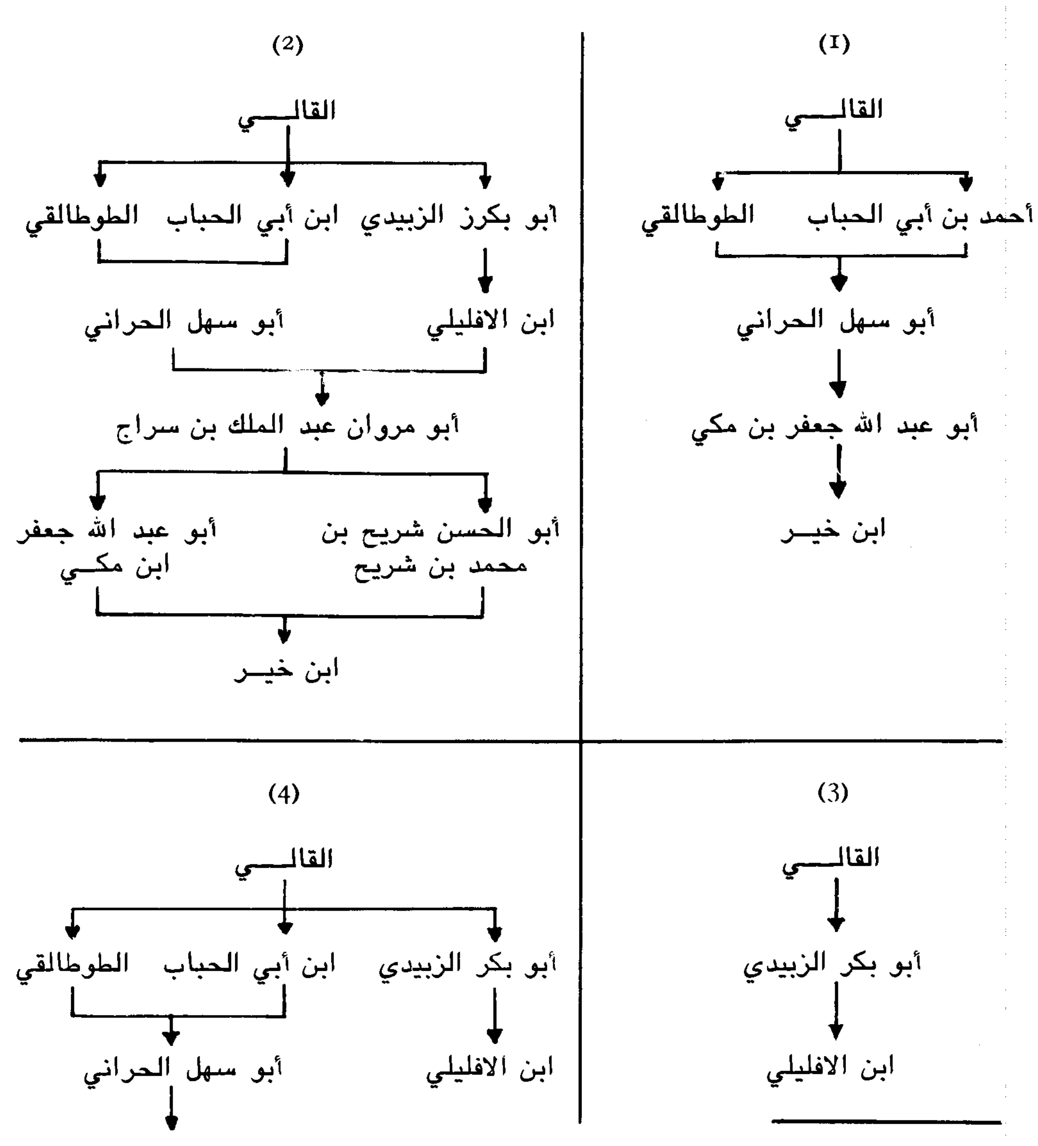
---

(312) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السـبتي المغربي ، توفى سـنة 544 هـ. بمراكش . ترجمته في : المرقبة العليا ص 101 ـ ومعجم أصحاب الصدفي 294 وغيرهما) .

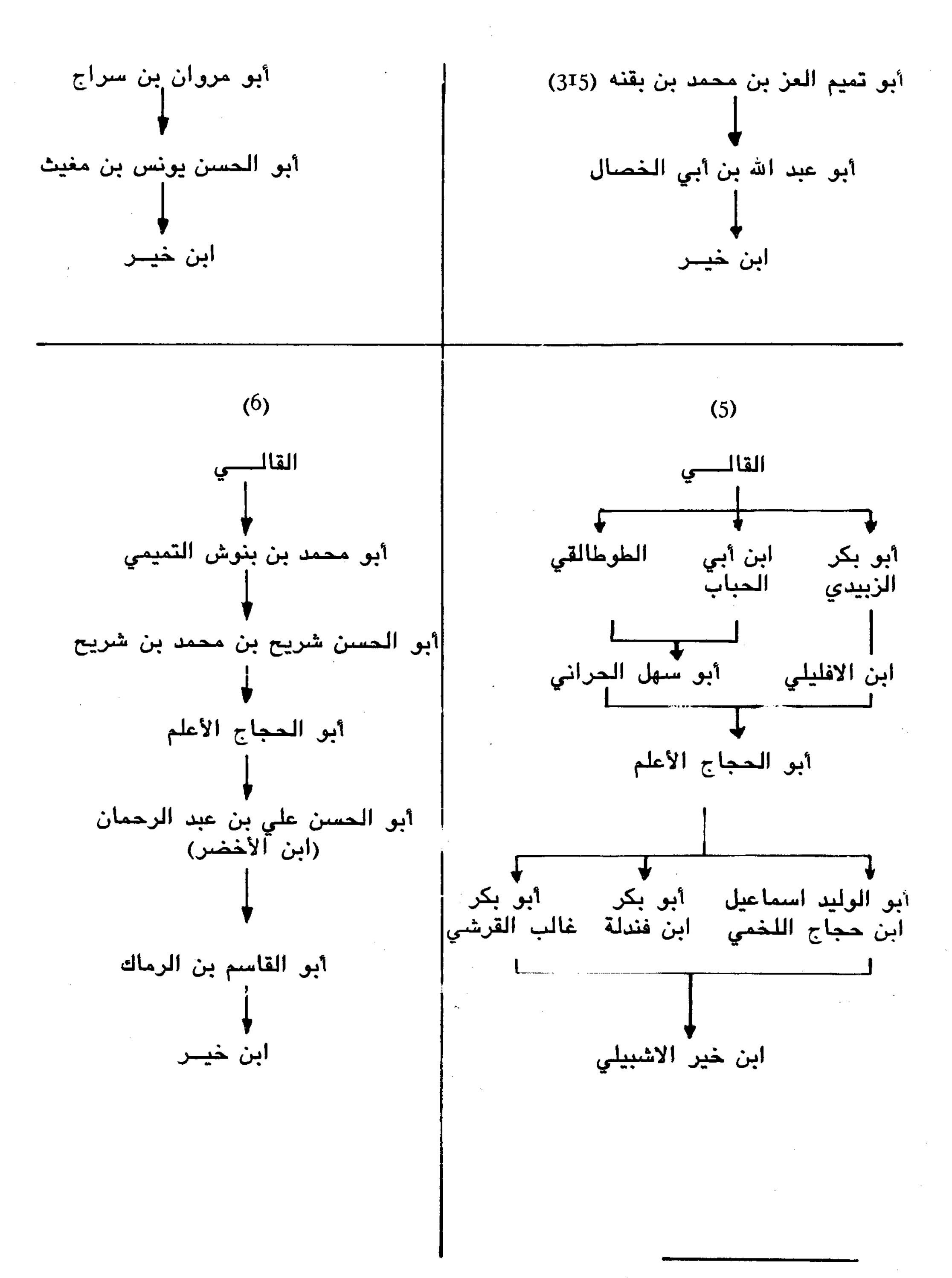
(313) مستخرج من فهرسته . مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1807 د (ص 25) .

كتاب الأمالي لأبي علي ، وسمعت عليه كثيرا من الكامل للمبرد ، وغير ذلك . ولم تحضرنا أسانيده فيها» .

3 ـ أسانيد ابن خير الاشبيلي
(ت 575 هـ) في رواية الكتاب



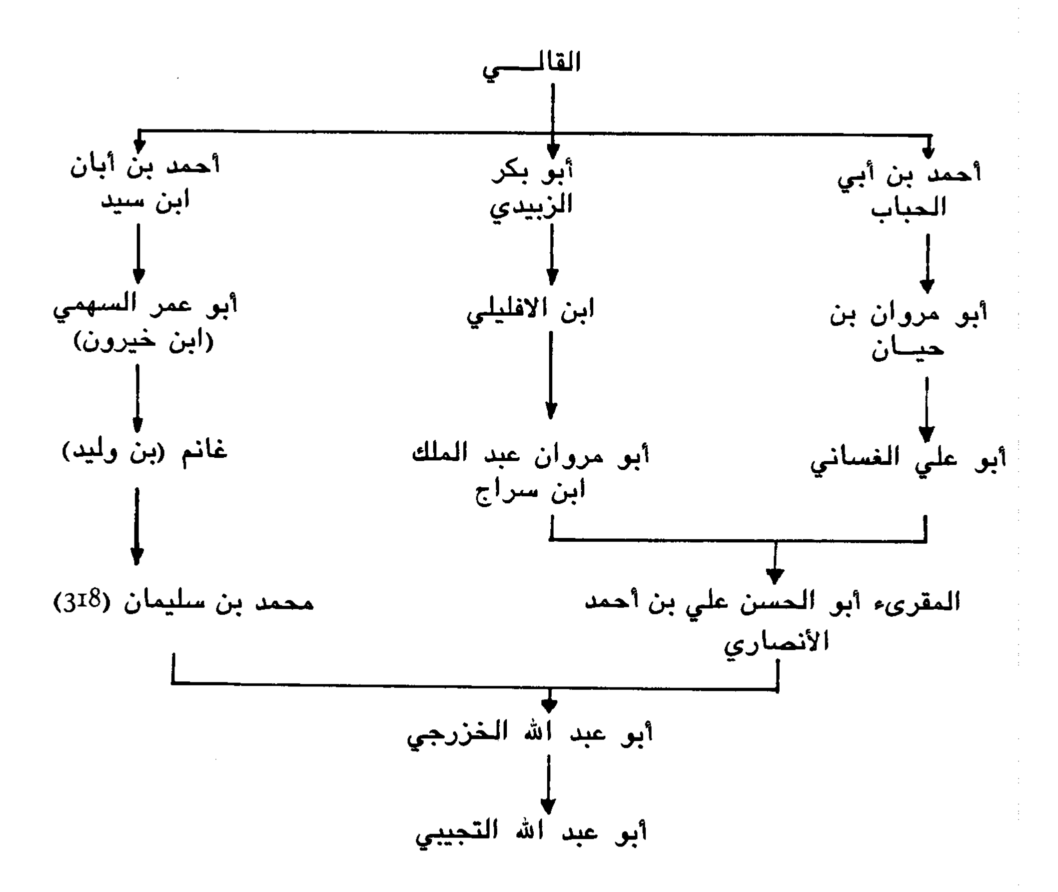
(314) فهرسة عياض (ص 79) . وقال عنه : (شيخ بلدنا في النحو . مشهور بالصلاح وله سماع عن الفقيه حجاج بن الماموني) .



(315) كذا . وربما كان الصحيح (ابن بقية) بالياء عوض النون .

فهذه جداول مفصلة للطرق التي وصل بها كتاب أمالي القالي ، الى ابن خير الاشبيلي في القرن السادس ، مستخرجة مما ذكره ابن خير نفسه في فهرسته (ص 323—324) .

4 ــ سند أبي عبد الله التجيبي (316) في رواية الكتاب (317)

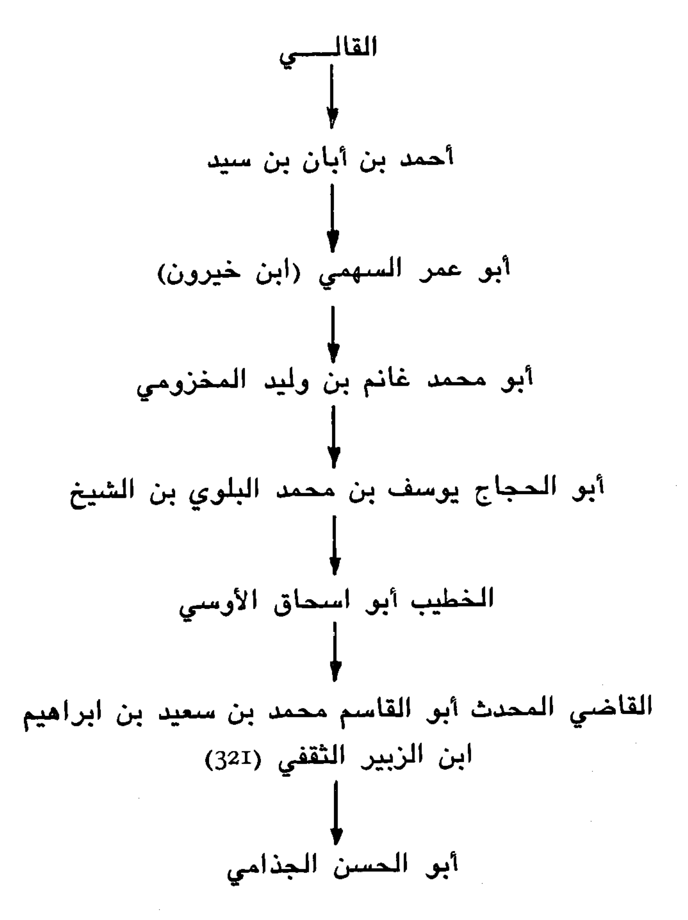


(316) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي الأندلسي المتوفى سنة 610 هـ بتلمسان . رحل الى المشرق ، ولقي هناك جملة من العلماء ، كأبي طاهر السلفي وغيره . (أنظر ترجمته في التكملة 588/2 ــ كوديرا ــ والذيل والتكملة 352/6 ــ وفهرس الفهارس للكتاني 191/1) .

(317) مستخرج من فهرسته ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 3110 ك الورقة 54 ، الظهر .

(318) وهو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي ، كما يرد اسمه دائما في أسانيد ابن خير .

5 ـ سـند أبي الحسن الجذامي (319) في روايـة الكتـاب (320)



على أن الجذامي قد روى الكتاب عن جمـاعة من الشـيوخ غير أبي القاسم الثقفي . ولكنه ـ كما ذكر ـ اكتفى بهذا السند .

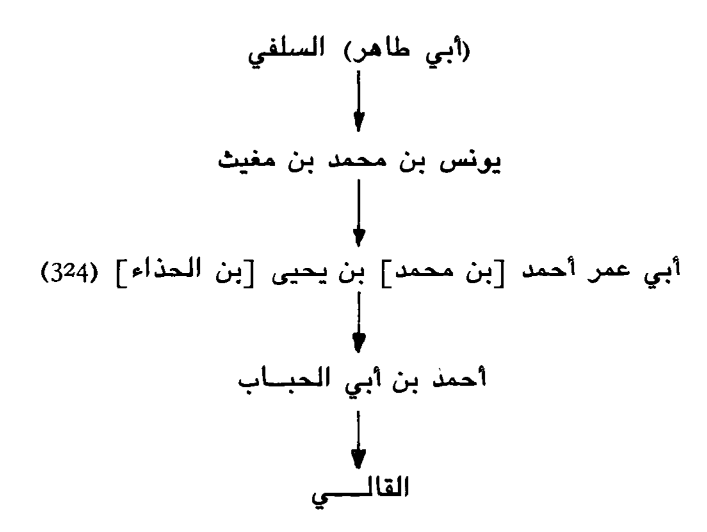
(319) هو أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي ، صاحب (المرقبة العليا) أو (تاريخ قضاة الأندلس) من علماء القرن الثامن الهجري . ولد سنة 713 هـ . وقال التنبكتي انه كان حيا سنة 792 هـ . ولم يعرف تاريخ وفاته . (أنظر نيل الابتهاج ، بحاشية الديباج (ص 205ـ206) ، طبعة مصر) .

(320) ذكر هذا السند في كتابه (شرح مقامة الاكليل في تفضيل النخلة عن ـ كذا ـ كرمة العنب) ، مخطوط الرباط رقم 328 ق (ص 101) .

(321) في الدور الكامنة (65/4) . ترجمة لمحمد بن سعيد بن ابراهيم بن عيسى بن داود الحميري (أبو القاسم المالقي) ، المتوفى سنة 751 هـ . ولعله هو المقصود هنا .

6 ـ سند صالح بن محمد الفلاني (322) في روايـة الكتـاب (323)

فاذا كان الفلاني قد نزح آباؤه ، وهاجروا من الأندلس الى أفريقية ، وكان هو نفسه قد مات في المدينة المنورة كما تدل على ذلك ترجمته ، وانه متأخر جدا . فان سنده مع ذلك ينتهي الى علماء الأندلس ، وذلك هو الجانب الذي يهمنـا . فقد ذكر الفلاني أن سنده ينتهي في رواية الأمالي الى :



وهذا السند المذكور ، وثيقة هامة في أيدينا بالنسـبة لكتاب الأمالي ، اذ به نفتح نافذة على واحدة من الطرق التي انتقل بها سنده من الأندلس الى المشرق . ذلك أن أبا طاهر السلفي الذي انتهى اليه سند الفلاني ، ليس أندلسـيا ـ كمـا هو معروف ـ ولكنه أصبهاني نزل الاسكندرية ، وقرأ بالعراق والشام ، وبلاد الجبل ،

---

(322) وهو صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري ، من ذرية الحافظ عليم بن عبد العزيز الشاطبي الأندلسي . نزل آباؤه في (فلان) قبيلة في السودان ، وتوفى سـنة 1218 هـ . وكان مولده سنة 1166 هـ . ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني (264/2 الى 269) ، ووردت له ترجمة مختصرة على غلاف مخطوطة كتابه (قطف الثمر) .

(323) مستخرج من كتابه (قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنّون والأثر) ، مخطوط الرباط رقم 1301 ك (ضمن مجموع) (ص 298) .

(324) ذكره المؤلف هكذا : (أبو عمر أحمد بن يحيى) وبالرجوع الى أسانيد أبي الحسن بن مغيث من خلال فهرسة ابن خير ، استطعنا أن نحقق هذا الاسم .

وخراسان ، والحجاز . وكان محدثا شهيرا . وله قصة ذكرها ابن الأبار في معجم أصحاب الصدفي ، تشرح لنا طريق روايته عن أهل الأندلس ، وكيف انتقل اليه سند بعض كبار علمائها ، كما تشرح لنا سند الفلاني المذكور . قال ابن الأبار في ترجمة السلفي «.. كان قدومه الاسكندرية في أول سنة (511 هـ) للسماع من أبي عبد الله بن الحطاب الرازي ، وفي نيته (325) اختراق بلاد المغرب والأندلس ، للأخذ عن أصحاب أبي عمر بن عبد البر وغيرهم ، ثم العود الى أصبهان بلده . فشغله أهلها بالسماع منه والاحسان اليه ، وأقام بها الى أن مات الرازي سنة 525 هـ . وقد استوفى مئة سنة ، فخلفه في الاسماع ، وطال عمره ليطول به الانتفاع . ومنها كتب الى أبي عمران بن أبي تليد ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي الحسن بن بقي ، وأبي الوليد بن طريف ، وأبي بحر الأسدي ، وأبي الوليد بن رشد ، وأبي علي بن سكرة ، وأبي جعفر بن جحدر ، وأبي الحسن بن عفيف ، وأبي القاسم بن صواب ، وأبي الحسن شريح بن محمد ، وأبي عبد الله بن الحاج ، وأبي الحسن بن مغيث وغيرد ، فأجاز له جميعهم اذ فاته السماع منهم . وأفادني تسميتهم مستفيدها من خط أبي الحجاج ابن الشيخ أحد أصحابه» (326) .

فمن هذه الترجمة نعرف طريق اتصاله بأبي الحسن بن مغيث الأندلسي الذي أخذ عنه كتات الأمالي ، فقد رواه عنه بالاجازة ، وهي احدى طرق الأخذ والتحمل .

على أن هذه ليست هي الطريق الوحيدة التي يكون سند الكتاب قد انتقل بها الى الشرق ، بل هناك طرق أخرى لم يتوصل بحثنا لمعرفة الكثير منها . ولا سيما أن أهل الأندلس بعد تشردهم من الوطن المفقود ، قد توزعتهم البلاد العربية شرقا ومغربا ، ومنهم الذين قصدوا مصر والشام ، كما قصد بعضهم تونس والمغرب ، وبلدان افريقية . على أن الصلات بين المشرق والمغرب لم تكن منقطعة قبل ذلك ، بل ظلت الرحلة للحج والهجرة للعلم والتجارة من أقوى أسباب تلك الروابط .

— فمن الذين نقلوا (الأمالي) أيضا الى المشرق ، المبارك بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب . فقد قدم الى الأندلس تاجرا في القرن الخامس الهجري سنة 483 هـ ، واغتنمها فرصة للأخذ عن علمائها . وفي ذلك يقول ابن بشكوال : «وسمع هو أيضا بقرطبة من أبي مروان بن سراج كتاب النوادر لأبي علي البغدادي ، وسمع أيضا بالمرية من أبي اسحاق بن وردون ، كتاب أحكام القرآن للقاضي اسماعيل ، وانصرف الى بغداد الى أن توفى بها بعد التسعين والأربعمئة» (327) .

---

(325) في معجم أصحاب الصدفي (بيته) وهو خطأ واضح مصحف عن (نيته) .

(326) معجم أصحاب الصدفي (ص 49—50) وتوفى أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني سنة 576 هـ . وأنظر وفاته أيضا في وفيات ابن قنفذ (ص 44) .

(327) الصلة (599/2) — الحسيني .

– ولا شك أن أبا الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن حزم (328) (ت 454 هـ) حين رحل الى المشرق ودخل بغداد ، وأقام بها مدة ، قد نقل معه الكتاب أو رواياته منه . فنحن نجد في تاريخ الخطيب البغدادي عند ترجمة أبي المياس شيخ القالي ، نصا موجودا بالأمالي (65/1) ويرويه الخطيب عن العلاء بن حزم الأندلسي عن أبي القاسم بن الافليلي عن أبي بكر الزبيدي عن أبي علي القالي (329) . وقد ذكر الحميدي أن أبا بكر الخطيب البغدادي كان واحدا ممن لقي أبا الخطاب وهو ببغداد ، فأخرج عنه في غير موضع من مصنفاته .

– وعرف الكتاب أيضا بتونس عن طرق كثيرة بلا شك ، لعلاقة الجوار القديمة بينها وبين الأندلس ، حتى لقد وصف ذلك ابن الربيب القيرواني بقوله : «لأنه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب ، أو رحلة قارب ، لو نفث من بلدكم مصدور ، لاسمع من ببلدنا في القبور ، فضـلا عمن في الدور والقصـور» (330) . وقد كانت تونس أيضا طريقا لحمل الثقافة الأندلسية والمغربية الى الشرق ومنها كتب القالي . فمن الذين حملوا كتاب الأمالي الى مصر من التونسيين على الأخص ، **أبو عبد الله محمد ابن محمد ركن الدين بن القويع** (331) المولود بتونس سنة 664 هـ ، وبها أخذ علومه حتى تمكن ، ثم جال في المشرق الى أن اسـتقر بالقاهرة حيث مات سنة 738 هـ ، وبها صحح عليه كتاب الأمالي . قال السيوطي : «وناب في الحكم في القاهرة ، ثم تركه وقال : يتعذر منه براءة الذمة . وجاء اليه انسان يصحح عليه أمالي القالي فكان يسابقه الى ألفاظ الكتاب ، فبهت الرجل ، فقال له : لي عشرون سنة ما كررت عليه» (332) . ومن قال لنا أن الكتـاب صحح عليه فقط ؟ فلقد أمضى ابن القويع بالشرق ثمـانية وأربعين عاما ، اذ كان وصوله لدمشق سـنة 690 هـ ، كمـا يذكر السيوطي ، فلا شك أنه أخذ عنه فيما أخذ قبل ذلك التاريخ أو بعده . وعلى كل حال فالمظنون أن ابن القويع قد درس الأمالي ببلده تونس ، وأرجح أن يكون ذلك على يد يحيى بن الفرج بن زيتون النحوي (333) أو آخرين ممن درس عليهم اللغة والنحو . ونفهم من النص أيضا أن نسخا من الكتاب كانت معروفة بمصر طلب منه أن يصحح عليه بعضها ، فضلا عما كان يحفظه .

---

(328) ترجمته في الجذوة (ص 298) – والصلة (444/2) ، طبعة الدار المصرية سنة 1966 م .
(329) تاريخ بغداد ج 14 (ص 427–428) الترجمة رقم 7789 . وأنظر شيوخ القالي في هذا البحث
(330) رسالة ابن الربيب (ضمن رسائل في فضل الأندلس) نشرها صلاح الدين المنجد (ص 2) .
(331) ترجمته في البغية للسيوطي (ص 97) – ودرة الحجال ، القسم الأول (ص 301) .
(332) أنظر بغية الوعاة (ص 97–98) .
(333) نفس المصدر (ص 97) .

– وفي الجزائر أيضا ، نجد الأمالي من جملة الكتب الأدبية وأمهات المصادر التي تدرس وتعلم في حلقاتها ، فقد قرأه هنالك أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704 هـ) على شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي (ت 673 هـ) . وفي ذلك يقول : «وقرأت عليه النصف من كتاب سيبويه ، وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي ، وقرأت عليه **جملة من الأمالي** ، ومن زهر الآداب ، ومن المقامات ، وقصائد متخيرات من شعر حبيب ، ومن شعر المتنبي» (334) .

– ثم ذكر الغبريني شيخا آخر من شيوخه الجزائريين ، وهو أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري (من القرن السابع) فقال (335) «حضرت مجلسه ، يقرأ فيه الايضاح والجمل ، والمفصل ، وقانون أبي موسى الجزولي ، ومقدمة ابن بابشاذ ، واصلاح المنطق ، ويعرف فيه شعر حبيب والمتنبي ، وأشعار الستة ، والمعري ، والحماسة لغير واحد ، ويقرأ فيه من الأدب المقامات ، **والأمالي** وغير ذلك من الكتب الأدبية والنحوية واللغوية» .

ولقد اشتهر هذا الكتاب في الغرب الاسلامي ، حتى صار اذا أطلق اسم (الأمالي) أو (النوادر) كان المقصود بهما أمالي أو نوادر القالي ، كما نلحظ في النصين السابقين .

وأما سند القاضي عياض السبتي المغربي الأندلسي ، الذي ذكرناه سابقا ، فهو بلا شك من احدى الطرق التي دخل بها الأمالي الى المغرب الأقصى . وبودنا لو أمكننا تتبع هذه الحلقات المتعاقبة في مجال أوسع ، لو أن موضوعية البحث واطاره المحدود ، يسمحان لنا بذلك .

ب – الدراسات والشروح التي قامت حوله بالأندلس

هذا هو الجانب الثاني الذي يصور منزلة الكتاب ، وما حظي به من اهتمام عند أهل الأندلس ، ويدل على بعض المسالك التي سارت فيها الثقافة الأندلسية ، وعلى مقدار تأثيره في دراساتها اللغوية والأدبية .

وأول دراسة قامت حول الكتاب من حيث الأهمية ، هي التي عني بها أبو عبيد البكري المتوفى سنة 487 هـ أو سنة 496 هـ ، في كتابين له : (كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي) و (كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) .

(334) عنوان الدراية (ص 94) .
(335) نفس المصدر (ص 103) .

(1) كتاب اللآلي في شرح الأمالي

وقد نال عناية جيدة من العلامة عبد العزيز الميمني ، فحققه وصححه ، ووضع حواشيه ، ثم طبعه سنة 1936 م بمصر ، تحت عنوان (سمط اللآلي) في ثلاثة أجزاء ، الجزءان الأولان منه ، تعليقات وحواش على (اللآلي في شرح أمالي القالي) . والجزء الثالث خاص بشرح (الذيل) و (صلة الذيل) على طريقة البكري . وذلك أن صاحب اللآلي في الأصل ، اقتصر على شرح الأمالي بجزئيه ، وأغفل الذيل وصلته ، لأن شهرة الأمالي قد غطت على شهرة ملحقه .

وأما مضمون الكتاب ومحتواه ، فيلخصه البكري نفسه في المقدمة فيقول : «هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي أملها أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ، **ما أغفل** ، وبينت من معاني منظومها ومنثورها **ما أشكل** ، **ووصلت من شواهدها** وسائر أشعارها **ما قطع** ، ونسبت من ذلك الى قائليه **ما أهمل** . وكثيرا ما يرد البيت المفرد ، والشعر الغفل المجرد ، على ما ذكرت في صدر كتابي في أبيات الغريب المصنف . **وذكرت اختلاف الروايات** فيما نقله أبو علي ، ذكر مرجح ناقد ، **ونبهت على ما وهم فيه** ، تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على جميع ذلك بالدليل والشاهد» .

ففي هذه المقدمة يرسم البكري منهجا وعد أن يفصل كتابه على مثاله ، بأن لا يقف موقف الشارح الذي لا يعدو تبسيط معقد ، وحل مشكل ، وتوضيح غامض ، بل كلف نفسه فوق ذلك أن يصل ما قطع القالي من الشواهد ، ويعزو منها ما أغفله الى قائليه ، ويورد اختلاف الروايات فيما حكى فيه المؤلف وجها واحدا ، ثم يصوب الأخطاء ، ويرد على الآراء ، وينبه على الأوهام بالأدلة والحجج . وهذا عبء ثقيل حقا ، لا يقوم بحمله ممن يروم التصدي لعالم جليل كبير كالقالي ، الا ذو القدرة والرسوخ في العلم . ولم يكن هذا الأمر معجزا للبكري ، الذي حوت خزائنه كثيرا من خطوط العلماء ونوادر المؤلفات ، والذي اشتهر بعدة تصانيف وتعليقات على كتب فحول اللغة وفرسانها ، كطرره على الكامل للمبرد (336) ، وشرح أبيات الغريب المصنف المذكور في هذه المقدمة ، وشرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام المسمى (فصل المقال) (337) ، وكتاب اشتقاق الأسماء ، وغيرها .. وكتاب اللآلىء وحده كاف ليعرفنا على ثقافة الرجل وسعة اطلاعه ، وما جمعته يده من نفائس

---

(336) منه نسخة خطية مصورة على الشريط (من الزاوية الحمزاوية) بالرباط رقم 179 ، مع طرر البطليوسي والوقشي .

(337) طبع بتحقيق الأستاذين : الدكتور احسان عباس ، والدكتور عبد المجيد عابدين ، بلبنان عام 1971 م . (دار الأمانة) ، وطبعاه قبل ذلك بالخرطوم .

وذخائر الكتب والعلوم . قال الميمني في مقـدمة السـمط «لا غرو أن البكري كان حريصـا على انتقاء الكتب ذوات الخطوط المنسوبة ، مغرما باقتنائها ، متثبتا في ضبط الألفاظ وتقييد الروايات .

«... ونرى صاحبنا وقف على الكتب التي أملى أبو علي منها النوادر ، وعلى أصوله كالابدال لابن السكيت ، وأمالي ابن الأنبـاري ، ونوادر ابن الأعرابي بخط أبي موسى الحامض ، وعلى كثير من المجاميع كالمنتسـخة من كتاب أبي سـعيد السكري ، وكتاب أبي علي بخطه الذي قرأ فيه على ابن دريد ، والكتاب الذي قرأ فيه على نفطويه ، وهو بخط ابراهيم بن سعدان ، وشعر ابن الأحمر . وذكر أشعار هذيل رواية القالي ، واصلاح المنطق روايتـه ، الى غيرها من أصول القالي وواياته . وقد وقف على كثير من غير خطه أيضـا ككتاب بخط ابن الأعرابي وآخر بخط ابن السكيت ، وأنسـاب عبد شمس للأصبهاني بخطه ، وشعر أمرىء القيس بخط ابن برد ، وكتـاب قرأه الزجاج على الزبيدي ، وأثبت عليه خطه ، وكتـاب بخط ثابت الجرجاني ، وآخر بخط عبد الله بن حسين بن عاصم اللغوي الى غيرها» .

فهذه القائمة التي استخرجها الميمني من (اللآلىء) نفسه ، مما كان يشير اليه الكافية ليواجه رجلا شديد مراس العلم كالقالي ، وأن يقف على أوهامه وأخطـائه وما أغفله ونسـيه ، لأنه يملك الوثائق والأصول التي قابل عليهـا الأمالي . هذا بالاضافة الى ما اعتمد عليه من روايات شفوية انتهت اليه عن طريق تلاميذ القالي ، وعلماء الأندلس . ومن ذلك كله ، نرى كم كلف البكري نفسه وكم احتاج الى الرجوع لكتب القدماء وخطوطهم الموثقة ، في سبيل اعداد دراسة وشرح للأمالي .

ونعود الآن لكتاب اللآلىء ، فنرى أن المؤلف قد وفى بمـا وعد حق الوفاء ، فاعتنى بدراسـة الأمالي دراسة جيدة دقيقة ، الا أن أهم ما في ذلك ، هو الجانب النقدي المتمثل في المآخذ والتنبيهات التي سجلها عليه ، والتي لا تخرج في جملتها عن النقط التي سنذكرها عند الحديث على كتاب التنبيه . واذا كان البكري قد اشتط أحيـانا في حق القالي ، فرماه بالقصور تارة ، وأتهمه بالجهل أخرى ، وبالغ في تخطيئه ، فان العلامة الميمني ، قد نصب نفسه مدافعا قوي الحجة ضد البكري ، فلم يكد يغفل مأخذا واحدا مما انتقده عليه ، دون أن يرده في السمط ، ودون أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب وراء الحجة التي تدعم رأي أبي علي ، وتعزز صواب روايته ، وترجح وجهة ما ذكره . حتى ليصل به الأمر مع أبي عبيد أحيانا ، حدا يمكن وصفه بالتعصب للقالي ، والاجلال والتقدير المفرط لعلمه .

– ومن أمثلـة هذه المآخذ والردود ، أن القالي قد فسر قول رجل من بني

العنبر لحن به لقومه «ان العرفج قد أدبى» . فقال : «أي أن الرجال قد استلأموا ، أي لبسوا الدروع» (338) استعدادا للحرب . فرد على ذلك البكري قائلا : «ليس في قوله : ان العرفج قد أدبى دليل على ما ذكره أبو علي عن الحرب ، ولا من عادة العرب أن يلبسوا الدروع الا في حال الحرب ، وأما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف ...» (339) . وعلق الميمني بدوره على هذا الرد فقال : «هذا تحامل منه على أبي علي ، مع أن هذا التفسير ليس له ، وانما هو لفظ ابن دريد في الملاحن وكل من نقل عنه ، وتقدمهم أبو عبيدة ... فالبكري قد أتى من سوء فهمه وقلة تدبره ، والعجيب أنه كرر مثل هذا في التنبيه ولم ينتبه لغلطه في ذات نفسه» (340) .

– ومن ذلك أيضا أن أبا علي قال في أماليه : «قول الشاعر : ''والناس كلهم بكر اذا شبعوا'' » (341) . يريد أن الناس كلهم عدو لكم اذا شبعوا كبكر بن وائل» . فرد أبو عبيد هذا التأويل قائلا :

« ولم يرد الشاعر هذا المعنى ، لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقلهم ، وانما يريد أن الناس اذا شبعوا هاجت أضغانهم وطلبوا الطوائل والتراث في أعدائهم ، فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم ...» (342) .

وعلق الميمني مدافعا : «هذا تشبع ، وتجشع من غير شبع . فاللفظ في الأمالي : «ان الناس كلهم اذا أخصبوا عدو لكم ، كبكر بن وائل» ، أي كل الناس ان بدت لهم فرصة يثبون عليكم ، فلا تحسبوا أن عداوتكم تقاصرت الى تميم فقط ، وهذا غير ما يريده بهذا الاسهاب الذي لم يزد فيه شيئا ولفظ أبي علي هو لفظ ابن دريد في الملاحن (...) حرفا بحرف ، وهو لفظ الأشنانداني (...) وكل من نقل عنه ... وهذا كما قال أبو تمام :

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها
سجية نفس ، كل غانية هند » (343)

(338) الأمالي (1/ص 7) .
(339) السمط (1/22) .
(340) نفس المصدر والصفحة هامش رقم 4 .
(341) الأمالي (1/7) وصدره : (ان الذئاب قد اخضرت براثنها) وهو من بيتين لرجل من بني تميم كان أسيرا فكتب بهما لقومه .
(342) السمط (1/23) .
(343) نفس المصدر والصفحة هامش رقم 3 .

فنلحظ في المثالين أن الميمني كان قوي الدفاع عن صاحبنـا ، وهو شيء كلفه عنـاء البحث والتنقيب عن وجه الحجـة التي يدعم بهـا رأي القالي ، ويعزز نظره وروايته . ثم انتهى الى اسـتخلاص هذه النتيجـة اذ قال : «تأملت ما أخذه به من الأغلاط ، فاذا معظمه من الغث البارد والرديء الكاسد . على أن البكري ، رحمه الله ، لم يسلم من معرة أمثاله ووصمة أوهامه» (344) .

ورغم موقف الميمني هذا من البكري ، فانه لم يقصر من جهة أخرى في الاعتراف بفضله وعلمه ، وذهب الى تقليده عندما شرح الذيل والنوادر ونهج مسلكه فيه وقال : «وقد تكلفت محاكاة البكري على ضعف متني ، وقلة حيلتي ، وان كان مثلي لا يدرك شأوه ، ولا يشق غباره ، فأنه ، رحمه الله ، كان يملك خزانة جليلة فيها من الخطوط المنسوبة ، كل علق مضنـة وكان في عصر ازدهر بالعلم وذويه ، وقـد حرمت ذلك كله» (345) .

(2) أما كتـاب التنبيـه

فقد طبعه ناشر الأمالي في سفر واحد مع الذيل والنوادر ، بتعليقات الأب اليسوعي أنطون صالحاني . غير أن محتواه الذي يدل عليه عنوانه لم يكن شيئا يختلف في كثير عما ورد باللآلىء من التنبيهات والتصويبات والنقود . ولذلك قال العلامة الميمني : «وهذه التنبيهات توجد في اللآلىء أوْفَى وأوعب مما في (التنبيه) ، وكأنه ، رحمـه الله ، التقطها من اللآلىء ، وأفردها في كتاب مفرز ، ليقدمه الى المعتمد (346) ويسمه باسمه ، فأني لم أجد فيه شيئا زائدا على ما في اللآلىء ، اللهم الا أسطرا نقلتها في تعليقاتي ، فلم يبق فيه بقية ، فلا عليك ان لم تحوه خزانة كتبك» (347) .

ويمكن تلخيص أنواع مآخذه على القالي في (التنبيه) في النقط التالية :

(1) أبيات لم ينسبها القالي ، أو نسبها لغير أصحابها . فاستدرك ذلك البكري ، أو صحح ما أخطأ فيه (348) . ومن أقواله التي يكررها بهذا الصدد : «وأبو علي ، الله ، اذا جهل قائل شعر نسبه الى اعرابي» (ص 27) .

---

(344) هامش (ص 3) ج 1 من السمط .
(345) (ص 106) ج 3 من السمط .
(346) يقصد المعتمد بن عباد ، المؤلف له الكتاب .
(347) مقدمة السمط ص (ل) .
(348) أنظر من أمثلة هذا النوع ، الصفحات التالية من التنبيه : 16 ـ 22 ـ 23 ـ 26 ـ 36 ـ 37 ـ 44 ـ 45 ـ 105 .

(2) أشياء يرويهــا ثم يخطىء في تفسيرها (349) . فقد روى القالي مثلا ببيت الفرزدق :

يُفلِّقْنَ (350) ها مَنْ لم تنله سيوفُنــا
بأســيافنا هام الملــوك القمـــــاقم

وأورد احتجاجا على أبي بكر بن الأنباري الذي قال بتذكير (الهام) اذ كان رأي القالي تأنيثها . فقال البكري : «لم يوفق أبو علي – رحمه الله – في هذا الاحتجــاج لأنه أنكر المعروف ، وعرف المنكر . كيف ينكر تذكير (الهام) ، وهو يروي في شعر النابغة ويروي :

بضرب يزيــل الهـــام مــن ســـــكناته
وطعن كايزاغ المخاض الضــوارب» (351)

(3) أخطاء وتصحيف وتخلبط في بعض ما يرويه ، ومن أطرف ذلك ما استدركه عليه في وزن هذا البيت :

كأنمــا وجهك ظل من حجـــر
خَضِل في يوم ريح ومطـــــر

فقال البكري : «خضل في يوم ريح ومطر × غير صحيــح الوزن وانمــا هو : × ذو خَضَل في يوم ريح ومطر × كذلك أنشده الرواة ...» (352) .

(4) اهماله تفسير بعض الأبيات ، واقتصاره فيما يفسره على الظاهر من الألفاظ دون الباطن من المعاني . قال تنبيها على أبيات لم يفسرها القالي : «وهذا مما أهمله أبو علي ، ولم يفسر معناه والمراد به . وكثيرا ما يشــغله ظاهر اللغة عن تفســير

---

(349) أنظر من أمثلة هذا النوع ، الصفحات التالية من التنبيه : 17 – 18 – 29 – 36 – 42 – 59 – 107 .

(350) تفسر (ها) هنا على أنها حرف تنبيه ويروى (يفلقن هاما) .

(351) التنبيه (ص 85) وزغت الناقة وأوزغت ببولها : رمته دفعة دفعة . والمخــاض : الحوامل من النوق أو العشــار التي أتى عليها من حملها عشرة أشــهر – الضارب : الناقة تضرب حالبها – (القاموس) .

(352) (ص 90) – التنبيه – وهو في الأمالي (12/2) كما ذكر البكري ويظهر انه من تصحيفات النساخ اذ سقط حرف (ذو) من أول الشطر .
فليس هذا وأمثاله مما يؤاخذ به القالي . وأنظر من أمثلة هذا النوع ، الصفحات التالية من التنبيه : 20 – 24 – 25 – 31 – 32 – 34 – 35 – 37 – 38 – 46 – 47 – 50 – 52 – 59 – 62 – 68 – 69 – 87 – 109 .

غامض المعاني ، وقد أفردت لشرح معاني نوادره كتابا غير هذا» (353) يقصد كتاب اللآلىء .

(5) **اسقاطه من الشعر ما يخل بمعناه** (354) .

(6) **اتباعه لأخطاء سابقيه** (355) .

وهكذا نلحظ أن الفرق بين كتابي البكري هو أن اللآلىء توسع صاحبه ، فأورد فيه الشروح والتصويبات ، والأخطاء المنبه عليها . وكتاب التنبيه عبارة عن جرد مرتب بخصوص تلك النقود والتنبيهات ، فكأنه اختصار من الأول .

ولا يحسب الناظر فيما تقدم ، أن البكري بتنبيهاته ونقوده كان يريد الغض من قيمة الشيخ القالي ، أو الطعن في معارفه ومداركه ، والتهوين من منزلته في نفوس الأندلسيين ، بل هو الذي يقول في مقدمة التنبيه :

«وأبو علي – رحمه الله – من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته :

× كفى المرء نبلا أن تعد معايبه × » .

وقد قامت على كتاب الأمالي ، شروح ومختصرات ودراسات أندلسية أخرى ، تعتبر اليوم في المفقودات . ونذكر هنا ما استطعنا معرفته منها :

(3) **نظام القرطين ، وضم أشعار السقطين** . كتاب لأبي العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري المتوفى سنة 555 هـ بفاس جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي ، وألفه ببجاية لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين كما قال ابن الأبار (356) . وقال ابن عبد الملك المراكشي : «نظام القرطين وضم أشعار السقطين ، كامل الثمالي ونوادر القالي ، وقفت عليه بخطه» (357) .

---

(353) التنبيه (ص 23) . وأنظر أيضا (ص 58) .

(354) أنظر التنبيه (ص 77 – 104 – 119) .

(355) التنبيه (ص 93) على سبيل المثال .

(356) التكملة (1/65) – الحسيني . وأنظر ترجمة التدميري أيضا في الوعاة (ص 138) – والأعلام للمراكشي ج 1 (ص 223) .

(357) الذيل والتكملة (1/236) . والمقصود بالثمالي : المبرد ، نسبة الى ثمالة قبيلة من الأزد .

(4) **شرح لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم** ويعرف بالأعلم البطليوسي . سكن اشبيلية وتوفي سنة 637 هـ . قال ابن الأبار « «وله شروح في الايضاح ، والجمل ، والكامل ، والأمالي ، وغيرها» (358) .

(5) **مختصر لأبي العباس أحمد بن عبد المنعم الشريشي** شارح المقامات والمتوفى سنة 619 هـ . ذكره غير واحد من أصحاب التراجم (359) .

(6) **شرح أشار اليه ابن القاضي في درة الحجال** (360) ضمن مصنفات أبي عبد الله محمد بن يوسف النفزي الغرناطي ، الشهير بأبي حيان النحوي المتوفى سنة 745 هـ . وسماه (الأمالي في شرح القالي) ـ كذا ـ فان صح له هذا الكتاب ، فقد يكون شرحا على الأمالي .

(7) **كتاب المؤاخي النادر في الجمع بين اللآلىء والنوادر** ، لأبي عبد الله الرعيني ، ذكره العيني في المقاصد النحوية (361) ونقل منه ترجمة للعجاج وابنه رؤبة .

(8) **كتاب «نكت الأمالي»** لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي

النحوي (ت 745 هـ) . ذكره ابن شاكر الكتبي في الفوات (362) أثناء ترجمته لأبي حيان . ولا شك أن هذه الأمالي المذكورة هي أمالي القالي .

ولا شك أن بلاد الأندلس عبر عصورها الطويلة ، عرفت حركة تأليف أوسع مما ذكر حول الأمالي، تعوزنا الآن أسماؤها . على أن بعضها كان يتمثل في تعليقات وحواش وطرر ، مما يضعه العلماء عادة على الكتب التي يهتمون بقراءتها . وقد وقع الأستاذ الميمني على نسخة خطية عتيقة من الكتاب محفوظة بدار الكتب المصرية .

---

(358) التكملة (170/1) ـ الحسيني ـ وترجم له السيوطي في الوعاة (ص 185) . وقال انه (ابراهيم ابن قاسم ..) وجعل وفاته سنة 642 أو 646 هـ .

(359) الوعاة (ص 143) ـ النفح (316/2) ـ التكملة (111/1) (الحسيني) ـ معجم شيوخ الرعيني (ص 90) ـ الذيل والتكملة (270/1) .

(360) درة الحجال . القسم الثاني (ص 213) . وأنظر ترجمة أبي حيان المذكور أيضا في بغية الوعاء (ص 121) .

(361) المطبوع على هامش خزانة الأدب (26/1) ، طبعة بولاق . واذا كنت لا أعرف من هو أبو عبد الله الرعيني هذا . فاني أرجح أن يكون هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان الرعيني الوشقي المتوفى بمراكش في حدود سنة 620 هـ . وهو صاحب اختصارات كثيرة ، كاختصار المحكم لابن سيدة ، والمطمح ، والقلائد لابن خاقان وغيرها . وترجمته في الذيل (96/6) والوعاة (ص 5) .

(362) أنظر فوات الوفيات ج 2 (ص 501) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر 1951 م .

قال : «وهي أصل علماء الأندلس ، ولهم طرر عليها كالوقشي وغيره (363) . كتبت سنة 486 هـ ، لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر» (364) .

جـ - النقـــول والاقتباســات

والناحية الثالثة التي يتجلى فيها اهتمامهم بالأمالي ، وتبرز بها مكانة الكتاب في الدراسات الأدبية واللغوية ، هي النقول والاقتباسات منه في مؤلفاتهم ، وهي من الكثرة بحيث تضطرنا الى الاختصار في التمثيل .

فقد نقل عنه :

– أبو عبيد البكري في كتابه (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) ، وطرزه على الكامل للمبرد (365) .

– وأبو الوليد هشام بن أحمد بن هشـــام الوقشي (ت 489 هـ) في طرره على كامل المبرد خلال مواضع كثيرة (366) .

– وأبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) في طرره على الكامل خلال مواضع متعددة ، وفي كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) حيث جعله من مصادره الأساسية في الشرح والتخريج .

– وأبو الحسن علي بن بســـام (ت 542 هـ) في مواضع متعـددة من كتـاب (الذخيرة) .

– وأبو القاسم السهيلي (ت 581 هـ) في أماليه (367) .

– وأبو جعفر أحمـد بن داود الجـذامي (ت 593 هـ) في شــرح مقـامات الحريري (368) .

– وأبو العباس الشريشي (ت 619 هـ) في شرح المقامات أيضـا في مواضع عديدة . على أن الشريشي كانت له عناية خاصة بالأمالي ، فقد اختصره كما سبق

(363) هو أبو الوليد الوقشي صاحب الطرر على الكامل للمبرد ، الموجود منها نسخة مصورة على الشريط بالرباط تحت رقم 179 مع طرر البطليوسي والبكري .

(364) السمط (ص 346) ج 1 ، هامش رقم 3 .

(365) هذه الطرر عبارة عن كتيب في 11 صفحة ، مضموم اليها طرر الوقشي والبطليوسي على الكامل (مصور على الشريط رقم 179) بقسم الوثائق بالرباط .

(366) المصدر السابق ، وأنظر ترجمة الوقشي في الوعاة (ص 409) .

(367) أنظر (ص 117) وقابله بالنص الموجود في أمالي القالي (69/2) .

(368) مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1266 د ، وأنظر ترجمته في التكملة (92/1) – الحسيني – والذيل وتكملة (115/1) .

القول ، وقرأه على ابن زرقون مع الكامل للمبرد ، وقد نص على ذلك هو نفسه في هذا الشرح فقال : «وحدثني الفقيه أبو عبيد الله ابن زرقون في بستانه بطريانة أيام قراءتي عليه النوادر والكامل ، وكان ، رحمه الله ، ذاكرا بالطريقة الأدبية مع تميزه بالطريقة الفقهية» (369) . وكان اذ ذاك صغيرا .

– وأبو الحسن النباهي الجذامي (ت بعد سنة 792 هـ) ، نقل في شرح مقامته (الأكليل في تفضيل النخلة ...) (370) من الأمالي أشياء كثيرة . وقد كان للنباهي فوق ذلك اعجاب خاص بالقالي وكتابه ، فبعد أن أورد ترجمته (من ص 99 الى ص 101) نقلا عن الزبيدي في طبقاته ، علق على ذلك بقوله : «قلت : وفي هذا القدر من التعريف بالحافظ أبي علي كفاية ، وعندنا من الثناء على مصنفاته أضعاف ما قاله الزبيدي على تقدمه وامامته ، وبخصوص على الكتاب المسمى بالنوادر . وقد أثبت في هذا المجموع من نوادره جملا ما بين منظوم ومنثور» .

– وأبو الطيب صالح بن شريف الرندي (ت 684 هـ) في كتابه المسمي (الوافي في نظم القوافي) (371) .

– وأبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار في (اعتاب الكتاب) (372) .

وهذا قل من كثر ، وغرفة من بحر ، مما يمكن احصاؤه وتتبعه من هذه النقول والاقتباسات . فقد ظل الكتاب طوال الوجود الأندلسي مصدرا لا يستغني عنه الأدباء واللغويون والمتعلمون والدارسون . على أن كثيرا من المؤلفين كانوا يغفلون الاشارة الى نقولهم من الكتاب وان صح أخذهم منه ، كما فعل الزبيدي في (لحن العوام) (373) وابن سيدة المرسي في (المخصص) . وقد رأينا من قبل انه أتى بكثير من أمثلة الاتباع وشرحها على نحو ما فعل القالي .

د ـ جانب آخر من أثر الكتاب : المحاكاة والمعارضة

اذا كان (الأمالي) قد أسهم بشكل فعال في خلق حركة علمية جديدة تتمثل في تلك الدراسات والشروح والنقود التي قامت حوله ، على قلة ما استطعت معرفته

---

(369) شرح الشريشي (123/3) .

(370) مخطوط الرباط رقم 328 ق .

(371) مطبوع على ورق الاستنساخ بتحقيق الأستاذ محمد الخمار الكنوتي .

(372) تحقيق الدكتور صالح الأشتر ط. المجمع العلمي بدمشق سنة 1961 م .

(373) أنظر على سبيل المثال ، الصفحات (23 ـ 34 ـ 80 ـ 84 ـ 88 ـ 89 ـ 93 ـ 127 ـ 143 ـ 145 ـ 156 ـ 162 ـ 179 ـ 191 ـ 207 ـ 223 ـ 259) من (لحن العوام) .

منها ، فان هناك طرقا أخرى أسهم بها الكتاب بصفة غير مباشرة في توفير جو علمي من نوع آخر ، وذلك حين اضطر بعض المعجبين به الى تقليده ومحاكاته ، موضوعا وطريقة ، واضطر بعضهم الآخر ، من منافسي سمعته ومكانته العلمية ، الى نقضه أو معارضته .

واذا كنا لا نجد على هذا الزعم أمثلة كثيرة ، ولا أدلة متوافرة ، فان لنا منها على الأقل مثلا أو مثلين . أولهما : كتاب (الفصوص) الذي دفع صاعد البغدادي الى تأليفه بوازع المنافسة ، وحب الظهور ، والتعفية على آثار القالي ، فلم يلتفت اليه الناس التفاتهم للأمالي ، ولم يحملوه عنه حمل المكترث المهتم . بل سخروا منه وأتهموا صاحبه بالكذب ، وأوهوا حجته في الرواية ، ومنهم ابن العريف (ت 390 هـ) أحد رجال الطبقة الثانية من تلاميذ القالي ، صاحب ذلك البيت الشهير الذي قاله حين علم بغرق كتاب صاعد على سبيل السخرية والاستهزاء :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص
وهكذا كل ثقيل يغوص (374)

ولقد حاول صاعد (375) سواء في (الفصوص) أو غيره ، نقض بعض ما جاء به القالي في أماليه وبارعه . من ذلك ما يرويه بكتابه المذكور ، من أنه استطاع أن يأتي بثمانية عشر اسما من أسماء القيم على المال (376) ، حين لم يستطع القالي أن يذكر منها غير سبعة أو ثمانية . وان كانت هذه الدعوى غير دقيقة ، اذ أن ما ذكره القالي في أماليه (322/2) من هذه الأسماء هو أحد عشر اسما ، وليس ثمانية ولا سبعة .

ومن ذلك أيضا ما يحكيه عن صاعد ، أبو عبيد البكري في اللآلىء (377) من خلال هذا النص : قال البكري :

تجللت عارا لا يزال يشبه
شباب الرجال نقرهم والقصائد

---

(374) معجم الأدباء ج 11 (ص 284) .

(375) توفي صاعد سنة 410 هـ . بصقلية ، وترجمته في : أنباه الرواة (85/2) - والذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد 1 (ص 2) - والوعاة (ص 267) .

(376) الفصوص ج 1 (ص 78) . مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1668 ك .

(377) السمط (429/1 - 430) .

هكذا الرواية عن أبي علي التي لا اختلاف فيها . ويروي (نثرهم والقصائد) في بعض طرر الكتاب . وأخبرني من أثق به ، أن صاعد بن الحسن كان يرد هذه الرواية في البيت ويقول : ان الصحيح :

تجللت عارا لا يزال يشبه
سباب الرجال نثره والقصائد (378)

سباب ، بسين مهملة . يريد نثر السباب ونظمه . قال : ولا وجه لتخصيص شباب الرجال هنا لأن مشايخهم أعلم بالمناقب والمثالب ، وأروى للممادح والمذام . قال : وأما ذكر النظم والنثر ، فقد حصر جميع الكلام ، وطابق بين الألفاظ . وما بال ذكر النقر مع القصائد ؟ وقال المحتج لأبي علي : النقر هنا الغناء وهو للشباب دون الكهول . وقيل أن معنى النقر هنا : السب والعيب . ومنه قول امرأة من العرب لزوجها : ''مر بي على بني نَظَرّى ، ولا تمر بي على بنات نَقَرّى'' ، تعني : العيابات ، السبابات . تقول : مر بي على الرجال الذين يقنعون بالنظر دون السبب . وقيل معنى بنات نقرى هنا : من التنقير وهو البحث والفتش عن الأخبار . **ورواية صاعد بينة جلية ، وعن ذلك التكلف غنية** » .

ولا يهمنا أن نفاضل بين الروايتين هنا بقدر ما يهمنا الجو النقدي الذي حركه صاعد ، فوجد على اثره مناصرون للقالي ، ووجد مدافعون عن رأي صاعد ، كالبكري الذي رمى تفسير أصحاب القالي بالتكلف والغموض وتابع رأي صاحبه .

واذا كان صاعد قد حاول النيل بشكل أو بآخر ، من الأمالي الذي حمله واهتم به ما لا يحصى من رجال الأندلس ، فانه قد وجد معارضة قوية من تلاميذ القالي خاصة ، كالزبيدي وابن العريف والعاصمي ، الذين نهضوا بمناظراته ووقفوا في وجهه . ووجد من أنصار القالي ومدرسته ، من صنف في الرد على صاعد كتابا خاصا . فقد أخبرنا ابن بشكوال أن أحد تلاميذ القالي ، وهو المعروف بابن القزاز : سعيد بن عثمان بن سعيد (379) وضع كتابا «في الرد على صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي ، ضيف محمد بن أبي عامر ، في مناكر كتابه في النوادر والغريب ، المسمى بالفصوص ، وأكثر التحامل عليه فيه» (380) . أما الذين رأوا في الكتاب مثلا صالحا رفيعا ، فقد مضوا لا يأبهون لمثل هذه الأصوات الخافتة ، فرووا الأمالي وقرأوه وانتفعوا به على كل وجه .

---

(378) وفي الأمالي (170/3) : (سباب الرجال نقرهم والقصائد) .

(379) ذكر صاحب بغية الوعاة أنه توفى سنة 400 هـ . وذكر القفطي في أنباه الرواة انه توفى سنة 395 هـ . وستأتي ترجمته ضمن تلاميذ القالي .

(380) الصلة (204/1) ـ الحسيني ـ وما بعدها . وأنباه الرواة (44/2) .

واذا كنا لا نجد نماذج كثيرة من الكتب التي حذت حذوه وحاكته في موضوعه ، ونسجت على نوله ، بالاضافة الى (الفصوص) ، فان لنا مثالا ثانيا على الأقل ، فيما وصل اليه اجتهادي وهو كتاب **(سراج الأدب)** لأبي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الأندلس . قال فيه ابن سعيد : «صنفه على منزع كتاب النوادر لأبي علي وزهر الآداب للحصري» (381) .

وهكذا أخيرا ، نجد أنفسنا أمام كتاب لعب دورا أساسيا في تنشيط الحركة اللغوية والأدبية بالأندلس ، وترك أثرا متعدد الجوانب لم تمح صورته العصور ، ولم تبدد سمعته كثرة ما عرف بعده من مصنفات وأوضاع . على أننا لا نجد للكتاب فيما تلاه من الزمن عند الأندلسيين ، ما يضاهيه أو يبلغ شأوه في موضوعه .

(381) رسالة فضل الأندلس لابن سعيد ضمن مجموعة رسائل في فضل الأندلس التي نشرها د . صلاح الدين المنجد سنة 1968 م. (ص 25) . وتوفي محمد بن أبي الخصال سنة 540 هـ . ومن شيوخه أبو محمد بن عتاب . أنظر معجم أصحاب الصدفي (ص 144) .

الفصـل الرابـع

كتـاب البارع في اللغـة

أولا ــ الدراسـة

مقـدمة

لم تبق الأيام من هذا الكتاب الشهير لأبي علي ، غير قطعتين صغيرتين ، يحتفظ المتحف البريطاني بأولاهمـا (رقم OR: 9311ـ) ، وتحتفظ بالثانية المكتبة الوطنيـة بباريس (رقم 4235 De Slane's Catalogue).

ويمكننا أن نضيف اليهما قطعة ثالثة ، تستخرج من النقول الكثيرة الموجودة في الكتب الأندلسية ، وأهمها ما في حواشي نسخة القرويين من مختصر العين ، وما في (المستدرك على العين ...) للزبيدي ، و (معجم ما اسـتعجم) و (فصل المقال) لأبي عبيد البكري وغيرها ، ممـا لا وجود له بالقطعتيـن المتبقيتين من الكتـاب . وسنعرض لهذه النقول فيما بعد (382) .

ونستطيع من مقارنة القطعتين المخطوطتين ، أن نتبين فروقا بينهما ، نوجزها فيما يلي :

(1) تقع القطعة الباريسية التي سنرمز لها بحرف (ب) في 140 صفحة مكتوبة بخط أندلسي جميل ، مضبوط بالشكل التام .

أما القطعة الثانية ، فقد نشرها مصورة المستشرق (فلتن Fulton) بلندن سنة 1933 م ، وسنرمز لها بحرف (ف) ، وهي تقع في 148 صفحة من الحجم الكبير ،

---

(382) طبع الكتاب بتحقيق هاشم الطعان ، وصدر عن مكتبة النهضة ببغداد ، ودار الحضارة العربية ببيروت سنة 1975 م . ولكني لم أطلع عليه الا مؤخرا ، ولذلك فاني قد عولت في هذه الدراسة على الأصلين المخطوطين .

مكتــوبة بخط أندلسي ردىء ومزدحم (383) والصفحة من (ف) يقابلها حوالي أربع صفحات أو ثلاث صفحات ونصف من نوع (ب) . وبذلك يكون مقدار ما هو موجود من الكتــاب في (ب) صغيــرا جدا ، ويقــابل ما بين 35 الى 40 صفحــة فقط من حجم (ف) .

(2) تتضمن (ب) أجزاء من حروف ثلاثة هي (القاف والغين والخاء) في صورة مضطربة تحتاج الى ترتيب . وأغلب مادتها من الحرف الثاني ، وليس بها سوى ما يتعلق بأبواب الثلاثي صحيحا ومعتلا .

أما نسخة (ف) فتتضمن أجزاء وبقايا من سبعة أحرف هي : (هـ· غ· ق· ج· د· ط· ت) بالترتيب . وبهــا أبواب من الثنــائي والثلاثي بنوعيــه "والحواشي" ، "والأوشاب" ، والرباعي . وقد قام فولتن بترتيب هذه المواد الموجودة ترتيبا تقريبيا بعد الاضطراب الذي كانت عليه .

(3) ولا تلتقي القطعتان الا في حوالي 8 صفحات من نوع (ف) أي 28 صفحة من نوع (ب) . وبطريقة أخرى فانهما تلتقيان في تسعة عشر موضعا ، يوضحها الجدول التالي :

المادة	مكانها في (ف)	مكانها في (ب)	حالهـا
غمر	ص 42	ص 112–113 114–115	ســقط منهــا في (ب) أكثر من نصف صفحــة مــن نوع (ف) ، أي حوالي ثلاث صفحات من نوع (ب)
مرغ	ص 43	ص 116	لا يوجد منها في (ب) سوى أربعة أسطر وفيها زيادة بمقدار ســطرين ونصف ليست من أصل الكتاب وليست موجودة في (ف)
رغم	ص 43–44	ص 116–117	ناقصة في (ب) بمقدار سطرين
غاض	ص 59	ص 72–73	في (ب) زيادة في نحو سطر ليست من أصل الكتاب
غضا	ص 59–60	ص 73–74–75	تطابق تام دون زيادة
ضغو	ص 60	ص 75	تطابق تام دون زيادة
غوج	ص 60	ص 76	مع زيادة في (ب) بنحو سطرين ليست من أصل الكتاب

(383) في (المعاجم العربية) للدكتور عبد الله درويش (ص 31) أن (فلتن) أخرج القطعتيــن معــا في صورة كتاب . وهو خطأ واضح .

المادة	مكانها في (ف)	مكانها في (ب)	حالهـا
غ ش ي	ص 60	ص 76ـ77	مع زيادة في (ب) بنحو سطرين ليست من أصل الكتاب
شغا	ص 60ـ61	ص 78ـ79	تطابق تام دون زيادة
وشغ	ص 61	ص 79	تطابق تام دون زيادة
غلو	ص 61ـ62	ص 79ـ80 81ـ82	مع زيادة في (ب) بمقدار سطر واحد ليست من أصل الكتاب
غيل	ص 62	ص 82ـ83 84ـ85	تطابق تام دون زيادة
غول	ص 62ـ63	ص 85ـ86ـ87	مع زيادة في (ب) بنحو سبعة أسطر ليسب من أصل الكتاب
لغو	ص 63	ص 87ـ88	تطابق تام دون زيادة
ولغ	ص 63	ص 89	تطابق تام دون زيادة
وغل	ص 64	ص 90ـ91	مع زيادة في (ب) بمقدار ثلاثة أسطر ونصف ليست من أصل الكتاب
ليغ	ص 64	ص 91ـ92	مع زيادة في (ب) بمقدار سطرين ليست من أصل الكتاب
غرو	ص 64	ص 92ـ93	مع زيادة بسيطة في نحو نصف سطر
غور	ص 65ـ66	ص 94ـ95	لا يوجد منها في (ب) الا مقدار الثلث في نحو الصفحتين بدون نهاية

(4) والظاهرة الخطيرة التي نصطدم بها في قطعة (ب) ، دون أن يشير اليها أحد من الدارسين سابقا حتى فولتن نفسه (364) ، هي وجود زيادات بدا أنها ليست من أصل الكتاب ، وانما هي اضافات زادها رجل يسمى (محمداً) ، وقد وقفت حيالها في شك أولا ، حتى رأيت أنها :

أ ـ لا تأتي الا في خواتم غالبية المواد ، دون أولها أو وسطها ، وذلك بصفة مطردة ، وصيغة واحدة على هذا النحو : (وقال محمد : قال أبو بكر ..) ـ (وقال محمد : قال الأصمعي ..) ـ (وقال محمد : قال أبو زيد ..) الخ .

ب ـ أنها زيادات غير موجودة في (ف) في المواضع التي تلتقي فيها القطعتان (أنظر الجدول) .

(384) كتبت ذلك قبل أن أقف على المطبوع ، وحين اطلعت عليه ، وجدت محققه يشير الى هذه الزيادات ، ولكنه يعزوها لتلميذين من تلاميذ القالي دون أن يعينهما ، ودون أن يفصل القول في هذه النقطة .

جـ ـ أن الأقوال التي ينسـبها (محمد) الى (أبي بكر) موجودة بالحرف في كتاب (الجمهرة) لأبي بكر بن دريد ، وتكفي لاثبات ذلك الأمثلة التالية :

المادة	مكانها في البارع (ب)	مكانها في الجمهرة (ط. I ، سنة 1345 هـ . دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد
رغد	ص 48	جـ 2/251 مادة (درغ)
غمل	ص 36	جـ 2/149 مادة (غ ل م)
غرز	ص 42	جـ 2/322 مادة (رزغ)
غزر	ص 42	جـ 2/322 مادة (رزغ)
زغر	ص 43	جـ 2/322 مادة (رزغ)
رغن	ص 45	جـ 2/393 مادة (ر غ ن)

وقياسا على هذا ، ستكون الأقوال التي ينسـبها الرجل لغير ابن دريد ـ وهي كثيرة ـ موجودة في كتب أولئك العلماء اللغويين كالأصمعي ، وأبي زيد ، والكسائي . ونقلها (محمد) الى البارع ، ليتمم بها بعض النقص الذي يراه ، أو ليضيفها الى ما جمعه القالي من أقوال العلماء على سبيل الاستدراك . وقد أدخلت هذه الاضافات الى صلب الكتاب ، ورسمت بنفس الخط الذي كتب به ، حتى ليتوهم القارىء أنهـا من أصله وصميمه .

ويوضح الجدول الآتي بتفصيل ، الصفحـات والمواد التي دخلت عليهـا هذه الزيادات من الكتاب (نسخة ب) ، وأسماء العلماء الذين نقلت عنهم :

الاعلام	ص	المواد	الاعلام	ص	المواد
أبو بكر	3	نتق		127	غضس
[بن دريد]	4	قنص		131	غضف
»	5	نقص		131	فضغ
»	6	نقر		137	ضغم
»	8	زنق		138	غمض
»	15	نقد		139	غلم
»	23	نقب	الأصمعي	14	ذقن
»	25	غلب		28	تغر
»	28	رغط		32	صغر
»	28	طغر		36	غمل
»	29	غطر		37	مغل
	30	غرد		87	غول
	32	رصغ		91	وغل
	35	غسر		104	غرب
	42	غرز		109	غبر
	42	غزر		131	غضف
	43	زغر	الكسائي	3	نزق
	45	رغن		12	قسن
	48	رغد		91	وغل
	57	رخو		104	غرب
	60	خراتان		125	غضن
	61	نخو	أبو زيد	17	نفق
	67	وخط		20	قنف
	68	طخا		30	غرد
	70	غدو		104	غرب
	73	فيض	أبو عبيدة	26	بلغ
	82	غلو		30	غرد
	86	غول		49	تغر
	91	وغل	الأموي	9	زقن
	105	بغر		62	خني
	112	برغ		140	غلج
	116	مرغ	أبو عبيد	28	تغر
	122	ضغن		65	طاخ
	124	نغض	الفراء	44	غرن
	126	ضغط	اليزيدى	28	تغر
	126	ضغد	العدبس	69	ديخ

وهكذا نلحظ من خلال هذا الجدول ، أن أكثر هذه النقــول كان عن أبي بكر بن دريد ، حيث تكرر ذلك في اثنين وأربعين (42) موضعا . وكأنما أراد هذا الناقل أن يعوض بها ما أغفله القالي ، حين لم يكثر النقل عن شيخه الدريدي في هذا الكتاب .

واذا كان من حسن حظنا أن أغلب هذه الزيادات لا تتدخل لتعبث بمواد الكتاب كما وضعها القالي ، وانما تأتي في أعقابها كذيل لها وتتمة ، وهو شيء ييسر علينا فصلها عن المواد الأصلية ، فان بعضا منها يعتبر تدخلا في تصميم الكتاب وبنيته ، وذلك بوضع مواد بأكملها في المواضع التي تقتضيها الضرورة ، وفي المواطن التي أهملها المؤلف . وكأن اليد التي فعلت ذلك ، يد عالم محقق شريك للقالي في صنعه ، رغبته اخراج الكتاب في صورة كاملة قريبة من الصحة والسلامة ما أمكن ، حتى يصبح قليل العيوب كثير المزايا . وهو لذلك يشفق على القالي أن يخرج كتابه مشوها الى الناس ــ وقد مات دون اكماله تهذيبا وتنقيحا ــ .

وهذا النوع من الزيادات والتدخلات ، يتمثل في سبعة مواضع كالتالي :

أ ــ فقد ذكر القالي مادة (زنق) (حرف القاف ص 8) ، ولكنه لم يذكر مقلوبها (زقن) ، فلذلك أضيف على هذا النحو : «ومن مقلوبه : قال محمد : قال الأموي : زقنت الحمل أزقنه : حملته . وأزقنت الرجل : أعنته على الحمل» (385) .

ب ــ وقد أهمل القالي مادة (الغين والراء والطاء في الثلاثي الصحيح) بأكملها ، أو لعلها سقطت من أصل الكتاب ، ولذلك نرى (محمدا) يضيفهــا مع تقاليبها على هذا النحو (386) .

«قال محمد : قال أبو بكر : رغاط : موضع .

مقلوبه : قال محمد : قال أبو بكر : الطغر : لغة في الدغر ، يقال : طغره ودغره .

ومن مقلوبه : قال محمد : قال أبو بكر : يقال مر يغطر بيديه مثل الخطر سواء . هكذا قال يونس» .

جـ ــ والموجود عند القالي في القطعــة المتبقيــة مــن مادة (غ ر ز) هو هذه التقاليب : (غرز ــ غزر ــ رزغ) فيحتمل أنه أهمل من تقاليبها (زغر) فلذلك أضافها (محمد) في ص 43 (ب) . قال :

«ومن مقلوبه : قال محمد : قال أبو بكر : الزغر : فعل ممات ، وهو اغتصابك الشيء ... الخ .» .

---

(385) (ص 9 ب) .

(386) (ص 28 ــ 29 ب) .

د ــ ولعل القالي أيضا أهمل مادة (الغين والراء والتاء في الثلاثي الصحيح) بكاملها ، فلذلك أتى بها (محمد) (ص 49 ب) .

هـ ــ وجاء في ذيل مادة (رخو) من حرف الخاء (ص 60 ب) :

مقلوبه : قال محمد : قال أبو بكر وغيره : الخراتان ، نجمان من نجوم السماء . من منازل القمر» .

و ــ وأضيف أيضا لمادة (خود) الثلاثي المعتل (حرف الخاء) (ص 70 ب) مقلوبها : (دخي) .

ز ــ كما أضيفت لحرف الغين في الثلاثي الصحيح ، مادة (الغين والضاد والدال) (ص 126 ب) .

بقي بعد هذا كله ، أن نعرف من هو (محمد) ، صاحب كل هذه الاضافات والاستدراكات والتدخلات . أما في القطعتين فليس ما يدل عليه دلالة تصريح أو تعريض ، غير أننا نجد في قطعة (ب) اشارتين تدلان على أن هذه النسخة ، قد عورضت وقوبلت على نسخ أخرى من قبل شخص مجهول . والاشارة الأولى واردة في نهاية (ص 30) مكتوبة بخط دقيق هو خط الناسخ ونصها :

«بلغت المقابلة . كمل التاسع ثمانين (387) من تجزئة أبي علي ...» .

والاشارة الثانية ، واردة في نهاية القطعة بصفحة 140 مكتوبة بخط ردىء ونصها :

«انتهت المعارضة والحمد لله والصلاة على محمد» .

وهذا يعني أن هذه الزيادات كانت موجودة في الأصول الأولى للكتاب التي قوبلت عليها النسخ المتأخرة ، وليست مما وضع حديثا . ولنفترض أن كاتبها واحد من تلاميذ القالي . فاذا راجعنا السند الذي روى عن طريقه كتاب البارع بالأندلس قديما ، وتتبعنا نشاط بعض الذين اشتغلوا واهتموا بالكتاب منذ ظهوره ، وجدنا أنفسنا أمام شخصيتين يمكن أن يحوم حولهما الظن ، وكلاهما من تلامذة القالي المشهورين .

الأول منهما : اشتغل بكتب القالي وخاصة البارع نفسه . وهو أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، صاحب **(كتاب المستدرك في اللغة من الزيادة التي في كتاب البارع على كتاب العين)** ، وفيه يدرس الكتابين معا (البارع والعين) ، وينبه عليهما ــ كما سنرى ــ وفضلا عن ذلك فهو معروف باشتغاله بهذا العلم ــ علم اللغة والمعاجم ــ

(387) كذا . ولعل الصواب في الأصل : كمل التاسع والثمانون .

فقد وضع كتابا آخر على العين سماه (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ...) وله (مختصر العين) وغيرها من التأليف .

أما الشخص الثاني ، فهو سمي الأول (أبو بكر محمد بن الحسين الفهري) والذي يلفت النظر في هذا الرجل ، أنه صاحب القالي طويلا ، وكان يدعى ''وراق القالي'' (388) وغلامه ، ومستمليه (389) وعمل مع محمد بن معمر الجياني على «نسخ ما لم يهذب أبو علي من تأليفه الذي سماه ''البارع'' وتهذيبه» (390) . فان أشهر الروايات تذكر أن القالي مات قبل أن يتم تنقيح الكتاب . قال ابن خير «ومات ، رحمه الله ، قبل ايعاب النسخة المرفوعة منه ، وقبل أن ينقحه . فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع» (391) .

فهذا رجل تشهد الكثير من الوثائق على أنه قام بتهذيب كتاب البارع « فما قولنا اذا كان بعض ما وجدناه من تدخلات في قطعة (ب) أثرا يدل على ذلك المؤثر ، ولا سيما أننا نجد من ضمن المصادر ما يشير الى أن له (كتاب جوامع كتاب البارع) ؟ (392) .

وقد كاد البحث يقف بي عند هذا الحد ، لولا أني وفقت أخيرا ، الى قطعة صغيرة نادرة من كتاب (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تحتفظ بها خزانة القرويين (رقم 118) (393) . وكان الفضل في الوقوف عليها يعود الى أستاذي الجليل المرحوم العابد الفاسي الذي قدمها الي مشكورا — فأني لما مضيت في قراءة مقدمة هذا الكتاب (394) ، وجدت الزبيدي يقول — متحدثا عن الحكم المستنصر :

«فقد عهد الي ، أعزه الله وأدام خلافته — حين **أمرني بتنقيح الكتاب البارع ، وتهذيبه والزيادة في أبوابه** — ألا أحكي فيه عن الخليل حرفا ، وأن أنسب ما وقع في الكتاب عنه ، مما لم يذكره غيره من العلماء الى كتاب العين ، توخيا للحق ، وقصدا الى الصدق ... » .

---

(388) التكملة (371/1) — الحسيني — والذيل (175/6) .
(389) الجذوة (ص 374) — والوعاة (ص 294) .
(390) التكملة (371/1) — الحسيني .
(391) ابن خير (ص 355) .
(392) الذيل (175/6) .
(393) وبها 14 ورقة . ثمان ورقات منها فقط تعد من كتاب (الخطأ الواقع ..) أما الأوراق الست الباقية فهي جزء من كتاب (المستدرك على العين) .
(394) لقد نقل السيوطي في المزهر (79/1) وما بعدها ، قسما من هذه المقدمة ولكنه أغفل الجزء الذي يهمنا منها الآن . وهو ما لم نجده الا في هذه النسخة الخطية من أصل الكتاب .

فلأول مرة أجد هذا النص الصريح بأن الحكم قد أمر الزبيدي ـ لمكانته العلمية ، وقربه من شيخه القالي ـ بالزيادة في أبواب الكتاب ، وتنقيحه وتهذيبه . وترجح لدي بعد هذا ، أن تلك الزيادات والاضافات التي أدخلت الى الكتاب ، وهي معزوة الى (محمد) ، ليست شيئا آخر غير ما صنعه الزبيدي ، بدليل هذا النص الجديد الذي يكشف كذلك عن موقف الحكم من كتاب العين . وليس من قبيل المصادفة أيضا أن يستخدم الزبيدي لفظ (محمد) لاختصار اسمه في هذا الكتاب ، ثم في كتبه الأخرى (كلحن العوام) و (طبقات النحويين واللغويين) (395) . أما القرائن الأخرى فان أهمها أن أحدا لم يشتغل في الأندلس اشتغال الزبيدي بكتاب البارع كما سنرى .

(5) وتذكر كتب التراجم ، أن البارع كان مجزءا الى أجزاء عدة . قال ابن خير «وخرج بخط فصيح في مئة وأربعة وستين جزءا» (396) ، ونحن نجد أثر هذه التجزئة في القطعتين معا :

أ ـ فقد كتب على غلاف (ب) «الرابع ومائة من كتاب البارع» .

ب ـ وكتب في (ص 30) من نفس النسخة «كمل التاسع ثمانين (397) من تجزئة أبي علي يتلوه في الموفي تسعين ، قال أبو علي ... الخ .» .

جـ ـ وكتب في (ص 140) منها «كمل الجزء السابع ثمانين (398) من الكتاب البارع» . وفي (ف) نجد :

د ـ في (ص 41) «الموفي عشرين من الكتاب البارع في اللغة» .

غير أن هذه الكتابات لا تدل على أن الموجود من الكتاب هو هذه الأجزاء الأربعة أو بقاياها فقط ، لأن هناك اضطرابات كثيرة ، وحلقات مفقودة في القطعتين ، فلا نعرف بالضبط من أين بداية الجزء ومن أين نهايته ، ولا تؤكد سوى حقيقة واحدة وهي أن الكتاب كان يقع في أجزاء لم تصل منها سوى قطع مبتورة ناقصة ومضطربة ، ولا أدل على ذلك من أن الجزء 104 من (ب) لا توجد منه الا ورقة غلافه المكتوب عليها اسم الجزء .

وقد جاء في شرح ديباجة القاموس للشيخ نصر الهوريني (ص 46) ما نصه : «وقال ابن طرخان ''كتاب البارع للقالي يحتوي على مئة مجلد ، لم يصنف مثله في

---

(395) واستخدم هذا اللفظ أيضا للدلالة على الزبيدي في حواشي نسخة القرويين من مختصر العين (رقم 363 ط 80) وكذلك في (المستدرك على العين) .

(396) فهرسة ابن خير (ص 355) .

(397) كذا . والصواب : كمل التاسع والثمانون .

(398) كذا . والصواب : السابع والثمانون .

الاحاطة والاستيعاب"» . وواضح من قطعة (ب) على الأقل ، أنه كان يقع في أكثر من ذلك ، اذا كان المقصور بالمجلد هو الجزء . على أن مقدار الأجزاء غير ثابت فهو يزيد وينقص .

عنوانه

وما تبقى من نسختي البارع أخيرا حجة على عنوانه ، ففي (ص 4I ف) ـ كما سبق ـ نجد بخط الناسخ ما نصه : «الموفي عشرين من الكتاب البارع فياللغة» ، وكذلك هو في المواضع المشار اليها آنفا من قطعة (ب) . وهذا يوثق كل الروايات التي ذكرها مترجمو القالي ، أو الناقلون عنه من تلاميذه وغيرهم حول عنوان الكتاب ، وان مال أغلب القدامى الى اختصار هذا العنوان والاكتفاء بالكلمة الأولى منه : (البارع) .

وكأني بهذا الأمر لا يحتاج الى دليل اثبات ، ما دام غير منازع فيه . غير أن الدكتور عبد الله درويش في (المعاجم العربية) يتنبه الى وجود خطأ لدى حاجي خليفة ، ودائرة المعارف الاسلامية ، اذ ذكرا معا أن للقالي كتاب (البارع في غريب الحديث) ولكنه يقع بعد التنبيه على هذا الخطأ في شبيه به اذ يقول : «والواقع أيضا أن الاسم الكامل للكتاب هو البارع في غريب اللغة العربية» (399) .

وعجبي من هذا الاسم الطويل المذيل ، أنه لم يرد ـ حسب علمي ـ في أي مصدر ما يدل عليه .

الداعي لتأليفه

اننا في الحقيقة عاجزون عن ايجاد نص صريح يدلنا على داع من الدواعي التي كانت وراء تأليف هذا المعجم اللغوي الكبير ، ولا سيما اننا لا نملك شيئا من المقدمة التي قد يكون القالي وضعها لكتابه ، بعدا أن ضاع أكثره . ولا يسعنا في هذه الحال سوى افتراضين نتأولهما محترسين .

فنفترض أولا ، أنه ألف لسد فراغ في المكتبة المعجمية بالأندلس ، كان القالي أول من يحسه وهو يقوم بمهمة التدريس . ولا سيما أن الأندلس في هذه الفترة ، كانت تعيش مرحلة تأجج فكري ، وتبحث عن شخصية لها تستقل بها عن الشرق أو تضاهيه في كل الميادين . فكان البارع أول معجم يسد هذا الفراغ الهائل .

---

(399) المعاجم العربية (ص 3I) . وقد تابع حاجي خليفة في وهمه . كل من اسماعيل البغدادي في (هدية العارفين) المجلد I (ص 208) ـ وأحمد هريدي في مقدمة تحقيق المقصور والممدود للقالي (ص 39) .

ونفترض ثانيا ، أن الخليفة الناصر أبا النهضة الأندلسية ، أمر القالي ، أو أشار اليه بهذا التأليف . وقد احتفظ لنا القفطي بنص يرويه ولد القالي ، يساعد على ترسيخ هذا الاعتقاد . قال القفطي – وهو يترجم للقالي – «.. وشوهد بخط ولده ما مثاله : "ابتدأ أبي ، رحمه الله ، بعمل كتاب البارع في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم قطعته علل وأشغال ، ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه ، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فأخذه بجد واجتهاد وكمل له ، وابتدأ بنقله ، فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كتاب الهمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر"» (400) .

فالنص صريح في أن القالي تلقى من (أمير المؤمنين) – وهو في تلك الفترة عبد الرحمان الناصر – أمرا وتأكيدا بتتميمه ، فاستغرقت مدة التأليف حوالي ستة عشر عاما . ولكن المشروع قد يكون نابعا من محض رغبة القالي واختياره أول الأمر ، فلما ذكر ذلك للناصر ، أو بلغه بطريق ، أعجب به ودعاه لاكماله واخراجه : وقد يكون الموحي بالفكرة للقالي أول مرة ، هو الحكم (ولي العهد اذ ذاك) كعادته مع العلماء . ولا أدل على رغبة الحكم في خروج هذا الكتاب الى الوجود ، من أنه ظل متتبعا للمشروع حارسا على اتمامه حتى بعد وفاة القالي ، اذ غالب الظن أنه هو الذي أمر أبا بكر محمد بن الحسين الفهري وصاحبه محمد بن معمر الجياني بحكم أنهما كانا وراقي أبي علي ومستمليه ومعاونيه في عمله بتحرير ما كان مسودا من الكتاب فهذباه ونقحاه وأخرجاه من الصكوك والرقاع ثم رفعاه اليه على نحو ما يذكر أصحاب التراجم (401) وقد رأينا قبل قليل أن الزبيدي نفسه دعي من قبل الحكم الى مراجعة البارع وتهذيبه والزيادة في أبوابه .

وهكذا اندفع أبو علي يحدوه التشجيع ، وتدفعه الرغبة ، حتى أخرج بارعه الذي قال فيه الناس انه «زاد على كتاب الخليل نيفا وأربع مئة ورقة مما وقع في العين مهملا ، فأملاه مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأمل الشواهد فيه» (402) وتلقفوه منه حينئذ بالاعجاب والاكبار ، حتى قال الزبيدي «ولا نعلم أحدا من المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره في الاحاطة والاستيعاب» (403) .

---

(400) أنباه الرواة (209/1) . وفي التكملة (371/1) أن ابتدأ البارع سنة 350 هـ .

(401) ابن خير (ص 355) – التكملة (371/1) – الحسيني – الذيل (175/6) .

(402) ابن خير (ص 354) .

(403) طبقات الزبيدي (ص 186) .

منهجـه

كان التأليف المعجمي في القرن الثالث ، قد توصـل على يد أبي بكر بن دريد الى طريقة أسهل من طريقة العين في ترتيب الحروف ، تعتمد على الألفباء البسيطة ، وتهمل الترتيب الصوتي الذي ابتدعه الخليل . وكانت (الجمهرة في اللغة) قد انتشرت بين الناس وتعددت نسخها ، وأخذها القالي نفسه رواية من أستاذه الدريدي . فكان الظن أن أحدا لن يعود ليرتقي المراقي الصعبـة التي صعـدها الفراهيدي ، ويترك طريقا أوضح وأسهل ، ولكن القالي آثر تلك الصعوبات وعاد الى القرن الثاني ليقتبس من الخليل رغم احتكاكه الشديد بشيخه ابن دريد وتأثره به في أماليه وباقي كتبه الأخرى .

وهكذا نجده يأخذ من العين طريقته القائمة على الأركان الثلاثة وهي :

1) الترتيب الصوتي .
2) نظام التقاليب .
3) نظام الأبنية .

مع العلم أن ابن دريد نفسه احتفظ في معجمه بركنين من هذا النظام هما الثاني والثالث ، وانما انحصر تجديده في الركن الأول حيث غير الترتيب الصوتي بالترتيب الألفبائي البسيط تفاديا للمشقة .

ولعلنا نجد سـببا وجيها أو مناسبا نبرر به تقليد أبي علي للخليل بن أحمد في نظامه ، وعلينا في هذه الحال أن نفترض أنه عندما قصد لتأليف بارعه ، كان على رأس أهدافه هدف خاص وملح ، وهو التأليـف على نمط الخليـل بالذات ، وذلك لسببين :

(1) أن يتمكن من اصلاح أخطائه ونقائصه والتعقيب عليه ، وذلك يكون أيسر على القالي حين يقفو أثره خطوة خطوة ، فيقتبس منهجه وتصميمه (404) .

(2) أن التأليف على نمط العين ليس أمرا سهلا ميسرا للجميع ، بل هو مركب جامح ، يريد به مبـاهاة أهل الأندلس ، واظهار مقدرته على الاتيـان بمعجم صعب المسالك ملتوي البناء مثل كتاب الخليل ، ولكن أحسن منه توثيقا وضبطا وأقل خطأ وعيبا .

---

(404) وهو نفس السبب الذي اضطر الزبيدي لتأليف كتابيه (المستدرك على العين) و (استدراك الغلط الواقع في العين) على طريقة الخليل . كما نبه على ذلك مرات عديدة .

غير أنه لا يجب أن نسقط من حسابنا ، ما قد يكون للقالي من اعجاب شخصي بطريقة الخليل ، دفعه الى تقليدها ، وذلك بعد أن تمرس بشيء منها في (المقصور والممدود) .

ـ ونحن بعد ، لا نستطيع من خلال القطعتين المتبقيتين ، الوصول الى معرفة الترتيب الصحيح للحروف في هذا الكتاب ، لفرط ما أصابهما من التلاشي والاضطراب والنقص . ومع ذلك فقد افترض المستشرق (فولتن Fulton) في مقدمة القطعة التي نشرها بطريقة التصوير ، أن ترتيب الحروف في البارع يكون على هذا النحو (405) .

(هـ ـ حـ ـ ع ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ل ـ ر ـ ن ـ ط ـ د ـ ت ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ ب ـ م ـ و ـ ا ـ ي) .

ولكن الرجوع الى كتاب (المقصور والممدود) للقالي ربما أثبت بعض أخطاء هذا الافتراض الذي ذكره فولتون وساعدنا على معرفة الترتيب الحقيقي الذي سلكه أبو علي في البارع لهذه الحروف ، ذلك أن كتاب المقصور بدوره كان مرتبا حسب المخارج وذلك على النحو التالي :

(ء ـ هـ ـ ع ـ حـ ـ غ ـ خ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ى ـ ل ـ ر ـ ن ـ ط ـ د ـ ت ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ ب ـ م ـ و) .

منه يتجلى أن فولتون وهم في أربعة مواضع :

1 ـ في وضع الحاء بين الهاء والعين ، وهي في الحقيقة بين العين والغين المعجمة .

2 ـ في وضع الخاء المعجمة بين العين والغين ، وهي في الحقيقة بين الغين والقاف (406) .

3 ـ في وضعه الألف بعد الواو ، وهي في الحقيقة عند القالي لا حيز لها .

4 ـ في وضعه الياء المثناة ، آخر الترتيب بعد الواو والألف مثلما فعل الخليل ، وهي في الحقيقة موضوعة عند القالي وسيبويه معا بين الشين واللام .

أما حرف الهمزة فقد ذكر فولتون أن القالي لم يحدد لها موضعا ، بينما هو في الحقيقة قد اختار لها مكان الصدارة ، وجعلها أول حرف في الترتيب قبل الهاء .

---

(405) مقدمة فولتون الانجليزية (ص 8) .

(406) الواقع أن فولتون نبه على أن الوضع الصحيح للحاء والخاء في الترتيب الذي افترضه غير مؤكد الصحة عنده . المصدر السابق (ص 8) .

ويجب أن نذكر بهذه المناسبة ، بأوهام بعض الدارسين من المحدثين الذين اعتمدوا ترتيب فولتون ونقلوا عنه ، مثل الدكتور عبد الله درويش في (المعاجم العربية) وألبير حبيب مطلق في (الحركة اللغوية بالأندلس) ، كما أن الدكتور حسين نصار نفسه وقع فيما يشبه هذا الخطأ ، رغم أنه لم يعتمد على فولتون ، وانما اعتمد على استنتاجه الخاص من المواد الموجودة بالمتبقي من الكتاب (407) وهو خطأ متوقع من كل استنتاج يبنى على كتاب ضاع أكثره .

ولا نحتاج هنا أن نعيد ذكر الفروق الموجودة بين القالي والخليل وسيبويه في ترتيب الحروف ، بعد أن ذكرنا ذلك في دراستنا لكتاب المقصور . وانما نكتفي بالنتيجة التي توصلنا اليها هناك ، وهي أن القالي قد أخذ بمبدأ ترتيب الحروف حسب مخارجها الصوتية من الخليل وسيبويه ، ولكنه اختلف معهما في تفاصيل هذا المبدأ وتطبيقه . فقد بدا لنا أنه رجل يحاول أن يستقل نوعا ما بتنظيمه الخاص ، دون أن يخرجه ذلك من دائرة الخليل وسيبويه .

واذا كان القالي قد رفض أن يذعن تماما لترتيب الخليل الصوتي ، فانه قلده تقليدا عندما اقتبس منه فكرة تنظيم مواد الكتاب وأبوابه حسب الأبنية التالية :

الثنائي المضاعف ـ الثلاثي بنوعيه ـ اللفيف ـ الرباعي ـ الخماسي .

ولم يغير من هذه الطريقة شيئا ذا بال ، الا ما كان من أمرين بسيطين :

(1) فقد أبقى القالي على الثنائي المضاعف ، مكتفيا باستبدال اسمه على هذا النحو : (الثنائي في الخط ، والثلاثي في الحقيقة لتشدد أحد حرفيه) . وبالطبع فانه جعله خاصا بالصحيح دون المعتل كالخليل .

(2) أما الباب الذي يسمى عند الخليل والصرفيين باللفيف ، فان القالي سماه عنده بباب (الحواشي) . قال : «هذه أبواب تتصل بالثلاثي المعتل ، مما جاء على حرفين أحدهما معتل ، أو ثلاثة منها حرفان معتلان . وسميناه باب الحواشي» (408) .

وواضح انه يقصد بذلك ما اصطلح الخليل وغيره على تسميته باللفيف ، يؤكده ـ ان كان الأمر في حاجة الى تأكيد ـ تعليق الزبيدي في مستدركه على القالي في هذا الموضوع بالذات اذ قال في حرف الهاء :

«باب اللفيف : قال : سمى اسماعيل هذا الباب باب الحواشي ، ومعنى قول صاحب العين : هذا باب اللفيف ، هو ما اجتمع فيه حرفان معتلان» (409) .

---

(407) المعجم العربي (1/314) .
(408) (ص 26 ف) .

ويضيف اليه ـ كما ترى ـ ما كان من حرفين فقط ، أحدهما معتل كمثل (ها) .

والظاهر أن القالي لم يستقر على تسمية اللفيف بالحواشي ، فما لبث أن أدرجه تحت اسم جديد هو باب (الأوشـــاب) ، جمع فيه كما قال : «الحكـــايات ، والزجر ، والأصوات ، والمنقوصات ، وما اعتل عينه ولامه ، أو فاؤه ولامه ، أو فاؤه وعينه ، أو كان فاؤه ولامه ، أو فاؤه وعينه ، أو لامه وعينـــه ، بلفظ واحد» (410) . وهكذا فقد جعل فيه من المواد ، ما هو على شاكلة (وغى) و (واق) وهما من اللفيف .

وهناك شيء آخر قلد فيه الخليل وابن دريد معا ، وهو نظام التقاليب . فما أن يذكر كلمة حتى يقلبها على وجوهـــها الممكنة والمستعملة مثل : ضغن ، ونغض ، وغضن ، الخ ..

أما طريقة ترتيب المواد في الباب الواحد ، فهي تعتمد مثل الخليـل وابن دريد أيضـــا ، على ذكر الحرف المعقود له الباب ، مع ما يتلوه من الحروف في الترتيب الصوتي . ففي حرف الغين مثلا ، يبدأ ترتيب المواد كالتالي :

(غخ ـ غق ـ غك ..) في الثنائي مع تقاليبها الى آخر الحروف . ثم (غخق ـ غخك ـ غخض ـ غخج ..) وهكذا مع الثلاثي الصحيح .

فاذا أردت البحث عن كلمة (بعث) مثلا ، فستجدها في مادة (عثب) ولا يمكن أن توجد في أية مادة أخرى مثل : (بعث) أو (عبث) أو (ثبع) أو (ثعب) .

خصـــائص الكتـــاب

ان دراسة نص أو نصين من كتاب البارع ، كافية لاستخلاص الكثير من خصائص هذا المعجم اللغوي . وسأقتصر لذلك على هذا النص الذي آخذه من باب الثلاثي الصحيح ، مادة (الغين واللام والميم من حرف الغين) .

قال أبو علي :

«قال أبو علي : قال أبو زيد : يقال اغتلم الرجل اغتلاما على مثال افتعل افتعالا . ولا يقال : غَلِمَ . ويقال رجل مغتلم ، وامرأة مغتلمة . قال أبو عبيدة وأبو حاتم : اذا اغتلم الفحل من الابل قيل : اغتلم اغتلاما وغُلْمة وهو مغتلم . وأنشد أبو عبيدة :

كالفحل هـــب أيمـــا هِبـــابِ
مغتلمـــا قـــد هاج للضِّـــراب

---

(409) المستدرك على العين من البارع (ص 197 مخطوط .

(410) (ص 76 ف) .

وقال أبو حاتم : وفحول مغـاليم . وقال ابن الأعرابي : يقـال : اغتلم الغلام فهو مغتلم ، وجارية مغتلمة ، وغلام غليم بكسر الغين وشد اللام ، وجارية غليم أيضا على مثال : سكير ، وغليمة . قال يعقوب : وأنشد الياهلي :

يـا عمـرو لو كنت فتى كريمـــا
أو كنت ممـن يمنـع الحريمـــا
أو كان رمـح (...) مستقيمـــا
(...) بــه جاريـــة هضيمـــا
(...) اخيهـا أختك الغليمـا (411)

وهي الغلمة بضم الغين وسكون اللام .

وقال أبو زيد : يقال غلام وثلاثة غلمان ، وكذلك الجميع . قال ثابت : ويقال : غلام بين الغلومة والغلوميه . وقال النضر : هو غلام أول ما يولد حتى يشيب . وقال الخليل : غَلِمَ يَغْلَمُ غُلْمَةً وغَلَمًا واغتلم وهو المغلوب شهوة .

وقال الشاعر :

يا أيهـا الجَمّـال ذو (...) (412) الغَلِـمْ

والمِغْلِيمُ سواء فيه الذكر والأنثى ويقال : مغليمة ، وقال :

ومغليـــم صيف تبتغي مـــن تباضــــع

ويقال : غلام بَيِّنُ الغلومية والغلاميـــة ، والغلام : الطار الشـارب . وجاء في الحديث والشعر : غلامة : يعني الجارية . وقال الشاعر :

فلم أر عاما كان أكثـر هالكـــا
ووجه غلام يُشْـــتَرى وغُلامــــةٍ

والغيلم موضع والغيلم السلحفاة . قال أبو زيد : الغيلم : المرأة الحسناء . وقال سيبويه : (غيالم على مثال فياعل اسم ، يريد جمع غيلم ..)» (413) .

ومن خلال هذا النص نخرج بالملحوظات التالية :

(1) ففيه نجد القالي ينقل عن كبار اللغويين ، عن أبي زيد (أكثر من مرة) ، وأبي عبيـدة ، وأبي حاتم ، وابن الأعرابي ، ويعقـوب ، وثابت ، والنضر بن شـميل ،

---

(411) حذفت الكلمات الموجودة بين الأقواس لمعناها الجنسي المبتذل .
(412) حذفت الكلمة لنفس المعنى .
(413) (ص 26 ـ 27 ب) .

والباهلي ، والخليل ، وسيبويه . فهم عشرة ترد أسماؤهم خلال جزء غير تام من مادة واحدة .

والنقل عن اللغويين في البارع ظاهرة واضحة لافتة للنظر ، لكثرة ازدحام أسمائهم وترادفها ، ولكثرة ما حشد القالي عنهم من شروح وتفسيرات . أما الزبيدى فقد اعتبر من مزايا البارع انه عزا الكلمات الى أصحابها على عكس ما فعل الخليل (414) .

وبالاضافة الى من سبق ذكرهم في هذا النص ، نجده ينقل أيضا عن الأصمعي ، وابن دريد ، وأبي عمور الشيباني ، وأبي العباس ثعلب ، والفراء والزجاج ، والكسائي ، والزبيدي ، وابن الأنباري ، وأبي الحسن بن كيسان ، والرزاحي ، وأبي نصر ، والرياشي ، وابن قتيبة ، وأحمد بن عبيد ، وقطرب ، والأموي ، واللحياني وغيرهم .

(2) والظاهرة الثانية في هذا النص كما في سائر الكتاب ، هي الأشعار الكثيرة التي يوردها للاستشهاد . فأنت تقرأ له بالاضافة لمن ذكر هنا ، لشعراء آخرين كالعجاج ، والأعشى ، وجرير ، وهند بنت عتبة ، وكعب بن زهير ، وعنترة ، وزهير ابن أبي سلمى ، والقطامي ، ورؤية ، والحارث بن حلزة ، وطرفة ، وأبي دؤاد . والبريق بن عياض الهذلي ، والأفوه الأودي ، وخالد بن زهير ، والكميت ، وامرىء القيس ، وذى الرمة ، والأسود بن يعفر ، والنابغة الجعدي ، والذبياني ، وأبي كبير الهذلي ، وعمر بن أبي ربيعة ، والشماخ ، والجرمازي ، وغيلان بن سلمة الثقفي ، وزهير بن مسعود ، والفرزدق ، والحطيئة ، وابن مقبل ، وحميد بن ثور ، وأبي النجم ، ودريد بن الصمة ، وأبي الطمحان القيني ، والأزرق بن أبي نخيلة السعدي ، والمخبل السعدى ، وأوس بن حجر ، وعتبة بن حارث ، وعمور بن كلثوم ... ولكثيرين سواهم من الشعراء المشهورين والمغمورين في الجاهلية والاسلام ، فضلا عما هنالك من أشعار أخرى لا يعزوها لأصحابها ، كأن يقول : (قال الشاعر) أو (أنشد أبو عبيدة) ، (وأنشد الخليل) مما هو منسوب لأهل اللغة . وعدد لا حصر له من الأرجاز وأنصاف الأبيات ، وما هو منسوب لبعض الأعراب .

وأنت واجد في الكتاب – مما لم يوجد في هذا النص – بالاضافة الى الشعر أحاديث وآيات قرآنية لا تكاد تخلو منها مادة واحدة ، وأمثالا عربية قديمة ، وأقاصيص موجزة ، وأخبارا وحكايا عن الأعراب ... كل هذا يلون المعجم الكبير بطابع أدبي ،

---

(414) الطبقات (ص 186) .

يكسبه قيمة أخرى الى جانب القيمة اللغوية ، ويجعلنا نستحضر أثناء قراءته صورة كتاب الأمالي ، الذي جمع خصائص ثقافة القالي الواسعة المتضلعة .

(3) وفي النص أيضا ظاهرة ثالثة ، بارزة في كل مواد الكتاب ، وهي عنايته بضبط المواد ضبطا بالعبارة ، دون الاكتفاء بالحركات التي قد يصيبها التصحيف والتحريف (415) . قال في النص السابق : «وغلام غليم بكسر الغين وشد اللام» . وقال في غير النص : «ويقال أنتم قوم مغزر لكم بضم الميم وسكون الغين ، وفتح الزاى : أي أموالكم كثيرة» (416) . وقال أيضا في مادة الغين واللام من الثلاثي المعتل : «يقال : لغى في القول يلغى لغوا بفتح اللام والغين في الماضي ، وفتح الغين في المستقبل ، وفتح اللام وسكون الغين في المصدر» (417) .

وقد كانت هذه ميزة حميدة عند القالي لم يتخذها الخليل قبله ، وسار عليها الجوهري المتوفى في حدود الأربع مئة الهجرية في صحاحه . ولكنه كما يقول الدكتور نصار لم يصر عليها اصرار القالي (418) .

(4) وهناك ظواهر أخرى لا نجدها في النص السابق ، ولكننا نجد لها شواهد كثيرة في البارع . منها : **اعتناؤه باللغات** : لغات القبائل العربية . فهو ينقل ويحكي أقوال الكلابيين بكثرة ، كما في الصفحات (35–45–57–65–76–92–115–129 من قطعة ب) على سبيل المثال ، ويحكي عن القيسيين وأهل الطائف ، ولغة اليمن ، وكلام أهل الحجاز ، وأهل البصرة ، والعراق ، والشام ، والبدو ، والحضر ، ونجد الأمثلة على ذلك في مواضع مختلفة من الكتاب ، ولو وصلنا هذا المعجم تاما لاستطعنا أن نستخرج منه قاموسا حضاريا ذا ثروة لغوية مهمة ، تساعدنا على دراسة التطور التاريخي للألفاظ العربية ، ولغة كل قوم كما هو معلوم ، مفتاح حضارتهم ودليل حياتهم اليومية ، ولا سيما أن القالي اهتم أيضا بكلام العامة وأهل الحواضر ، فهو يحكي لنا أن أهل السواد مثلا كانوا يسمون مفاخر الديار في المزارع بالأواخي (419) ، وان طيرا من الطيور المائية في العراق كان يسمى عندهم بالواقة (420) الى غير ذلك .

---

(415) وقد غالى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ولم يحترس عندما قال أن طريقة الجوهري في ضبط الألفاظ ضبطا كلاميا غير مسبوقة . (أنظر الصحاح ومدارس المعجمات العربية ص 154) .

(416) مادة (غزر) (ص 42 ب) .

(417) (ص 87 ب) .

(418) المعجم العربي (486/2) .

(419) (ص 76 ف) .

(420) (ص 94 ف) .

المعرب

(5) ولم ينحصر اهتمام القالي في البارع بهذا الجانب من اللغة ، بل انه ليطالعنا بقضية ذات خطر في دراسة تطور العربية ، وهي اعتناؤه بما هو دخيل وأعجمي من كلام العرب . فهو مثلا يحدثنا عن بقايا اللغة الحيرية (421) العبادية في العراق ، ومنها كلمة (ششقل) التي لهج بها صيارفتهم في تعيير الدنانير (422) . وعن ارتباط لغة الروم بلغة الشام وما خلفته في لهجتها من تأثير . فقد كانت كلمة (البطريق) مثلا تعني القائد بلغة أهل الشام والروم معا (423) ، وكذلك كلمة (فندق) التي تعني خانا من الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطريق (424) ، و (القرسطون) بفتح القاف والراء وضم الطاء ، الذي يعني القبان في لغة الشام (425) . ولا شك أن هذه اللغة دخل عليها كثير من لغة الروم بحكم الارتباط التاريخي بين الشام والبيزنطيين .

وينبهنا القالي في كثير من الأحيان الى بعض الكلمات الفارسية المعربة ، كالنمرق ، والصولجان ، والى كلمات سريانية ، كقنطار ، التي تعني عندهم مئة جلد ثور ذهبا وفضة . وهي كذلك في لغة (بربر) تعني الف مثقال من ذهب أو فضة (426) . وهناك كلمات أخرى نبطية أو مشتركة بين لغتين ، بالاضافة الى الكلمات التي يكتفي بأن ينص على أعجميتها دون تفصيل .

وهذا يعني أن القالي لم يركز اهتمامه على الفصيح فقط ، بل أضاف الى ذلك ما هو دخيل أجنبي ، واستعملته لغتنا عن طريق التعريب . فكان ينبه على كل كلمة منه .

ولشدة اعتناء القالي بهذا الجانب ، لم يقصر جهده على ادراج هذه الكلمات الأعجمية المعربة في أماكنها من أبواب الكتاب ، بل لقد جمعها في باب خاص ، بعد أن نثرها في ثناياه وأضعافه ، الا أنه جعل هذا الباب في الحقيقة مخصصا لما جاء معربا من كلام الفرس . ذلك هو أحد الأمور الجديدة التي يكشف عنها البحث لأول مرة في هذا الموضوع . فقد نص عليه الزبيدي في كتابه (المستدرك في اللغة على كتاب العين) فقال : «ولاسماعيل في آخر كتاب البارع باب ترجمته : "باب ما جاء معربا من كلام الفرس" . وقد مر من هذا الباب شيء في أضعاف الديوان ، وأبواب

(421) في الأصل : الحميرية ، وهي لا شك مصحفة . والحيرية : نسبة الى الحيرة في العراق قديما .

(422) (ص 97 ف) .

(423) (ص 104 ف) . وذكرها الزبيدي في باب المعرب من كلام الفرس الذي نقله بمستدركه على العين ، وقال أنها من الكلمات الفارسية ، وكذلك (فندق) .

(424) (ص 105 ف) .

(425) في الأصل (ص 104 ف) القبار ، وهو تصحيف بلا شك . والقبان : الميزان في لغة أهل الشام .

(426) (ص 101 ف) .

بعدها أنا ذاكرها ها هنا ، وهي زائدة على أبواب (العين) سوى ما وقع في حشو الديوان» (427) . ثم أخذ في استعراض هذه الكلمات وقد أعاد ترتيبها حسب (العين) ، بادئا بما جاء من ذلك من حرف الحاء ، فالهاء ، فالخاء ، فالغين ، فالقاف ، فالكاف ، فالجيم ، فالصاد ، فالراء ، فاللام الذي توقف الكلام عنده فجأة دون أن يتم ، ودون أن يذكر باقي الحروف الأخرى ، للنقص الموجود في أصل المخطوط . وقد استغرق ما في هذه الحروف العشرة صفحتين فقط من صفحات الكتاب ، مما يدل على أن الذي ضاع من هذا الباب المخصص للكلام المعرب من الفرس ، لا يتعدى في التقدير ثلاث صفحات أو أربعا من حجم (المستدرك) ، على أن الذي نقله الزبيدي ليس هو كل ما جمعه القالي في الموضوع ، بل هو حسب النص السابق ليس الا جزءا منه ، ذلك أنه طرح من الباب الأصلي الذي أورده أبو علي في آخر البارع شيئين : طرح منه الكلمات التي سبق ذكرها في أضعاف المستدرك ليتجنب التكرار ، وطرح منه الكلمات التي توجد في العين ، لأن غرضه الأول ابراز ما زاده البارع عليه واظهاره .

ونستنتج من ذلك أن (باب المعرب) في البارع كان في صفحات عديدة ، فتصرف فيه الزبيدي بالحذف والاختصار . وقياسا على هذا التصرف ، لا شك أن الزبيدي أيضـا تصرف في ترتيب هذا الباب لما نقله من البارع الى كتـابه . فنحن نرى أن المواد الباقية منه مرتبة ترتيب العين لا ترتيب البارع . ولا يعقل أن يجمع القالي في تأليف واحد بين ترتيبين ، ترتيبه الخاص وقد ألف عليه المعجم كله وكتاب المقصور ، وترتيب الخليل الذي أخذ بمبدئه دون بعض جزئياته .

فلا يبقى أمامنـا سليما من الوجهة المنطقية ، سوى أن الزبيدي لما بنى كتابه (المستدرك على العين) ، على نظام الخليل ، لم يشأ أن يناقضه بنظام آخر في هذا الباب ، فلذلك تصرف هنا أيضا فرتبه ترتيب كتابه ليساير منهجه كما تصرف سابقا بالحذف والاختصار .

وأخيرا فان وضع القالي لباب خاص بالمعرب في آخر المعجم ، لم يكن القصد منه سوى تقريب المادة من يد متناوليها ، وتسهيل المشقة على طالبي شيء من هذا الباب . والا فما تضمنه من المواد قد سبق تفصيله وادراجه في ثنايا الكتاب ، يدل على ذلك هذا الجزء المتبقي منه . فمنه نعرف أن كلمات كثيرة كالفندق ، والزنديق ، والصولجان ، والصهريج ، والجبص ، والدفتر ، والديبـاج ، والقيـراط ... الخ . واردة في القطعة المتبقية من البارع .

---

(427) ورد هذا النص موزعا بين بداية (ص 198-199) ونهاية (ص 201) وذلك لما أصاب هذا الكتاب من اضطراب وفوضى شديدة (مخطـوط القرويين رقم 64 ، رقم الفيلم بقسم الوثـائق بالرباط 647) .

الاستيعاب والاستقصاء

(6) تلك خاصية أخرى شهد بها للبارع كل علماء الأندلس وغيرهم ممن رأى الكتاب كاملا ، أو نقل عنه ، أو سمع به ، واعتبروها من مزاياه حين تحدثوا عن ضخامة هذا المعجم وعدد أوراقه . قال الزبيدي : «وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، ولا نعلم أحدا من العلماء المتقدمين والمتأخرين ، ألف نظيره في الاحاطة والاستيعاب» (428) ، وكذلك قال المقري في النفح (429) ، والذهبي في الشذرات (430) ، وابن خلكان في الوفيات (431) ويقرب من ذلك قول ابن خير من أنه بلغ 164 جزء ، في 4446 ورقة (432) . بل لقد قارنه الشيخ نصر الهوريني بالقاموس المحيط فقال يرد على الفيروزبادى في ادعائه التفرد بالاستيعاب والجمع ، وان كتابه خلاصة ألفي كتاب ما نصه : «على أن المصنف لم يستوعب ما في كتاب واحد وهو كتاب البارع لأبي علي القالي ، جمع فيه كتب اللغة بأسرها ، ورتبه على حروف المعجم ..» (433) . ولا عبرة هنا بما يكون من خلاف حول عدد أوراقه وحجمه ، اذا راعينا الاختلاف في حجم الورق وغير ذلك .

وقد كان ضروريا أن يخرج هذا المعجم الذي استمر تأليفه ستة عشر عاما (من سنة 339 هـ الى سنة 355 هـ) يتخللها انقطاع بين الحين والحين ، والذي نفض عليه القالي خزانة الحكم المستنصر المليئة بالذخائر كما يقول صاعد البغدادي ، أن يخرج في مثل الحجم المذكور . بالاضافة الى أن القالي جمع فيه كل ما وجده من أقوال وشروح وتفسيرات اللغويين ، وعزا كل كلمة لصاحبها .

زياداته على كتاب العين

يحكي المؤرخون من أهل الأندلس ، انه لما تم اخراج البارع وتنقيحه ، رفع للحكم المستنصر فأراد «أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وست مئة وثلاث وثمانين كلمة (434) . وقال ابن خير : «زاد على كتاب الخليل نيفا وأربع مئة ورقة ، مما وقع في العين مهملا فأملاه مستعملا» (435) . وهو قدر كبير كما نرى ، يجعلنا نقتنع أن القالي جعل

---

(428) طبقات الزبيدي (ص 186) ونقل عنه القفطي هذا القول في أنباه الرواة (209/1) .
(429) النفح (جـ 4 /74) .
(430) الشذرات (18/3) .
(431) الوفيات (226/1) .
(432) فهرسة ابن خير (ص 355) .
(433) ديباجة القاموس المحيط (ص 46) .
(434) التكملة (371/1) (الحسيني) ــ والذيل (175/6) .
(435) ابن خير (ص 354) .

من أهدافه ـ كما سبق القول ـ أن يفاخر بما أضافه وزاده على المعجم الخليلي ، الذي طارت شهرته وكادت تغطي على كل معجم رغم ما قيل فيه . وهذه الزيادات في الحقيقة ، هي التي وضعت مادة وافرة بين يدي الزبيدي الأندلسي ، اذ أخرج منها كتابا خاصا ، ما يزال ثاويا بين مخطوطات القرويين . وقد جمع فيه هذه الزيادات التي تفرد بها البارع على العين ، بعد أن جردها منه ، وبوبها تبويب الخليل . وسمى هذا التأليف (المستدرك في اللغة على كتاب العين) (436) . ولم يقتصر فيه ـ كما سنرى ـ على ايراد هذه الزيادات ، بل أضاف الى ذلك الانتقادات التي كانت مرة تصيب الخليل وأخرى القالي وثالثة كليهما معا . ونوه فيه خاصة بالردود والتصويبات التي أتي بها القالي على بعض مواد العين .

المصادر الكتابية

ومن خصائص الكتاب التي لم تذكر من قبل ، أن القالي رغم كثرة ما أخذه من علماء اللغة ، لم يكن يثبت أسماء المصادر والكتب التي يأخذ عنها الا في النادر القليل ، وقد يشير الى النقل من كتاب دون التصريح باسمه .

وهذا ما أمكن معرفته من هذا النوع من المصادر :

1 ـ فقد نص على النقل من كتاب مجهول الاسم ، كتبه بخط يده فقال : «ووجدت في كتابي الذي قرأته بخطي على أبي بكر بن دريد ، وكنت نسخته من أصل السكري بخطه الذي رواه عن أبي حاتم والرياشي والمازني» (437) .

2 ـ ونقل من كتاب الألفاظ لابن السكيت الذى رواه (438) .

3 ـ وعن كتاب الخيل للأصمعي (439) .

4 ـ وعن (كتاب اللغات) و (كتاب الغرائز) لأبي زيد (440) .

5 ـ وعن كتاب مجهول الاسم لأبي حاتم (441) .

6 ـ وعن كتاب مجهول الاسم لأبي عبيدة (442) .

7 ـ وعن ابن دريد في الجمهرة مرارا ، دون التصريح باسم الكتاب .

---

(436) أشار اليه ابن فرحون في الديباج (ص 264) وسماه : (زيادة كتاب العين) وسماه ابن خير : (المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد) (ص 350) .

(437) (ص 13 ب) .

(438) (ص 7 ـ 17 ـ 19 ب) .

(439) (ص 97 ـ 139 ب) .

(440) (ص 76 ف) .

(441) (ص 117 ف) .

(442) (ص 121 ف) .

8 ـ وعن كتاب العين الذي يصرح باسمه في (ص 139 ب) ويكتفي فيما عدا ذلك في النقل عنه بمثل هذه العبارة : (قال الخليل) .

وبالمناسبة فان هناك اشكالا أثاره الدكتور عبد الله درويش حول رأي ينسب للقالي (443) ، وملخصه أن أبا علي يطعن في نسبة العين لصاحبه بناء على أنه ليس للكتاب اسناد . وصورة هذا الاشكال تتجلى في أن القالي صاحب هذا الرأي الذي ينفي به نسبة العين للخليل ، هو نفسه الذي ينقل في البارع عن ذلك الكتاب بهذه العبارة : (قال الخليل) وأنه كان فخورا بأن يبز العين بزياداته عليه غي معجمه ، وهو شيء جعل درويش ينفي أن يكون هذا الرأي صحيح النسبة للقالي .

والحقيقة أن هذا الاشكال لا معنى له ، وكان الدكتور درويش في غنى عن اثارته ، لو أنه فهم النص الذي أورده السيوطي في المزهر نقلا عن الزبيدي فهما جيدا . ففي النص بقول الزبيدي : «وحدثنا اسماعيل بن القاسم البغدادي ـ وهو أبو علي القالي ـ (444) قال : "لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار ، ودفعه أبلغ الدفع" . وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئا من الخلل ، سليما من الزلل ، وقد غبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به ... الخ .» (445) . الى أن يقول : «ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه من معاني النحو انما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين ...» .

وسؤ الفهم آت من أن الدكتور درويش اعتبر أن كل هذا الكلام المتصل هو من قول أبي علي اسماعيل بن القاسم . والواقع أن كلامه ينتهي عند هذه العبارة : «ودفعه بأبلغ الدفع» . ولم يكن الترقيم شائعا بين القدماء شيوعه اليوم ، حتى يفصلوا بين الجمل والأقوال . والا لوجدنا ما يدل على انتهاء كلام القالي بعد تلك العبارة التي يتلوها تعليق الزبيدي على انكار أبي حاتم وحججه وأدلته التي حاول بها الدفاع عن نفسه أمام الذين أتهموه بالتحامل على الخليل .

والحاصل من هذا أن القالي لم يكن له رأي معروف حول كتاب العين ، وهو ان

---

(443) ورد هذا الرأي ومناقشته عند عبد الله درويش في كتابه (المعاجم العربية) (ص 48 و 55) ثم في مقدمة تحقيق كتاب العين ج 1 . وقد صنف الدكتور حسين نصار (المعجم العربي 280/1 و 282) بدوره أبا علي القالي ضمن المنكرين لكتاب العين . واعتمد الرجلان معا على ما نقله السيوطي في المزهر (83/1) عن الزبيدي في كتابه (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) .

(444) هذه زيادة من السيوطي .

(445) المزهر (83/1 ـ 84) .

ىر يبدو شاكا متحرجا في (المقصور والممدود) من نسـبة الكتاب لصاحبه (446) فهو في البارع لا ينقل شيئا عن العين الا وينسبه للخليل باللفظ الصريح . والذي له رأي واضح في الموضوع حقـا ، هو تلميذه أبو بكر الزبيدي الذي يلخصه بقوله : «ونحن نربأ بالخليل عن نسبة الخلل اليه ، أو التعرض للمقـاومة له ، بل نقول : ان الكتاب لا يصح له ، ولا يثبت عنه ...» (447) ولعل البارع لعب دورا مهما في تبصير الزبيدي بأخطاء العين ، مما جعله يقف منه ذلك الموقف المذكور .

شخصية المؤلف

تكاد شخصية القالي تضيع وتختفي في هذا المعجم الكبير ، وراء أكداس من المواد ، وأسماء اللغويين وأعلام الشعراء . ولعل السبب في ذلك سبب موضوعي ، اذ الكتاب معجم لغوي لا يقتضي غير الجمع ثم التنظيـم والترتيب وما هو بدراسـة تحليلية . ومع ذلك يمكننا أن نلمس أثر هذه الشخصية من خلال تدخلاته في الكتاب بين الحين والآخر . فمن ذلك :

– تدخله لنقد المادة التي يوردها ، أو تقديم شـكه فيما لا يرى صحته ومن أمثلته قوله : «قال أبو علي : قال الخليل : تقول : أضمغ شدقه . قال والاضماغ بكسر الهمزة : أن يكثر بصاق شدقه . قال الشاعر :

وأضمغ شـدقه يبكى عليهـا
يسيل على عوارضه البصـاقا

قال أبو علي : لست من هـذا الحرف على ثقـة ، فاني لم أجده الا في كتـاب العين» (448) .

– تدخله للتنبيه على ما يقع بين الروايات من خلاف وتعارض . ومن أمثلته قوله : «قال أبو علي : قال أبو زيد : ذقنت الرجل أذقنه ذقنـا اذا قفدته قفدا ، بفتح القاف في الماضي وضمها في المستقبل وسكونهـا في المصـدر . قال أبو علي : ووجدت في كتابي الذي قرأته بخطي على أبي بكر بن دريد ، وكنت نسخته من أصل السـكري بخطه الذي رواه عن أبي حاتم والرياشي والمازني : ذقنت الرجل أذقنه

---

(446) نرى أن القالي في (المقصور والممدود) لا يستعمل في كل نقوله عن الخليل الا هذه العبارة التي تفيد الشك والتحرج : (قال صاحب كتاب العين) ولم ينسب الى الخليل شـيئا الا ما نقله عن سيبويه .

(447) المزهر (1/82) .

(448) (ص 139 ب) .

ذقنا . وأنا منه أوجر (449) ، لأني رويته عن يعقوب وغيره : ذقنته أذقنه ذقنا بفتح القاف في الماضي وضمها في المستقبل ، اذا ضربت ذقنه» (450) .

– التدخل لابداء بعض آرائه في أصل الكلمات واشتقاقها . ومن أمثلة ذلك قوله : «وقال أبو علي : انمـا قيل لما حول الفم : ملغم لأنه موضع اللغام . وقال الأحمر : الملاغم ما حول الفم . ومنه قيل : تلغمت بالطيب اذا جعلته هناك» (451) .

– التدخل لتوجيه بعض أخطاء العامة . ومن أمثلة ذلك قوله : «ويقال : هو خير من فلان . والعامة تقول : أخير منه بفتح الخاء وسكون الياء وهو خطأ ، انما هو خير من فلان . ولكن بعض العرب يقـول : أخير منه ، فيسـكن الخـاء ، ويفتح الياء» (452) .

بعض أخطائه وعيوبه

لا بد قبل اصدار أحكام على بارع القالي ، أن نحترس من أمرين : أولهما ضياع القسم الكبير من الكتاب ، وثانيهما وفاة صاحبه قبل أن يحرره ويخرجه في صيغته النهائية .

ولكن هذا لا يمنع من ابداء ملحوظات قليلة حول القسم المتبقي من الكتاب .

فمن عيوبه المنهجية :

(1) **الاستطراد في جمع المواد وشرحها** ، حتى لتبلغ المادة الواحدة صفحات متعـددة مثلما هو الحال في مادة : جر – وجد – غمر – غرض – لها – رهو – هدى – زهو – غار – بغبى – قوم – وجب – جم – شجر ... والسبب في هذا الطول والاستطراد الممل ، هو كثرة النقول والاستشهادات .

(2) **التكرار** : ومن أمثلته انه ذكر (عذم) في الثلاثي الصحيح من حرف العين (ص 56 ف) ثم أعاد ذكر المادة في الصفحة الموالية .

ومن ذلك انه ذكر مادة (قضقض) في (القاف والضاد المكررتين من الأوشاب) (ص 94 ف) ، ثم أعاد نفس المادة في (القاف والضاد مع سائر الحروف في الرباعي) من حرف القاف (ص 95 ف) .

---

(449) وجر من كذا . بكسر الجيم . خاف .
(450) (ص 13 ب) .
(451) (ص 47 ب) .
(452) (ص 52 ب) .

ومما نبه عليه الزبيدي في هذه النقطة ، أنه أعاد باب الهاء والعين (في الرباعي من حرف الهاء) بعد أن مضى ذكره كله في الرباعي من حرف العين (453) .

(3) **الخلط في الترتيب ووضع بعض المواد في غير مواضعها** : ومن أمثلة ذلك أنه ذكر في الثلاثي المعتل من حرف الهاء (هري) وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان . والجمع أهراء ــ كما قال ــ ثم نجــده بعد ذلك مباشرة يذكر أن مقلوبه (هرو) (ص 11 ف) . ثم استعمل (غيل) وذكر أن مقلوبها (غول) ، وأمثلة هذا النوع كثيرة في الكتاب . وواضح أن مقلوب (هري ــ وغيل) ليس هو (هرو ــ وغول) انما هي حروف علة تتراوح فيما بينها . وليس معنى هذا أن القالي يجهل ذلك ، فقد تجنب هذا الخطأ في أغلب مواد الكتاب .

– ومما وضعه القالي في غير موضعه ، أنه استعمل (عراهن) ــ أي عظيم ــ في الرباعي من حرف الهاء (ص 30 ف) ، وذكر أن مقلوبهــا (هرمغ) ــ أي الخفــة والسرعة ــ وليست الكلمتان من باب واحد .

– وذكر القالي باب الأوشــاب أو الحواشي ، حيث أدخل اللفيف ، ولكنه لم يلتزم بذلك . بل كثيرا ما نجــده يذكر مواد من اللفيف تحت الثلاثي المعتل . فمثلا ذكر (غوى) في المعتل الثلاثي ، أما مقلوبها (وغى) فقد ذكره في معتل الأوشاب .

– وذكر أنه سيدخل في باب الأوشاب ما كان من الأصوات والزجر ... الخ . ولكنه لم يدخل تحته في الحقيقة كل الأصوات وحكايات الأصوات . فلم يدخل هناك مثــلا (ضغضغ) ومقلــوبه (غضغض) ، والضغضغــة صوت ونفس كمــا قال هو نفســه (454) ، بل ذكرها في الرباعي . وكذلك (غطغطة) ذكرها في الرباعي ، وهي ضرب من الأصوات كما يقول في تفسيرها (455) . والأمثلة على هذا كثيرة . بل أن أكثر الكلمات الرباعية المضاعفة يمكن اعتبارها أصواتا أو حكايات أصوات .

– ثم أن هناك خلطا آخر في أبواب الرباعي خاصة ، ذلك أن الطريقة التي رتب بها هذا الباب ليست دقيقة كل الدقة ، ولا تضمن حصر الكلمات ، بل تجعلها تتراكم بشــكل عشوائي دون تنظيم محكم جامع لسائرها مانع لدخول غيرها معهــا . فهو يكتفي بذكر الحرف المعقود له الباب ويتلوه بالحرف الموالي في الترتيب . ولم يلتزم في الرباعي غير هذين الحرفين ويبقى الباب مفتوحا لسائر الحروف الأخرى . ومثال ذلك أنه يذكر في باب (الغين والراء مع ســائر الحــروف في الرباعي) (ص 81 ف) الكلمات التالية :

---

(453) المستدرك على العين (ص 187) .

(454) (ص 78 ف) .

(455) (ص 77 ف) .

(طرغم ـ غرطم ـ غرغر ـ رغرغ ـ غطرس ـ غربل ـ برغل ـ غطـرف ـ غذمر ـ زغرب ـ برغز) بالترتيب . فما هو الجامع الذي يربط بين هذه الكلمات غير الغين والراء ؟ وهذا لا يكفي في التنظيـم ، لأن ذينك الحرفين موجودان في كلمـات أخرى ذكرها في باب (الغين والشين مع سائر الحروف من الرباعي) مثل (شغرب ـ شغبر ـ شنغر ـ طرغش ـ غشمر ـ برغش) . وكلمات ذكرها في باب (الغين والضاد من الرباعي) مثل :

(غرضف ـ ضرغط ـ ضرغد ـ غضرم ـ ضرغم) . وذكر (غرمل) في باب الغين واللام من الرباعي . فكل هذه الكلمات من الأبواب الأخرى تشترك في الغين والراء . وعليه فالنظام الذي وضعه القالي لأبواب الرباعي ، لم يكن نظاما محكما . ولقد كان الجوهري في الصحاح ، أحكم منه عندما التزم الحرف الثالث في الرباعي ، والرابع في الخماسي .

ـ ومن هذا النوع من الأخطـاء المنهجية ، أنه يضطرب في ترتيب الكلمـات الرباعية المضـاعفة ، فهو مرة يضعها في الثنائي المضاعف مثل الخليـل ، ومرة يدخلها في الرباعي .

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر الجثجاث في مادة (جث) من الثنـائي و (جفجف) في (جف) ، و (جبجب) في (جب) و (بجبج) في (بج) ، و (جمجمة) في جم (456) . ولكنه في نفس الوقت يذكـر (غضغض ـ وضغضـغ ـ وقضقض ـ ونقنـق ـ وقطقط ـ وقصقص) في الرباعي . وقد يعيد ذكرها في الأوشاب لأنها حكايات أصوات .

وهناك أخطاء أخرى أحصاها الزبيدي في مستدركه ، وسنؤجل الحديث عنها .

---

(456) وأنظر أيضا (عقعق) في (عق) ـ و (قعقع) في (قع) (ص 37 ف) ـ وكعكعة في (كع) (ص 76 ف) ـ و (عجعج) في (عج) (ص 77 ف) ـ و (جعجع) في (جع) (ص 78) من حرف العين .

ثانيا ـ أثر الكتاب في الأندلس

أ ـ روايته

تم تأليف البارع كما هو معروف سنة 355 هـ ، وذلك قبل سنة وثلاثة أشهر من وفاة مؤلفه الذي أقعده المرض عن تنقيحه وتهذيبه كاملا . ولكن تلاميذه لم يمهلوه وهو على موعد قريب مع الموت ، فأسرعوا اليه ليأخذوا الكتاب ، وكان آخر ما سمع عنه بالأندلس .

ويحتفظ لنا ابن خير في فهرسته ، بسندين لرواية البارع :

(1) فقد رواه ابن خير أولا عن هذا الطريق :

ابن خير
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
أبو محمد غانم بن وليد
↓
أبو عمر يوسف بن خيرون السهمي
↓
أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد
↓
أبو علي القالي

(2) ثم رواه أيضا بهذا السند :

ابن خير
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
أبو بكر عبادة بن ماء السماء
↓
أبو بكر الزبيدي
↓
القالي (457)

(457) ابن خير (ص 354) .

ولعل وفاة القالي اثر تأليف البارع ، هي التي جعلتنا لا نجد أسانيد أخرى لرواية الكتاب بالأندلس .

ب ـ الدراسات والنقود التي قامت حوله

لقد سبق القول ان الحكم المستنصر ، كان مهتما بخروج الكتاب الى الوجود (458) ، فلما مات القالي ولم ينقح من كتابه سوى الأحرف الثلاثة الأولى ، وهي الهمزة والهاء والعين (459) ، قام محمد بن الحسين الفهري ، ومحمد بن معمر الجياني ـ وقد كانا وراقيه ومستمليه ـ بمراجعة الكتاب واتمام تنقيحه وتهذيبه . وغالب الظن أن ذلك تم بأمر من الحكم المستنصر . قال ابن الأبار في ترجمة الفهري المذكور «وهو تولى مع محمد بن معمر الجياني نسخ ما لم يهذب أبو علي من تأليفه الذي سماه البارع ، وتهذيبه من أصوله التي بخطه وخطهما ، ما كتبا بين يديه ... فلما كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله ، أراد أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وست مئة وثلاث وثمانين كلمة» (460) .

وسبق القول أيضا أن الزبيدي ذكر في مقدمة كتابه (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) أن الحكم كان قد أمره بتنقيح البارع وتهذيبه والزيادة في أبوابه . وقد ذكرنا أيضا أن آثار هذه الزيادات ما تزال موجودة في النسخة الباريسية للكتاب .

فلذلك نعتبر أن هذه الحركة ، حركة مراجعة الكتاب وتهذيبه وتصحيحه والاضافة اليه ، وقد تمت تحت رعاية الحكم المستنصر وبأمر منه ، هي أول نشاط علمي يقوم بالأندلس حول الكتاب مباشرة بعد وفاة صاحبه .

ولم تمض بعد ذلك الا فترة قليلة ، حتى تكونت نتيجة ظهور البارع حركة أخرى من الدراسات . فكان ممن تأثر بهذا المعجم واشتغل به وألف حوله :

(1) **تلميذ القالي أبو بكر محمد بن الحسين الفهري** (461) الآنف الذكر . ينسب اليه كتاب **(جوامع كتاب البارع)** . قال المراكشي في الذيل : انه وقف عليه ، ونقل منه في ترجمته : «ذكر ذلك محمد بن الحسين الفهري المذكور في كتابه الذي سماه

---

(458) أنظر في هذا البحث الداعي لتأليف الكتاب .

(459) أنباه الرواة (209/1) .

(460) التكملة (371/1) (الحسيني) . وأنظر الذيل (175/6) .

(461) ترجمته في التكملة (371/1) (الحسيني) ـ والذيل (175/6) ـ والجذوة (374) ـ وبغية الملتمس (524) ـ والوعاة (294) ـ وأنباه الرواة (71/3) .

"جوامع كتاب البارع" وقفت على ذلك الكتاب المذكور بخط كاتبه للحكم ..» (462) .
ويقول في نفس الترجمة مرة أخرى : «وقد قرأت بخط أبي علي الغساني على ظهر كتابي من الاصلاح بخط الغساني أيضا ما نصه : ذكر أبو عبد الله محمد بن الحسين الفهري وراق أبي علي البغدادي في مقدمة كتاب البارع من تأليفه : قال لنا أبو علي اسماعيل بن القاسم غير مرة : قال لنا أبو بكر بن دريد وابن الأنباري ...» (463) .

فان صح كل ما قاله المراكشي ، فسيكون معناه أن الفهري وضع أولا كتابا خاصا سماه (جوامع كتاب البارع) ولا نعرف ما فحواه ، سوى أن يكون تكملة أو حواشي على الكتاب . ثم وضع للبارع بعد أن نقحه وهذبه مع زميله الجياني ، وأصلح منه حرفي الهمزة والعين ، مقدمة نقل منها الغساني ما رواه القالي عن شيخيه ، ابن دريد وابن الأنباري . ولم يصلنا على كل حال شيء من الكتابين .

(2) ولعل أبا بكر الزبيدي ، كان أكثر تلاميذ القالي ، وأعظم رجال الأندلس تأثرا بكتاب البارع . فبعد عملية التنقيح والتهذيب والزيادة التي قام بها ، أتى بخطوة ثانية ، وهي عقد مقارنة واسعة بين البارع وكتاب العين ، كان القصد منها التنبيه على زيادات الأول على الثاني . وهذا يعني شيئين على الأقل ، أن أهل الأندلس ـ ومنهم الزبيدي ـ كانوا يدركون علاقة شبه قوي بين الكتابين من جهة ، وان كتاب البارع فاق كتاب العين بمزايا واضافات كثيرة ليست موجودة في الأول ، من جهة ثانية .

أما كتاب الزبيدي الذي كان موضوعه هذه المقارنة ، فهو الذي يسميه ابن خير (بالمستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل ابن أحمد) (464) . وقد رواه عن الزبيدي أبو بكر عبادة بن ماء السماء أحد تلامذة القالي وهو شاعر مرموق ، وعنه رواه غانم بن وليد الذي أخذه عنه ابن اخته أبو عبد الله النفزي ، وعنه ابن خير الاشبيلي (465) .

والاسم المختصر لهذا الكتاب هو (المستدرك في اللغة) (466) . قال في أوله :

---

(462) الذيل (175/6) .
(463) نفس المصدر . ويكنى الفهري المتحدث عنه بأبي عبد الله أيضا .
(464) ابن خير (ص 350) .
(465) نفس المصدر والصفحة .
(466) ومنه نسخة خطية محفوظة بالقرويين رقم 64 وهو مصور أيضا على الشريط بقسم الوثائق بالرباط رقم 647 . وقد ورد عنوانه في هذه النسخة على هذا النحو : (كتاب المستدرك في اللغة على مختصر العين . وما لم يقع في كتابه استدرك هنا واستخرج من كتاب البارع وكتاب العين) وهو عنوان لا يوافق محتوى الكتاب الذي استدرك به الزبيدي على كتاب (العين) وليس على مختصره .

(المستدرك في اللغة أمر بجمعه وتأليفه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين عبده محمد بن حسن الزبيدي ، رحمه الله ، فاستخرجه من كتاب أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي الموسوم بكتاب البارع وضمن هذا الكتاب الزيادة التي في كتابه مما لم يقع في العين خاصة» .

وتفيد النسخة الخطية الموجودة منه أنها مجرد اختصار من الكتاب الأصلي ، وضعه شخص مجهول . فقد جاء اثر الكلام السابق من المقدمة ما لفظه : «ووعد أبو بكر الزبيدي في صدر هذا الكتاب أن يحسن الاختصار فلم يف بما وعد ، بل كرر وطول ، حتى صار هذا الكتاب أكبر من كتاب الخليل ، فدعت الضرورة الى اعادة اختصاره ثانية ، وتجريد ألفاظه الزائدة في الأصل (...) وليوقف على ما أغفله الخليل بغية الايجاز وليخف حمله على الباحث عنه ، ان شاء الله» .

ولقد كان الغرض من وضع الكتاب هو كما قال المؤلف في باب الرباعي (حرف العين ص 35) : انه التزم في كل باب «الزيادة التي استدركها اسماعيل من مستعمل كلام العرب» على كتاب العين . الا أننا نجد فيه مع هذا ما يزيد قدره قيمة ، بما تضمنه من ملحوظات وانتقادات كانت مرة تصيب الخليل وحده (وهي الغالبة) ومرة تصيب القالي وحده ، وثالثة لا تخطئهما معا . وقد بين في تلك الملحوظات أغلاطهما وأوهامهما في الكتابين (العين) و (البارع) . ويمكن تصنيف أخطائهما التي نبه عليها الزبيدي ، على هذا النحو :

(1) **أخطاء الاهمال :** وأكثرها منسوب للخليل . وهي أن يهمل في كتاب العين ذكر باب أو مادة موجودة في كلام العرب ، وهي مستعملة عند القالي في البارع . أمثل لذلك يقوله في (مادة فكع ص 14 من حرف العين الثلاثي الصحيح) . قال : «فكع : قال محمد : أهمل هذا الخليل ، وذكره اسماعيل فقال : فكع مثل عفك» .

وبالرجوع الى كتاب العين ، سنجد أن الخليل حقا لم يذكر من تقاليب مادة (العين والكاف والفاء) سوى (عكف – وعفك) (467) وقد أهمل (فكع) وغيرها مما أتى به القالي .

ومثل ذلك يلاحظه على القالي نفسه أحيانا . مثل قوله في مادة (العين والجيم والدال من الثلاثي الصحيح حرف العين) : «عجد : قال محمد : لم يذكر أبو علي عجد ، ولا جاء به مستعملا وذكره الخليل مستعملا» (468) .

---

(467) العين (234/1) .

(468) (ص 15) . وقال الخليل في العين : (249/1) : العجد : الزبيب وهو حب العنب أيضا وقيل : بل هو ثمرة غير الزبيب شبهه بها .

(2) **أخطاء في الترتيب والتنظيم :** من ذلك انه نبه عليهما معا في (ص 95 ، مادة ــ قيد ــ من الثلاثي المعتل) بقوله : «قيد : قال : وقعت هذه الأبواب في الكتابين مختلطة غير مرتبة ، فذكرناها على حسب ما وقعت ..» .

ومن ذلك ما نبه به على القالي خاصة (ص 32 ، مادة العين والزاى في الثلاثي المعتل ، قال :

«عوز : قال محمد : جعل اسماعيل (عزو) في هذا الباب ، على ما جاء به الخليل . والنحويون يقولون : ان (عزو) من المعتل اللام» .

(3) **أخطاء التصحيف :** كقوله في (ص 72 خصب) : «خصب ــ لم يزد اسماعيل في باب خصب شيئا على ما جاء به صاحب العين . الا أن اسماعيل قال عن الخليل : والخصب حبة بيضاء تكون في الجبل ، والجمع الأخصاب . قال محمد : وهذا وهم وتصحيف في هذه الكلمة ، والذي أعرفه : الحصب بالحاء غير معجمة . وفي كتاب سيبويه : (وقد تطويت انطواء الحضب) (469) ، هكذا رويته» .

ومما عابه الزبيدي على شيخه أبي علي خاصة :

(1) **اقتصاره أحيانا على ما ذكر الخليل دون زيادة :** وذلك أن الزبيدي كان همه بالدرجة الأولى في هذا الكتاب ، أن يحصي الزيادات التي أتى بها اسماعيل وأغفلها الخليل . فاذا رأى أن القالي اقتصر في مادة من المواد على ما قاله صاحب العين نبه على ذلك . ومثاله ما في حرف الخاء (من الثلاثي المعتل ص 81) . قال أبو بكر : «صاخ ــ قال : لم يزد اسماعيل فيه شيئا على ما جاء به الخليل» .

(2) **اتباعه الخليل في أخطائه :** فكثيرا ما أدى بالقالي اتباعه للخليل الى الخطأ ، فكان الزبيدي لا يلبث أن ينبه عليه ، كما في هذا المثال :

«هلم (470) ــ قال محمد : لم يزد اسماعيل في باب هلم شيئا على ما في العين ، الا أن اسماعيل غلط في هذا الباب واحتمل فيه على مذهب صاحب العين . قال : فقال الخليل : هلم كلمة دعوة الى شيء ، والواحد والاثنان والتأنيث والتذكير فيه سواء . قال : وهلم ليست من هذا الباب عند النحويين الحذاق ، وانما هي من كلمتين ، كان الأصل فيهما ، لم وصلت بالهاء وصيرتا بمنزلة كلمة واحدة . فليست من هذا الباب في شيء ، لأن (هاء) للتنبيه وهي زائدة» (471) .

---

(469) وكذلك هو وارد في كتاب سيبويه (2/244) . وهو بيت من الرجز لرؤبة .

(470) هذه الكلمة نبه بها الزبيدي كذلك على الخليل بن أحمد في كتابه الثاني (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) (ص 57) مخطوط .

(471) (ص 183) حرف الهاء . الثلاثي الصحيح .

(3) **ذكره لمواد منسوبة للخليــل وهي غير موجودة في العين :** فقد كان أبو علي يقول أحيانا : «قال الخليل كذا» ويأتي بعبــارة غير موجودة في العين ، فينبه على ذلك الزبيدي ، ومثاله «فعص – [قال] (472) اسماعيل : قال الخليل الفعص : الانفراج . قال محمد : ولم نجده في العين» (473) وفعلا ، فاننا لا نجد هذه الكلمة في كتاب العين ، اذ لم يذكر من تقــاليب المادة سوى (عصف – عقص – فصع – صفع) (474) .

(4) **التكرار :** ونبه الزبيدي أيضا على ما يقع للقالي من التكرار ، ومثــاله : «أبواب الرباعي : الهاء والعين . قال : وهذا الباب مكرر قد مضى في أبواب الرباعي من أبواب العين فوهم اسماعيل فيه وأعاده» (475) .

(5) **استعماله لكلمات مولدة :** كما في هذا المثال : «شعذ – قال محمد : ذكر اسماعيل في هذا الباب كلمة اخترعها المولدون وليست تصح عن العرب» (476) .

وقد تعمدت في هذه الأحوال كلها أن لا أكثر من الأمثلة ، طلبا للايجاز .

وهكذا نرى أن كتاب (المستدرك) ظاهرة فريدة المثال في نقد المعاجم اللغوية ، بالأندلس ، وان لم ينل لحد الآن عناية أحد من الدارسين فيمــا أعلم . وقد استفاد فيه الزبيدي من كتاب البارع استفادة لا تقدر ، اذ كان هو المادة الأساسية التي ملأ بها صفحات هذا المستدرك . وليس الكتاب بعد هذا استدراكا على العين خاصة ، مما زاده عليه البارع ، بل فيه أيضا من الاســتدراكات والتنبيهــات والنقود ، على القالي حظ وافر . حتى ليسهل علينا أن نقول في النهــاية : أن الزبيدي عقد مقارنة بين الكتــابين (العين) و (البارع) ، واســتخلص من ذلك زيادة الثاني على الأول ، وزيادة الأول على الثاني ، ونبه على أخطائهما وأوهامهما معا ، بأنواع مختلفة من التعقيبات والانتقادات التي تصور لنا شخصية الزبيدي اللغوية ، وقدرته على مجابهة علمين كبيرين من أعلام اللغة ، واحد في القرن الثاني ، والآخر في القرن الرابع .

وقد جرد الزبيدي كتاب (المســتدرك) من أغلاط العين خاصة ، ثم ضمنهــا مع تعليقاته واستدراكاته عليها ، كتــابا ثانيا ســماه **(استدراك الغلط الواقع في كتــاب**

---

(472) زيادة يقتضيها السياق .
(473) (ص 21) مادة العين والصاد والفاء من الثلاثي الصحيح . حرف العين .
(474) العين (1/358) . حرف العين – (العين مع الصاد والفاء) .
(475) المستدرك (ص 187) حرف الهاء – أبواب الرباعي .
(476) (ص 18) مادة : العين والشين والذال .

العين (477) وهو مرتب بدوره على حروف المعجم حسب مخارجها . وقد أراد بهذا الصنيع أن يستشهد لرأيه الذي ينفي فيه نسبة العين لصاحبه .

واذا لم تكن لهذا الكتاب علاقة مباشرة ببارع القالي ، فان بعض التنبيهات والاستدراكات الخاصة بأبي علي ، والواردة بالكتاب الأول (المستدرك في اللغة) قد تكررت هنا ، كما هو الشأن في مادة (هلم) . وهكذا نرى كيف أفاد الزبيدي بشكل واسع من كتاب البارع ، في فضح عيوب العين وكشف أخطائه وأغلاطه ، وشرع أمامه مجال النقد والتأليف .

(3) ويأتي المنصور بن أبي عامر الحاكم الذي أراد أن يعفي على آثار الأمويين السياسية والثقافية ، بمحو أعمالهم ومنجزاتهم أحيانا ، وتقليدهم أحيانا أخرى ، فيعقد مجالس للعلم بقصره يحضرها العلماء ، ومن هذه المجالس ما كان مخصصا لقراءة كتاب البارع ــ حسب ما يذكر صاعد البغدادي المتوفي سنة 410 هـ ــ وقد كان صاعد هذا أول من يتصدى لنقد البارع في تلك المجالس ، ولكنه مع الأسف لم يحتفظ لنا في (فصوصه) الا بنص واحد يحكي فيه نموذجا من نقوده واعتراضاته على البارع قال : «قال صاعد بن الحسن : كان مولانا المنصور [بن أبي عامر] (478) أطال الله بقاءه ، أمر بقراءة البارع ، وهو كتاب لأبي علي القالي ، رحمه الله ، صنفه بالأندلس ، ونفض كتب المستنصر ــ رحمة الله عليه ــ واستقصى (479) وهو كتاب احتذى فيه [بكتاب] المفضل (480) بن سلمة صاحب الفراء ، وهو كتاب بليغ (481)، يقع بخط مجموع في نحو من ثلاثة آلاف ورقة وسماه البارع ، يرد فيه على كثير مما أورد صاحب العين ويخطئه فيه . ولابن دريد كتاب في الرد عليه كبير ، يعرف بكتاب الانتصار لصاحب كتاب العين . فنقله أبو علي وضم اليه من خزانة المستنصر ، رحمه الله ، زوائد كثيرة . فكان يقرأ على المنصور بحضوري ، فكنت أذكر ما أخل به ولم يقع عليه ، فكان يقع ما أورده مرة في حال الاستحسان ، وتارة في حيز الارتياب ، وأخرى في حيز الرد . اذ لم يصحبني من كتبي التي درست فيها (482)

---

(477) نقل منه السيوطي في المزهر (79/1) وما بعدها . ثم في (ص 381/1) ومنه نسخة خطية بالقرويين رقم 2695 ل 80 وهي غير تامة .

(478) في الفصوص : (أبا عامر) وهو خطـ

(479) في الأصل : (واستقضى) بالضاد المعجمة وهو تصحيف .

(480) في النسختين من الفصوص : (احتذى فيه بالمفضل) ، ولعل الصواب الذي يستقيم به معنى النص : (احتذى فيه بكتاب المفضل ..) .

(481) يقصد كتاب البارع للمفضل بن سلمة .

(482) في المخطوطتين : (منها) وهو تصحيف بلا شك .

شيء ، وكان معولي على حفظي . فقريء عليه حرف الحاء والميم ، فاستمعت الى آخر الباب ، فقلت : قد [أخل على طلبه الاستقصاء] (483) بكلمتين . قال المنصور ، أيده الله : وما هما ؟ قلت ...» (484) . ثم ذكر الكلمتيـن اللتين استدركهمـا على البارع ، أولاهما (الحميم) بمعنى البارد ، وثانيهما (الحمـام) بمعنى المرآة وأتى على ذلك بشواهد ، وذكر المناقشات التي جرت على اثر كلامه . فقد اعترض عليه أحد الحاضرين ، ورفض سماع حجته ... قال : فوقع كلامي موقع الريبة ، الى أن ظفرت بكتاب تضمن هذه الرواية وهذا المعنى وأريته الموضع . وهو كتاب (مجالس ثعلب) عن ابن الأعرابي ، فاذعن له» . وهذا يدل على مكـانة البارع في نفـوس العلماء الأندلسيين ، الذين لم يكونوا مستعدين لتقبل ما يأتي به صاعد وأمثاله من انتقادات الا ما ثبت بالحجة والدليل .

والنص بعد ذلك يتضمن رأيا غريبا في البارع لم يسبق اليه ولم يتبعه فيه أحد ، فقد ذكر أن القالي احتذى فيه بكتاب المفضل بن سـلمة النحوي الكوفي المسـمى (بالبارع في اللغة) ، بل نقله الى كتابه ، وزاد عليه من خزانة الحكم المستنصر ، وهو رأي لا يمكن أن نتقبله منه بسهولة ، وذلك للأسباب التالية :

أ ـ انفراد صـاعد بهذا القول دون بقية العلماء الموثقين ، ممن قرأ الكتـاب وفحصه ودرسه ونقده ، وعلى رأسهم الزبيدي وغيره من الذين رووا أخباره وذكروا خصائصه ، واستدركوا عليه .

ب ـ ورود النص في اطار القصص الكثيرة التي يمتليء بها كتاب الفصوص ، ويكون موضوعها الاعجاب بالنفس واظهار التفوق الكاذب على العلماء ، وما أشبه ذلك من الخوارق والادعاءات التي أنكرها عليه كل علماء الأندلس . فهو عندهم منهم في علمه وأخباره «يتكلم بملء فيه ، ولا يوثق على ما يذره وما يأتيه» كما يقول بحق ، ابن بسام ، ونقله عنه المقرى (485) . فالنص السابق عبارة عن قصة يرويها الرجل عن مجلس من مجالس المنصور العامري ، حضره واتهم فيه القالي بالتقصير في موضعين ذكرهما ، وأنكرهما عليه أحد الحاضرين ، فلم يستطع اقناعه واسكاته الا بعد أن أتى بكتاب مجـالس ثعلب ، فظفر بالحجة وانتهت القصة بانتصـاره . وهي قصة غير عادية ولا سيما اذا قورنت بمثيلاتها من القصص الواردة بالفصوص . ومن أمثلة هذه القصة ، قصة أخرى جرت بمحضر المنصور أيضا ، ناقشه فيها الزبيدي

---

(483) في المخطوطتين : (قد خل على طلبه الاستقـ ...) .

(484) الفصوص : مخطوط الرباط رقم 1668 ك (ص 2/274) والنص مقابل بالنسخة الثانية من الفصوص وهي نسخة القرويين رقم (خ 587/40) .

(485) الذخيرة (ص 2) المجلد 1 ، السفر الرابع . والنفح (ج 4 / 94) .

في مسائل ، وسأله أن يأتي بالأسماء التي يعرفها للقيم على المال ، فأتى بثمانية عشر اسما حتى استلب اعجاب الحاضرين ، وقام الزبيدي مبهوتا الى المنصور ، واعترف أمامه بتفوق صاعد على القالي ، لأن هذا الأخير لم يذكر من تلك الأسماء في (أماليه) الا نحو السبعة أو الثمانية (486) فاذا بصاعد يتيه عجبا ويقول : «وما أعجبك مما رأيت وأنا أشرح الغريب المصنف في أربعة أمثاله ، فأعفي ملتمس هذا العلم أن ينظر بعده في شيء من كتب اللغة ؟» فأجاب الزبيدي متحديا أو متعجبا : «اذا فعلت هذا ، فأنا أول غاد اليك ورائح عنك» (487) . ويكفي للطعن في هذه القصة الأخيرة ، أنها واردة بصيغة ونتائج تناقضها في نفح الطيب (77/4) . فهي هنالك تنتهي بهزيمة صاعد وتسفيه العلماء له ، ومنهم الزبيدي نفسه ، والعاصمي وابن العريف .

وهناك مثل آخر ، وهو القصة التي يرويها عن مجلس في حضرة أبي شجاع فناخسروه بالموصل ، فقد سأله هذا أن يعدد له الأسماء التي يعرفها للمهذار ، فذكر له ستة ، ولما ناقشه رجل يسمى (قرموطة) كان حاضرا بالمجلس في الاسم السابع ، انتصر عليه صاعد أيضا ، وظفر منه بالاعجاب (488) .

انها أمثلة مع غيرها ـ وهي كثيرة ـ تحكي العجائب عن بطولة صاعد ، وانتصاراته العلمية . ومنها ما كان فيه الحط من قيمة أبي علي القالي والازراء بسمعته وعلمه ، قصدا واضحا فلا حجة فيه اذن ، كالقصة الواردة في النص المذكور .

جـ ـ ان صاعدا شخصية استعملها المنصور بن أبي عامر المستبد بالحكم في وجه الأمويين بالأندلس ، لمحاولة طمس آثار أبي علي القالي ، باعتباره كان واحدا من صنائع بني أمية . ذلك ما ينص عليه ابن بسام ، اذ يقول عند ذكر صاعد : «فأراد المنصور أن يعفي به آثار أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية قبله ، وهزه لذلك فألفى سيفه كهاما ، وسحابه جهاما» (489) . بل ان كتاب الفصوص في جملته لم يوضع الا لهذا القصد ، فالمقري يحكي لنا أن المنصور أخرج كتاب النوادر لأبي علي وأراه صاعدا ، فلما رآه قال للمنصور : «ان أراد المنصور أمليت على كتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل ، لا أورد فيه خبرا مما أورده أبو علي . فاذن المنصور

(486) وقد سبق أن رأينا أن القالي ذكر أكثر من ذلك بأماليه . أنظر المبحث الخاص بالأمالي في هذه الدراسة .

(487) الفصوص (78/I) ، مخطوط الرباط .

(488) نفس المصدر (226/I) ، مخطوط الرباط .

(489) الذخيرة : المجلد I ، السفر 4 (ص 2) .

له في ذلك ...» (490) . غير أن علماء الحضرة من معاصريه والمتأخرين عنه ، تتبعوا الكتاب بعد أن تم تأليفه «فلم تر فيه كلمة صحيحة عندهم ، ولا خبر يثبت لديهم» . كما يقول المقري . فرجل استعمل لهذه الغاية ، وأنيط به هذا الدور ، خليق بأن يضع على القالي الأقاويل ، ويكون منه موضع الحسود أو العدو اللدود . فهيهات أن تقبل له شهادة في رجل اتفق الجميع على توثيقه وتنزيهه . وان كان هذا كله لا يمنع أن يكون القالي قد جعل بارع المفضل بن سلمة من مصادره .

(4) ولا يأتي القرن الخامس الهجري ، حتى نجد شيخا من ألمع رجال العلم في عصره ، من الطبقة الثالثة من تلاميذ القالي ، يروي عن ابن الأفليلي ، وأبي سهل الحراني ، كثيرا من كتبه وكتب غيره في اللغة والأدب . ذلك هو الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج المتوفى سنة 489 هـ (491) ، الذي توج نشاطه اللغوي بمؤلفات عديدة على رأسها **(استدراك على كتاب البارع ..)** . قال ابن بسام : «.. وأحيا كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة التي أحالها الرواة ، الذين لم تكمل لهم الأداة ، ولا استجمعت لديهم تلك المعارف والآلات ، واستدرك فيها أشياء من سقط واضعيها ، ووهم مؤلفيها ككتاب البارع لأبي علي البغدادي ...» (492) .

غير أنه لم يكتب لهذا الاستدراك أن ينتشر ، وصار في جملة ما فقد من التراث .

وتلك غاية ما استطعنا معرفته ، من الدراسات والنقود والمؤلفات التي قامت بالأندلس حول كتاب البارع .

ج ـ النقول والاقتباسات

استفاد من كتاب القالي ونقل عنه ، عدد كبير من رجال الأندلس وعلمائها ، نذكر منهم على سبيل المثال ، هذه الجماعة القليلة :

(1) **أبو بكر الزبيدي** في كثير من كتبه ، ولا سيما في (المستدرك على العين) و (استدراك الغلط) وقد مر الحديث عنهما قبل قليل .

(2) **أبو عبيد البكري** في كتابه (اللآلىء) وذلك في مواضع ، منها ما بالصفحات التالية : (1/356 ـ 1/401 ـ 1/447 ـ 1/451) .

---

(490) النفح (4/74) .

(491) أنظر ترجمته في الوعاة (312) ـ والصلة (1/346) (الحسيني) ـ والقلائد للفتح (ص 190) ـ والديباج (157) ـ والمغرب (1/155) ـ والذخيرة لابن بسام (ص 307) ق 1 م 2 .

(492) الذخيرة (ص 310) ق 1 م 2 .

– ونقل عنه أيضا في كتابه الثاني الذي صنفه في شرح أمثال أبي عبيد القاسم ابن سلام ، في مواضع أذكر منها ما بالصفحات (106 – 129 – 159 – 199 – 466) .

هذا فضلا عن النقول الكثيرة الأخرى التي لم يصرح فيها باسم (البارع) .

– ونقل عنه كذلك في كتابه الثالث (معجم ما استعجم) في أماكن منها ما صرح فيه بالنقل ، وهو ما بالصفحات (3/889 – 3/910 – 3/959 – 4/1382 ، ومنها ما لم يصرح فيه بشيء وهو كثير .

(3) **ونقل عنه أبو جعفر أحمد بن داود بن يوسف الجذامي ،** المتوفى سنة 598 هـ ، في شرحه لمقامات الحريري . وقد عثرت على بعض هذه النقول في الجزء الثالث (493) ، وذلك في الورقتين (26 و 73/الظهر) . على أن هناك نقولا كثيرة من القالي لا يصرح فيها باسم الكتاب الذي يأخذ عنه . وليس كتاب (البارع) تاما حتى نقابل هذه النقول ، التي يشبه كثير منها أسلوبه وخصائصه ، كما في هذا المثال الوارد بالورقة (62 الوجه) قال : «... قال أبو علي : الحصاة : العقل . وهي فَعْلَة من أحصيت ، لأنه تحصى به الأشياء . ويقال : ما له حصاة ولا أصاة . قال طرفة :

وإن لسان المرء ما لم تكن له
حصاة على عَوْراته ، لذليل

قال : وهي عندي منقولة من الحصاة من الحجارة ، لأنه يراد به الرزانة ، كما قال كثير :

بحقك إن تَنْطق تقل غير مُهْجَر (494)
جوابا ، وإن تَخْفِف حصَى القوم تَرزن

والعرب تنسب العاقل الى الرزانة والثقل ، وتنسب الأحمق الى الطيش والخفة ، ويقال : فلان رزين الحصاة ، أي رزين العقل» .

وهو نص يدل على أسلوب القالي في البارع ، وطريقته في عرض المواد والاحتجاج عليها ، مما يقوي الظن بنقله منه . على أنه غير موجود (بالأمالي) أو (المقصور) .

وكذلك الشأن فيما ورد بالورقات (74/الوجه – 85/الوجه – 89/الظهر – 94/الوجه – 101/ الظهر – 112/الوجه – 128/ الوجه – 128/ الظهر ...) وغيرها . فأسلوبها أشبه بأسلوب (البارع) .

---

(493) مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1266 د .

(494) أهجر منطقه : تكلم بالهذيان .

(4) وممن نقلوا عن القالي ، أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ، المتوفى سنة 521 هـ ، في كتابه (الاقتضاب) . من ذلك ما ورد بهذه الصفحات (208 ـ 211 ـ 239 ـ 279) . وهذا سوى ما نقله من كتب أبي علي الأخرى .

– على أن أهم النقول المأخوذة من المعجم البارع على الاطلاق ، فيما وقفت عليه لحد الآن ، هي الموجودة بحواشي نسخة القرويين الخطية من مختصر العين للزبيدي (رقم 363 ط 80) . وهي حواش يظن أنها من عمل الفقيه أبي محمد البطليوسي المذكور (495) . وأهمية هذه النقول تأتي من كونها تحتفظ بقدر كبير مما ضاع من البارع ، وليس موجودا بالقطعتين المتبقيتين . ولقد هالتني كثرتها التي بلغت حوالي أحد عشر نقلا في بعض الصفحات ، حتى هممت بجمعها وتحقيقها (496) . .

فاذا عرفنا مقدار هذه النقول التي يقل أن تخلو منها صفحة من صفحات تلك الحواشي ، وان الكثير منها ليس واردا بالقطعتين الموجودتين (ب) و (ف) . ازداد تقديرنا لهذا المصدر وتأكد لدينا ما قلناه سابقا من أنه بامكاننا أن نؤلف قطعة ثالثة من الكتاب تضاف الى تينك القطعتين المتبقيتين ، وتستخرج من حواشي مختصر العين ، وباقي المصادر الأخرى .

(5) ومن الذين نقلوا عن القالي واعتمدوا كتابه البارع ، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي ، وذلك في معجمه (المخصص) الذي طارت شهرته بالأندلس والمشرق . وهو يصرح بذلك في مقدمة الكتاب ، عند ذكر مصادره قائلا : «.. وأما من الكتب المجنسة ، فالجمهرة ، والعين ، وهذا الكتاب الموسوم بالبارع ، صنعة أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي اللغوي الوارد على بني أمية» (497) . وسنرى بعد قليل ، أن ابن سيدة اعتمد (البارع) كذلك في تأليف معجمه الثاني (المحكم والمحيط الأعظم) .

---

(495) هذا الظن للأستاذ المرحوم محمد العابد الفاسي ، فقد كتب بخط يده في ورقة ألحقها بأول كتاب المختصر ، فقرة في وصف النسخة القروية من الكتاب . وقال فيها متحدثا عن الحواشي والتعليقات المذكورة : «.. ويغلب على الظن أن اكثرها منقول من أصل أبي محمد البطليوسي» .
ووجدت أيضا بخط يد المرحوم الأستاذ محمد بنتاويت الطنجي في ورقة ألحقها هو الآخر بأول النسخة المذكورة من المختصر ، كلاما يقول فيه : «.. أما الحواشي ، فبعضها من كلام الزبيدي في نسخته الكبرى [أي من كتاب المختصر] نقلها البطليوسي ، وبعضها من عمل ابن السيد البطليوسي نفسه ، عني فيها بتوثيق ضبط الكلمات في غالب الأحيان» .

(496) انظر على سبيل المثال ما نقل عن البارع في حرفي العين والحاء من (ص 8 الى ص 68) ومن (ص 69 الى ص 107) .

(497) المخصص (1 / ص 12) .

د ـ أثر البارع في الحركة المعجمية بالأندلس

كان ذلك هو الأثر الواضح الملموس لكتاب (البارع) ، فيما نشأ بالأندلس من دراسات لغوية ، بعضها وضع خصيصا لنقد هذا المعجم أو مقارنته بغيره أو التعقيب عليه ، وبعضها اكتفى بالنقل والاقتباس منه . على أن الأثر الخطير الذي ظل مع أهميته محجبا عن الأنظار ، هو الدور الرائد الذي قام به (البارع) في ميدان التأليف المعجمي خاصة . فقد كان أول معجم من نوعه وحجمه ظهر بالأندلس كما تكرر القول ، ثم ما لبث أن شرع الأبواب أمام العلماء فيما تلاه من الزمن ، فتتابعت المعاجم اللغوية ، والشروح والتعليقات والدراسات الخاصة بهذا الفن اللغوي مدة طويلة .

ونستطيع رصد أهم خطوط هذه الحركة في المؤلفات التالية :

(1) مختصر العين للزبيدي (498)

وهو معجم ظهر بعد البارع ، ألفه صاحبه تلبية لطلب الحكم المستنصر ، فأتمه سنة 362 هـ ، كما هو مبين بآخر نسخة القرويين منه (499) . ونعلم من التعليقات الموجودة على هوامش هذه النسخة ، ومن مقدمة كتاب (الوشاح وتثقيف الرماح) (500) للتادلي ، أن الزبيدي أخرج كتابه في نسختين ، كبرى وصغرى ، وضع الأولى للخليفة والثانية للعامة .

ورغم أن الكتاب لم يكن في الحقيقة تأليفا بالمعنى الدقيق للكلمة ـ فهو اختصار وليس ابتكارا ـ الا أن التغييرات التي أدخلها على كتاب العين منهجا وموضوعا ، كافية لتجعله قريبا من التأليف المبتكر . وتتلخص هذه التغييرات (501) في أنه أخذ من كتاب الخليل عيونه ، ولخص لفظه ، وحذف حشوه ، وأسقط فضوله وتكراره ، وكثيرا من شواهده . ثم أعاد تنظيم مواده وأبوابه ، ورتب أبنيته فجرت على هذا النحو : (الثنائي المضاعف الصحيح ـ الثلاثي الصحيح ـ الثنائي المضاعف المعتل ـ الثلاثي المعتل ـ الثلاثي اللفيف ـ الرباعي ـ الخماسي) ، وأصلح ما فيه

---

(498) منه نسخة خطية بالقرويين رقم 363 ط 80 ـ ونسخة أخرى بقسم الوثائق بالرباط رقم 1662 ك ـ وتوجد منه نسخ أخرى في كثير من بلدان العالم ذكرها بروكلمان (133/2) .

وقد طبع الأستاذان المرحومان محمد بن تاويت الطنجي وعلال الفاسي ، قسما صغيرا من الكتاب في 80 صفحة ، يحتوي على جزء من حرف العين ، وذلك سنة 1963 م بالدار البيضاء .

(499) أنظر (ص 335) من هذه النسخة .

(500) أنظر مقدمة (كتاب الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح) (ص 4) طبعة بولاق ، سنة 1281 هـ ـ مصر .

(501) أنظر في هذا الشأن (المعجم العربي) لحسين نصار (309/1) ـ ومقدمة (مختصر العين) للزبيدي .

من الخلل والاضطراب . قال في المقدمة : «.. ومذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلا في الكتاب ، وأن نوقع كل شيء منه مواقعه ، ونضعه في بابه ، ان شاء الله ..» .

فكان بذلك أحسن تنظيما ، وأدق منهجية ، وأكثر ايجازا واختصارا من (العين) و (البارع) . وهو الكتاب الذي أكسب صاحبه الشهرة وذيوع الصيت بالأندلس وخارجها . فقال ياقوت : «.. وبلغني أن أهل المغرب يتنافسون في كتبه ، خصوصا كتابه الذي اختصره من كتاب العين ، لأنه أتمه باختصاره ، وأوضح شكله ، وزاد فيه ما عساه كان مفتقرا اليه» (502) . كما نوه به ابن خلدون (503) ، وابن حزم (504) ، واعتمده أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز التادلي في كتاب (الوشاح وتثقيف الرماح) ، كمصدر أساسي للرد على صاحب القاموس .

وما ان أتم الزبيدي تأليف كتابه ، حتى استدعاه الخليفة المستنصر اليه ، واستقبله بصلة سنية وخلعة فاخرة ، جزاء ما تولاه من اختصار كتاب العين ، وأوصله الى نفسه ، وناظره بمجلسه وبين يديه في ذلك ، الوزير الكاتب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي (505) . وسنتحدث في مكان آخر عن رواية هذا الكتاب وتداوله بالأندلس .

(2) **كتاب السماء والعالم** ، لأبي عبد الله محمد بن أبان بن سيد (ت 354 هـ) ، ولا يوجد منه ــ حسب علمي ــ سوى السفر الثالث المحفوظ بخزانة القرويين تحت رقم (1947) (506) ، وفيه روايات كثيرة عن القالي وغيره من العلماء . وهو من معاجم المعاني ، رتبه مؤلفه على الأبواب ، وبينه وبين المخصص لابن سيدة المتأخر عنه شبه كبير . غير أنه أول معجم أندلسي يؤلف على هذه الطريقة . وليس الأول هو معجم ابن سيدة كما قد يظن .

وقد وقع حول هذا الكتاب تضارب وخلاف كبير بين المؤرخين القدامى ، فنسبه بعضهم لأخي المؤلف المذكور ، وهو أحمد بن أبان بن سيد . بل لقد زعم المقري ــ وهو ممن نسبه اليه ــ أنه رأى بعضه بفاس (507) ، ونسبه بعض آخر ومنهم الشقندي في رسالته (508) لعلي بن اسماعيل بن سيدة صاحب المخصص . ولم أجد

---

(502) معجم الأدباء (181/18) .
(503) المقدمة (1260/4) .
(504) نظرات في اللغة عند ابن حزم للأفغاني (ص 48 ــ 49) .
(505) المقتبس (ص 173 ــ 174) (قطعة الحجي) .
(506) يقع هذا السفر المكتوب بخط أندلسي في 323 صفحة من القطع الكبير ، وعلى غلافه تحبيس من مالكه أبي الحسن علي بن الشيخ الوطاسي سنة 855 هـ على خزانة القرويين .
(507) النفح (351/4) .
(508) أنظر النفح (182/4) ، ورسالة الشقندي (ص 34) (ضمن رسائل في فضائل الأندلس) .

من القدماء من نسبه لمحمد بن أبان غير أبي جعفر اللبلي (ت 691 هـ) الذي نقل منه في (بغية الآمال) فقال : «.. ووجدت أنا حرفا آخر وهو : حببت الرجل إحبه بكسر الهمزة ، حكاه الامام أبو عبد الله محمد بن أبان بن سيد في كتابه الكبير المسمى (السماء والعالم) ..» (509) . وهو ينقل عنه أيضا في كتابه الآخر المسمى (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) منسوبا لمحمد بن أبان . (أنظر حاشية الشرقي على القاموس مادة "ود" على سبيل المثال) . على أن الذي يقف على النسخة الموجودة بالقرويين من السفر الثالث من هذا الكتاب ، يتبين له بما لا يقبل الشك أنه ليس لأخيه أحمد بن أبان ، ولا لابن سيدة صاحب المخصص ، اذ فيه فضلا عن العنوان الواضح في ورقة الغلاف (510) ، تنصيصات تدل على أنه لأبي عبد الله محمد بن أبان تلميذ القالي ، وذلك من مثل قوله في مواضع كثيرة (قال أبو عبد الله : قال أبو علي ..) و (قال أبو عبد الله : حدثنا أبو علي ..) و (قال أبو عبد الله : وحدثنا شيخنا أبو علي ..) الخ .

وغالب الظن أن الذين نسبوه لابن سيدة ، قد تشابه عليهم الاسمان المتفقان في أكثرية الحروف ، فخلطوا لذلك بين (ابن سيد) و (ابن سيدة) ، على أن الخلط بين الأخوين ، أحمد ومحمد أكثر احتمالا ، لاشتراكهما في اسم الأب والجد . ويبدو لي أيضا أنه من البعيد جدا أن يؤلف ابن سيدة معجمين لغويين متشابهين في المادة والموضوعات وعلى طريقة واحدة هي طريقة التبويب حسب المعاني ، اذ أن كتاب (السماء) شبيه بكتاب المخصص .

هذا الى أن كثيرا من القدامى والمتأخرين قد تعودوا أن ينسبوا أيضا لكل من ابن سيدة وأحمد بن أبان كتابا آخر بعنوان (العالم في اللغة) (511) ويصفونه بما

---

(509) بغية الآمال (ص 102) .

(510) عنوان المخطوط : «السفر الثالث من كتاب السماء والعالم في اللغة ، تأليف الشيخ الفقيه العلامة النسابة النحوي اللغوي أبي عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي» .

(511) من الذين نسبوه لأحمد بن أبان : الحميدي في الجذوة (ص 381) – الضبي في الملتمس (ص 533) – ابن حزم في رسالته (ص 16) – القفطي في الانباه (1/30 – 2/334) – السيوطي في الوعاة (ص 126) – ياقوت في المعجم (2/203) – البغدادي في هدية العارفين (1/68) – حاجي خليفة (2/1121) .

ومن الذين نسبوه لابن سيدة : نكت الهميان (ص 205) – معجم الأدباء (12/232) – هدية العارفين (1/691) .

ومن جملة ما ذكره القفطي في الأنباه أن أبا العباس أحمد بن مفرج بن الرومية العشاب الاشبيلي أخبره أنه لما (عزم على الخروج الى المشرق للحج ، ابتاع من عمر الشلوبيني الأندلسي كتاب (العالم في اللغة) لأحمد بن ابان بن سيد الاشبيلي) (2/333 – 334) . وقد توفى القفطي صاحب الخبر سنة 646 هـ .

وصفوا الأول ، من أنه معجم على طريقة المخصص ، يقع في أربعين أو مئة مجلد (على خلاف في ذلك) يبتدىء بالفلك وينتهي بالذرة . غير أني أرى أن كتاب (العالم) ليس سوى اختصار في الاسم لكتاب (السماء والعالم) الآنف الذكر ، وقد نتج عن هذا الاختصار في العنوان خلط والتباس بين المؤرخين ، فحسبوا أنهما كتابان في موضوع وحجم واحد . فكتاب (السماء والعالم) في اللغة ، أو كتاب (العالم في اللغة) انما هو كتاب واحد ألفه محمد بن أبان بن سيد وليس منه شيء لأخيه أحمد أو لعلي بن سيدة . وقد دلت المقارنة أن هناك كثيرا من أوجه التشابه بل المطابقة أحيانا بين نصوص الكتابين (المخصص) و (العالم) مما يفيد أن ابن سيدة قد اعتمد في التأليف على هذا المعجم وان لم يصرح بذلك .

(3) **كتاب الموعب في اللغة** لأبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني (ت 436 هـ) من الطبقة الثانية من تلاميذ القالي (512) .

ونحن في الحقيقة لا نعرف اسما مضبوطا لهذا الكتاب ـ الذي يذكر مترجمو ابن التياني أن مجاهد العامري لما سمع به ، رغب أن يكون اسمه مثبتا فيه فرفض تمام بن غالب ، ورد الصلة الموجهة له منه ، في قصة مشهورة متداولة ـ وذلك أنه وردت للكتاب خلال التراجم المتعددة ، ثلاثة أسماء هي : (تلقيح العين) و (فتح العين) و (الموعب) . وذكر الأول كل من ابن بشكوال (513) ، وابن خير (514) ، وياقوت (515) ، وابن خلكان (516) ، والسيوطي في الوعاة (517) ، وحاجي خليفة في واحد من قوليه (518) .

وذكر الثاني السيوطي في المزهر (519) ، وتبعه حاجي خليفة في قوله الثاني (520) .

وأما الثالث ، فقد ذكره السيوطي مرة أخرى بالمزهر (521) ، وأبو حيان الأندلسي المتوفى سنة (754 هـ) في مقدمة كتابه (البحر المحيط) (522) . ونقل منه

---

(512) أنظر ترجمته في الطبقة الثانية من تلاميذ القالي بهذا البحث .
(513) الصلة (123/1) ـ الحسيني .
(514) فهرسة ابن خير (ص 360) .
(515) معجم الأدباء (137/7) .
(516) الوفيات (300/1) .
(517) بغية الوعاة (ص 209) .
(518) كشف الظنون (481/1) .
(519) المزهر (88/1) .
(520) كشف الظنون (1444/1) .
(521) المزهر (88/1 ـ 89) .
(522) (ص 6) .

بهذا الاسم ، كل من الجذامي في شرح المقامات (523) ، وأبي جعفر اللبلي في (بغية الآمال) (524) .

والظاهر أن ابن التياني لم يضع الا كتابا واحدا ، نحا فيه نحو (العين) ، بل هذبه ونقحه ، واستعان في ذلك بمختصر الزبيدي ، وجمهرة ابن دريد ، ثم رتبه على الحروف . والأدلة على ذلك :

أ ـ أن أحدا من مترجمي ابن التياني ، لم يشر مرة الى أن للرجل كتابين أو أكثر . بل يتفقون في حقيقة الأمر على أن له كتابا مشهورا جمعه في اللغة ، لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا ـ كما هي عبارة الحميدي (525) والعبارات المشابهة عند غيره ـ وغالبا ما يشفعون ذكر هذا المعجم ، بذكر قصة مؤلفه ـ المشار اليها قبل قليل ـ مع مجاهد العامري الذي رغب في أن يكون مدبجا باسمه ، دون أن يقع منهم تحديد لعنوانه . فلو كانت له كتب عديدة في اللغة ، لوجب تحديد الكتاب الذي رغب أبو الجيش أن يخلد فيه ذكره .

ب ـ أنه وقع ـ فيما يخيل للدكتور حسين نصار (526) ـ سقط وتحريف في عبارة ابن حيان الذي يظن أنه قال في أصل ترجمته لابن التياني «.. وله كتاب جامع في اللغة سماه [الموعب] بفتح العين ...» (527) . فسقط من هذه العبارة لفظ (الموعب) ، فأصبحت تقرأ «.. وله كتاب جامع في اللغة سماه بفتح العين» . ثم حرف لفظ (بفتح) الى صورة أخرى ، وهي (تلقيح) .

والواقع أنه لا يعيب افتراض الدكتور حسين نصار ، سوى أنه معقد ، ومركب من افتراضين يبعد وقوعهما مرة واحدة في عبارة ابن حيان ، أولهما سقوط لفظ (الموعب) ، وثانيهما ، تحريف لفظ (بفتح) وتعويضه بلفظ (تلقيح) .

والأحسن من هذا والأسهل ، أن نطبق افتراض الدكتور نصار على عبارة أبي الحسن الشاري ، فنقول : ان الشاري حين تحدث عن كتاب ابن التياني (528) ، قال في الأصل ـ حسب ما نظن ـ «.. عمل كتابه العظيم الفائدة الذي سماه [الموعب] بفتح العين» ، ثم سقط لفظ (الموعب) من هذه العبارة التي نقلها السيوطي في

(523) مخطوط الرباط ، قسم الوثائق (ص 58) .
(524) بغية الآمال (ص 38) .
(525) الجذوة (ص 172) .
(526) المعجم العربي (1/301) .
(527) عبارة ابن حيان كما هي عند ناقليها من المؤرخين على هذا النحو : «.. وله كتاب جامع في اللغة سماه تلقيح العين ..» . أنظر الصلة لابن بشكوال (1/123 الحسيني) ـ ومعجم الأدباء (7/137) ـ وفهرسة ابن خير (ص 360) ـ ووفيات الأعيان (1/300) .
(528) وذلك فيما نقل عنه السيوطي في المزهر (1/88) .

المزهر ، فأصبحت تقرأ (عمل كتابه العظيم الفائدة الذي سماه بفتح العين) . ذلك أن اسم (الفتح) لم يرد الا في نص الشـاري المنقول بالمزهر ، وفيما نقله حاجي خليفة عن المزهر ، وان الرواية قد تواترت عن ابن حيان بتسميته (تلقيح العين) .

جـ ـ ولا شك بعد هذا ، أن تسـمية معجم ابن التيـاني مرة بالتلقيـح ، ومرة بالموعب ، هو تعدد في الصفة لا في الموصوف . أي أن الكتاب يوصف عندهم مرة بكتاب تلقيح العين ، لأنه فعلا (لقح) أو نقح كتاب الخليل ، وهذبه على ما سـيأتي ذكره . ويوصف أخرى بالموعب ، لأنه استوعب الشواهد التي حذفهـا الزبيدي ، والاضافات التي زادها ابن التياني من جمهرة ابن دريد ، ثم استوعب الدقة والبراعة في التأليف والترتيب والتنقيح . على أن بعضهم كان يصفه أحيانا (بالجامع) ويسميه به ، كما فعل مرة ابن خير الاشبيلي حين نقل عنه (529) .

فلابن التياني اذن ، كتاب واحد يسير على نسق كتاب العين . وقد وصفه الشاري وصفا دقيقا جيدا فقال :

«.. عمل كتابه العظيم الفائدة الذي سـماه [الموعب] بفتح العين ، وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه ، دون اخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث ، وصحيح أشعار العرب ، وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة ، والحروف المصحفة ، والأبنية المختلة ، ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد في الجمهرة ، فصار هذا الديوان محتويا على الكتابين جميعا . وكانت الفائدة فيه ، فصل كتاب العين من الجمهرة ، وسياقه بلفظه ، لينسب ما يحكي منه الى الخليل . الا أن هذا الديوان قليل الوجود لم يعرج الناس على نسخه ، بل مالوا الى جمهرة ابن دريد ، ومحكم ابن سيدة ، وجامع ابن القزاز ، وصحاح الجوهري ، ومجمل ابن فارس ، وأفعال ابن القوطية وابن طريف . ولم يعرجوا أيضا على بارع أبي علي البغدادي ، وموعب أبي غالب بن التياني المذكور (530) ، وهما من أصح ما ألف في اللغة على حروف المعجم . والكتب التي مالوا الى الاعتناء بها قد تكلم العلماء فيها ..» (531) .

ذلك هو المعجم الكبير الذي اقترن عند المؤرخين بكتاب القالي ، وقد كان سبب

---

(529) فهرسة ابن خير (ص 236) . قال في ضبط المصيصي : عبد الملك بن حبيب البزاز : «.. وقد ذكر ابن التياني في (جامعه) عن ثعلب أنه بكسر الميم وتشديد الصـاد» . على أنه سـماه في موضع آخر (بالتلقيح) (ص 395) . وقال ثالثة نقلا عن ابن حيان : «وله كتاب جامع في اللغة سماه : تلقيح العين» (ص 360) .

(530) ورود هذه العبارة : (وموعب أبي غالب بن التياني المذكور) في هذا الموضع من قبيل التكرار .

(531) المزهر (1/88 ـ 89) .

تأليفه ـ فيما يقول الشاري أيضا ـ أن ابن التياني لم يكن راضيا عن صنيع شيخه الزبيدي في (المختصر) ، فلما رأى ما أخل فيه بكتاب العين ، لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب ، قام بوضع معجمه الخاص (532) .

على أن السؤال الذي يجب طرحه الآن ، هو : هل استفاد ابن التياني من كتاب البارع في وضع معجمه ؟ واني لأميل الى الظن باستفادته منه ، ولا سيما أن البارع سابق في وجوده للموعب من جهة ، ولأن القالي قام بدوره بأول محاولة على أرض الأندلس للاستدراك على كتاب العين والزيادة في أبوابه ومحاولة تهذيبه وتنقيحه . فاذا كان القالي هو فاتح هذا الباب أمام اللغويين الأندلسيين ، وممهد الطريق للزبيدي أستاذ ابن التياني ، فالظاهر أن صاحبنا قد استفاد من الجهود كلها .

وقبل أن نختم الحديث عن ابن التياني ينبغي أن نشير الى أن أبا جعفر اللبلي في (تحفة المجد) كان ينقل عن كتاب منسوب اليه بعنوان (مختصر الجمهرة) (533) ، ولا أدري مقدار علاقته بكتاب (الموعب) .

وعلى كل حال فان ابن التياني ، هو أحد أفراد مدرسة القالي في القرن الخامس الهجري ، ومؤلف معجمي متخرج من مدرسة العين (534) ، التي أعاد بناءها واحياءها بالأندلس أبو علي البغدادي ، وتلميذه الزبيدي .

(4) **كتاب المحكم** (535) لأبي الحسن بن سيدة (ت 458 هـ) ، وهو معجم مشهور ، آثر فيه ابن سيدة اتباع مدرسة العين وأساتذته الأندلسيين ، رغم أن الحركة المعجمية بالمشرق كانت قد عرفت كتاب الصحاح للجوهري الذي هدم بناء الخليل ويسر السبل على الناس في البحث عن الألفاظ . واذا كان الدارسون المحدثون قد وقفوا أمام هذه القضية متسائلين عن أسبابها ، فان الذي يبدو أقرب الى الصواب من كل الاحتمالات والتأويلات ، هو أن ابن سيدة كان من جهة شديد التأثر بوالده اسماعيل بن سيدة ، وأبي عمر الطلمنكي (536) تلميذي الزبيدي الذي وقف حياته على خدمة مدرسة العين بعد أستاذه القالي ، فظهر تأثره بهما في عنايته بما حملاه اليه من تراث أبي علي القالي ومدرسته . ومن جهة ثانية ، فان الرجل نشأ متضلعا في

(532) المزهر (30/1) .

(533) أنظر كتاب الدراسات اللغوية في الأندلس للسيد رضا عبد الجليل الطيار (ص 135) .

(534) لا نعرف على وجه اليقين نوع الترتيب الذي اتبعه ابن التياني في معجمه . غير أن اقتفاء أثر (العين) يدل على أنه قلد طريقته .

(535) طبع بتحقيق الأستاذين مصطفى السقا ، وحسين نصار سنة 1958 م بمصر .

(536) وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المقرىء الطلمنكي (ت 429 هـ) ترجمته في : الصلة (48/1) (الحسيني) ـ تذكرة الحفاظ (1098/3) ـ الديباج (ص 39) ـ ترتيب المدارك (749/4) .

اللغة وحافظا لأصولها القديمة رغم عماه ، ودفعه هذا التفوق العلمي الى الاعتداد بنفسه ، مصرحا بذلك في كل مناسبة ، وساخرا من علماء وقته ، وشاكيا من حسدهم وانتقادهم له ، كما في مقدمة (المحكم) . وفي أرجوزته أبيات تشهد بذلك ، وتصور حاله هذه اذ يقول :

يا عجبا من قمر محسـود
هل فيه مَرْجّى ليد الحسـود
يحسدني من لا ينال سـعيي
فمشربي من عرضه ورعيـبي
... الأبيات (537)

فهو بالرجوع الى طريقة الخليل المعقدة ، وسلوكه مسلكه الوعر الذي يستصعبه معاصروه ، كأنما يباهي بعلمه وقدرته على ما لا يستطيع غيره من هؤلاء الحساد والنقاد ، الذين يوثرون السهل ، ويشتغلون عن دقائق العلم بخزائن المال . قال في مقدمة المحكم : «.. وهل يقوم بانتقاد هذا النوع الأمثلي ، من ذوي الحفظ الجليل ، والاضطلاع بعلم النحو وصناعة التحليل . وان كنت بين حثالة جهلت فضلي ، وأساء الدهر في جمعهم بمثلي» . وقد كان ابن سيدة لذلك غير مكترث بواحد من سابقيه الى صناعة اللغة بالأندلس ، الا أبا علي القالي ، (كما يقول عن صدق ، المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور (538) ثقة بعلمه واحتراما لمكانته .

وهكذا فقد استفاد ابن سيدة في كتابه من جميع المعاجم السابقة ، بما في ذلك (كتاب العين) ، ومختصره للزبيدي الذي اقتبس منه ترتيبه للأبواب ، وأخذ منهجه فطبقه على كتابه بتوسع (539) ، وكان ابن سيدة قد أخذ هذا المختصر عن والده (540) . وقد أفاد أيضا من كتاب (البارع) لأبي علي ، رغم أنه لا يشير اليه ضمن مصادره . اذ استقى منه أكثر ما فيه من الصيغ والمعاني «.. ولكنه حذف من مقتبساته الشواهد والصيغ والمعاني المتكررة ، ونسبة الأقوال الى أصحابها والمترادفات ..» كما يرى الدكتور حسين نصار (541) ، الذي يقول في موضع آخر : «.. واذن فما قدمه ابن سيدة لحركة المعاجم هو محاولة تنظيم داخل المواد وحده ،

---

(537) ابن سيدة المرسي (ص 111) .
(538) مقالته حول السند التونسي في علم متن اللغة . مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج 19 ، سنة 1965 م (ص 13) .
(539) أنظر مقدمة تحقيق المحكم لحسين نصار ومصطفى السقا (ص 17) .
(540) فهرسة ابن خير (ص 350) .
(541) المعجم العربي (386/1) .

وتهذيب ترتيب الخليل باتباع مختصر العين للزبيدي ، واعتماده على بارع القالي» (542) .

ولعل من جملة ما اقتبسه ابن سيدة من البارع ، أنه زاد في معجمه بابا ليس في مختصر العين ، وكان يدعوه مرة بالسداسي ، ومرة بالملحق بالسداسي . «.. ووضع فيه ألفاظا أعجمية ، وأسماء أصوات» (543) . فطريقته هذه في جمع أسماء الأصوات ، والأسماء الأعجمية في أبواب خاصة ، هي شبيهة الى حد ما بطريقة البارع ، كما رأينا في دراسته .

وكان معجم ابن سيدة المتحدث عنه ، آخر كتاب يؤلف على طريقة العين ، اذ مال الناس بعده الى طرق أسهل وأبسط ورغم ذلك لقي عناية فائقة بالأندلس وخارجها ، قديما وحديثا ، فكثرت حوله التلخيصات والدراسات ، وسنري بعضا منها بعد قليل .

(5) **المخصص** (544) ، وهو المعجم الثاني لابن سيدة ، ألفه كسابقه للأمير الموفق صاحب دانية ، وجعله على طريقة (السماء والعالم) لابن أبان ، واستفاد فيه من جميع مصنفات الأقدمين في اللغة ، أو بعبارة أخرى ، فان المخصص ليس الا جمعا وتبويبا للكتب والرسائل القصيرة السابقة له ، والمؤلفة في خلق الانسان ، والحيوان ، والنبات ، والأنواء ، والصفات ، والألوان ، والأصوات ... وغيرها . وقد ذكر في مقدمته قائمة المصادر التي أفاد منها ، وكان ضمنها كتاب البارع ـ كما سبق ـ .

أما (الغريب المصنف) الذي يذكر ابن خير (545) ، ان ابن سيدة قد صنع على منواله المخصص ، فهو من الكتب التي دخلت الى الأندلس عن طريق القالي وغيره . وهكذا فقد رواه عن صاعد البغدادي كما في أرجوزته (546) ، وقرأه أيضا على أبي عمر الطلمنكي تلميذ الزبيدي .

---

(542) نفس المصدر (391/1) .

(543) مقدمة تحقيق المحكم (ص 16) .

(544) عمل الأستاذان عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى حديثا على تهذيب المخصص في كتابهما (الافصاح في فقه اللغة) ورتباه ترتيبا جديدا يسهل الانتفاع به ، طبعه دار الكتب المصرية سنة 1299 هـ .

(545) فهرسة ابن خير (ص 356) .

(546) قال ابن سيدة في ارجوزته يذكر ما أخذه عن أبي العلاء صاعد البغدادي :

ثمت فأوهت أبا العلاء ... حتى أنار فجرها ولاحا
رواني (الغريب) و (الاصلاحا) ... فى كتب الصفات والأسماء

(6) كتــاب المبرز في اللغة ، لأبي عبد الله محمد بن يونس الحجــاري (547) (ت 462 هـ) . وهو مؤلف يضــاف لسلسلة المعاجم اللغوية الأندلسية ، كما توحي بذلك عبــارة ابن خير الذي وصفه ، فقال : «.. وهو كتــاب كبير مثل المحكم لابن سيدة» (548) . ففي قوله : «مثل المحكم» ما يفيد أنه معجم .

(7) معجم ما استعجم (549) **للبكري** (ت 437 هـ) . وهو نوع خاص من المعاجم العربية ظهر بالأندلس على يد هذا اللغوي والجغرافي الكبيــر ، أحد رجال الطبقة الثالثة من تلامذة القالي . ويختلف عن معاجم البلدان الأخرى في أنه يكتسب طابعا لغويا وأدبيا ، ويهتم على الخصوص بتحقيق أسماء المواضع التي وردت في الشعر العربي ، وفي الأحاديث ، وفي كتب السير والتواريخ القديمة وأيام العرب ، وما الى ذلك . وقد رتبه صاحبه حسب الحروف الألفبائية في الاستعمال المغربي ، والتزم في الكلمة التي يوردها الحرفيــن الأول والثاني الأصليين دون بقيــة الحروف . وقام الأستاذ مصطفى الســقا في تحقيقه للكتاب ، بتنظيم كلماته ، واعادة ترتيب حروفه حسب الطريقة المشرقية .

وقد وصف البكري منهجه في الكتاب ، فقال في المقدمة «.. هذا كتــاب ذكرت فيه ـ ان شاء الله ـ جملة ما ورد في الحديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة ...» . وذكر أيضــا أنه جعله محصورا في 784 باب . ثم مهد له بمقدمة طويلة ذكر فيها أقسام الجزيرة ، وأنساب بطونها ، وهجرة هذه القبائل وارتحالها ومقامها . ويمكن اختصار ملحوظاتنا حول هذا المعجم ، في النقط التالية :

أ ـ اعتناء البكري فيه بضبط الأسماء والمواقع بالكلمات لا بالحركات ، تأثرا بالقالي والجوهري .

ب ـ تحريه الدقة والضبط في كلامه .

جـ ـ الاكثار من الاستشهاد بالشعر وأقوال اللغويين المشهورين ، كابن دريد ، والأصمعي ، وابن السكيت ، وابن الأعرابي ، والرياشي ، واليزيدي ... وغيرهم .

د ـ اخراجه في طابع لغوى ، فهو معجم يكاد يكــون للغة وليس للبلــدان ، ولا

---

(547) أنظر ترجمته ضمن أفراد الطبقة الثالثة من تلاميذ القالي في هذا البحث .

(548) فهرسة ابن خير (ص 357) .

(549) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، قام بطبعه في أربعة أجزاء الأســتاذ مصطفى السقا ما بين سنتي 1945 و 1951 بالقاهرة .

سيما اننا قلنا أن البكري انطلق في تأليفه من فكرة ضبط الأسماء والمواضع الوارد ذكرها في الشعر والنثر القديمين ، متأثرا يدراساته اللغوية والأدبية المتينة .

وأما طريقته في عرض الأبواب ، فهي طريقة اللغويين أيضا ، اذ يأتي بالمادة ثم يشرحها شرحا مختصرا مركزا ، محتجا بشاهد من الشعر أو الحديث أو القرآن ، أو بخبر أو قول من أقوال أهل اللغة .

ونصيب القالي من هذا الكتاب كبير جدا ، اذ البكري كثير النقل والاقتباس منه قليل النقد له والتعقيب عليه . وقد بلغ عدد المواضع التي نقل فيها أبو عبيد البكري في هذا المعجم وحده ، من كتب أبي علي وأقواله ، 79 موضعا .

(8) **كتاب الواعي في اللغة** ، لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي المعروف بابن الخراط (ت 581 هـ) . ذكره ابن فرحون في الديباج ، وقال انه ضاهى به كتاب الغريبين للهروي (550) ، وأخرجه في 25 مجلدا . وهو لا شك من المعاجم اللغوية ، لأن كتاب (الغريبين) لأبي عبيد الهروي (401 هـ) المشبه به (كتاب الواعي) ، مرتب على الحروف الهجائية ، وجار على نسق المعجام (551) .

وهناك بعد هذا ، مجموعة من معاجم الأبنية الخاصة بالأفعال أو الأسماء ، التي نجد منها بالأندلس (أفعال) ابن القوطية ، وابن طريف ، وغيرهما ـ وسيأتي دور الحديث عنها ـ (552) . ومجموعة أخرى من الدراسات والشروح والتلخيصات التي قامت بالأندلس حول المعاجم العربية ، نذكر منها :

(1) **كتاب الجمع بين الصحاح والغريب المصنف** ، لأبي اسحاق ابراهيم بن قاسم البطليوسي (ت 646 هـ) (553) .

(2) **حاشية محمد بن علي الشاطبي** (ت 648 هـ) على الصحاح (554) .

(3) **نقود أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج الاشبيلي** على الصحاح (555) (توفي سنة 651 هـ) .

(4) وقد أكمل الشيخ عبد الله بن محمد الأنصاري البسطي الأندلسي (من القرن السابع) ، كتاب (التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح) الذي

---

(550) الديباج (ص 176 ـ 177) .
(551) أنظر وصفه في (المعجم العربي) (1/63) .
(552) أنظر في هذا الشأن ، ترجمة ابن القوطية في هذا البحث .
(553) كشف الظنون (1/600) .
(554) نفس المصدر (2/1072) .
(555) نفسه (2/1072) .

ابتدأه ابن القطاع الصقلي ، ثم ابن بري المصري المتوفى سنة 476 أو 582 هـ (556) .

(5) **وتلخيص المحكم** ، لأبي بكر (وأبي عبد الله) محمد بن ابراهيم الرعيني (ت 620 هـ) . قال المراكشي في الذيل «وله اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتواريخ ، كاختصار تفسير القرآن لابن عطية ، ومحكم ابن سيدة ، ومطمح أبي الفتح وقلائده ...» (557) .

(6) **ورد على محكم ابن سيدة** ، لأبي الحكم عبد الرحمان بن برجان (ت 627 هـ) ، أحد شيوخ أبي الحسن الرعيني . ذكره صاحب التكملة وقال : «.. وله رد على أبي الحسن بن سيدة ، وتبيين لأغلاطه في المحكم من تأليفه ، واستلحاقات على كثير من اللغة (558) ، وتنايبه مفيدة» (559) .

(7) **وتلخيص المحكم** ، لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد العنسي أحد المهاجرين من الأندلس الى تونس أثناء القرن السابع ، ذكره ابن خلدون (560) .

وذكر المرحوم الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور أن للعنسي كتابا آخر ، قلب فيه ترتيب المحكم الى ترتيب الصحاح للجوهري ، وكان ابن خلدون يظن أنهما كتاب واحد (561) .

(8) **واستدراك على معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري** ، تأليف أبي الحكم علي بن أبي بكر محمد بن عبد الملك اللخمي . ذكره ابن دحية في (المطرب) ، وقال : «.. وأخذت عنه استدراكه على الوزير أبي عبيد البكري في معجم ما استعجم ، وذلك نحو من أربع مئة موضع (562) .

---

(556) نفس المصدر والموضع .

(557) الذيل والتكملة (96/6) .

(558) كذا . ولعل الصحيح : (على كثير من كتب اللغة) .

(559) التكملة (584/2 ـ 585) ـ كوديرا ـ الترجمة رقم 1639 .

(560) المقدمة (1260/4) . تحقيق الدكتور وافي . وقد قام الفيروزيادي المتوفى سنة 711 هـ بالجمع بين المحكم لابن سيدة والعباب للصغاني المتوفى سنة 650 هـ . في معجمه الذي سماه : (اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب) . ثم اختصره أخيرا وسماه : (القاموس المحيط) الذي التزم فيه التهذيب للأزهري والمحكم والنهاية وحواشي ابن بري وجمهرة ابن دريد . (أنظر مقدمة القاموس المحيط) .

(561) أنظر مقالة ابن عاشور حول السند التونسي في علم متن اللغة ، بمجلة مجمع اللغة العربية . العدد 19 ، السنة 1965 (ص 14) .

(562) المطرب (ص 209) . وأنظر ترجمة أبي الحكم اللخمي أيضا في المغرب (347/1) ، ينقلها عن الذخيرة ، والقلائد .

(8) مختصر الجمهرة ، لابن التياني ، نقل عنه اللبلي في شرح الفصيح (563) .

وهكذا أمكننا أخيرا ، أن نلقي نظرة خاطفة على تطور حركة التأليف المعجمي بالأندلس ، ونراها وهي تنطلق تحت تأثير كتـاب العين ، وتبدأ مسيرتهـا الطويلة ببارع القالي الذي كان أول معجم لغوي من نوعه يؤلف فوق أرض الجزيرة . ثم تلته حركة ثانية تأثرت به ونسجت على منواله ، أو اقتبست منه واستدركت عليه . ثم حركة ثالثة وأخيرة ، انطلقت حرة غير مقيـدة بشيء ، بعد أن اتسع أمامهـا المجـال ، واكتشفت طرق عديدة ، ومنـاهج أخرى ، لم يعد فيهـا البارع وحده المؤثر ، بل تعددت المؤثرات ، وكثرت المصادر بين شرقية وأندلسـية ، ونشأت حركة خاصة حول الصحاح للجوهري والمحكم لابن سيدة ، وغيرهما من المعاجم الكبرى . وهي المرحلة التي تتسم بكثرة الشروح ، حين بدأت الحركة العلميـة عموما ، تصـاب بنوع من التقلص في الأندلس ، وتلجأ الى الركود والعقم ، مكتفيـة باجترار آثار السلف .

(563) أنظر الدراسات اللغوية في الأندلس لرضا عبد الجليل الطيار (ص 135) .

الفصـــل الخامس

كتـــاب أفعل من كــذا ...

الكتـــاب المغمــور

كان القالي مسبوقا للتأليف في الأمثال بعدد كبير من العلماء ، أمثال يونس بن حبيب (ت 182 هـ) ، وأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت 195 هـ) ، وأبي عبيـــدة معمر بن المثنى (ت 216 هـ) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) ، وأبي بكر بن الأنباري (ت 328 هـ) ، ثم يجمـــاعة أخرى ممن ألف في الأمثال الخاصة على صيغة أفعل التفضيل ، كعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 213 هـ) ، وعلي بن حازم اللحياني (ت 215 هـ) ، وأبي جعفر محمد بن حبيب (ت 245 هـ) ، كما ألف في ذلك معـــاصره حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت قبل سنة 360 هـ) .

ويعتبر كتيب أبي علي الذي بين أيدينـــا الآن ، من كتب الأمثـــال الجارية على طريقة ابن حبيب ، والأصبهـــاني . فهو خاص بالأمثـــال الواردة على صيغة أفعل ، كأحسن ، وأقبح ... ولكنـــه لم يلق في الأندلس مـــا لقيته باقي مؤلفاته من الذيوع والشـــهرة ، اذ لم أعثر فيما قرأت وصار الي من كتب التراجم والمظان ، على من اهتم بذكر هذا الكتاب ، أو نبه الى وجوده ونسبه لصاحبه ، سوى رجلين ، أحدهما أندلسي من القرن السادس الهجري ، وهو ابن خير الاشبيلي الذي أثبت سند روايته في فهرسته (ص 353) . وثانيهما مغربي متأخر عنه ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد

ابن منصـــور بن حمـــامة المغراوي السجلماسي (564) ، الذي ذكره مرة في شرحه للمقامات .

وأما غيرهما ، ولا سيما الذين اهتموا اهتماما خاصا بكتب القالي درسا ونقدا مثل البكري ، فلم ينبهوا فيما رأيت من مؤلفاتهم ، ولو باشارة أو أدنى تلميح ، الى أن للقالي كتابا من هذا النوع . وخصصت البكري بالذكر ، لأنه اعتنى بشرح (كتاب الأمثـــال) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، الذي ينتهي سند روايته فيه الى القالي عن نفطويه (565) . وشرح ضمنه بابا خاصا بما جاء من الأمثال (في منتهى التشبيه) أي على صيغة أفعل ، ورجع الى كثير من كتب الأمثال الشهيرة ، ككتب الأصمعي ، وابن السكيت ، وأبي عبيدة وغيرهم ، ولم يكن مع ذلك كتاب القالي من مصادره ، رغم ما نقله عنه من كتبه الأخرى .

ذلك ما كان في القديم . أما حديثا فان الذين اختلفوا حول الكتاب كثيرون ، ومنهم من اطمأن الى وجوده بدار الكتب المصرية ، كما فعل الأستاذ فؤاد سيد في فهرسة مخطوطات الدار . واعتقد الأســـتاذ ألبير حبيب مطلق في كتـــابه (الحركة اللغوية بالأندلس) (566) ، اذ اعتمد تلك النسخة وتحدث عن مضمونها ، ظنا منه أنها تمثل كتاب القالي . فكان ذلك خطأ منهما ، دل عليه ما توصل اليه الدكتور رمضان عبد التواب ، من أن تلك النسخة (وهي تحمل رقم 7442) ليست سوى واحدة من نسخ كتـــاب حمزة الأصبهـــاني في الأمثـــال (567) . وعلى ذلك بنى المستشرق الألماني (رودلف زلهايم) اقتنـــاعه بعدم ورود ذكر للكتاب في كتب التراجم وغيرها (568) . وهو رأي لا نلتفت اليه الآن فقد أصبح ظاهرا بطلانه .

وآخر ما طلع علينا من بحوث في الموضوع ، هو بحث المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور . ذلك أنه اهتدى لوجود نسخة من الكتاب في الخزانة الأحمدية بتونس ، مضمومة الى نســـخة من مختصر العين للزبيدي (رقم 3945) ، فحققه ونشر مقدمة هذا التحقيق ، أولا ضمن (البحوث والمحاضرات) التي ألقيت في الدورة الخامسة

---

(564) ورد اسم ابن حمامة مصحفا على غلاف نسخة الخزانة العامة بالرباط (رقم 1090 ق) من شرح المقـــامات المنسوب اليه . هكذا : (محمد بن منصـــور بن جمـــاعة) . والتصحيح من بروكلمان (149/5 ترجمة عربية) ، الذي أشار لوجود نسخة من هذا الشرح في الاسكوريال . وأنظر كشف الظنون (551/1) الذي ذكره بين شراح صحيح البخاري ونسب اليه في ذلك كتابا وهو (حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة) .

(565) (ص 4) من كتاب (فصل المقال) للبكري .

(566) (ص 209) .

(567) الأمثال العربية القديمة (ص 139 ـ 140 ـ 186) ـ (الهامش) .

(568) نفس المصدر (ص 139) (هامش رقم 1) .

والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (68ـ1969 م) ، ثم طبعه مستقلا أخيرا مع المقدمة المذكورة بتونس سنة 1972 م (569) .

محتواه وطريقة تأليفه (570)

(1) ان الذي يبدو مريبا لأول وهلة في أمر هذه النسخة الوحيدة الموجودة ، هو العنوان الذي كتب بالصفحة الأولى ونصه : (كتاب أفعل من كذا ، رواية أبي علي اسماعيل بن القاسم ، رحمه الله وغفر له) . فان كلمة (رواية) الواردة به ، تثير قلقا في نفسنا عندما نريد نسبة هذه النسخة للقالي . واذا كان العلامة ابن عاشور ، لم يعلق على تلك العبارة بشيء ، فالذي يبدو لي ، أنها لا تعني شيئا أكثر من وصف عمل المؤلف في كتابه ، وهو عمل في حقيقته لا يعدو أن يكون رواية ، وجمعا لطائفة من الأمثال السائرة المشهورة ، مما ورد على صيغة خاصة ، قام باستخراجها من كتب الأمثال الكبيرة . وحتى تلك الشروح المختصرة التي تضمنها كتابه ، ليست شيئا جديدا عما هو موجود في كتب غيره بشكل أوفى وأشمل . أي أنه ليس للقالي جهد خاص مما يمكن تسميته تأليفا . هذا ان أحسنا الظن بالناسخ ، ولم نقل انه أخطأ فاستبدل بعبارة (تأليف) عبارة (رواية) ، أو فعل شيئا من هذا القبيل .

(2) ويحتوي أصل الكتاب المخطوط على تسع ورقات فقط ، ولكنه أخرج في هذه الطبعة الأنيقة ، في 62 صفحة من الحجم الصغير ، مع مقدمة المحقق التي بلغت 34 صفحة .

وأول ما يلحظه الباحث ، هو خلوه من أية مقدمة أو تمهيد ، كما هي عادة المؤلف في باقي مصنفاته ، اذ هجم على الموضوع مباشرة بعد العنوان ، ليذكر أول مادة من مواده ، مما يجعلنا نجهل تاريخ ومكان وظروف تأليفه أو املائه .

والملحوظة الثانية ، أنه لم يعتمد على ترتيب معين في تنظيم المواد ، ولم يقسم الى أبواب أو فصول ، سوى باب صغير ختم به ، وهو (باب يجمع معاني) . بل يكتفي القالي بذكر المادة وما يندرج تحتها من أمثال ، ثم ينتقل الى ما بعدها ، مزاوجا في طريقته بين السرد الجاف ، وبين التفسير والشرح المختصر . على أن هذا الشرح أحيانا كان يضطره الى ذكر قصة المثل ، أو ما يناسبه من أبيات شعرية للاستشهاد ، وهي لشعراء جاهليين واسلاميين في الغالب . وهكذا فان

---

(569) لا تحمل طبعة الكتاب في الحقيقة أي تاريخ أو مكان للطبع ، ولكن الذي أفادني ذلك هو الأستاذ عبد الحفيظ منصور محافظ المكتبة الوطنية التونسية مشكورا ، وذلك في رسالة خاصة وصلت بتاريخ 27ـ5ـ1974 م.

(570) اعتمدت في هذه الدراسة الموجزة ، على الطبعة المحققة من الكتاب ، وعلى صورة لأصله المخطوط والمحفوظ بالمكتبة الوطنية التونسية رقم 3945 .

القالي لم يعتمد على شيء مضبوط في التنظيم ، بل ربما كان مجرد الانسجام التلقائي ، أو نوع من التناسب المعنوي الراجع الى الذوق ـ كما يقول ابن عاشور ـ هو كل معتمده في ذلك . فهو في الغالب يأتي بالمادة ويتبعها بما يضادها ، (كأحسن وأقبح) ، (وأبلغ وأعيا) ، (وأعز وأذل) . وفي دون الغالب بالمواد المرتبطة في الاستعمال (كأبصر ، وأسمع ، وأصم) ، أو المتقاربة في المعنى المجانسة في اللفظ ، (كأصبر ، وأصلب) . وقد لا يراعي شيئا من ذلك ، فتأتي المواد على غير ما اعتبار معروف ، (كأشهر ، وأسرع ، وأقطف ، وأوقل) .

(3) ويضم كتاب القالي أربعا وتسعين مادة فصل الحديث عنها ، ثم تليت بتسع وعشرين مادة أخرى حشدت دون شرح ولا تفصيل في (باب يجمع معاني) من الأمثال . فكان عدد مواده مئة وثلاثا وعشرين ، ومجموع الأمثال المندرجة تحتها ستين وثلاث مئة (571) .

ويلحظ أن القالي ، كان أحيانا يأتي بأمثال ويذكرها عرضا في غير مواضعها من المواد ، وأمثل لذلك بما جاء في مادة (أشجع) التي ذكر تحتها ثلاثة أمثال ، الثاني منها كان ينبغي أن يوضع في مادة (أجرأ) وهو قولهم : (أجرأ من ليث عريسة) (572) . بل كان أحيانا أخرى يأتي بأمثال ليست من شرط هذا الكتاب لأنها تخالف صيغة أفعل ، ولكنه يوردها ليشرح بها أمثالا أخرى من صميم الكتاب . وذلك كما في مادة (أنتن) حيث يقول : «يقال للقوم : اذا أسرعوا التفرق : فسابينهم الظربان» (573) .

وما يلحظ أيضا ، أنه اعتنى أولا بأمثال (العرب) ثم تلاها أحيانا بما يحضره من أمثال المولدين أو (أهل الحضر) . غير أنه تجنب في ذكرها ما يمكن أن ينسب اليه من خلط ، فجعلها تالية للأمثال العربية الأصيلة . فاذا استنفد ما لهؤلاء ، ذكر ما لأولئك .

ولأجل توضيح طريقته التي يسلكها في كل مادة ، أورد مثالين من الكتاب ، أحدهما لطريقته في الشرح ، وثانيهما لطريقته في العرض المختصر .

أ ـ قال في مادة (أعز) (ص 39) «يقال :

أعز من كليب وائل .

وأعز من الكبريت الأحمر .

---

(571) جعل ابن عاشور عدد المواد 120 ، وعدد الأمثال 356 . وهو خطأ .

(572) (ص 58) . وأنظر الصفحات (37 ـ 45 ـ 77 ـ 83) . وعريسة : مأوى الأسد وعرينه .

(573) (ص 80) .

وأعز من بيض الأنُوق . يراد : الرَّخَم . وهي تبيض في أعالي رؤوس الجبال ، فليس يوصل الى بيضها ولا تنال . وأنشد أبو حاتم :

كبيض الأنوق لا ينال لها وكر

وقال غيره : الأنُوق : ذَكَر الرَّخَم ، ولا بيض له . فأراد أنه شيء لا يكون . كما قالوا : كلفتني الأبلق العقوق . فالأبلق الذكر ، والعقـوق ، الأنثى من الخيل التي عقت ، أي اتسع بطنها عند الحمل . أي كلفتني ما لا يكون .

قال ابن حبيب : وقال رجل لمعاوية ، رحمه الله ، افرض لي . قال : نعم . قال : ولولدي . قال : لا . قال : فلعشيرتي . قال : لا وتمثل :

طلب الأبلق العقـوق فلمـــا
لم يجده أراد بيض الأنُـــوق

أي أراد ما لا يكون» .

ب ــ وقال في مادة (أقصر) (ص 53) :

يقال : أقصر من إبهام الضَّب .

وأقصر من إبهام الحُبارى .

وأقصر من انملة (574) .

قال الشاعر :

ويومٍ كإبهام القطاة .

ويقول أهل الحَضَر :

أقصر من يوم السرور» .

(4) ومما يلحظ على الكتاب ، أنه لا يتجلى فيه كثير من خصائص التآليف عند القالي . فاذا كان في باقي كتبه يمتاز بالاستقصاء والاطناب في الشرح ، ويكثر من الشواهد اللغوية والأدبية ، ويعتمد على الرواية والسند في الغالب ، فان هذا الكتيب قد أتى على خلاف ذلك . فليس من خصائصه الاستقصاء والشمول ، اذ لا يحتوى في موضوعه الا على نحو الثلث مما هو موجود في كتـاب الميـداني المتأخر عنه ، ومن الأمثال على صيغة أفعل ، كما نبه على ذلك ابن عاشور ، ونحو ذلك بالنسبة لكتـاب

(574) في الأصل (أنسلة) وهو خطأ . (أنظر الدرة الفاخرة للأصبهاني (351/2) وأمثال الميداني (97/2) حرف القاف) .

حمزة الأصبهاني . بل بامكاننا أن نلمس جانبا من قصوره ، عند مقارنته بالأمالي ، وهو كتاب أتى فيه على ذكر اثنين وثمانين ومئة مثل ، موزعة بين سائر أجزائه ، ومن ضمنها أربعة عشر مثلا مما هو على صيغة أفعل . ولكنه لم ينقل من هذه الأربعة عشر لكتاب (أفعل ..) سوى عشرة أمثـال . وأما الأربعة الأخرى وهي : (أحذر من ضب حرشته) وأفحش من فاسية ــ وأظلم من حية ــ وأظلم من أفعى) (575) ، فلا أثر لها فيه . وهذه قائمة بالأمثال العشرة المشتركة بين الكتابين :

الأمثال بصيغتها في (الأمالي)	الأمثال بصيغتها في (أفعل من ..)
(1) أجبن من صافر 244/1	.... ص 59
(2) أجود من لافظة 244/1	اسمح .... ص 70
(3) أذل من قَقْع بقَرْقر (576) 277/1	.... ص 41
(4) اسمع من قُرَاد 11/2	.... ص 44
(5) أبصر من عقاب 11/2	.... ص 42
(6) احذر من غراب 11/2	.... ص 72
(7) انوم من فهد 11/2	.... ص 82
(8) اخف رأسا من الذئب والطائر 11/2	أخف رأسا من الذيب........ ص 64
(9) اصنع من سُرْفة ومن تُنَوِّط 11/2	اصنع من سُرْفة (وهي دويبة) ص 93
(10) أخرق من حمامة 12/2	احمق .... ص 62

ومن هذه القائمة يمكن لمس بعض الفروق الموجودة بين عبارات الكتابين كما في (أحمق) و (أخرق) و (أسمح) و (أجود) . على أن بعض الفروق الأخرى قد يكون أكثر من ذلك عمقا ، عندما يتعلق الأمر بالشرح . ففي كتاب الأمالي يقول : «أجود من لافظة . وأراد بلافظة : البحر» (244/1) . وهو شرح يوافق ما جاء عند البكري الذي أتى بمعان متعددة للافظة ، ومنهـا قوله : «وقال قوم : هي البحر ، لأنه يلفظ بالدرة الجليلة التي لا قيمة لها ، والهاء للمبالغة» (577) . وقال أبو علي في كتاب أفعل : «تقول العرب : أسمح من لافظة ، اذا مس ضرعها وهي تجتر تَفَلَتْ ، فتلقي ما في فيها فرحا بالحلب» (578) .

(575) الأمالي ج 2 (ص 11-12) . وقال هناك : (حرشت الصيد : اذا صدته) .

(576) الفقع بالفتح : الكمء الأبيض . والقرقر : القاع الأملس ، قاله في الأمالي .

(577) فصل المقال (ص 494) .

(578) (ص 70) .

وهذا مثال آخر للفروق الموجودة بين شروح القالي للأمثال . قال في البارع (579) «دغة : اسم رجل أحمق . فذهبت مثلا قولهم : أحمق من دغة» .

وقال في كتاب أفعل : «وأحمق من دغة ، وهي امرأة من بني عجل من نجيم» (580) .

على أن هذه الاختلافات ليست كافية ليقطع الباحث ازاءها برأي معين ، ولا سيما أنها لا تشمل بقية الأمثال .

والقالي في هذا الكتاب أيضا لا يعتمد على الرواية عن شيوخه ، ولا يهتم بذكر الأسانيد ، ولا يكثر من الشروح والشواهد . ولكن هناك ملحظ دقيق لا بد من التنبيه عليه ، وهو أن طريقة القالي في عرض وتقديم الأمثال بأماليه ، لا تختلف في كثير عن طريقته في هذا الكتاب . ولأجل التمثيل أورد هذا النص من الأمالي :

قال أبو علي (ص 1/157) : «.. قال الأصمعي : ومن أمثالهم : **أهون هالك عجوزٌ في عام سنة** (581) ، مثل للشيء يستخف بهلاكه . ويقال : **خله دَرَجَ الضب** ، أي خله يذهب حيث شاء . ويقال : **لا يدري المكروب كيف يأتمر** ، يراد أن المكروب يغطى عليه الشأن فلا يدري كيف ينفذ أمره .

ويقال : لا تعجب للعروس عام هدائها ، يراد أن الرجل اذا استأنف أمره تجمل لك .

ويقال : ناب وقد تقطع الدَّوِيَّة ، يراد أن المسن تبقى منه بقية ينتفع بها .

وقال أبو زيد : ومثل من الأمثال ، الشر ألجأه الى مُخ العقاريب . يقال ذلك عند مسألة اللئيم ، أعطاك أو منعك» .

فهو لا يتوسع في الشرح ، ولا يهتم بالشواهد ، ولا يذكر سنده في الرواية . وهذا معناه أننا وان لم نلحظ خصائص التأليف عند القالي في هذا الكتيب ، فان طريقته فيه تتفق مع طريقته التي اتبعها في الأمالي ، وعند ذكر الأمثال خاصة ، فأسلوبه هناك شبيه بأسلوبه هنا .

(5) ورغم أن صاحب هذا الكتاب لا يعين أسماء مصادره التي نقل منها ورجع اليها ، فاننا نرى أنه استفاد من العلماء الذين ألفوا في الأمثال قبله . فقد نقل من

---

(579) (ص 70 ف) .

(580) (ص 60) .

(581) وفي فصل المقال لأبي عبيد : أهون هالك عجوز في عام سنت . أي في عام جدب ومسغبة (ص 185) .

يونس بن حبيب ، وأبي حاتم ، وابن السكيت ، وابن الأعرابي ، والأصمعي . وعول بالدرجة الأولى على محمد بن حبيب (582) صاحب كتاب (المنمق في الأمثال على أفعل) . أما حمزة الأصبهاني ، فلم نجد له ذكرا في كتاب القالي ، وسبب ذلك أنهما كانا متعاصرين ، وماتا في فترة جد متقاربة . ولو أردنا المقارنة السريعة بين كتابيهما لوجدنا لمؤلف الأصبهاني (583) قيمة كبيرة ، وخصائص هامة يفضل بها كتاب القالي . فهو أكثر منه استيعابا واستقصاء ، وأوسع مجالا وأكثر شاهدا . وقد حوى من أمثال العرب والمولدين الواردة على صيغة أفعل ، حوالي ألف وثمان مئة مثل ، مرتبة ترتيبا معجميا في تسعة وعشرين بابا ، خصص الأخير منها لأمثال المولدين البالغة حوالي خمس مئة (584) . وقد ألحق بها بابا (وهو الثلاثون) جمع نوادر العرب الجارية في كلامهم مجرى الأمثال ، من المكنى والمبنى والمثنى ، وهي خارجة عن صيغة أفعل . ثم اتبعه خرافات العرب وخَرّزاتهم ورقاهم . فكان بذلك جامعا بين الاستقصاء وحسن التنظيم . ولا شك أن هذه الخصائص هي التي جعلته أكثر شهرة وانتشارا في الأندلس وغيرها .

(6) احتفظ لنا ابن خير في فهرسته ، بسند روايته لهذا الكتاب على النحو التالي :

القالـــي

أبو الحجاج يوسف بن فضالة النحوي

↓

أبو سهل يونس بن أحمد الحراني

↓

الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج

↓

أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي

↓

ابن خير الاشبيلي (585)

---

(582) أنظر الصفحات (37 – 39 – 40 – 44 – 47 – 51 – 52 – 56 – 67 – 71 – 88) .

(583) نشره عبد المجيد قطامش محققا في جزئين بين سنتي 71–1972 م بدار المعارف ، تحت عنوان (الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة) .

(584) وقد وهم الأستاذ ابن عاشور في مقدمة تحقيقه لكتاب القالي ، حين قارن بينه وبين كتاب الأصبهاني ، فقال ان الأول لم يخلط أمثال المولدين بأمثال العرب كما فعل حمزه ، اذ الواضح أنه جمعها في باب خاص ، هو الباب التاسع والعشرون .

(585) (ص 353) .

ومن غير هذا السند ، لا نجد للكتاب ذكرا فيما وصل الينا من دراسات وآثار أندلسية ، سوى نقل عثرت عليه في شرح المقامات ، للمؤلف المغربي أبي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي ، غير أن ابن حمــامة لم يذكر الكتاب باسمه الكامل ، ولكنه اكتفى باختصاره قائلا : «قال أبو علي في الأمثال : يقال هو حديث نساء ، وزيرٌ ، اذا كان يكثر من زيارتهن» (586) .

واذا كان ذكره لاسم الكتاب على سبيل الاختصار ليس أمرا ذا بال ، لأنه استعمل نفس التعبير حين نقل أيضا عن كتاب حمزة الأصبهاني ، فقال : «قاله الأصبهاني في كتــاب الأمثال له» (587) . فان ما يلفت النظر حقا هو أن العبارة المنقولة عن ابن حمامة من كتاب الأمثال للقالي ، ليست موجودة في هذا الكتيب الذي بين أيدينا ، مما يجعلني أفترض أمرين :

(1) إما أن تكون العبارة ساقطة من كتاب القالي ، كما هو الشأن في كثير من المناسبات التي يجني فيها النساخ على آثار الكتاب .

(2) وإما أن يكون هذا الكتيب عبــارة عن مختصر صغير من الكتاب الأصلي الذي نفترض ضياعه حينذاك . وقد يكون الكتيب في هذه الحال أيضــا ، هو نفس مختصر ابن رشيد المسبتي المغربي ، الذي رحل للأندلس وأقام بها بعد عودته من الحج ، حيث كان اماما وقاضيا بغرناطة قبل أن يقيم بفاس ومراكش .

فقد وردت بآخر الكتاب عبــارة يقول فيهــا الناسخ : «الحمد لله . قال في آخر الكتاب الذي قابلت منه (كذا) هذا ، وهو مختصر ابن رشيد السبتي ما نصه ..» : فقد يكون معنى المقابلة المتكلم عنها ، هو مقابلة مختصر بآخر لابن رشــيد أو مقــابلة نسختين من مختصر واحد هو مختصر ابن رشيد .

واذا كان ابن رشــيد قد اختصر الكتــاب في القرن السادس أو بداية السابع الهجري (588) ، فهذا لا شك يعني أنه ظل معروفا بالأندلس الى ذلك الحين .

وفي اعتقادي بعد هذا ، أن هناك سببا وجيهــا نستطيع به تعليل عدم انتشــار الكتاب بالأندلس ــ اذا ثبت أن النسخة الموجودة تمثل الأصل كاملا ــ وهو سبب يعود الى طبيعة هذا الكتاب نفسه .

---

(586) (ص 223) .

(587) (ص 259) .

(588) توفي ابن رشيد بفاس سنة 721 هـ. واسمه : أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي وهو صاحب الرحلة المشهورة (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة) . أنظر ترجمته في الوعاة للسيوطي (ص 85) وغيرها .

فهو لما كان عبارة عن تقييد مختصر للأمثال العربية التي جاءت على صيغة اسم التفضيل ، قام القالي بتجريدها وتخليصها مما رواه من كتب الأمثال خاصة ، وكتب اللغة عامة . ولما كان هذا الجرد عاريا في الغالب من العمق الذي امتازت به كتب اللغة حينذلك ، فان الأندلسيين عزفوا عن أخذه ، بل عن اعتباره كتابا من الكتب التي تستحق الذكر والاهتمام ، لأنه لم يكن قد وضع لذوي الثقافة المتعمقة المتخصصة ، ولكنه وضع على شكل ملخص للحفظ والتعلم . لذلك نجدهم قد آثروا عليه أمثال أبي عبيد ، وأمثال الأصبهاني ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، وغيرها من الأمهات ، لأنها أغزر مادة ، وأكثر شاهدا ، وأوسع شرحا .

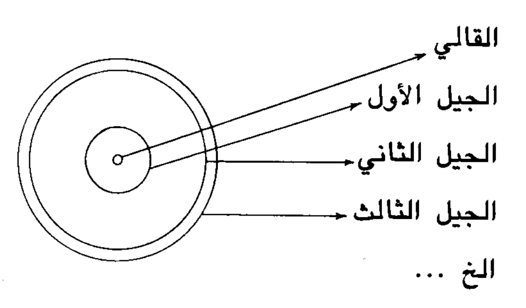
الباب الثاني

تأثير القالي بواسطة تلاميذه

(دراسة تاريخية مفصلة تعرض حياة وآثار ثلاث طبقات من تلاميذ القالي)

مقـــدمة :

ان صورة تأثير القالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس لا يمكن أن تكتمل في ذهن القارىء دون التعرف على مجموعة من تلاميذه الذين ورثهم علمه وخصائص ثقافته . وليس القصد هو التعرف على أسمائهم وتاريخ حياتهم . بل هو أن نبحث في الجوانب العلمية لكل شـــخصية منهم عن الخيط الذي يربطهـا بالقالي فنبرزه للعيان . وعن وجوه القرابة العلمية التي تجمع بين شيخ المدرسة من جهة وسائر التلاميذ من جهة ثانية . غير أن تأثير القالي في رجال الأندلس لم ينحصر في الطبقة التي أخذت عنه مباشرة . ولا فيمن شاهده أو عاصره أو جلس اليه ، بل ظل ملموسا ومتوارثا في الأجيال التي خلفت هذا الجيل الأول . فلذلك وجدت من الضروري لكي يزداد الأمر وضوحا ويزداد الدليل قوة أن أتتبع امتـــداد هذا الخط الفكري وأن لا أقتصر على دراســـة الجيل الأول . فقد جاء بعد تلاميذ القالي المباشرين من حمل علمهم ، واتجه وجهتهم في نوع الاهتمام والتخصص ، وترسم خطاهم في التأليف ، واشتغل في نفس الحقول التي اشتغل فيها السابقون . وهكذا اتســعت الدائرة كما وكيفا ، زمانا ومكانا ، فأصبح القالي بمثابة تلك الحصـــاة الصغيرة التي ألقي بها في بركة راكدة ، سرعان ما نشأت حولها دوائر مائية بعضها يحتوي البعض ، وتتسع محيطاتها كلما ابتعدت عن نقطة الانتشار . وذلك ما يمكن توضيحه بالشكل التالي :



غير أن المتابعة البعيدة المدى لسائر هذه الدوائر والحلقات من التلاميذ الذين أخذوا عن الشيخ مباشرة أو أخذوا عمن أخذ عنه ، تبدو ولا شك مستعصية كلما ابتعدنا عن الطبقة الأولى ، بل انه من العبث أن يقوم الدارس باحصاء كل أفراد الأجيال المتعاقبة وتتبع نشاطها وحركاتها العلمية . ولذلك تراني أكتفي بدراسة ثلاث دوائر أو طبقات . على أن المرء لا يستطيع حتى بالنسبة لهذه الطبقات الثلاث ، أن يطبق منهجا احصائيا دقيقا في الأحوال كلها . واذا كنت قد حاولت أن أفعل ذلك في الطبقة الأولى ثم تركته في الطبقتين الأخريين ، فذلك لأن عملية احصاء وتحديد الموجود من رجال الطبقة الأولى الذين هم التلاميذ المباشرون ، عملية ممكنة ، وأكثر فائدة .

فهي ممكنة ، لأنه يسهل اذ ذلك القيام بعملية مسح للموجود من كتب الأدب والتراجم الأندلسية وغيرها ، لاستخراج عدد محدود مما فيها من هؤلاء التلاميذ الذين أخذوا عن شخص واحد . وأكثر فائدة ، لأنه يهمنا جدا أن نتعرف على كل رافد من الروافد الأصلية الأولى التي صب فيها القالي ، وعلى نوع ومقدار ما استفاده كل واحد منهم على انفراد .

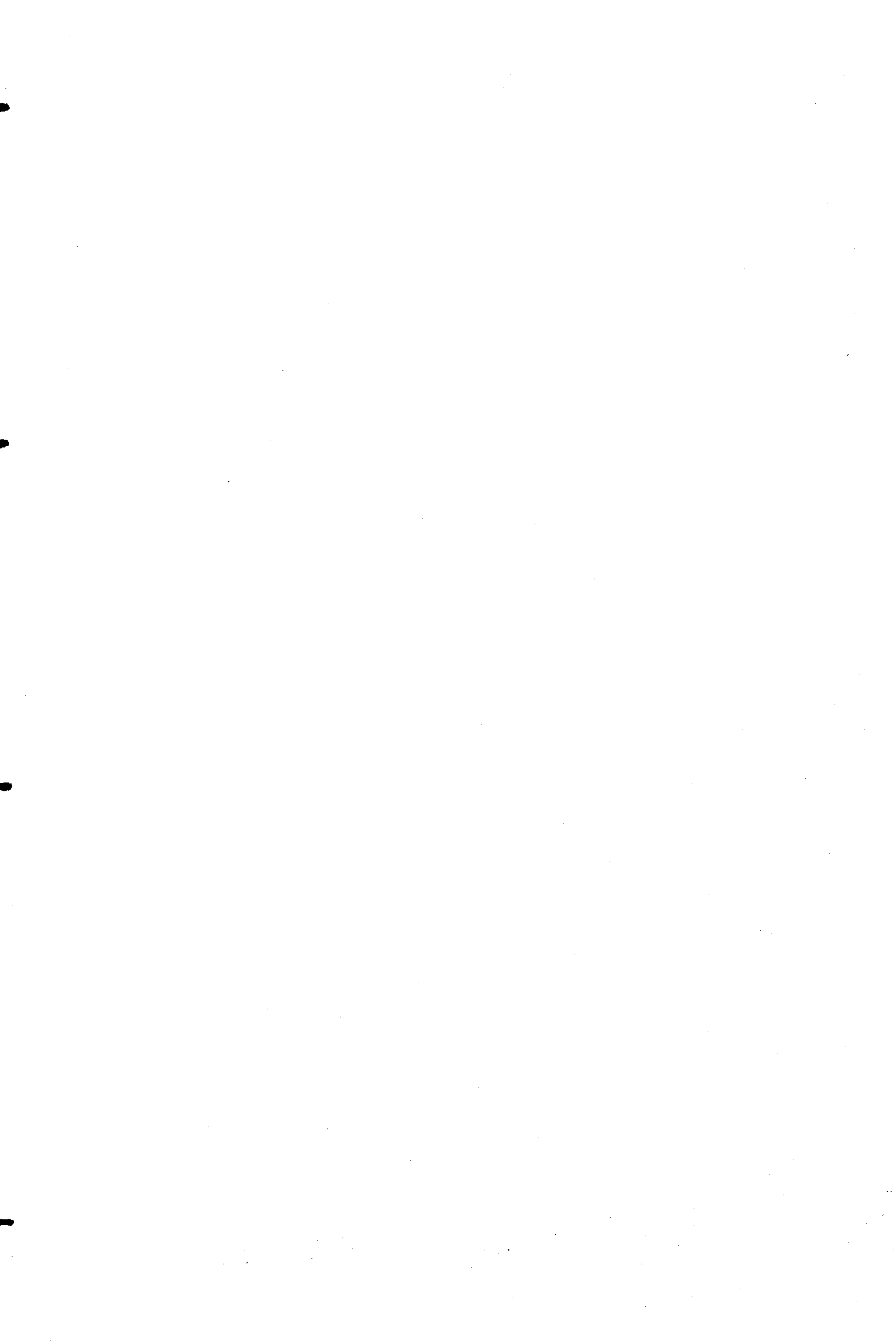
ولكنه عندما ننتقل لدراسة الطبقة الثانية فالثالثة ، تصبح هذه العملية شاقة ، ان لم تكن مستحيلة من جهة ، وأقل فائدة من جهة ثانية . فهي شاقة لأنه يصعب تتبع كل الجداول الصغيرة التي تتفرع مثل الخلايا والشرايين الدقيقة النابعة من الروافد الأصلية . وهي أقل فائدة لأن الذي يهمنا ليس هو احصاء كل الجداول والفروع الموجودة ، ولكن المهم في هذه العملية ، هو الحصول على أمثلة متعددة تقوم دليلا كافيا على تأثير القالي لمدى بعيد ، وتظهر فيها خصائص المدرسة خلال الجيلين : الثاني والثالث .

ولهذا كله لجأت في دراسة الطبقتين الثانية والثالثة الى تطبيق منهج انتقائي ، تخيرت به مجموعة محدودة وصالحة لتكون مثالا على ما لم أذكره .

ورغم أن مثل هذه الدراسة تقتضي الوقوف عند كل تلميذ أورد ذكره لمعرفة ما فيه من أثر القالي ، فاني لم أشأ أن أسلك طريق القدامى من أصحاب التراجم وكتب الطبقات حين يعرفون بالأشخاص ، فيعنون بالتقاط جميع الأخبار والحيثيات المتعلقة بهم ، اذ القصد عندي ـ كما قلت سابقا ـ هو الوقوف عند الجوانب التي لها علاقة بالقالي وعلومه ، ودراسة نشاط الشخص بصفته عضوا في هذه المدرسة الفكرية ، والتعريف بانتاجه في حدود ما له من صلة باتجاه المدرسة وانتاجها . ولذلك تراني أكتفي من أخباره وأحواله ، بما يصلح لهذا البحث ، وأحيل في غير ذلك على المراجع والمصادر . ومن هنا يتبين أن ما صنعته في هذا الباب ، ليس له صفة

الترجمة في العمق ، وان كان يبدو كذلك في الظاهر ، اذ كان الهدف ـ وأكرر ـ هو الحصول على جملة خصائص تشترك فيها رجالات المدرسة القالية .

أما حين أنتهي من عرض رجال الدائرة الأولى ، ومن اخترته لأمثل به من رجالات الدائرتين الثانية والثالثة ، فلن أتوقف كثيرا لتفصيل الحديث في خصائص المدرسة القالية من خلال رجالها وطبقاتها ، وذلك لأن القارىء سيدرك تلك الخصائص ويقف عليها بنفسه عند دراسة آثار واتجاه كل شخصية على حدة .



الدائرة الأولى

أما رجال هذه الدائرة ، فهم الذين باشروا الرواية عن القالي ، فجالسوه وصاحبوه واستملوه ، وأصابوا ثمرات العلم من أطباقه ، خلال ربع قرن من اقامته بالأندلس .

ورغم يقيني بوجود عدد كبير من رجال هذه الطبقة ، فان ما استطعت جمعه منهم لا يزيد عن 48 تلميذا ، وهو القدر الذي أسعفتني به المصادر الموجودة رغم طول البحث ، وسنجد من بين هؤلاء التلاميذ ، من أكثر عن القالي حتى عرف (بصاحبه) أو (وراقه) أو (مستمليه) ، ومن اكتفى بالقليل حتى اقتصر على رواية كتاب أو سماع قصيدة .

ولأجل استخلاص الخصائص المشتركة بين رجال هذه الطبقة ، ومعرفة ما في ذلك من عناصر التأثر بالشيخ القالي ، كان لا بد من دراسة كل فرد على حدة ، مع الاقتصار على جوانب لها علاقة ما بموضوعنا . وسنعرض لذكرهم مرتبين على الحروف الهجائية لأسمائهم وأسماء آبائهم .

1 ـ أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان التنيسي (1)

(ــــ 387 هـ)

أخذ عن وهب بن مسرة الحجاري ، وأبي علي القالي . وقد عده ابن خير ضمن رواة الأمالي ، وقال عنه ابن الفرضي : «.. وكان يفتي في جامع الزهراء . وقد حدث بحكايات من أمالي أبي علي القالي» فهو اذن من الذين خلفوا أبا علي على كرسيه بالزهراء .

2 ـ أحمد بن أبان بن سيد (2) (ــــ 382 هـ)

هو أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي ، تلقب بصاحب الشرطة تشريفا وتكريما لعلمه ومنزلته . وقد صاحب القالي وروى عنه سائر كتبه ومصنفاته ، فضلا عن الكتب التي أدخلها الأندلس .

---

(1) كذا ورد اسمه عند ابن خير (ص 325) . وهو عند ابن الفرضي الذي ترجم له (28/1) انه : (التنسي) بدون ياء بعد النون .

(2) ترجمته في أنباه الرواة (30/1) ـ الجذوة (110 و 381) ـ النفح (351/4) ـ الوعاة (ص 126) ـ الصلة (الحسيني) (14/1) ـ بغية الملتمس (170 و 538) (دار الكاتب) ـ معجم الأدباء (203/2) .

وممن روى عنهم أيضـا : أبو عثمان سـعيد بن جابر الاشبيلي ، الذي أخذ عنه كتاب الكامل للمبرد (3) .

أما تلاميـذه ، فمنهم يوسف بن عبد الله بن خيـرون (4) ، وابـو القاسم بن الافليلي (5) ، وأبو سـهل الحراني (6) ، وا بو الحسن الأصبحي (7) ، وابو عبد الله الحجاري (8) وغيرهم .

وقد ترك نتيجة اتصاله بالقالي ومدرسته اللغوية ، مؤلفات عد المترجمون منها :

(1) **كتاب العالم في اللغة** .

(2) **كتاب السماء والعالم** ، وهما في الحقيقة كتاب واحد . وقد سبق أن وضحنا عند دراستنا لكتاب البارع أنهما ليسا له .

(3) **كتاب العالم والمتعلم** في النحو ، على المسألة والجواب . ذكره القفطي (1/30) والحميدي (ص 381) . على أن ياقوتا في المعجم يسـميه : (كتـاب العالم والمعلم) (9) وهو تصحيف لا شك فيه .

(4) **كتاب شرح كتاب الكسائي في النحو** ، ذكره القفطي (1/30) .

(5) **كتاب شـرح فيه كتـاب الأخفش** ، ذكره السـيوطي في الوعاة (ص 126) والحميدي في الجذوة (ص 381) وياقوت (2/203) .

ومن خلال هذه الآثار التي تنسب لأحمد بن أبان مما لم يصل الينا ، ندرك مدى تأثره بمدرسة القالي اللغوية ، التي تهتم بدراسة التراث وروايته وتأصيله بالأندلس .

3 ـ ابو عمر احمد بن سعيد بن ابراهيم الهمداني (المعروف بابن الهندي) (10)

(320 ـ 399 هـ)

وهو قرطبي ، أخذ عن القالي ثم جمـاعة من الشـيوخ مثل : قاسم بن أصبغ ، ووهب بن مسرة .

ويظهر أنه بعد الدراسة على القالي ، اتجه للتخصص في العلوم الدينية ، فكان حافظا للفقه وأخبـار أهل الأندلس . وعده القاضي عياض وابن فرحون في طبقات

---

(3) فهرسة عياض (ص 24) مخطوط ـ فهرسة ابن خير (ص 321) .
(4) الجذوة (110–346) ـ الوعاة (ص 422) ـ الصلة (2/640) (الحسيني) .
(5) القفطي (1/30) .
(6) الصلة (2/647) (الحسيني) .
(7) الذيل والتكملة ق 1 س 5 (ص 316) .
(8) ابن خير (ص 311) .
(9) (ص 2/203) .
(10) ترجمته في الصلة (1/19) (الحسيني) ـ الديبـاج المذهب (ص 38) ـ المغرب (1/217) ـ ترتيب المدارك (4/649) . ونسبه في الديباج (الهمذاني) بالذال المعجم ، ولا شك في تصحيفه .

المالكية . وقال ابن حيان : «وكان واحد عصره في علم الشروط ، أقر له بذلك فقهاء الأندلس طرا» (10م) . ومن آثاره في هذا الشأن **(ديوان في الوثائق)** (11) ، وصفه ابن مفرج فقال : «ألف أولا ديوانا مختصرا من ستة أجزاء ، فقرأتها عليه ، ثم ضاعفه وزاد فيه شروطا وفصولا وتنبيها (12) ، فقرأت ذلك عليه ، ثم ألفه ثالثة واحتفل **فيه وشحنه بالخبر والحكم والأمثال والنوادر والشعر والفوائد والحجج** ، فأتى الديوان كبيرا . واخترع في علم الوثائق فنونا وألفاظا ، وفصولا وأصولا ، وعقدا عجيبة . فكتبت ذلك كله وقرأته عليه» (13) وهو كتاب ـ كما نرى ـ لم يرض عنه صاحبه الا بعد أن حشاه بما شاء من الحكم والأمثال والنوادر والشعر والأخبار . ولا شك أنه اتكأ في ذلك كله ، على ثقافته ورصيده العلمي الذي لقنه من القالي وكتبه .

ومن تلاميذ ابن الهندي : أبو الوليد هشام بن غالب الغافقي المتوفى سنة 438 هـ ، وأبو المطرف عبد الرحمان بن عبد الله بن حماد المتوفى سنة 407 هـ تلميذ الزبيدي ، وأبو الوليد هشام بن محمد بن اسحاق القيسي المتوفى سنة 420 هـ .

4 ـ أبو عمر احمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب القرطبي النحوي (14)

(حوالي 330 هـ ـ ت 400 هـ)

ينحدر في أصله من قبيلة مصمودة المغربية . وهو معدود في نحاة الأندلس بالدولة العامرية . وقد اتصل بالحاجب المنصور ومدحه بقوله :

لا يوم كاليوم في أيامك الأول
بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل
طيبا ، وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها
بالسعد الا تحل الشمس بالحمل (15)

(10م) الديباج (ص 38) .

(11) اختصره جماعة من الأندلسيين ، وأولوه قدرا من العناية . ومنهم أبو المطرف القنازعي (ترتيب المدارك (4/728) .

(12) كذا . وربما كان الأصل : (وتنبيهات) .

(13) الديباج (ص 38) .

(14) ترجمته في أنباه الرواة (1/37) ـ الوعاة (ص 140) ـ جذوة المقتبس (ص 111) ـ الصلة (1/25) (الحسيني) ـ بغية الملتمس (ص 173) (دار الكاتب) . وقد جعله السيوطي في البغية ، غرناطيا وليس قرطبيا .

(15) الأبيات في البيان المغرب (2/277) . وقد وقع في النسخة التي نشرها بروفنسال من الكتاب =

وكلف بعد ذلك تأديب عبد الملك بن الحاجب المنصور وتعليمه .

وقد حصل أكثر علومه وثقافته على شيخه القالي ، اذ كان من أصحابه وخواصه المقربين المشـــهورين بملازمته . فروى عنه سائر كتبه ، وحفظ أماليه ، وأخذ عنه المصنفات التي أدخلها الى الأندلس كمــا تدل على ذلك فهرســة ابن خير . ويرجع الفضل لابن أبي الحباب - من جهة أخرى - في نشر واذاعة آثار القالي بين رجال الأندلس وطلابها ، لكثرة احتكاكه به وملازمته له . وقد كان أبو عبيد البكري يطمئن الى روايات ابن أبي الحباب عن شـــيخه القالي ، ويحتج بها ويوثقها . فهو مثلا في شرحه وتعليقاته على الكامل للمبرد - وهو من الكتب التي رواها المترجم - يقول منوها بشـــأنه : «ورواية ابن أبي الحباب عنـــدي أظهر» (16) ويقـــول مرة أخرى : «.. وهي رواية ابن أبي الحبـــاب وعليه أكثر الكتب» (17) . وذلك بالاضافة الى ما ينقله عنه في شرح الأمالي (18) .

واذا كان فريق كبيـــر من العلماء قد وثق ابن أبي الحبـــاب ، ووصفه بالحفظ والضبط وصحة الرواية والبصر بالعربية ، وصحة الايراد لما يحمله ويرويه ، فان جماعة أخرى رمته بتهمة الغفلة في غير ذلك من أموره .

ونجد من شيوخه فضلا عن القالي ، يحيى بن مالك بن عائذ (19) ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن قاسم الثغري القاضي وغيرهما . أما تلاميذه فكثيرون ومنهم : أبو عمر بن الحذاء ، وأبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الوارث تلميـــذ الطوطالقي أيضا ، وأبو عثمان سعيد بن عبد الله بن دحيم (ت 429 هـ) ، وأبو المطرف بن غلبون ، والأديب محمد بن ابراهيـــم بن خلف اللخمي المعروف بابن زروقة المتوفى حوالي 435 هـ ، وأبو الحسن الأصبحي ، وآخرون .

5 - أبو عمر احمد بن عبد القادر الأموي الاشبيلي (20)

(ـــ 420 هـ)

لم يسمع من القالي الا يسيرا ، وله مع ذلك حظ من النحو واللغة والشعر . ومن

≠ تصحيف لاسم المترجم ، فهو هناك (أبو عمرو بن أبي الحباب) والصحيح (أبو عمر) وقد سـار علي هذا الخطأ عبد الله عنان في (دولة الاسلام ص 522) .

(16) طرر البكري على الكامل ، الورقة 10 (ص 19) ، مخطوط مصور بالرباط .

(17) نفس المصدر (ص 18) الورقة 9 .

(18) السمط (926/2) .

(19) الجذوة (ص 111) .

(20) ترجمته في الصلة (44/1) (الحسيني) .

شـيوخه عدا القالي : أبو الحسن الأنطاكي المقرىء ، وأبو القاسم حكم بن محمد القرشي القيرواني ، ومحمد بن حارث الخشني وغيرهم .

ومن تلاميذه أبو محمد بن خزرج .

6 ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الجسور (21) الأموي بالولاء

(319 أو 320 ـ 401 هـ)

ولم تشر كتب الطبقات الى تلمذته أو سماعه من القالي ، ولكن ابن خير الاشبيلي عده في قائمة الذين رووا عنه كتـابه (الأمالي) و (الذيل) (22) . ويظن أن له رحلة الى المشرق سمع فيها من أبي علي الحسن بن سلمة بن سلمون صاحب النسائي ، وأبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري الذي حدث عنه بتاريخ الطبري .

أما شيوخه في الأندلس ، فمنهم وهب بن مسرة ، ومحمد بن معاوية القرشي ، وقاسم بن أصبغ .

ومن تلاميذه : ابو محمد علي بن أحمد بن حزم ، وأبو عمر بن عبد البر النمري المحدث الشهير .

7 ـ أبو سعيد أحمد بن محمد بن أيوب الأصبحي (23) المعروف بابن سلمة

(312 هـ ـ 399 أو 400 هـ)

وهو قرطبي ، كانت له عناية باللغة والأدب والأخبار ، وروى عن القالي . وقد ذكره ابن خير في جـلة الآخذين عنه كتاب الأمالي (24) .

---

(21) ترجم له الحميدي (ص 99) ـ وابن بشكوال في الصلة (1/24) (طبعة الدار المصرية) . والضبي في بغية الملتمس (ص 154) .

(22) فهرسة ابن خير (ص 325) .

(23) ترجم له ابن بشكوال في الصلة (1/21) (الحسيني) .

(24) فهرسة ابن خير (ص 325) .

8 ـ ثابت بن قاسم بن ثابت السرقسطي (26)

(289 ـ 352 هـ)

وهو من أعلام المحدثين بالأندلس . روى عن والده قاسم كتاب غريب الحديث المسمى (بالدلائل) ، وهو كتاب نشأ حول مؤلفه خلاف شديد بين رجال الأندلس (27) . وقد قرأه القالي عند دخوله قرطبة ونسخه بيده . وسبق القول أنه أخذه عن ثابت هذا ، تواضعا واعجابا ، اذ لم يكن أهلا ليؤخذ عنه (28) .

واذا كنت قد جعلت (ثابتا) من تلاميذ أبي علي تجاوزا ـ اذ هو في عداد أصدقائه ـ فان الثابت مع ذلك أنه سمع منه قصيدته في مدح الناصر سنة 330 هـ . قال ابن خير : «قصيدة نقلتها من خط ابراهيم بن حمام بن أحمد قال : وجدت بخط ثابت بن قاسم : ''أنشدنا أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى ابن محمد بن سلمان مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، رضي الله عنه لنفسه ، وخاطب بها أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وقت حلوله قرطبة ، وذلك في شعبان لثلاث بقين منه ، سنة 330 هـ.''» (29) .

9 ـ جعفر بن اسماعيل القالي (30)

أورثه والده أبو علي شيئا من مكانته وشهرته ، فقربه ذلك الى الأمراء . ونال أيضا من ثقافته وعلمه وأدبه ، فنشأ شاعرا يمدح المنصور العامري ، ومن مدائحه فيه قوله :

وكتيبة للشيب جاءت تبتغي
قتل الشباب ففر كالمذعور
فكأن هذا جيش كل مثلث
وكأن تلك كتيبة المنصور (31)

ولعل جعفرا هذا ، قد عاش الى أن شاهد الفتنة البربرية ، واكتوى بنار الأحداث القاسية التي مرت بها الأندلس في تلك الفترة ، وهي أحداث شغلت الأمراء عن

---

(26) ترجمته في الجذوة (ص 174) .

(27) أنظر الفصل الثاني من الباب الثاني من القسم الأول من هذا البحث .

(28) طبقات الزبيدي (ص 285) وأنباه الرواة (263/1) . وأنظر الهامش السابق .

(29) فهرسة ابن خير (ص 422) .

(30) ترجمته في الصلة (127/1) (الحسيني) ـ الجذوة (ص 175) ـ بغية الملتمس (ص 256) ـ الوعاة (ص 212) ـ معجم الأدباء (162/7) ـ المغرب (208/1) .

(31) البيتان في المعجم لياقوت ، والجذوة للحميدي . وهو يشير فيهما الى النصارى أصحاب التثليث ، والى اشتغال المنصور بمحاربة نصارى الأندلس واشتهاره بذلك .

الاهتمام بأهل الأدب والعلم ، فافتقد الموئل والملجأ ، وأحس بغربة أثارت في خاطره رغبة الرحيل عن قرطبة ، والتماس موطن أجداده ومنشأ والده . فخرج منها الى بغداد ، وفي نيته أن يأنس هنالك ببقية الأهل والأقارب فلا يعود . ولقد كان ذلك هو تفكير بعض العلماء والأدباء أيضا ، وقد أيأستهم الحال التي تردت فيها البلاد ، فخرجوا هائمين على وجوههم ، كما فعل صاعد البغدادي الذي قصد صقلية أخيرا ، فتغرب فيها الى أن مات .

ولكن جعفرا ما لبث أن افتقد في بغداد ما كان يصبو اليه ويرجوه ، فعاد كظيما الى الأندلس ، ومات في فترة غامضة وتاريخ مجهول (32) .

واذا كنا لا نعرف عن جعفر أكثر مما ذكرنا ، فاننا أيضا لا نعرف شيئا عن تلاميذه سوى أبي الوليد بن الفرضي الذي ذكره صاحب الصلة (33) .

10 ـ أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري (34)

(324 هـ ـ حوالي 430 هـ)

كان جده مولى الامام هشام بن عبد الرحمان بن معاوية . وهو شاعر أديب ، روى عن القالي ، وأبي بكر بن القوطية ، وقاسم بن أصبغ ، وثابت بن قاسم بن ثابت السرقسطي المذكور سالفا ، وغيرهم . ومن تلاميذه : أبو تمام القطيني المتوفى سنة 465 هـ ، وقاسم بن هلال ، وأبو عمر المقرىء .

ومن آثاره الأدبية : **جمعه لديوان يحيى بن حكم الغزال ، وترتيبه على الحروف .** وقد كان راوية لشعر عبد الله بن المعتز وترسيله عن القالي (35) .

11 ـ أبو عبد الله الحسن بن أحمد (؟)

ذكره صاحب التكملة (36) ، ولم يزد في نسبه على ما ذكر . وقال : ان له

---

(32) أنظر الأبيات التي يذكر فيها رحيله الى بغداد . في المغرب (208/1) .

(33) الصلة (127/1) (الحسيني) .

(34) ترجمته في الجذوة (ص 186) ـ والصلة (152/1) (الحسيني) ـ وبغية الملتمس (ص 273) .

(35) في ابن خير (ص 405) ان الشطجيري روى شعر ابن المعتز وترسيله عن أبي علي (بن أحمد) البغدادي عن جحظة عن ابن المعتز ، فوقع تحريف في النص بزيادة (بن أحمد) بعد (أبي علي) . وقد أوقع هذا الدكتور محمود علي مكي في التباس فقال في كتابه (بحث حول الاسهامات المشرقية في اسبانيا ـ بالاسبانية ص 244) ما نصه : «ان شعر ابن المعتز قد أدخله الى الأندلس حبيب ابن أحمد الشطجيري الذي رواه ببغداد عن علي بن أحمد» . ثم أحال في الهامش على ابن خير في الموضع المذكور أعلاه .

(36) التكملة (256/1) (الحسيني) .

رواية عن القالي في (أدب الكتــاب) لابن قتيبة ، وكان يقرىء العربيــة واللغة ، ثم قال : «ذكره ابن عزيز ، ولا أعرفه في أصحاب أبي علي ، ولعل اسمه الحسين» .

12 – أبو علي الحسن بن أيوب الأنصاري المعروف باالحداد (37)
(337 أو 338 هـ – 425 هـ)

وهو قرطبي . أخذ عن القالي ، وأبي عيسى الليثي ، وأحمد بن ثابت النغلبي ، وأبي بكر بن زرب وغيرهم .

واشتهر برواية اللغة والحديث ، وجمع (مسائل) القاضي أبي بكر بن زرب في أربعة أجزاء ، وعده القاضي عياض في رجال المذهب المالكي بالأندلس .

ومن تلاميذه عبد الله بن محمد بن عباس الدباغ المتوفى سنة 463 هـ ، ومحمد بن مكي بن أبي طالب تلميذ ابن الأفليلي (ت 474 هـ) ، وأبو عبد الله بن عتاب .

13 – أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد البلوطي (38)
(— 420 هـ)

وهو ولد قاضي الجماعة منذر بن سعيد . روى بالأندلس عن والده ، وعن أبي علي القالي ، ثم رحل للمشرق ، فأخذ عن علماء مكة . ومن تلاميذه أبو عمر بن عبد البر وغيره . وهو موصوف عندهم بأنه «طود علم في الأدب لا يجارى» ، وهو عند ابن خير ، ممن أخذ عن القالي كتاب الأمالي (39) .

14 – أبو القاسم خلف بن سليمان بن غمرون البزار (40) المعروف ببقيل أو نفيل (41)
(— 398 هـ)

اشـتهر بالنحو واللغة والشعر ، وأخذ عن القالي وأبي بكر محمد بن معــاوية القرشي وغيرهما ، وولي قضاء شذونة والجزيرة . ومما أخذه مع ابنه سليمان عن القالي ، كتاب النوادر والذيل .

---

(37) ترجمته في الصلة (135/1) – ترتيب المدارك (732/4) .
(38) ترجمته في الصلة (146/1) (الحسيني) .
(39) ابن خير (ص 325) .
(40) ترجمته في تاريخ العلم والعلماء (163/1) – وبغية الوعاة (ص 242) .
(41) هناك اختلاف بين المؤرخين في هذا اللقب ، لا شك أنه ناتج عن التصحيف ، فهو (نفيل) عند بعضهم كالسيوطي في الوعاة . وهو (بقيل) عند الآخرين كابن الفرضي وابن خير (ص 362) . وهناك اختلاف آخر حول جده (عمرون) فهو عند ابن خير دائمـا بالغين المعجمة ، وعند ابن الفرضي والسيوطي وابن بشكوال بالعين المهملة .

15 ـ أبو عثمان سعيد بن عثمان البربري المعروف بابن القزاز (42)

(315 – 394 أو 395 هـ)

وهو الملقب أيضا **بلحية الثيتل** (43) .

روى عن كبار علماء وقته ، مثل قاسم بن أصبغ ، وابن عبد البر ، ووهب بن مسرة ، وسعيد بن جابر الاشبيلي ، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخشني ، وسعيد بن فحلون ، وغيرهم .

وأما أبو علي القالي ، فقد كان من أجل شيوخه وأكثرهم تأثيرا فيه . قال ابن بشكوال في ترجمته : «.. وكان من أجل أصحاب أبي علي البغدادي ، ومن طريقه صحت اللغة بالأندلس بعد أبي علي ، ومن طريق ابن أبي الحباب وأبي بكر الزبيدي» .

ووصفه القفطي بأنه كان «حافظا للغة والعربية ، حسن القيام بهما ، ضابطا لكتبه متفننا في نقله» .

ومن مؤلفاته **كتاب في الرد على صاعد البغدادي** «في مناكير كتابه في النوادر والغريب ، المسمى بالفصوص ، وأكثر التحامل عليه» فيه (44) .

وفي ابن خير ثلاث روايات على الأقل ، لأبي عثمان بن القزاز عن أبي علي الفارسي . فقد روى عنه كتابيه (الاغفال) و (الموجز في النحو) (45) . كما روى عنه كتاب (فعلت وأفعلت) للزجاج (46) .

وفي فهرسة التجيبي ، أنه روى كتاب الأمثال لأبي عبيد عن ابن القوطية عن طاهر بن عبد العزيز عن القاسم بن سلام (47) .

وروايته عن أبي علي الفارسي تدلنا على أن له رحلة الى الشرق التقى فيها بهذا اللغوي الكبير .

وهذه الروايات التي ذكرناها ، تدلنا أيضا على نوع ثقافته ومدى اهتمامه باللغة وعلومها .

---

(42) ترجمته في أنباه الرواة (44/2) ـ الوعاة (ص 256) ـ الصلة (204/1) (الحسيني) ـ الجذوة (ص 215) .

(43) في المصادر التي ترجمت له أنه (لحية الزبل) أو (الذبل) والظاهر أنه تصحيف . فقد جاء في (ذيل الفصيح للبغدادي) ص 121 ط 1907 قوله : «ومما يصحف : تقول لمن تنسبه الى الجهل والبلادة : عليه لحية الثيتل بثاء مثلثة ثم تاء وهو الوعل المسن) . وانظر لسان العرب مادة (ثتل) .

(44) القفطي (44/2) .

(45) ابن خير (ص 310) .

(46) نفس المصدر (ص 353) .

(47) فهرسة أبي عبد الله التجيبي ، الورقة 54 الوجه ـ مخطوط الرباط ـ وقد ذكر الزبيدي طاهر بن عبد العزيز هذا ، في الطبقة الرابعة من اللغويين والنحويين الأندلسيين .

وقد ترك أبو عثمان كثيرا من التلاميذ بدوره ، منهم أبو علي منصور بن أفلح الأديب الذي أخذ عنه كثيرا من الكتب والمؤلفات (48) ، ويوسف بن ورمز بن خيران الشكوني البطليوسي (49) ، وجماعة أخرى .

16 – أبو عثمان سعيد بن محمد بن شعيب الأنصاري (50) الأديب
(ـــ 420 هـ)

وقد سمع صغيرا من القالي أشـياء يسـيرة ، وروى بعد ذلك عن أبي الحسن الأنطاكي المقرىء ، وأبي زكرياء العائذي . واشتغل بعلوم القرآن ، وله دراية بعلوم العربية .

17 – أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون (51) أو (عمرون) بالعين المهملة
(334 – 408 هـ)

وهو ولد أبي القاسم خلف بن سليمان الآنف الذكر . روى عن كثير من شيوخ الأندلس ، مثل : أبي بكر محمد بن معـاوية القرشي ، وأبي عيسى الليثي ، وأحمد ابن مطرف . وأخذ مع والده عن القالي أشياء كثيرة ، مثل كتاب الأمالي له (52) ، وكتاب النوادر لابن الأعرابي (53) وأدب الكتاب (54) وكتـاب المثلث لقطرب (55) ونوادر أبي زيد الأنصاري وتسعة عشر كتـابا أخرى له (56) واصلاح المنطق لابن السـكيت (57) وكتاب الأمثـال للأصمعي (58) وكتـاب الزاهر لابن الأنباري (59) ، وغيرها .

كما روى كتبا أخرى عن غير أبي علي . وهي أشياء كلها تدل على عناية الرجل بعلوم العربية ، وعلى كثرة ما رواه منها عن شيخه القالي .

---

(48) ابن خير (ص 310–353) – والصلة (585/2) (الحسيني) .
(49) الصلة (639/2) (الحسيني) .
(50) ترجمته في الصلة (212/1) (الحسيني) .
(51) ترجمته في الصلة (194/1) (الحسيني) .
(52) ابن خير (ص 325) .
(53) ابن خير (ص 373) .
(54) فهرسة عياض (ص 101) – مخطوط الرباط .
(55) ابن خير (ص 362) .
(56) نفس المصدر (ص 371) .
(57) نفس المصدر (ص 331) .
(58) نفس المصدر (ص 340) .
(59) نفس المصدر (ص 341) .

ومن تلاميذه : أبو عبد الله بن عتـاب ، وأبو الحسن علي بن أبي الحسين (60) ووالد أبي بكر المصحفي (61) ، وغيرهم .

وكان مع ذلك يتولى قضاء بعض الكور في الأندلس .

18 ـ أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري (؟)

ولم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الطبقات والتراجم ، وانما أشار اليه ابن خير في فهرسـته (ص 325) وجعله من بين الذين أخذوا عن القالي كتـابه الأمالي والذيل . ثم ذكر له فهرسـة رواها عنـه أبو الوليـد بن الفرضي وهو من تلاميذه (62) . والمعروف من تلاميذ القالي عبد الوهاب بن أصبغ كما سنرى . وفي جذوة الحميدي (ص 299) وبغية الملتمس (ص 430) ترجمة لرجل يسـمى أيضا أبا بكر عباس بن أصبغ الهمداني المتوفى بعد سنة 378 هـ . فان صح أنه هو المقصود عند ابن خير ، فقد روى عن قاسم بن أصبغ وغيره ، وروى عنه أحمد بن عبد البر ، وأبو الوليد هشام بن محمد بن هشام المعروف بابن المصحفي .

19 ـ عباس بن عمرو الوراق (؟)

هكذا ورد اسمه في تاريخ العلماء (63) أثناء ترجمة قاسم بن ثابت بن حزم . فقال : «.. أخبرني العبـاس بن عمرو الوراق قال : سـمعت اسـماعيل بن القاسم البغدادي يقول : ''كتبت كتاب الدلائل وما أعلم وضعا بالأندلس مثله'' فتعصب ، ولو قال اسـماعيل : أنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد» (64) . فهو عند ابن الفرضي ممن سمعوا عن القالي .

وفي جذوة الحميدي (65) ، أنه العباس بن عمرو الصقلي ، كنيته أبو الفضل . كان بالأندلس ، وروى عن قاسم بن ثابت السرقسـطي (غريب الحـديث) المعروف (بالدلائل) . وذكر أن من تلاميذه يونس بن عبد الله بن مغيث [بن الصفار] ، ولكنه لم يشر الى روايته أو سماعه عن القالي ، وهذا لا يقدح فيما ذكره ابن الفرضي .

---

(60) نفس المصدر (ص 331) .

(61) فهرسة القاضي عياض (ص 101) ـ مخطوط الرباط .

(62) ابن خير (ص 435) .

(63) (403/1) .

(64) يروي الزبيدي هذا الخبر بسنده عن القالي مع اختلاف بسيط في الفاظ الرواية . (طبقات الزبيدي ص 285) .

(65) الجذوة (ص 299) . وانظر أيضا نفس الترجمة في بغية الملتمس (ص 430) .

20 ـ أبو المطرف عبد الرحمان بن سعد العروضي (66)

وقد ذكر ابن الأبار في ترجمته أنه روى عن القالي ، وأبي العباس بن وليد الطبيخي وغيرهما ، وأن من تلاميذه أبا غالب بن التياني أحد رجال الطبقة الثانية من أصحاب القالي .

ولم أعثر في التكملة على ترجمة أخرى لأبي المطرف العروضي ، سوى ما سبق أن رأيناه في هوامش النسخة الخطية المغربية من كتاب (المقصور والممدود) للقالي (67) .

21 ـ أبو أحمد عبد الله بن أحمد الكتبي (68)

من أهل قرطبة .

هكذا ذكره ابن الابار فيمن روى عن أبي بكر الزبيدي ، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن مغيث . ومن الرواة عنه أبو عمرو المقرىء .

واذا كان ابن الأبار هو الذي نقل الينا خبر صحبة المترجم لأبي علي ، فهو نفسه الذي شك في هذا الخبر بعد ذلك فقال : «.. وطالعت بعض تواليف أبي عمرو (69) ، واذا في أوله وآخره معلقات بخطه يفتتحها بقوله : ''حدثنا عبد الله بن أحمد الأموي (70) قال : أنا أبو علي اسماعيل بن القاسم ...'' وتارة يزيد (اللغوي ..) ولعله روى عن أبي علي ، ثم روى بعد ذلك عن الزبيدي ، مع أن أصحاب أبي علي قد جمعهم واحصاهم من تتبعهم وتقصاهم ، وليس هذا فيهم مذكورا ، ولا هو من طبقتهم ، ولا بغير أبي عمرو مشهورا ، والله أعلم بحاله . وقد أتيت بما عندي فيه ، وهذا أقصى التبيين والتنبيه» .

وهذا نص صريح في شكه الذي بناه على أمرين :

1 ـ عدم ورود اسم المترجم ضمن تلاميذ القالي عند من أحصاهم وتقصاهم .
2 ـ عدم شهرته بلقب آخر غير لقب أبي عمرو .

ولكن سكوت بعض العلماء عن الحاقه بأصحاب القالي ليس دليلا قاطعا على أنه ليس منهم ، ولا سيما وهو من المغمورين . كما أن عدم اشتهاره بغير (أبي عمرو) ، لا ينفي قطعا أنه لم يلقب بلقب ثان (كأبي أحمد) .

---

(66) ترجمته في التكملة (2/545) ـ الترجمة رقم 1534 ـ كوديرا .
(67) أنظر الدراسة الخاصة بكتاب المقصور والممدود في هذا البحث .
(68) ترجمته في التكملة (2/788-789) (الحسيني) .
(69) يعني : أبا عمرو المقرىء تلميذ المترجم .
(70) يعني المترجم .

وقد زادت شهرة رواية الرجل عن الزبيدي في شك ابن الأبار أن يكون صاحبنا قد روى عن شيخه أبي علي أيضا . الا أن هذا الأمر بدوره ليس فيه دليل ينفي روايته عن القالي ، اذ كثيرا ما حدثت هذه الظاهرة بين تلاميذ البغدادي ، حين يروى بعضهم عنه ، ثم يروي عن تلاميذه الكبار ، وأما أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث (والد ابن الصفار) الذي روى عنه أيضا فقد مات سنة 352 هـ ، ولا بد أن يكون المترجم قد أخذ عنه قبل هذا التاريخ . فيكون صاحبنا اذن ، في سن الآخذين عن القالي المتوفى سنة 356 هـ .

وعلى كل حال ، فقد جعلته من أصحاب القالي ، اعتمادا على ما نقله ابن الأبار نفسه من خط أبي عمرو المقرىء ، الذي تفهم منه روايته لبعض المعلقات عن الشيخ أبي علي .

22 ـ أبو محمد عبد الله بن أصبغ المعروف بابن الصناع القرطبي (71)

(ـــ 373 هـ)

قال ابن الفرضي : «.. سمع من قاسم بن أصبغ وغيره ، وروى عن أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي كثيرا من كتب اللغة ، وكان ضابطا حسن النقل ، معدودا في ثقات أصحاب البغدادي» . واشتغل الى أن مات برفع كتب المظالم . وذكر الضبي أنه (فقيه محدث) .

23 ـ أبو بكر عبد الله بن حسين بن عاصم القربالي (72)

(ـــ 403 هـ)

وهو عند ابن الأبار يعرف بابن (الغربالي) بالغين لا بالقاف ، من ولد عاصم بن العريان صاحب الأمير عبد الرحمان بن معاوية الأموي الملقب بالداخل . وذكر المراكشي في الذيل أنه ابن القربالي بالقاف .

كان من وجوه البيوتات بقرطبة التي تولى فيها منصب صاحب الشرطة ، وتصرف في الأعمال الجليلة ، الى أن مات في الفتنة البربرية .

وهو ممن روى عن القالي وأخذ عنه كتاب الأمالي . قال ابن عبد الملك المراكشي : «.. وكان من كبار أهل العلم ، مفيد التصنيف ، معانا عليه» . وذكر من كتبه :

---

(71) ترجمته في تاريخ العلم والعلماء (277/1) ـ وبغية الملتمس (ص 341) ـ وفي الذيل والتكملة ترجمة لعبد الله بن أصبغ المرادي القرطبي ، ذكر أنه مات سنة 402 هـ ، ولم يشر الى روايته عن القالي ، ولعله شخص آخر . (أنظر الذيل 184/4) .

(72) ترجمته في التكملة (791/2) (الحسيني) ـ والذيل والتكملة (219/4) .

(1) مصنفا في الأنواء .
(2) واختصار البيان والتبيين للجاحظ .

ووردت في الجذوة (ص 245) وبغية الملتمس (ص 330) والمغرب (101/1) ترجمة لرجل يسمى عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي صاحب الشرطة ، يعرف جده عاصم بالعريان صاحب عبد الرحمان الداخل . ووردت في اليتيمة للثعالبي (34/2) أبيات شعرية لعبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر ، لا توجد الا في هذا الكتاب - حسب ما أعلم - وقد يوهم هذا أن المترجم في كل من هذه المصادر شخص واحد ، وهو ابن القربالي أو الغربالي ، والحقيقة غير ذلك .

فقد مات تلميذ القالي في الفتنة البربرية سنة 403 هـ بينما يتفق الحميدي والضبي وابن سعيد ، على أن الشخص الذي ترجموا له كان يصاحب الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي الذي تولى الامارة ما بين سنتي 232 و 273 هـ ، ويزيد صاحب المغرب الأمر توضيحا حين يذكر أن ابن عاصم الذي ترجم له ، رحل الى الشرق ولقي مخارق المغني (مخارق بن يحيى الجزار) ، وهو من المغنين الذين عاشوا في عصر الرشيد ببغداد (73) وعاصروا ابراهيم الموصلي وابن جامع وغيرهما (74) .

24 - أبو محمد عبد الله بن حمود بن عبد الله الزبيدي (75)
(ــــ 372 أو 373 هـ)

أصله من اشبيلية ، وروى عن القالي بقرطبة ، ثم رحل الى المشرق فلزم أبا سعيد السيرافي في بغداد الى أن مات ، ثم انتقل لصحبة أبي على الفارسي ببغداد والبلاد التي طاف بها ، وله معه قصة شهيرة ملخصها : أن الفارسي غلس ذات صباح للصلاة ، فقام اليه ابن حمود من مذود خارج الدار كان قد بات فيه ، ليكون أول من يلقى الشيخ ويستفيد منه ، فارتاع لذلك أبو علي الفارسي وسأله من يكون ، فقال : أنا عبد الله الأندلسي . فقال الشيخ : الى كم تتبعني والله انه ليس على وجه الأرض أنحى منك (76) .

---

(73) انظر الأغاني (332/21) ط. دار مكتبة الحياة ودار الفكر ، بيروت 1957 م .

(74) وقد كان ممن توهم ذلك الدكتور احسان عباس في هامش له على بقية السفر الرابع من الذيل والتكملة الذي حققه (ص 242) ، ثم عاد فتنبه للخطأ في هامش آخر على كتاب التشبيهات لابن الكتاني (ص 314) .

(75) ترجمته في أنباه الرواة (118/2) - التكملة (783/2-784) (الحسيني) - النفح (401/3) - الوعاة (ص 282) - الذيل والتكملة (220/4) .

(76) وفي الذيل والتكملة (220/4) ومعجم الأدباء (81/14) قصة أخرى حدثت للفارسي بحضور ابن حمود ، أو حدثت للمترجم مع الفارسي على خلاف في ذلك بين المصدرين .

وقد وهم ألبير حبيب مطلق في شأن هذه القصة ، فظنها مما حدث لابن حمود مع القالي ، واستدل بها على تعلقه بهذا الشيخ (77) وقد يكون السبب في هذا الخطأ أنه اعتمد على رواية النفح ، وهي رواية فيها تحريف واضح تدل عليه أمور ثلاثة :

1 ـ أن المصادر الأخرى غير النفح ، تصرح باسم أبي علي الفارسي الذي حدثت معه القصة .

2 ـ ان القصة المذكورة يرويها في كل المصادر أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني وهو شخصية مشرقية وليست أندلسية ، ولها اتصال بالفارسي لا بالقالي (78) .

3 ـ أن الصيغة التي رويت بها القصة في جميع المصادر ، تؤكد أن جواب ابن حمود عن استفهام الفارسي ـ حين سأله من هو ـ كان بهذا اللفظ : (أنا عبد الله الأندلسي) ، فكلمة (الأندلسي) لا تقال الا في بلاد غير الأندلس لأجل التعريف والتمييز . وقد ورد في ترجمة ابن حمود عند القفطي ، أن الفارسي كان اذا ذكره في تصانيفه قال : (سألني الأندلسي) ، (وقال الأندلسي) .

25 ـ أبو محمد عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي (79)

(330 هـ ـ 415 هـ)

روي بالأندلس عن جماعة من العلماء ، أشهرهم أبو حفص الخولاني ، وأبو عبد الله بن الخراز ، والقاضي منذر بن سعيد البلوطي ، وأبو علي البغدادي .

ثم رحل الى المشرق حاجا سنة 381 هـ ، فكتب بمكة ومصر عن العلماء ، ولقي جماعة أخرى بالقيروان ، ومنها عاد الى الأندلس فاستفاد منه رجالها ، مثل أبي عبد الله محمد بن عتاب ، وأبي محمد بن حزم ، وأبي مروان الطبني ، وأبي عمرو بن مهدي المقرىء . ثم تولى القضاء بمالقة ، وشذونة والجزيرة .

وروى ابن بشكوال في ترجمته أنه كان «كثير الرواية مقيدا لها ، عالي الدرجة فيها ، ثقة مأمونا ، ذا دين وفضل» . ومما رواه عن القالي خاصة كتاب الأمالي والذيل (80) وكتاب (فعلت وأفعلت) الذي أخذه عنه ابن حزم (81) .

---

(77) الحركة اللغوية بالأندلس (ص 247) .

(78) وقد ترجم له الحميدي (ص 173) فقال أنه ورد الأندلس سنة 406 هـ ، وتوفي سنة 431 هـ . وكان أول من لقي من امرائها أبو الجيش مجاهد العامري . وقد أملى بالأندلس كتابا في شرح الجمل للزجاجي . فهو شخصية لا اتصال لها بالقالي .

(79) ترجمته في الصلة (253/1) (الحسيني) ـ والجذوة (ص 243) ـ وبغية الملتمس (ص 344) .

(80) ابن خير (ص 324-325) .

(81) نفس المصدر (ص 352) .

26 ـ أبو محمد عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب (82)
(ــ 389 هـ)

من أهل أشونة .

وسمع بقرطبة من أبي علي القالي ، وأبي بكر بن القوطية ، وكان من شيوخ ابن الفرضي الذي ترجم له ووصفه بقوله : «وكان شيخا أديبا له بصر باللغة والعربية» .

27 ـ عبد الوهاب بن أصبغ (83)

النحوى اللغوي الأندلسي .

صحب القالي وكتب عنه الكثير ، وسمع عليه من تصانيفه كتاب (المقصور والممدود) . وقد كتب له أبو علي خطه بذلك على نسخة الأصل . قال القفطي : «وهو يجري مجرى من صحبه ، كمحمد بن أبان بن سيد ، ومحمد بن الحسن الزبيدي ، ومحمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي» .

28 ـ أبو مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي (84)
(324 هـ ـ 386 هـ)

النحوي القرطبي .

روى عن أبي عبد الله الرباحي ، وابن القوطية ، وأبي علي البغدادي . وهو موصوف بالتحقق باللغة والاعتناء بها .

ومن تلاميذه أبو سهل الحراني (85) ، وهشام بن محمد المصحفي . ومما رواه عن القالي كتابه الأمالي ، ثم كتاب خلق الانسان لثابت بن أبي ثابت ، ونوادر ابن الأعرابي ، والأشعار الستة الجاهلية ، وشعر الحطيئة ، وجملة أخرى من الكتب التي أدخلها الأندلس . وروى كتاب سيبويه عن الرباحي المذكور .

وترك الطوطالقي من الكتب :

1 ـ **كتاب اختلاف لغات العرب** ذكره ابن خير (ص 365) وحمله عنه هشام بن محمد المصحفي ، وعنه أخذه ولده أبو بكر المصحفي .

---

(82) ترجمته في الوعاة (ص 283) ـ تاريخ العلماء (287/1) .
(83) ترجمته في أنباه الرواة (218/2) .
(84) ترجمته في أنباه الرواة (153/2) ـ الصلة (209/1) (الحسيني) . وذكر القفطي في أنباه الرواة أنه (أبو محمد) .
(85) أنظر ابن خير في الصفحات 305 ـ 324 ـ 372 ـ 389 ـ 393 ـ 399 .

2 ـ كتاب في اختصار المدونة لأبي عبد الله عبد الرحمان بن القاسم (191 هـ) في فروع المالكية ، وذكره القفطي وابن بشكوال .

29 ـ أبو عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي (86) القرطبي

(ـــ 354 هـ)

وهو من العلماء باللغة والأخبار والآثار والغريب والأيام والمشاهد والتواريخ . أخذ عن القالي ، ثم اتصل بالحكم المستنصر فولاه أحكام الشرطة . وقد تكرر القول باشتغاله مع محمد بن الحسين الفهري ، في مقابلة نسخ كتاب العين مع شيخهما أبي علي بأمر من الخليفة المذكور .

ومن الكتب التي رواها محمد بن أبان عن أبي علي كتاب الأجناس لأبي نصر ، وكتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت ، وكتاب الخيل ، وكتاب النقائض لأبي عبيدة ، والمفضليات . كما روى عنه سبعة من كتب ابن السكيت (87) .

وذكر في الوعاة أنه ألف كتبا ، ولكننا لا نجد أثرا لهذه الكتب سوى كتاب (السماء والعالم) الذي يوجد منه السفر الثالث ، وقد سبق الكلام عنه (88) .

30 ـ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن معاوية القرشي (89) المعروف بالمصنوع

(319 ـ 373 هـ)

أخذ علومه عن أبي علي ، وهو من ثقات أصحابه . وكان الغالب عليه علم اللغة ، حتى لم يكن له في غيرها من العلوم حظ ، كما ذكر ابن الفرضي . وهو موصوف عندهم بالضبط وحسن النقل . ومما أخذه عن القالي كتابه (المقصور والممدود) .

31 ـ أبو القاسم محمد بن أحمد بن معارك العقيلي (90) القرطبي

(ـــ 400 هـ)

روى عن القالي ، وأبي يحيى زكريا بن بكر بن الأشج . ومن تلاميذه أبو الوليد هشام بن عبد العزيز بن دريد الأسدي الكاتب المتوفى سنة 438 هـ .

---

(86) ترجمته في بغية الوعاة (ص 4) ـ معجم الأدباء (17/117) ـ الوافي بالوفيات (1/334) ـ تاريخ العلماء (2/69) .

(87) أنظر ابن خير في الصفحات الآتية : 381 ـ 382 ـ 383 ـ 390 ـ 392 بالترتيب .

(88) أنظر حديثنا عن كتاب البارع للقالي في هذا البحث .

(89) ترجمته في أنباه الرواة (3/63) ـ الوعاة (ص 5) ـ تاريخ العلماء (2/87) .

(90) ترجمته في الصلة (2/460) (الحسيني) ـ التكملة (3/288) ـ بلنسيا ـ الترجمة رقم 2539 .

وقد وصفه ابن بشكوال بأنه مقدم في علم العربية والبصر بمعاني الشعر ، جميل الطريقة . وكان يتولى تعليم العربية .

32 ـ أبو عبد الله محمد بن أفلح (91)

(حوالي 337 هـ ـ 385 هـ)

من أهل بجانة .

سمع بقرطبة من أبي علي القالي وتلميذيه ابن القوطية ومحمد بن معاوية القرشي وغيرهم . قال ابن الفرضي : «وكان بصيرا بالنحو ، حافظا للفقه ، جيد الضبط» .

33 ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (92)

(— 379 هـ)

ويعتبر الزبيدي أبعد هؤلاء التلاميذ تأثرا بالقالي ، وأكثرهم أخذا عنه وملازمة له ، وأغزرهم عطاء وانتاجا ، ومدارسة للتراث اللغوي والأدبي القديم ، وانتفاعا بآثار أبي علي .

واذا كنا لا ننكر تلمذة الزبيدي على كثير من شيوخه الأندلسيين كقاسم بن أصبغ ، وأبي بكر القرشي ، وأبي العباس الطبيخي ، وأبي عبد الله الرباحي وغيرهم ، فان هؤلاء جميعا لم يكن لهم في نفسه وثقافته من التأثير ما كان للقالي وحده . فقد انصرف اليه الزبيدي ولازمه مدة حياته ، حتى أصبح وارثا لعلمه وشاهدا من شواهد اللغة بالأندلس من بعده .

واذا كانت للزبيدي جوانب مختلفة تعاونت على تكامل شخصيته الثقافية ، فان أبرز هذه الجوانب في حياته هو الجانب اللغوي . وهذا لا ينفي بالطبع أن يكون أيضا أحد أعلام المذهب المالكي في الفقه ، كما اعتبره القاضي عياض وابن فرحون ، وأن يكون كذلك أديبا من أدباء الأندلس الذين جرت على لسانهم أشعار كثيرة ، احتفظت لنا كتب التراجم ببعض القطع منها . الا أنه مما يلحظ أن الرجل كان حتى

---

(91) ترجمته في تاريخ العلماء (101/2) ـ الوعاة (ص 23) .

(92) محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي . وقد يكتب اسم والده (الحسين) تصحيفا . ترجمته في الجذوة (ص 43 ـ تاريخ العلماء (92/2) ـ بغية الملتمس (ص 66) ـ أنباه الرواة (108/3) ـ يتيمة الدهر (71/2) ـ النفح (74/4) ـ الوعاة (ص 34) ـ الديباج المذهب (ص 263) ـ الوفيات لابن قنفذ (ص 69) ـ المغرب (255/1) ـ معجم الأدباء (179/18ـ184) ـ وفيات الأعيان (372/4) ـ الوافي بالوفيات (351/2) ـ مرآة الجنان (409/2) ـ المقتبس لابن حيان (ص 133) طبعة الحجي ـ ترتيب المدارك (581/4) وما بعدها ـ مطمح الأنفس (ص 230) ـ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ـ بروكلمان (280/2) ـ الحركة اللغوية في الأندلس (ص 123) .

في أشعاره متأثرا بصناعته اللغوية ، مما يلحق شعره بما يسمى بشعر العلماء . وأكبر دليل على ذلك ، تلك الأبيات الظائية التي حاور بها أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي حول كلمة (فاظت) ، ففيها نجد الزبيدي يحتج لرأيه ويورد الدليل عليه ، بما حفظ من الأقوال والشواهد .

باحثت عن (فاظت) وقبلي قالهـــــا
رجال لديهـم في العلـــوم حظـــوظ
روى ذاك عن (كيسان) (سهل) وأنشدوا
مقـــال أبي الغيـــاظ وهو مغيـــــظ
«وســميت غيـــاظا ولست بغائــــــظ
عدوا ولكــن للصـــــديق تغيــــظ»
''فلا حفظ الرحمـــان روحك حيــــة
ولا وَهْيَ في الأرواح حين تفيـظ'' (93)

وله مقطعات أخرى كثيرة ، لا تسمو الى منزلة الشعر الرفيع نسجا وتدبيجا .

واذا حاولنا بعد هذا أن نتلمس تأثر الزبيدي بشيخه القالي ، وجدنا ذلك باديا في ثلاثة جوانب أساسية : هي جانب الرواية عنه ، وجانب النقد والدراسة لكتبه ، وجانب التأليف والانتاج تأثرا بالعلوم التي ادخلها الأندلس ، والاتجاه العلمي الذي دفع فيه أصحابه وتلاميذه .

ففي الجانب الأول : نجد الزبيدي قد أخذ عن القالي كل تواليفه ، وجميع رواياته عن شيوخه اجمالا ، كما ذكر ابن خير (ص 443) . فمما أخذه من كتبه على ســبيل المثال كتاب الأمالي ، وكتاب البارع ، وكتاب الابل ونتاجها ، وكتاب حلى الانسان ، والخيل وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها ، والقصيدة التي مدح بها الناصر (94) .

ومما أخذه عنه من الكتب التي رواها كتاب (فعلت وأفعلت) للزجاج ، ونوادر ابن الأعرابي ، وكتـــاب الميسر لابن قتيبـــة ، ونوادر أبي زياد الكلابي ، وجزء فيه كتاب الأضداد لثعلب ، والمفضليات ، وشعر الأعشى ، ومقصورة ابن دريد (95) ، وأدب الكاتب لابن قتيبة (96) .

---

(93) الجذوة (ص 44) .
(94) أنظر ابن خير في الصفحات 324 – 354 – 355 – 422 .
(95) ابن خير الصفحات 353 – 372 – 378 – 380 – 381 – 390 – 400 .
(96) أنظر فهرسة عياض (ص 101) ، مخطوط الرباط .

وهناك بالاضافة لما ذكر ، روايات كثيرة لأخبار النحويين واللغويين استفادها الزبيدي مشافهة عن القالي ، وضمنها كتابه (الطبقات) .

على أن الزبيدي لم يكن مجرد حافظ أو ناقل ، بل كان الى جانب ذلك ضابطا ، متقنا لما يروي . فأصبحت نسخه من آثار القالي نسخا عالية في التوثيق والصحة ، معتمدة عند أهل العلم . واليه يرجع الفضل في تصحيح كثير من كتب أبي علي وضبطها .

وفي الجانب الثاني من هذا التأثر ، نجد الزبيدي يهتم بكتب أستاذه تعليقا ونقدا وتقويما وتهميشا ومراجعة . من ذلك عنايته الخاصة بكتاب البارع الذي قتله درسا وتحصيلا ، فظهر أثر اشتغاله به في عدة أعمال لغوية منها (المستدرك على العين من البارع) . ومنها الزيادات على (البارع) الموجود بعضها بنسخة باريس الخطية من الكتاب .

وفي الجانب الثالث ، نرى الزبيدي يتسلم راية التأليف من يد شيخه ، ويحملها بعده مسافات وأشواطا ، متأثرا بكل ما رواه عنه ، ومترسما مذهبه وخطاه . فمما تركه أبو بكر من المؤلفات اللغوية كثير ، نذكر منها :

1 ـ **كتاب الواضح في علم العربية** (97) رواه عنه أبو بكر عبادة بن ماء السماء (98) . وهو كتاب تعليمي موجز ومبسط ، جمع فيه صاحبه كل أبواب النحو ، وذكر فضلا عن ذلك مخارج الحروف وبعض أبواب التصريف ، ووجوه القوافي في الانشاد والحداء وغيرها . وقد تناقل الناس قديما قول ابن حزم : «أقل ما يجزىء من النحو الواضح للزبيدي أو ما نحا نحوه ، كالموجز لابن السراج ، وما أشبه هذه الأوضاع الخفيفة . وأما التعمق في علم النحو ، ففضول لا منفعة بها ، بل هي مشغلة عن الأوكد» (99) . وذكر ابن بشكوال أن أبا محمد عبد الله بن محمد النحوي المعروف بابن الأسلمي ، شرع في شرح (كتاب الواضح) فبلغ منه نحو النصف ، وتوفي قبل اكماله (100) .

2 ـ **كتاب أبنية الأسماء والأفعال** كذا ذكره الزبيدي في طبقاته (101) ، وهو المذكور عند المترجمين (بأبنية سيبويه) أو (المستدرك على أبنية سيبويه) . وقد

---

(97) نشره الدكتور أمين علي السيد بدار المعارف بمصر سنة 1975 م .
(98) ابن خير (ص 311) .
(99) نظرات ابن حزم في اللغة للأفغاني (ص 44) .
(100) الصلة (1/253) (الحسيني) .
(101) الطبقات (ص 220) .

نشره المستشرق الايطالي أغناطيوس كويدي بروما سنة 1890 م بعنوان (كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذبا) وهو عبارة عن كراسة في أربعين صفحة ، استدرك فيه مؤلفه ما أهمله سيبويه في باب الأبنية من كتابه وهو مما رواه عنه تلميذاه أبو القاسم بن الافليلي ، والوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة (102) وقد أورد ذكره كثير من العلماء كالسيوطي في الوعاة ، والحميدي في الجذوة ، وحاجي خليفة الذي قال عنه : انه من نوادر الدهر (103) . وكذلك ذكره الثعالبي في اليتيمة وسماه (الأبنية في النحو) (104) .

3 ـ **كتاب لحن العوام** : أخذه عنه جماعة منهم ابن الافليلي ، وعبادة بن ماء السماء ، والوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة (105) . ثم اختصره وجعله في جزء فأخذه عنه تلاميذه السابقون (106) .

وقد شرحه من القدماء أبو عمران موسى بن علي الجزيري (107) ، ونقل منه المراكشي في الذيل والتكملة (108) ، وابن الأبار في التكملة (1/71 ـ 2/638 ـ كوديرا) وغيرهما .

وهو كتاب مفيد في بابه ، لأنه يعالج قضية تطور اللسان العربي بالأندلس ، وما أصاب اللغة من تحريف . فكان عمله هذا خطوة سابقة في موضوعها لابن هشام اللخمي (109) صاحب كتاب (المدخل الى تقويم اللسان) الذي تعرض فيه بدوره الى لحن العامة بالأندلس ، وخصص القسم الأول منه للرد على الزبيدي في كتابه (110) .

4 ـ **طبقات النحويين واللغويين** (111) المشارقة والأندلسيين . ابتدأه بأبي الأسود الدؤلي ، وانتهى فيه بشيخه أبي عبد الله الرباحي في القرن الرابع الهجري . ومنهجه فيه أنه بدأ بذكر نحاة البصرة الذين جعلهم في عشر طبقات ، ثم نحاة الكوفة

---

(102) ابن خير (ص 345) .
(103) كشف الظنون ج 1 (ص 5) .
(104) اليتيمة (2/71) .
(105) ابن خير (ص 346-347) .
(106) وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب سنة 1964 ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
(107) التكملة (2/689) (الحسيني) ـ وبرنامج الرعيني (ص 12) .
(108) الذيل والتكملة (ص 73 ق 1 س 5) .
(109) محمد بن أحمد بن هشام اللخمي المتوفى سنة 577 هـ .
(110) قام الدكتور عبد العزيز مطر بنشر هذا القسم الخاص بالرد على الزبيدي في مجلة معهد المخطوطات (ج 2 م 12 سنة 1966) .
(111) طبع مرتين بعناية الأستاذ (أبو الفضل ابراهيم) ، الأولى سنة 1954 م والثانية سنة 1973 م بمصر . والطبعة الثانية أوفى وأكمل تحقيقا .

في ست طبقـات ، ثم اتبع ذلك باللغويين البصريين وهم سبع طبقـات ، واللغويين الكوفيين وهم خمس طبقات . وعندما انتقل للحديث عن طبقات المصريين والقرويين والأندلسيين ، لم يفصل فيها بين النحاة واللغويين ولم يتبع نفس الترتيب السابق ، بل مزج بين هؤلاء وأولئك . وقد اعتمد الزبيدي في هذا الكتاب ، على رواياته عن القالي الذي يبدو من خلاله شخصية تحفظ الكثير من أخبار علماء اللغة والنحو في المشرق ، وتروي حكاياتهم ووقائعهم ، وهو جانب مهم في تقـدير شخصية القالي الثقافية . كما اعتمد الزبيدي فيه أيضا على غير القالي من شيوخه الأندلسيين .

وقد لقي الكتاب من أهل الأندلس عناية فائقة ، اذ رواه عنه الكثيرون ، منهم : أبو عبد الله محمد بن خزرج بن سـلمة ، والفقيه أبو مروان جعفر بن أحمد بن عبد الملك بن مروان المعروف بابن الغاسلة (112) ، ويونس بن عبد الله بن مغيث (113) ، كما رواه من المتأخرين أبو القاسم ابن البراق المتوفى سنة 596 هـ (114) وغيره . ووضع له أبو بكر بن عزيز - قريب أبي مروان بن مسرة - ذيلا ذكره ابن الأبار في التكملة (115) .

ومن الذين نقلوا منه : أبو الحسن الجذامي في مقامته النخلية ، ويسميه (طبقات العلماء) (116) .

5 - **كتاب الأمثلة** وهو كتاب انفرد بذكره صاحب هوامش نسـخة القرويين من مختصر العين للزبيدي ، الذي يظن أنه أبو محمد بن السيد البطليوسي . فقد وردت الاشارة اليه والنقل منه في هذه الهوامش مرات متعددة منهـا ثلاث اشارات واردة في الصفحات (66-215-219) . غير أنه من الجائز جدا أن يكون المراد به (كتـاب الأبنية) السابق الذكر ، اذ لم أجد - في غير هذا المصدر - من أشـار الى كتاب للزبيدي بهذا الاسم .

6 - **مختصر العين** وهو كتاب سبق الحديث عن بعض خصائصه (117) ، ونتحدث الآن عن تداوله بالأندلس .

فقد رواه عنه عبادة بن ماء السماء الشاعر ، واسماعيل بن سيدة والد اللغوي الشهير (118) ، كما رواه القاضي عياض عن أبي عبد الله النفزي عن ابن وردون عن

---

(112) ابن خير (ص 351) .
(113) فهرسة ابن عطية (ص 30) ، مخطوط الرباط .
(114) الذيل والتكملة (6/463) .
(115) التكملة ج 1 (ص 5) (الحسيني) .
(116) (ص 137) ، مخطوط الرباط .
(117) أنظر الدراسة الخاصة بالبارع للقالي في هذا البحث .
(118) ابن خير (ص 350) .

أبي الوليد الزبيدي عن أبيه محمد بن الحسن مؤلفه (119) . ورواه أخيرا أبو عبد الله التجيبي عن الزبيدي ، بثلاث طرق تنتهي الى أبي بكر عبادة بن ماء السماء ، ومحمد ابن سعيد ، وابن الافليلي (120) .

أما صدى هذا الكتاب بالأندلس فهو واضح الأثر فيما نجده عنه من نقول وروايات . فممن نقل عنه : أبو عبيد البكري في تعليقاته على الكامل (121) ، وأبو جعفر الجذامي في شرح المقامات (122) ، وأبو الوليد الوقشي في طرره على كامل المبرد (123) ، وأبو جعفر اللبلي في (بغية الآمال) (124) وغيرهم . كما تداوله بالرواية والحفظ عدد آخر ، نذكر منهم على سبيل المثال : أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي المتوفى سنة 636 هـ (125) ، وسليمان بن مطروح المتوفى سنة 390 هـ ، الذي كان يحفظه ، ويكاد يمليه من صدره مع الغريب المصنف لأبي عبيد (126) .

وأما الذين تأثروا به وترسموا خطاه من الأندلسيين فمنهم أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة ، الذي اعتمده في تأليف معجمه المحكم ، وتأثر بطريقته في ترتيب الحروف الهجائية حسب المخارج ، وفي تنظيم أبواب الكتاب ، اذ كان والده — كما رأينا — من الذين رووا عن الزبيدي كتاب المختصر ، الذي يمثل مع البارع في الأندلس ، اتجاها واحدا في مدرسة العين المعجمية .

7 — **المستدرك من الزيادة في البارع على كتاب العين** رسماه القاضي عياض في المدارك ، وابن فرحون في الديباج (زيادة كتاب العين) ، وأخذه عنه أبو بكر عبادة ابن ماء السماء . وقد مر الحديث عنه في هذا البحث (127) .

8 — **كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين** ومنه قطعة خطية بالقرويين سبق الحديث عنها (128) ، كما أن هناك أوراقا أخرى منه ، موجودة بشكل مضطرب ضمن مخطوطة (المستدرك) القروية .

---

(119) فهرسة عياض (ص 26) ، مخطوط الرباط .
(120) فهرسة التجيبي ، الورقة 54 الوجه ، مخطوط الرباط .
(121) الورقة 2 الوجه ، مخطوط مصور بالرباط .
(122) (ص 31) ، مخطوط الرباط .
(123) (ص 22) ، مخطوط مصور بالرباط .
(124) (ص 82) .
(125) برنامج الرعيني (ص 44) .
(126) الذيل والتكملة (83/4) .
(127) أنظر الدراسة الخاصة بالبارع في هذا البحث .
(128) أنظر الهامش السابق .

وكان أول من ذكر هذا الكتاب من القدماء ـ حسب ما أعلم ـ هو القاضي عياض في (المدارك) ، ثم تبعه ابن فرحون في (الديباج) ثم السـيوطي في (المزهر) حيث نقل منه جزءا من المقدمة (79/1) ، ونقل منه أبوابا أخرى في الجزء الثاني (ص 381 وما بعدها) . وقد سبق الحديث عن هذا الكتاب عند الكلام على بارع القالي (129) .

9 ـ **رسالة الانتصـار للخليل فيمـا رد عليه في العين** ذكره القفطي في انبـاه الرواة . غير أنه من المسـتبعد نسبة هذا الكتاب اليه لسـببين على الأقل : أولهما انفراد القفطي بذكره دون بقية مترجمي الزبيدي ، وثانيهما أن الرأي المشهور عن الزبيدي فيما ذكره بمقدمة كتابه (الاستدراك من البارع على العين) أنه يشك في نسبة العين للخليل . ولأجل هذا الشك وضع كتابه الآخر (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) ليرد على أوهامه وأخطـائه . فلا معنى لأن ينـاقض نفسه بتأليف ينتصر فيه للخليل على من اتهمه أو أتهم كتابه (العين) .

وبالاضافة الى هذه المجموعة من الكتب اللغوية والنحوية هناك مؤلفات أخرى للزبيدي في غير الموضوع اللغوى منها :

10 ـ **رسالة التقريظ** التي رواها عنه تلميذه أبو بكر عبادة بن ماء السماء (130) .

11 ـ **رسالة في الرد على محمد بن مسرة** وسـماها (هتك ستار الملحدين) . رواها عنه تلميذه محمد بن قاسم الجالطي (131) المتوفى سنة 403 هـ ، وذكرها غير واحد من مترجميه .

هذه المجموعة من التآليف جعلت من الزبيدي ـ وبحق ـ في نظر أهل الأندلس ، علما من أعلام اللسان العربي ، فتوجهت اليه أبصار الحكام بقرطبة ، وشملته رعاية ملوكها وأمرائها . وهكذا استدعاه اليه الحكم الخليفة ، وأوكل اليه أمر ولده هشام لتأديبه وتثقيفه ، وولاه قضـاء اشبيلية وولاية الشرطة . ثم عمل بعد ذلك في بلاط العامريين ، والمنصور خاصة ، وهو الذي ولاه الوزارة (132) . وعمل أيضـا في خدمة القاضي أبي القاسم ابن عبـاد الذي اسـتوزره على ما يحكي المراكشي في المعجب (133) .

وقد ترك الزبيدي جماعة صالحة من التلاميذ الكبار ، الذين كان منهم اللغويون والأدباء . نذكر منهم على سـبيل المثال : أبا بكر عبادة بن ماء السـماء الشاعر

---

(129) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول من القسم الثاني من هذا البحث .
(130) ابن خير (ص 351) .
(131) الصلة (465/2) (الحسيني) .
(132) المعجب (ص 30) .
(133) نفسه (ص 94) .

الوشاح ، وأبا القاسم بن الافليلي ، وابن الغاسلة (جعفر بن أحمد بن عبد الملك بن مروان المتوفى سنة 438 هـ) (134) ، وأبا عمر الطلمنكي ، واسماعيل ابن سيدة والد اللغوي الشهير ، وحسان بن مالك بن أبي عبدة المتوفى سنة 416 هـ (135) ، وعبد الرحمان بن مروان القنازعي (136) ، وأبا عبد الله محمد بن عطاء النحوي (137) المتوفى سنة 394 هـ ، وأبا عبد الله بن الحذاء تلميذ ابن القوطية أيضا (وتوفي سنة 416 هـ) (138) ، وأحمد بن عفيف (139) ، وغيرهم من الأعلام المشهورين وهم كثيرون .

34 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسين الفهري (140) القرطبي

كان متقدما في حفظ الأدب والعلم باللغة ، ملازما للقالي حتى نسب اليه فقيل : (غلام القالي) ، و (وراقه) ، و (مستمليه) .

وأهم ما يلفت النظر في هذه الشخصية :

أنه تولى مع محمد بن معمر الجياني تهذيب ما لم يتمه القالي من (كتاب البارع) ، بالرجوع الى رقاعه التي بخط مؤلفه . وخطهما مما كتبا بين يديه ، الى أن رفعا هذا العمل بعد اكماله الى الحكم المستنصر الذي أحب اخراجه في صورته النهائية المنقحة ، ومقابلته بكتاب العين .

وأنه انفرد **بتأليف كتاب في نسب شيخه أبي علي ورواياته ودخوله الأندلس** ، كما ذكر ابن الابار وأكده بقوله : «قرأت ذلك بخط أبي محمد البطليوسي ، وأورد منه بعضا» (141) .

ثم ألف كتابا آخر حول (البارع) في اللغة للقالي ، ذكره ابن عبد الملك المراكشي في الذيل وسماه (جوامع كتاب البارع) (175/6) . وقد نسب اليه المراكشي نفسه

---

(134) أنظر الصلة (128/1) ، طبعة الدار المصرية ، سنة 1966 .

(135) أنظر الصلة (153/1) (الحسيني) .

(136) الصلة (309/1) (الحسيني) .

(137) الصلة (455/2) (الحسيني) .

(138) الصلة (478/2) (الحسيني) .

(139) الديباج (ص 30) .

(140) ترجمته في الجذوة (ص 334) ـ بغية الملتمس (ص 71) ، طبعة دار الكاتب 1967 م) ـ الوعاة (ص 294) ـ التكملة (371/1) (الحسيني) ـ والذيل والتكملة (175/6) ـ أنباه الرواة (71/3) . وفي الجذوة وبغية الملتمس (أنه محمد بن أبي الحسين) وفي أنباه الرواة أنه (محمد بن أبي الحسن) .

(141) التكملة (668/2) (الحسيني) . ومما يلحظ أن ابن الابار كنى المترجم بأبي محمد في هذه المرة ، بينما كناه في الترجمة الأولى (371/1) بأبي عبد الله وأبي القاسم وأبي بكر .

كلاما ذكر أنه ورد في (**مقدمة كتاب البارع**) من تأليفه . وقد سبق الحديث عن كل هذا عند الكلام على بارع القالي (142) .

ومن أهم تلاميذ الفهري أبو القاسم بن الافليلي ، وأبو خالد هاشم بن محمد التراس (143) المتوفى سنة 423 هـ .

35 ـ أبو بكر محمد بن خشخاش القرطبي (144)

كان له سماع عن القالي ، ورواية عن تلميذه أحمد بن أبان بن سيد ، أخذ عنه خاصة كتاب الزاهر لابن الأنباري الذي رواه عن أبي علي ، وكان ضنينا به على الناس ، فانفرد ابن خشخاش ـ لمكانه من السلطان وتقلده خطة الشرطة ـ بسماعه عنه . وعن ابن خشخاش هذا ، أخذه جميع تلاميذ القالي . وكان ممن روى عنه أبو بكر المصحفي ، هكذا ذكر ابن الأبار في ترجمته .

36 ـ أبو عبد الله محمد بن خطاب الأزدي النحوي (145) القرطبي
(ـــ 398 هـ)

كان من تلاميذ القالي وابن القوطية وأبي عبد الله الرباحي ، فاشتهر بعلوم الأدب واللغة وتقدم في معرفتهما ، واشتغل بتلقين معارفه تلك لذوي الجاه من أبناء الأكابر . وقال في الذيل : «.. وانحاز الى بني حدير معلما أبناءهم العربية والآداب» .

وذكر الحميدي أنه كان من النحاة المذكورين ، والأدباء المشهورين . وقد أورد له صاحب (التشبيهات) أبياتا شعرية جيدة ، منها قوله في وصف الليل والنجوم :

رب ليل جبته في فتية
كسيوف الهند أو زهر النجوم
طلع البدر به في صورة
تشبه التاج على الشعر البهيم (146)

---

(142) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول من القسم الثاني في هذا البحث .
(143) أنظر ترجمته في الصلة (622/2) (الحسيني) .
(144) ترجمته في التكملة (381/1-382) (الحسيني) ـ الذيل والتكملة (180/6) .
(145) ترجمته في الجذوة (ص 50) ـ وبغية الملتمس (ص 109) ـ والوعاة (ص 40) ـ والتكملة (377/1) (الحسيني) ـ والذيل (180/6) .
(146) كتاب التشبيهات (ص 20) . وانظر (ص 90-285) منه .

37 ـ أبو عبد الله محمد بن سعيد القشيري (147)

(ـــ 377 أو 379 هـ)

النحوي القرطبي .

حدث عن أبي علي القالي ، وأبي عبد الله الرباحي ، وغيرهمــا من أهل الأدب والأخبار والنوادر . واشتهر بالضبط وصحة النقل ، ثم تصدر لتلك العلوم والمعارف يدرسها ويعلمها .

38 ـ أبو عبد الله محمد بن عاصم المعروف بالعاصمي (148)

(ـــ 382 هـ)

النحوي القرطبي .

ترجم له الحميــدي فقــال : «.. امام في العربيــة ، ذكره أبو محمــد علي بن أحمد (149) ، وأثنى عليه وقــال : كان لا يقصر عن أكابر أصحاب محمــد بن يزيد المبرد» .

أخذ عن القالي ، وأبي عبد الله محمد بن يحيى الرباحي وغيرهمــا . ويعد من كبار العلماء . وله مناظرات مع صاعد البغدادي بمجالس المنصور العامري .

وممن روى عنه أبو القاسم بن الافليلي .

39 ـ الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عامر

(327 ـ 392 هـ)

ومن تلاميذ القالي أيضــا الحاجب المنصــور أبو عامر محمد بن أبي عامر ، المتغلب على دولة بني أمية بعد وفاة الحكم المستنصر . وقد أشار الى تلمذته على القالي ، ابن عذاري في البيــان المغرب (150) فقال : «.. وقرأ الأدب وقيد اللغات على أبي علي البغدادي ، وعلى أبي بكر بن القوطية . وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي رواية النسائي ، وغيره من رؤساء أهل المشرق» .

---

(147) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري . ترجمته في الصلة (452/2) (الحسيني) – أنباه الرواة (138/3) .

(148) ترجمته في الجذوة (ص 74) ـ بغية الملتمس (ص 117) ـ الوعاة (ص 50) ـ الصلة (453/2) الحسيني .

(149) يقصد ابن حزم .

(150) البيان المغرب (357/2) . وأنظر كذلك : الحلة السيراء (268/1) ، تحقيق د . حسين مؤنس . ودولة الاسلام في الأندلس (ص 470) .

وقد كان ابن أبي عامر بعد تغلبه واستقرار أحواله ، شديد العناية والاهتمام بالعلوم اللغوية والأدبية . وقد جلب اليه رجلا من علماء المشرق أحب أن يضاهي به شيخه القالي ، وهو صاعد البغدادي ، الذي ألف له (الفصوص) . ثم قرب الى حاشيته تلاميذ أبي علي كالزبيدي ، والعاصمي ، وابن أبي الحباب وغيرهم . وكانت مجالسه الأسبوعية منتديات علمية للمناظرة بين رجال العلم بالأندلس . فهذه السجايا كانت من احدى ثمرات اتصاله بالقالي ومدرسته وتلاميذه .

40 ـ أبو القاسم محمد بن عبيد الله البناني (151)

(330 ـ 424 هـ)

كان من شيوخه أبو بكر اللؤلئي ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو علي القالي ، ووهب بن مسرة ، وأبو محمد الباجي وغيرهم . وصفه ابن بشكوال بأنه «ثابت الأدب ، ضابط لما نقل» .

41 ـ أبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية (152)

(ــ 367 هـ)

يعتبر ابن القوطية أعظم شخصية بعد الزبيدي اهتماما باللغة والأدب ، وأوسع علماء الأندلس صيتا في القرن الرابع الهجري . وقد روى علومه عن جماعة كبيرة من الشيوخ ، مثل قاسم بن أصبغ ، والقاضي أبي الحزم خلف بن عيسى الوشقي ، وطاهر بن عبد العزيز ، ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، وأسلم بن عبد العزيز ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وعبد الله بن يونس بن مغيث ، والحسن بن عبد الله الزبيدي (والد أبي بكر) وغيرهم .

ثم جاء القالي فوجده من العلماء المعدودين ، فصحبه مع ذلك وتلمذ له . قال القفطي : «.. صحب أبا علي القالي البغدادي وتلمذ له» . وكان القالي معجبا به ، مبالغا في تعظيمه وتقديره . وقد سأله الحكم يوما : من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة ؟ فقال : محمد بن القوطية .

---

(151) أبو القاسم محمد بن عبيد الله بن محمد بن الحسن البنانى المعمر الاشبيلي ، ترجمته في الصلة (490/2) (الحسيني) . وربما كان لقبه تحريفا (للبياني) **لقبه تحريفا (للبياني) نسبة الى مدينة** (بيانة) **الاندلسية . أما (البناني) فهو لقب غير معروف عند الاندلسيين ـ فيما نعلم ـ .**

(152) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز مولى بني أمية . الاشبيلي المعروف بابن القوطية . ترجمته في تاريخ العلماء (78/2) ـ الجذوة (ص 71) ـ الوعاة (ص 84) ـ أنباه الرواة (178/3) ـ النفح (73/4) ـ ترتيب المدارك (553/4) ـ اليتيمة (74/2) ـ الديباج المذهب (ص 262) ـ مرآة الجنان (389/2) ـ معجم الأدباء (272/18) ـ وفيات الأعيان (268/4) ـ الوافي بالوفيات (242/4) ـ مطمح الأنفس (ص 136) ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ـ بروكلمان (89/3) ـ ظهر الاسلام (88/3) ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد 265/1 ، الترجمة العربية .

ويمكننا أن نلحظ في شخصية ابن القوطية جوانب ثقافية متعددة ، فقد كان اماما في علوم الدين مشغولا بالزهد والنسك ، فقيها ومحدثا معروفا ، أهله علمه بذلك ليكون أحد أعلام المالكية بالأندلس عند القاضي عياض وابن فرحون ، وان كان ابن الفرضي يتهمه في معرفته بعلم الحديث والفقه ويقول : «.. ولم يكن بالضابط لرواياته في الحديث والفقه ولا كانت له أصول يرجع اليها . وكان ما يسمع عليه من ذلك انما يحمل على المعنى لا على اللفظ . وكثيرا ما كان يقرأ عليه ما لا رواية له فيه على جهة التصحيح» (153) .

وكان الى جانب ذلك أديبا شاعرا . قال ابن فرحون : كان «.. جيد الشعر ، صحيح الألفاظ ، واضح المعاني ، الا أنه تركه ورفضه مؤثرا ما هو أولى» . غير أننا لا يمكن أن نحكم على مستواه الشعري الآن ، لأنه لم يصل الينا منه شيء يذكر . اذ لا يتعدى ما تصح عندي نسبته اليه ، ستة أبيات مما وقفت عليه :

1 ـ بيت أجاب به الأديب أبا بكر يحيى بن هذيل (154) حين تلقاه بقوله :

من أين أقبلت يا من لا شبيه له
ومن هو الشمس والدنيا له فلك

فقال ابن القوطية على البديهة :

من منزل تعجب النساك خلوته
وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

وقد تواترت رواياته في كل من الوعاة ، والنفح ، ومعجم الأدباء ، والوافي بالوفيات ، والمدارك ، واليتيمة .

2 ـ خمسة أبيات يقول فيها :

ضحى أنا خوا بوادي الطلح عيسهم
فأوردوها عشاء أي ايراد
أكرم به واديا حل الحبيب به
ما بين رند وخابور وفرصاد (155)

---

(153) تاريخ العلماء (78/2—79) .

(154) توفي سنة 382 هـ . وهو تلميذ لابن القوطية ، وأستاذ ليوسف بن هارون الرمادي في المذهب الشعري .

(155) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، وكذلك الخابور والفرصاد : شجر التوت أو حمله .

يا واديا سار عنه الركب مرتحـــلا
باللہ قل : أين سار الركب يا وادي ؟
أبا لغضا نزلوا ، أم للوى عدلــوا ،
أم عنك قد رحلوا خلفا لميعــادي ؟
بانوا وقد أورثوا جسمي الضنى وكأنْ
كأنّ النوى لهم أولى بمرصاد (156)

وهي أبيات تبدو عليها رقة الشعر البدوي المطبوع . وذكرها الثعالبي وياقوت .
وهناك أبيات أخرى في مواضع متفرقة من كتاب (البديع في وصف الربيع) لأبي الوليد الحميري ، معزوة لرجل يسمى أيضا (صاحب الشرطة أبا بكر بن القوطية) ، ولكنه شخص ثان متأخر عن صاحبنـا ومعاصر للحميري المتوفى سنة 440 هـ (أو قريبا منها) (157) ، وكان من مادحي بني عباد .

وقد وهم كثير من أصحــاب التراجم ــ بسبب الالتباس الموجود بين الاسمين المتشابهين للرجلين ــ فنسبوا لصاحبنا تلميذ القالي ، أشعارا ليست له . من ذلك الأبيات التي في وصف الربيع ، وأولها :

ضحك الثرى وبدا لك استبشـــاره
واخضر شـــاربه وطــر عـــذاره
... الأبيـــات (158)

فهي في الحقيقــة لأبي بكر بن القوطيــة المتأخر عنه ، والذي عاش في القرن الخامس (159) واشتهر بوصف الأزهار والنواوير . والدليل على ذلك أنهــا واردة في كتاب (البديع) ، منسوبة لهذا المتأخر مع أشعار أخرى كثيرة في وصف الورود

(156) هناك اختلاف في بعض ألفاظ الرواية للأبيات ، بين ياقوت والثعالبي .

(157) ويظهر أن الحميري ولد حوالي سنة 418 هـ ، لأن مترجميه يذكرون أنه لم يعش أكثر من 22 سنة . أنظر بغية الملتمس (ص 228) .

(158) الأبيات منسوبة خطأ لأبي بكر بن القوطية تلميذ القالي في الوعاة ، ومعجم الأدباء ، والوافي بالوفيات والمطمح وغيرها .

(159) واسمه الكامل : محمد بن عبد الملك بن سليمان بن عمر بن عبد العزيز ، ترجم له ابن الابار في التكملــة (389/1) (الحســيني) ، والمراكشي في الذيل (404/6) . وقالا : «.. وأبو بكر اللغوي هو عم أبيه» . ثم زاد ابن الأبار هذا الأمر وضوحا فقال : «.. وقد سمع منه أبو محمد ابن العربي والد القاضي أبي بكر قصيدة الجزيري وأخبره بها عنه ، وذلك في سنة 445» . أما ابن سعيد في (راية المبرزين) (ص 12) ، فقد ذكر من يسمى بأبي بكر محمد بن القوطية في أعيان المئة الخامسة ثمّ قال : «وصاحب كتاب الأفعال جده» ، ويقصد تلميذ القالي .

والرياحين . وقد رواها عنه أبو الوليد الحميري مباشرة ، لأنهما كانا متعاصرين وبينهما أخبار واتصالات (160) .

وأما الجانب المهم الذي طارت به شهرة ابن القوطية في الآفاق ، فهو الجانب اللغوي الذي لم يستطع أحد من القدامى أن ينكر امامته فيه . واذا كان الرجل مشهورا باللغة قبل مقدم أبي علي ، فان احتكاكه واجتماعه به قد زادا في نضج معرفته وتكامل علمه . وقد شارك القالي في كثير من تلاميذه ، وروى عنه أهل الأندلس طبقة بعد طبقة ، وكلهم من المشاهير والأعلام .

وهناك ناحية بارزة في نشاطه اللغوي ، وتتجلى في كثرة تآليفه التي نعرف منها :

1 ـ **كتاب الأفعال** (161) وهو عبارة عن معجم للأبنية الخاصة بالأفعال التي يرى ـ في مقدمة الكتاب ـ أنها أصل مباني أكثر الكلام ، وأن الأسماء غير الجامدة مشتقة منها ، محاكيا بذلك رأي البصريين . وقد جمع فيه الأفعال ومصادرها مرتبة حسب مخارج الحروف على هذا النحو :

(ء ـ ه ـ ع ـ غ ـ خ ـ ح ـ ج ـ ق ـ ك ـ س ـ ش ـ ص ـ ض ـ ل ـ ر ـ ن ـ ط ـ ظ ـ ذ ـ د ـ ب ـ ت ـ ث ـ ز ـ ف ـ م ـ و ـ ى) . وهو متأثر في ذلك بمدرسة الخليل التي أحياها الشيخ القالي بالأندلس ، وان كان ابن القوطية ـ كما نرى ـ لم يتبع بدقة ترتيب أي واحد من الثلاثة : الخليل وسيبويه والقالي .

ولعل الميزة البارزة في هذا المعجم أنه يخلو من الشواهد وذكر الأسانيد والمصادر ، لأن المؤلف أراد لكتابه أن يكون مختصرا يسهل البحث فيه على المتأدبين .

وقد تابع كثير من اللغويين خطوات ابن القوطية ، واستفادوا من تجربته ، فطوروها وعملوا على تخليصها من الشوائب والنقائص . وهكذا ألف تلميذه أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي المعروف بابن الحداد والملقب

---

(160) قال أبو الوليد الحميري : «فمن بديع ما أنشدنيه قوله :
ضحك الثرى وبدا لك استبشاره .
... الأبيات العشرة» .
البديع (ص 20) . وأنظر أبياتا أخرى في الصفحات 21 ـ 25 ـ 36 ـ 37 ـ 42 ـ 43 ـ 73 ـ 79 ـ 80 ـ 81 ـ 84 ـ 88 ـ 93 ـ 102 ـ 103 ـ 110 ـ 118 ـ 125 ـ 128 ـ 134 ـ 140 ـ 144 ـ 147 ـ 152 ـ 153 .

(161) طبعه لأول مرة المستشرق (جويدي) بليدن سنة 1894 م . ثم أعاد طبعه سنة 1952 م بمصر الأستاذ علي فوده بعنوان (كتاب الأفعال) .

بالحمار (162) ، كتابا عمل فيه على اكمال النقص الموجود في مؤلف شيخه ، وألحق به كثيرا مما أهمله ، حتى بلغ ما فيه 2753 فعل (163) مرتب حسب مخارج الحروف .

– وألف في الأفعال أيضا تلميذ ابن القوطية المشهور أبو مروان عبد الملك ابن طريف المتوفى في حدود 400 هـ . وقد زاد هو الآخر على كتاب ابن القوطية . وأخذه عنه أبو عمر بن الحذاء (164) .

– ومنهم أبو منصور محمد بن علي بن عمر الجياني الأصبهاني الذي ألف سنة 416 هـ ، كتابا آخر في الأفعال (165) .

– ومنهم أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع الصقلي (166) المتوفى سنة 514 هـ ، اللغوي الشهير بحواشيه على (الصحاح) ، وكتابه (أبنية الأسماء) . فقد ألف أيضا كتابا في الأفعال سماه صاحب الذيل (اكمال الأفعال) (167) لأنه أكمل فيه (أفعال) ابن القوطية وهذبه ، ولذلك كان في نظر ابن خلكان أجود منه .

– ومنهم جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك النحوي المتوفى سنة 672 هـ . وله كتاب (لامية الأفعال) (168) .

– ومنهم محمد بن يحيى المعروف بابن هشام الخضراوي (نسبة الى الجزيرة الخضراء) المتوفى سنة 646 هـ . له كتاب (فصل المقال في أبنية الأفعال) ذكره ابن الأبار وحاجي خليفة (169) .

ومن الذين اعتنوا بكتاب ابن القوطية خاصة ، من رجال الأندلس ، قاسم بن فيره بن أبي القاسم الرعيني الشاطبي المتوفى سنة 590 هـ . فقد وضع نظما في ترتيب أفعال ابن القوطية . وذكر بعض أبيات هذا النظم صاحب الذيل والتكملة (170) .

---

(162) توفي حوالي سنة 400 هـ . وهو مترجم في الصلة (209/1) (الحسيني) ، وبروكلمان (281/2) . وقد توقف المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور في هذا اللقب اذ رأى أن الملقب به شخص آخر غير المذكور هنا . وانما هو سعيد بن فتحون (أنظر السند التونسي في علم متن اللغة) مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج 19 ، سنة 1965 .

(163) كشف الظنون (133/1) .

(164) ابن خير (ص 356) . وأنظر ترجمة ابن طريف في الجذوة (ص 381) – وبغية الملتمس (ص 539) (الحسيني) – والصلة (340/1) (الحسيني) – والوعاة (ص 313) .

(165) كشف الظنون (133/1) .

(166) ترجمته في الوفيات (323/3) – ومعجم الأدباء (279/12) .

(167) الذيل والتكملة ق 1 س 1 (ص 30) .

(168) كشف الظنون (133/1) .

(169) التكملة (660/2) (الحسيني) – كشف الظنون (1261/2) .

(170) الذيل والتكملة ق 2 س 5 (ص 556) . وأنظر ترجمته أيضا في الوعاة (ص 379) .

2 ـ **كتاب المقصور والممدود** نسبه اليه غير واحد من العلماء ، مثل ابن الفرضي ، والسيوطي في الوعاة ، والمقري في النفح ، وياقوت في المعجم وغيرهم . ويظهر أنه لم تكن لهذا الكتاب السيرورة والانتشار اللذان كانا لكتاب الأفعال ، فلذلك لم نجد له صدى بعيدا في الأندلس .

3 ـ **شرح صدر أدب الكتاب** ، رواه عنه مع جزء مختصر منه ، تلميذه أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث (171) .

وألف ابن القوطية في غير الموضوع اللغوي .

4 ـ **كتاب تاريخ افتتاح الأندلس** (172) ، تناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح الى نهاية حكم الأمير عبد الله بن محمد والد عبد الرحمان الناصر . وهو من الكتب التي جعلها ابن حيان من مصادره الأساسية في (المقتبس) .

وتأليف ابن القوطية في التاريخ ، يعطينا فكرة أخرى عن تعدد نواحي ثقافة الرجل ، ويعرفنا على جانب آخر من شخصيته العلمية .

وقد ذكر أحمد أمين ابن القوطية (في ظهر الاسلام) ونسب اليه كتاب (فعلت وأفعلت) بجانب (الأفعال) وقال في الهامش (ص 3/89) (نشره جويدي) . وهو ما لم أجد له ذكرا عند غيره . والذي نشره (جويدي) في الحقيقة هو كتاب (الأفعال) كما سبق قبل قليل . والأمر هين لأنهما كتاب واحد .

وهكذا تعددت اهتمامات ابن القوطية الثقافية ، فهو مؤرخ حينا ، ومحدث وفقيه ثم أديب شاعر حينا آخر . بالاضافة الى كونه من علماء اللغة الكبار الذين ساروا في ركب القالي ، ويمكن اعتبارهم امتدادا لمدرسته . وقد جمع بين الثقافة الأندلسية التي لقنها وحذقها عن شيوخ الأندلس ، والثقافة الشرقية التي أخذها عن أبي علي البغدادي وغيره ، فطارت شهرته وزاحمت مكانته العلمية مكانة تلاميذ القالي ، بل لقد شارك شيخه وصديقه أبا علي في الكثير من تلاميذه ، وأصبح المتتلمذون لمعارفه ، والآخذون عنه عددا يلفت نظر الدارسين . فمن الأعلام الذين سمعوا عنه ، نجد غير من سبق ذكره : مفرج بن سعيد الماردي ، وحسين بن وليد المشهور بابن العريف (ت 390 هـ) ، وأحمد بن عفيف القرطبي (ت 410 هـ) ، وأبا عبد الله الشطجيري ،

---

(171) ابن خير (ص 344) ـ الوعاة (ص 84) ـ والديباج (ص 262) .

(172) نشره المجمع العلمي بمجريط عام 1868 م . ونشره هوداس في باريس سنة 1889 م . ونشره (شربونو Cherbonneau) بالمجلة الآسيوية 1853 م . أنظر دائرة المعارف ، المجلد 1 ، (ص 265 وما بعدها (الترجمة العربية) ، وطبعه كذلك جوليان ريبيرا مع مقدمة وترجمة اسبانية سنة 1926 م . وطبعه أخيرا عبد الله أنيس الطباع سنة 1957 م مع تتمة من كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

وعبد الله بن فرج الطوطالقي ، وأبا المطرف القنازعي ، وابن التيـاني ، ومحمد بن عبيـد الله بن محمد البناني (أو البيـاني) المعمر ، ويونس بن عبد الله بن مغيث ، وسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل صاحب طبقات الأطباء ، ومحمد بن خطاب الأزدي ، وأبا بكر يحيى بن هذيل ، والحاجب المنصور بن أبي عامر ، وأغلبهم ـ كما نرى ـ ممن روى عن القالي أيضا ، كثيرا أو قليلا من علمه . فكان ابن القوطية من هذا الجانب مساعدا له في نشر التراث الأدبي واللغوي بالأندلس .

42 ـ أبو بكر محمـد بن مروان بن زهر الايادي (173)

الاشبيلي ، والد الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر .

(حوالي 336 أو 338 هـ ـ 422 هـ)

سمع من جماعة من شيوخ الأندلس مثل ابن القوطية ، وابن زرب ، وأبي يحيى ابن بطال ، وأبي بكر محمد بن معـاوية القرشي . ثم سـمع من القالي ، وأخذ عنه النوادر والذيل (174) . وكان مع ذلك مشهورا بالفقه والفتيا ، وعده القاضي عياض في رجال المالكية . وقد ذكر له ابن خير (فهرسة) أخذها عنه أبو حفص الزهراوي ، وأبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (175) . من تلاميذه أبو عبد الله الخولاني .

43 ـ محمد بن معمر الجياني

(— 377 هـ)

لم تصلنا عنه أخبـار وافية ، ولا نعرف عنه شيئا سوى أنه اشتغل مع صاحبه محمد بن الحسين الفهري في تهـذيب (البارع) للقالي ، وتنقيحه من الأصول التي كتبت بخطهما عنه (176) .

44 ـ أبو بكر محمد بن يحيى بن عائذ (177)

(323 ـ 360 هـ)

سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن معاوية القرشي ، ومنذر بن سعيد ، وأبي علي القالي وغيرهم .

---

(173) ترجمته في الصلة (487/2) (الحسيني) ـ النفح (14/2) ـ ترتيب المدارك (747/4) .

(174) ابن خير (ص 325) .

(175) نفس المصدر (ص 435) .

(176) في التكملة (371/1) (الحسـيني) ترجمة موجزة له ، وحديث آخر عنه ضمن ترجمة محمد بن الحسين الفهري في نفس الصفحة . وأنظر الذيل والتكملة (171/6) .

(177) أبو بكر محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ ولد أبي زكرياء الراوية من أهل طرطوشة ـ التكملة (367/1) (الحسيني) .

وله رحلة مع والده الى الشرق سنة 349 هـ . وسمع بمصر وبغداد والبصرة وفارس التي أقام بها الى أن مات في مدينة أصبهان . وكان كما يقول ابن الأبار : «.. حافظا للنحو واللغة والشعر ... شاعرا مجيدا ، مرسلا بليغا» .

45 ـ أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل (178)
القيسي الأديب القرطبي ، أصله من مجريط .
(ـــ 401 هـ)

كان هارون بن موسى أول من لقي أبا علي القالي عند نزوله بالمرية ، وصاحبه الى قرطبة ، ثم لازمه واختص به الى أن مات .

ويحكي أبو نصر قصة حدثت له مع القالي توضح مدى حرصه على حضور مجالسه ، فقال : «.. كنا نختلف الى أبي علي البغدادي ، رحمه الله ، وقت املائه النوادر بجامع الزهراء ، ونحن في فصل الربيع . فبينما أنا ذات يوم في بعض الطريق اذ أخذتني سحابة ، فما وصلت الى مجلسه ، رحمه الله ، الا وقد ابتلت ثيابي كلها ، وحوالي أبي علي أعلام أهل قرطبة . فأمرني بالدنو منه وقال لي : مهلا يا أبا نصر لا تأسف على ما عرض لك ، فهذا شيء يضمحل عنك بسرعة ، بثياب غيرها تبدلها . ولقد عرض لي ما أبقى بجسمي ندوبا تدخل (179) معي القبر . ثم قال لنا : كنت أختلف الى ابن مجاهد ، رحمه الله ، فأدلجت اليه لأتقرب منه ، فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت أخرج منه الى مجلسه ، ألفيته مغلقا وعسر علي فتحه (180) ، فقلت : سبحان الله أبكر هذا البكور ، وأغلب عَلَيَّ القرب منه ! فنظرت الى سَرَب (181) بجنب الدار فاقتحمته ، فلما توسطته ضاق بي ، ولم أقدر على الخروج ولا على النهوض . فاقتحمته أشد اقتحام حتى نفذت بعد أن تخرقت ثيابي وأثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم ، ومن الله علي بالخروج . فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال . فأين أنت مما عرض لي ؟ وأنشدنا :

دببت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس وألقوا (182) دونه الأزرا

---

(178) ترجمته في الصلة (620/2) (الحسيني) ـ وأنباه الرواة (362/3) ـ والوعاة (ص 406) ـ التكملة (ص 336) بالنسيا .
(179) في الأصل : (يدخل) .
(180) في الصلة (620/2) (الحسيني) : (وارث عليه فتحه) والتصحيح من أنباه الرواة (362/3) .
(181) السرب بالتحريك : قناة يدخل منها الماء .
(182) في الصلة : (وألفوا) بالفاء الموحدة ، والتصحيح من القفطي ، والامالي (113/1) . وهناك اختلافات أخرى في ألفاظ الرواية بين المصدرين .

وكابدوا (183) المجـد حتى مل أكثرهـم
وعانق المجـد من أوفى ومـن صبـرا
لا تحسب المجـد تمرا (184) أنت آكلـه
لن تبلـغ المجـد حتى تلعق الصبـرا

قال أبو نصر : فكتبناها عنه من قبل أن يأتي موضعها في نوادره ، وسلاني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لي من تلك الثياب واستكثرت من الاختلاف اليه ، ولم أفارقه حتى مات ، رحمه الله» (185) .

وقد أخذ عن القالي بالاضافة للنوادر ، جملة مؤلفات منها (أدب الكتاب) (186) .

وأما الشخصية الثانية في حياته التي زاحمت بتأثيرها تأثير القالي ، فهي شخصية أبي عبد الله محمد بن يحيى الرباحي الذي روى عنه : كتاب سيبويه ، والكافي في النحو ، وكتاب المقنع لابن النحاس ، والانتصار لابن ولاد ، وكتاب التصاريف للمبرد ، وكتاب الأخبار للمازني ، وكتاب الأخفش في النحو ، والمقصور والممدود لابن ولاد ، وكتاب النقائض له ، وكتاب صنعة الكتاب ، وكتاب الاشتقاق لابن النحاس (187) . وقد رواها عنه جميعا أبو عمر بن خيرون .

فبهذين الرجلين : القالي والرباحي ، اكتملت شخصيته العلمية ، فجلس للتدريس ، وأخذ عنه الأحداث ووجوه الناس . ومن آثاره اللغوية (شرح عيون كتاب سيبويه) رواه عنه ابن خيرون (188) .

ومن تلاميذ أبي نصر المشهورين : أبو عمر القرموني ، الذي قرأ عليه النوادر لأبي علي سنة 395 هـ (189) ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي المعروف بابن زروقة تلميذ ابن أبي الحباب أيضا (190) .

---

(183) كذا في الأمالي (113/1) ـ وأنباه الرواة ـ وفي الصلة : (فكابدوا) .
(184) كذا في الأمالي وأنباه الرواة . وفي الصلة (ثمرا) بالثاء المثلثة .
(185) الصلة (620/2) (الحسيني) ـ أنباه الرواة (362/4) .
(186) ابن خير (ص 335) ـ وفهرسة عياض (ص 102) ، مخطوط الرباط .
(187) أنظر ابن خير في الصفحات 306 ـ 309 ـ 311 ـ 312 ـ 313 ـ 314 ـ 354 ـ 386 على الترتيب .
(188) ابن خير (ص 311) ـ الوعاة (ص 406) ـ وأنباه الرواة (362/3) . وقد ذكر بروكلمان (137/2) أنه توجد منه نسخة بالمتحف البريطاني .
(189) التكملة (ص 184) بالنسيا ، الترجمة رقم 2245 .
(190) معجم الأدباء (121/17) .

46 ـ أبو الحجاج يوسف بن فضالة (191)

كان أديبا لغويا معدودا في تلاميذ القالي ، ومشهورا بصحبته . روى عنه كثير من الشيوخ ، منهم أبو سهل الحراني .

ومما رواه عن القالي : كتاباه (فعلت وأفعلت) و (أفعل من كذا) (192) . وجملة من الأصول المشرقية في اللغة ، (كاصلاح المنطق) لابن السكيت ، و (التذكير والتأنيث) للسجستاني ، والأشعار الستة الجاهلية رواية الأصمعي ، وطائفة أخرى من الأخبار والأشعار (193) .

47 ـ أبو عمر يوسف بن هارون الكندي الرمادي (194)

(ـــ 403 هـ)

اتصل الشاعر الرمادي بالقالي منذ دخوله الأندلس ، ومدحه بقصيدته اللامية الرائعة التي مطلعها :

من حاكم بيني وبين عذولي

الشجو شجوي والعويل عويلي

... (الأبيات) (195)

وهي قصيدة طويلة ، بقيت منها أبيات يستدل بها الحميدي على أصالة هذا الشاعر ، ومرتبته المتقدمة بين كبار الشعراء . ثم انصرف للقراءة عليه ، فكان مما رواه عنه : كتاب (الأمالي) (196) .

---

(191) ترجمته في الصلة (639/2) (الحسيني) .

(192) ابن خير (ص 352-353) .

(193) ابن خير في الصفحات التالية : 330 ـ 348 ـ 389 ـ 399 .

(194) أبو عمر يوسف بن هارون الكندي القرطبي المعروف بالرمادي نسبة الى رمادة (موضع بالمغرب) أو الى الرماد كما هو رأي المستشرق هنري بريس (في دائرة المعارف الاسلامية) .
مصادر ترجمته الجذوة (ص 346) ـ بغية الملتمس (ص 493) ـ الصلة (637/2) (الحسيني) ـ اليتيمة (100/2) ـ المطرب (ص 3-7) ـ الوفيات (225/7) ـ معجم الأدباء (62/20 ـ المغرب (392/1) ـ الذخيرة لابن بسام ق 1 م 1 (ص 264) ـ راية المبرزين (ص 47) ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد 10 مادة (الرمادي) (ص 179) ، (الترجمة العربية) ـ تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة (ص 205) ـ فن التوشيح (ص 132) ـ تاريخ الأدب الأندلسي لأحمد هيكل (ص 299) . وأنظر كتاب التشبيهات في مواضع متفرقة وكتاب البديع في وصف الربيع في مواضع متفرقة أيضا .

(195) أنظر القسم الأول من البحث .

(196) الصلة (637/2) (الحسيني) .

ويذهب هنـري بيريس (H. Perés) الى القول بوجود ثلاثة عوامـل أثرت في حياته هي :

1 ـ اتصاله الوثيق بالقالي .
2 ـ واخلاصه للحاجب أبي الحسن المصحفي .
3 ـ وحبه لخلوة (197) .

وهناك اتجاهان يمكن تلمسهما في انتاجه الشعري هما :

1 ـ الاتجاه المحافظ ، وتمثله كثير من قصائده ، منها هذه القصيدة التي مدح بها القالي ، وقد بدأها بمقدمة غزلية على العادة ، ثم وصف مشـهدا من مشـاهد الصيد والربيع والرياض ، وتخلص من ذلك الى المدح الذي هو الغرض المقصود ، متوخيا في أسلوبه الطريقة الرصينة في التعبير .

ومنها قطع أخرى لها نفس الاتجاه من حيث الجزالة والمحاكاة للقديم ، كما في قوله :

قفوا تشـهدوا بثي وانكـار لائمـي
علي بكائي في الرسوم الطواسـم

ومنها :

فهذا حمـام الأيك يبكي هديلـه
بكـائي ، فليفرغ للـوم الحمـائم
ومـا هي الا فرقة تبعث الأسـى
اذا نزلت بالناس أو بالبهـائم (198)

وفي كتاب (التشبيهات) لابن الكتاني ، أبيات أخرى تنسب اليه في شتى الأغراض الوصفية . ومن خلالها يبدو أنه أكثر الشعراء قدرة على التشبيه ، وتمسكا بالصور والألفاظ الشـعرية القديمة . ولأمر ما كان مترجموه يقولون : ''فتح الشـعر بكندة وختم بكندة'' يعنون أمرأ القيس ، والمتنبي ، والرمادي .

وقد كان للثقافة اللغوية والشعرية التي أخذها عن القالي وأمثاله ، أثر واضح في هذا الاتجاه .

2 ـ والجانب الثاني من شـعره ، يبدو في المحاولات التجـديدية المتمثلة في أوصـافه للأزهار والرياض والربيـع ، مما كان يقدم به لقصـائده المدحيـة في

---

(197) دائرة المعارف الاسلامية م 10 (ص 179) ، مادة (الرمادي) الترجمة العربية .
(198) الجذوة (ص 348) .

الغالب (199) ، وفي طريقته القصصية المعتمدة على السرد والتحليل ، كقصيدته التي ضمنها قصة أبي حنيفة مع جاره المدمن على الشراب ، وانتقد بها محاولة الحكم المستنصر اجتثاث شجر العنب بالأندلس (200) :

ويمكن أن نعتبر من شعره التجديدي ، ما ضمنه كتابه الذي ألفه في (الطير) أثناء فترة سجنه . فقد ذكر الحميدي أن الشاعر وضع هذا الكتاب في أجزاء ، ووصف فيه الطيور المعروفة ، وذكر خواص كل واحد منها ، وجعل ذلك كله شعرا ، ثم ذيل كل قصيدة منه بمدائح للخليفة هشام المؤيد مستعطفا . ورغم أن الكتاب لم يصل الينا لنقف على صنع صاحبه فيه ، فان معالجة الرمادي لهذا الموضوع بهذا النوع من التفصيل على الطريقة المذكورة ، تعتبر أمرا جديدا في الشعر العربي عامة ، لم يسبق اليه من قبل كما نبه على ذلك الحميدي . على أن من نواحي تجديده أيضا شعره الشعبي . فقد كان صاحبنا من الوشاحين المعدودين بين أصحاب هذه الصناعة الناشئة اذ ذاك . واذا لم يكن قد وصل الينا شيء من نماذجه في الموشحات ، فاننا نجد ابن بسام يعتبر الرمادي من الذين عملوا على تطوير هذا الفن ، اذ أكثر في موشحاته من التضمين في المراكز (201) ، (أي أنه أكثر من الأغصان في المركز الذي هو القفل) ، فتبعه من جاء بعده ، كعبادة بن ماء السماء الذي له بدوره يد في تطوير هذه الصناعة .

48 ـ أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث (202)

القرطبي المعروف بالصفار (339 ـ 429 هـ)

روى أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة عن أبي بكر الزبيدي ، وابن القوطية ، وابن زرب ، وابن عبدون وجماعة . ثم اتصل بالقالي وهو صغير السن فأخذ عنه . قال البكري يحكي عن أول يوم اتصل فيه أبو الوليد بشيخه :

«.. وأخبرني غير واحد عن يونس بن عبد الله أنه قال : حملني أبي وأنا غلام ، الى أبي علي البغدادي على تقيئة (203) قدومه ، وقال له : أفد ابني هذا شيئا يذكرك

---

(199) أنظر نماذج كثيرة من ذلك في كتاب (البديع في وصف الربيع) في مواضع مختلفة .

(200) الجذوة (ص 14)

(201) الذخيرة المجلد 2 ق 1 (ص 1) . وأنظر فن التوشيح (ص 124) .

(202) ترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص 95) ـ الصلة (684/2) (الحسيني) ـ التكملة (789/2) (الحسيني) ـ اللآلىء (322/2) ـ ترتيب المدارك (739/4) ـ الجذوة (ص 362) ـ بغية الملتمس (ص 512) .

(203) أي على اثر قدومه .

ويفخر بروايته عنك . فأخذ سفرا من كتبه ، وأملى علي هذه الوصية الى آخرها . قال يونس : وأملى علي فيها :

اصحب الأَخْيار وارغب فيهم
(بكسر الميم)
رب من صاحبته مثل الجرب
(بفتح الجيم وكسر الراء) ..» (204) .

وذكر ابن خير أنه أخذ عنه يسيرا من كتاب الأمالي والذيل (205) .

وقد كان يونس هذا بالاضافة الى روايته اللغات والأخبار ، مشغولا بالزهد والنسك ، له فيه مؤلفات عديدة وأشعار . وروى عنه ابن حزم ، وأبو الوليد الباجي ، وأبو مروان بن سراج ، وأبو مروان الطبني ، وأبو عمر بن الحذاء ، وغيرهم .

خصائص هذه الدائرة

وبعد أن فصلنا الحديث عن أصحاب القالي ، ونبهنا على خصائص كل واحد منهم ، وما انفرد به من نشاط ، ومدى اتصاله بشيخه وتأثره به ، والنواحي التي تجلى فيها نوع هذا التأثر أو ذاك . علينا الآن أن نعيد اجمال تلك الخصائص ، وطيها – بعد النشر – في نقط محصورة .

والحق أن أسلافنا من رجال الأندلس وعلمائها ، كانوا السابقين دوننا الى احصاء تلاميذ القالي ، وتتبعهم واحدا واحدا . ذلك ما يصرح به ابن الأبار في اشارة عارضة أثناء ترجمته لعبد الله بن أحمد الكتبي المذكور ضمن التلاميذ ، فيقول : «.. مع أن أصحاب أبي علي قد جمعهم وأحصاهم من تتبعهم وتقصاهم» (206) .

على أنه وان كنا لا نملك تلك القائمة الكاملة التي أحصي فيها تلاميذ القالي ، وانما قمنا بجمع من ذكرناهم من شتات الأخبار والتراجم الموزعة في المصادر الأندلسية والمشرقية ، وكنا علاوة على ذلك لا نعرف أسماء الذين عنوا بهذا الجمع والاحصاء من العلماء ، فان فائدة ما أشار اليه ابن الأبار تبقى ذات قيمة مهمة ؛

---

(204) سمط اللآلىء (822/2) . والوصية المشار اليها في هذا الخبر ، هي وصية عبد الله بن شداد بن الهادي لابنه محمد وهي في الأمالي (202/2) .
(205) ابن خير (ص 325) .
(206) التكملة (789/2) (الحسيني) .

لأنها تدلنا على وجود خصائص مشتركة بين رجال هذه الطبقة ، جعلت منهم مدرسة ذات سمات ومميزات ، دلت عليهم الذين اهتموا بجمع أخبارهم وتقصي أحوالهم من القدماء .

فما هي هذه الخصائص اذن ؟

انه بامكاننا اجمالها في النقط التالية :

1 ـ اشتراكهم جميعا في دراسة ورواية التراث اللغوي والأدبي . وقد أخذوا بعض ذلك أو أكثره عن القالي ، وأخذوا بعضه الآخر عن شيوخ الأندلس ، الذين كانت لهم رحلة الى الشرق مثل قاسم بن أصبغ ، وأبي عبد الله الرباحي ، وطاهر بن عبد العزيز وغيرهم . واذا كانوا قد أخذوا عن غير القالي من الشيوخ ، فانهم جميعا يشتركون في الرواية أو السماع عنه والقراءة عليه .

2 ـ أنهم جميعا قد تأثروا بما أخذوه ودرسوه على الشيخ القالي ، وان كانت درجات هذا التأثر متفاوتة ومتنوعة . فاذا كان بعضهم قد اشتهر بالفقه ، وغلب عليه الحديث والزهد ، أو تولى القضاء والفتيا والشورى وغير ذلك من المناصب الدينية العالية ، فانهم مع هذا مشاركون في اللغة والأدب بنصيب وافر ، كيونس بن عبد الله ، وأبي علي الأنصاري الحداد وغيرهما .

3 ـ أن تأثرهم بالقالي غالبا ما كان يظهر في انتاجهم الفكري تأليفا وابداعا ، فمنهم عصابة زكية انصرفت الى اللغة والأدب انصرافا كليا ، حتى نسبت اليهما فقالوا : (اللغوي) و (النحوي) و (الأديب) . ثم انطلقت بعد ذلك لتسهم بتأليفها في اغناء مكتبة التراث الأندلسية ، ومن هؤلاء : الزبيدي ، وابن القوطية ، وابن أبي الحباب وغيرهم . ومنهم جماعة أخرى تأثرت بجو الدراسات اللغوية والأدبية القديمة ، فيما تكتبه من شعر ونثر ، ومن هؤلاء الشاعر الرمادي .

4 ـ أن أغلب رجال هذه الطبقة ، اشتغلوا بالتدريس والتعليم وكانت لهم في قرطبة وغيرها حلقات مشهورة ، ومنابر بثوا من فوقها في تلاميذهم روح العناية بهذا النوع من التراث . وبعبارة ثانية فان رجال هذه الطبقة ، كانوا هم الأعمدة الأولى التي نهضت بهذا التراث اللغوي والأدبي الذي حمله القالي وآخرون ، نهضة شامخة واضحة في سماء الأندلس . فاذا كانت المؤلفات التي تمثل ثمارهم غير كافية في هذه المرحلة ، فان الطبقات والأجيال التي ستتلوهم ، ستكون أكثر انتاجا وأبقى أثرا .

وفي الجملة يمكن أن نجد تلخيصا لما ذكرنا من هذه الخصائص ، في القصة التي رواها أبو بكر محمد بن الحسين الفهري تلميذ القالي عن نفسه حيث قال : (207) .

«.. دعاني يوما رجل من اخواني الى حضور عرس له في أيام الشبيبة والطلب ، فحضرت مع جماعة من أهل الأدب ، وأحضر جماعة من الملهين وفيهم ابن مقيم الزامر ، وكان طيب المجلس صاحب نوادر . فلما اطمأن المجلس واستمر السرور بأهله ، انحرف ابن مقيم الينا وأقبل علينا ، فقال : **يا معشر أهل الاعراب واللغة والآداب ، ويا أصحاب أبي علي البغدادي** ، أريد أن أسألكم عن مسألة حتى أرى مقدار علمكم وسعة جمعكم . فقلنا له : هات : بالله قل وأعد يا طيب الخبر . فقال : بماذا تسمى الدويبة السوداء التي تكون في الباقلاء عند أهل اللغة والعلماء ؟ فرجعنا الى أنفسنا نفكر ، فوالله ما عرفنا ما نقول فيها ، ولا مرت بأذننا قط وبهتنا . ثم قلنا له : ما نعرف . فقال : سبحان الله ! ما هذا **وأنتم الضابطون للناس لغتهم بزعمكم ؟** فقلنا له : أفدنا ما عندك . فقال : نعم ، هذه تسمى : البيقران قال الفهري : فتصورت والله في ذهني ، وقلت : فيعلان ، من بقر يبقر ، يوشك أن يكون هذا ، وعددتها فائدة . فبينا نحن بعد مدة عند أبي علي ، اذ سألنا عن هذه المسألة بعينها . قال الفهري : فأسرعت الاجابة ثقة بما جرى فقلت : تسمى البيقران . فقال : من أين تقول هذا ؟ فأخبرته بالمشهد الذي جرى فيها والحال في استفادتها فقال : انا لله ، رجعت تأخذ اللغة من أهل الزمر ؟ لقد ساءني مكانك . وجعل يؤنبني ثم قال : هي : الدقنس والدنقس (208) . قال الفهري : (209) فتركت روايتي عن ابن مقيم لروايتي عن أبي علي» .

ففيها نجد أن أهل الأندلس ، كانوا على معرفة بخصائص أصحاب القالي التي هي العناية بالغة والأدب والاعراب ، وسعة الجمع وكثرة الحفظ والرواية . وهي صفات أهلتهم ليكونوا الضابطين للغة الناس ، والمصححين لأخطائهم .

---

(207) القصة في الجذوة (ص 374) – والوعاة (ص 294) .

(208) هكذا في الجذوة . وفي الوعاة (الدنقس والدقنس) .

(209) هكذا في الوعاة . وفي الجذوة (قال الفهري : يطيب الحكاية فتركت روايتي الخ ...) .

الدائـرة الثانيـة

وأعقبت تلك الطبقة من أصحاب القالي ، طبقة ثانية أخذت عن الأولى ، وشارك رجالها أيضـا في نشر الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس ، وعملوا على تنميتها واثرائها بالرواية والحفظ ، والتـدريس والتأليف . وهم في ذلك كله يعـودون الى الأصول التي رويت عن القالي ، مما أملاه وألفه ، أو أدخله وقرىء عليه ، فضبطه وصححه ووثقه .

وسنقتصر قدر الامكان على الوقوف أمام أشهر الأعلام ، خشية الاملال والاطالة من جانب ، ولكثرة رجال هذه الطبقة كثرة يصعب معها التتبع والتقصي ، من جانب آخر . ويمكن أن نلحظ بصفة عامة ، أن رجال هذه الطبقة فئتـان : فئة تعمقت في دراسة التراث اللغوي والأدبي ، ونالها حظ وافر من التأثر بخصـائص المدرسـة القالية ، وهم جمـاعة يسـمون باللغويين والنحاة والأدباء . وفئة لم تصب من هذه الدراسات الا نصيبا ضئيلا ، هو النصيب الذي يكون ضروريا لكل متعلم ، والقدر الذي يكتفي به العالم المشارك . أما اهتمامها الأول ، فكان نحو اختصاصات أخرى كالفقه والحديث والتاريخ ...

فمن أعلام هذه الطبقة :

1 ـ أبو القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بابن الافليلي (210)

(352 ـ 441 هـ)

كان من أدباء قرطبة وأعلام اللغويين بها ، انتهت اليه أصول اللغة والأدب من طرق متعددة ، أشهرها تلك التي تعود أسانيدها الى القالي بواسطة تلاميذه .

(210) أبو القاسم ابراهيـم بن محمد بن زكرياء الزهري القرطبي المعروف بابن الافليلي . **مصادر** =

فهو تلميذ للزبيدي الذي روي عنه كتبه الثلاثة : أبنية سيبويه (أو أبنية الأسماء) (211) ولحن العوام (212) ومختصر العين (213) ثم روى عنه أيضا نوادر القالي (214) ونوادر ابن الاعرابي (215) ، وكتاب الميسر لابن قتيبة (216) ، ونوادر أبي زياد الكلابي (217) ، وشعر أعشى بكر (218) ، وأدب الكتاب (219) . وهي كلها مما أخذه الزبيدي عن شيخه أبي علي .

وروى عن أحمد بن أبان عن القالي : كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد (220) ، والألفاظ لابن السكيت (221) ، وديوان الأشعار المفضليات تفسير أبي الحسن الأخفش (222) ، وشعر ذي الرمة تفسير أبي العباس الأحول (223) ، وشعر أبي تمام (224) ، ثم أخذ عنه رواية عن أبي عثمان سعيد بن جابر الاشبيلي ، كتاب الكامل للمبرد (225) .

وروى عن أحمد بن أبي الحباب عن القالي : اختيار الفصيح لثعلب (226) ، وفائت الفصيح للمطرز (227) ، وفعلت وأفعلت للزجاج (228) ، وخلق الانسان لثابت (229) .

= **ترجمته** : الجذوة (142) ــ أنباه الرواة (183/1) ــ الوعاة (186) ــ الصلة (94/1) (الحسيني) ــ بغية الملتمس (213) ــ الذخيرة ق 1 المجلد 1 (ص 240) ــ شذرات الذهب (266/3) ــ والوفيات (51/11) ــ معجم الأدباء (جـ 4/2) ــ المغرب (72/1) ــ الحركة اللغوية (303) ــ تاريخ النقد **الأدبي في الأندلس** (ص **94**) .

(211) ابن خير (ص 345) .
(212) ابن خير (ص 346) .
(213) فهرسة التجيبي ، الورقة 54 الوجه .
(214) ابن خير (ص 323) .
(215) ابن خير (ص 372) .
(216) ابن خير (ص 378) .
(217) ابن خير (ص 380) .
(218) ابن خير (ص 392) .
(219) فهرسة عياض (ص 101) . ورواه ابن الأفليلي كذلك عن ابن أبي الحباب عن القالي . ابن خير (ص 334) .
(220) ابن خير (ص 327) .
(221) ابن خير (ص 329) .
(222) ابن خير (ص 390) .
(223) ابن خير (ص 391) .
(224) ابن خير (ص 402) .
(225) ابن خير (ص 320) .
(226) ابن خير (ص 338) .
(227) ابن خير (ص 339) .
(228) ابن خير (ص 358) .
(229) ابن خير (ص 364) .

وروى كتاب سيبويه عن العاصمي (تلميذ القالي) عن أبي عبد الله الرباحي (230) .

وروى أيضا عن أبي بكر محمد بن الحسين الفهري (231) .

ثم أخذ من غير تلاميذ القالي عن جماعة فيهم والده محمد عن قاسم بن أصبغ ، الذي روى عنه كثيرا من الأصول اللغوية ودواوين الأدب . فمما رواه عن هذا الطريق : شرح غريب الحديث لابن قتيبة (232) ، واصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي عبيد ، تأليف أبي محمد بن قتيبة أيضا (233) ، وكتاب المجاز لأبي عبيدة معمر بن المثنى (234) ، وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (235) .

كما كان من شيوخه أبو زكرياء يحيى بن محمد بن مالك بن عائذ العائذي (236) (وقد مر والده ضمن تلاميذ القالي) . روى عنه غريب الحديث لأبي عبيد .

وفيهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن قاسم القلعي الذي أخذ عنه كتاب معاني القرآن واعرابه لأبي اسحاق الزجاج أستاذ القالي (237) .

وفيهم أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف النحوي ، الذي روى عنه كتابه في معاني الحروف وأقسامها (238) ، وشعر المتنبي (239) .

وهناك آخرون لم نرد الاطالة في ذكرهم واستقصاء أحوالهم .

فعلاقة ابن الافليلي بهذه المدرسة القالية وطيدة متمكنة ، وعنايته بالآثار اللغوية والأدبية واضحة معروفة عند أهل الأندلس ، شهد له بها كثير من العلماء كالحميدي الذي يقول : «.. وكان متصدرا في علم الأدب يقرأ عليه ، ويختلف فيه اليه . وكان مع علمه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لهما ..» (240) . والقفطي الذي يقول : «.. وكان حافظا للأشعار واللغة قائما عليها ، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي ، كثير العناية بهما خاصة ، على عنايته الوكيدة بسائر كتبه . وكان ذاكرا للأخبار وأيام الناس ، وكان

---

(230) ابن خير (ص 305) .
(231) فهرسة ابن عطية (ص 33) (مخطوط الرباط) .
(232) ابن خير (ص 187) .
(233) ابن خير (ص 188) .
(234) نفس المصدر (ص 59) .
(235) نفس المصدر (ص 339) .
(236) نفس المصدر (ص 186) .
(237) نفس المصدر (ص 64) .
(238) نفس المصدر (ص 320) .
(239) نفس المصدر (ص 403) .
(240) الجذوة (ص 142) .

عنده من أشعار أهل بلده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقادا للكلام ، ومعرفة بطرائقه . وعني بكتب جمة كالغريب المصنف ، والألفاظ وغيرهما» (241) .

فأما شعر أبي تمـام الذي قال القفطي ان لابن الافليلي عناية خاصة به ، فقد رأينـا أنه أخذه رواية عن أحمـد بن أبان عن القالي الذي أدخله للأندلس . وتعتبر النسخة التي أتى بها أبو علي ـ كما يقول الدكتور محمد عبده عزام ـ أول مصدر وآخره لشعر أبي تمام ، لأنها منقولة من القراطيس التي كتبها هذا الشاعر بخط يده ، حسب ما بآخر مخطـوطة الاسـكوريال التي اعتمـدت في تحقيـق وطبع الديوان حديثا (242) . وكانت عناية ابن الافليلي بهذا الديوان ، تتجلى في أنه أضـاف الى الجزء الذي قرأه القالي على شـيخه ابن درستويه ، زيادات استخرجها من الكتب التي استقرت بخط أبي علي وروايته في خزانة المنصور بن أبي عامر ، أخرجها له أستاذه أبو القاسم بن العريف . ثم قام بمقابلة هذه النسخة من رواية القالي بعد أن أصبحت كاملة ، بنسـخة أخرى من رواية الصولي ، حسب مـا تدل عليه هوامش نسخة الاسكوريال ، فحصل له من ذلك نسخة مقابلة موثقة مقروءة ، ومعلق عليها من هذين العالمين الجليلين (243) .

وأما شعر المتنبي الذي رواه ابن الافليلي عن شـيخه أبي القاسم بن العريف فيما سـبق ذكره ، فهو الديوان الذي شرحه فطارت به شـهرته ، واقترن ذلك عند الناس باسمه . ويذكر ابن بسام وغيره ، أنه لم يؤلف في شيء من المعرفة الا كتابه في شعر المتنبي (244) . وقد سـاعد ابن الافليلي في تصنيف هذا الشرح ، تلميذه اللغوي الشـهير أبو الحجاج الأعلم الشنتمري (بروكلمان 2/89) . وكان ذلك أول شرح ظهر بالأندلس لهذا الديوان ، كما هو رأي بلاشير (245) . ونحن نعرف الصدى

(241) انباه الرواة (1/183) .

(242) أعني طبعة الأستاذ محمد عبده عزام ، بدار المعارف 1964 م . (وأنظر مقدمة التحقيق) .

(243) انظر المقدمة المذكورة من تحقيق عبده عزام . وقد سبقت نتف من الحديث عن هذا الموضوع في بداية حديثنا عن مؤلفات القالي .

(244) الذخيرة ، القسم 1 ، المجلد 1 (ص 240ـ242) . وقد ورد في هامش لاحدى النسخ الخطية من كتاب الذيل والتكملة . أن أحد الأندلسيين ويسمى لب بن عمر بن جراح الأنصـاري المتوفى سنة 638 هـ ، قرأ على أبي الحسن بن كوثر كتاب (النجم والكوكب) للأفليلي . وهو ما لم ترد الاشارة اليه في أي مصدر من المصادر التي بين أيدينا . (أنظر هامش (ص 578 و 579 من الذيل والتكملة ق 2 س 5 ، تحقيق الدكتور احسان عباس) .

وتوجد من شرح الأفليلي لقسـم من ديوان المتنبي ، مخطوطتـان بالرباط ، رقـم (1128 د) و (437 د) .

(245) انظر كتاب بلاشير (شاعر عربي من القرن الرابع الهجري ، أبو الطيب المتنبي) (ص 296) ، باريس 1935 (بالفرنسية) .

الذي كان لأبي الطيب في الغرب الاسلامي بعد دخول شعره ، ومدى تأثيره في الشعر الأندلسي ، حتى عرف أكثر من واحد من الشعراء بلقب (متنبي الغرب) كابن هانىء الأندلسي ، والرمادي ، وابن دراج القسطلي .

وستظهر بعد شرح ابن الافليلي المذكور ، مؤلفات وشروح أخرى منها :

- شرح ابن سيدة المعروف (بشرح مشكل ديوان المتنبي) (246) .
- وكتاب (روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب) لأبي الحسن بن لبال (247) .
- وكتاب (سرقات المتنبي ومشكل معانيه) لأبي الحسن علي بن بسام النحوي (248) .

وأما أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، فقد وضع كتابا خاصا في نقد شرح معاصره ابن الافليلي لديوان المتنبي سماه (المتعقب على الافليلي في شرحه لديوان المتنبي) (249) . على أن أحد تلامذة الافليلي سرعان ما نهض للرد عليه فيما انتقده على شيخه ، وهو عبد الله بن أحمد المعروف بالنباهي (250) .

وقد أخذ عن ابن الافليلي عدد من التلاميذ ، كان أشهرهم الأعلم الشنتمري ، وأبو مروان عبد الملك ابن سراج ، وأبو تميم العز بن محمد بن بقنه (ت 488 هـ) ، وأبو مروان الطبني ، ومحمد بن مكي بن أبي طالب وغيرهم . وعن هؤلاء استمر سند ابن الافليلي في علم متن اللغة «غالبا متسلسلا في الأندلس ، والمرجع في الرواية بالمغرب كله اليه الى القرن الخامس» كما يقول المرحوم العلامة محمد الفاضل ابن عاشور (251) .

وبهذه المنزلة التي احتلها صاحبنا في الأندلس ، استطاع توكيد احترامه لدى الحكام والرؤساء ، فواصلوه وقربوه وتبوأ منصب الوزارة في ولاية يحيى بن حمود على قرطبة ، وذلك بواسطة صديقه جعفر بن فتح (252) . ثم حظي عند المستكفي

---

(246) أشار بروكلمان الى وجود مخطوطتين منه بالقاهرة (89/2) . وقد كان الدكتور رضوان الداية يشتغل بتحقيقه .

(247) الذيل والتكملة ق 1 س 5 (ص 170) .

(248) نشره محمد الطاهر ابن عاشور سنة 1970 بتونس .

(249) جزء خاص بترجمة ابن حزم استخرجه الافغاني من سير أعلام النبلاء (ص 35) .

(250) الصلة (274/1) (الحسيني) .

(251) أنظر مقالته حول السند التونسي في علم متن اللغة (بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد 19 سنة 1965) .

(252) البيان المغرب (132/3) .

الذي استكتبه مدة ، الى أن زهد فيه لأنه لم يكن يصلح للكتابة فيما يرى ابن بسام ، اذ كان على طريقة المعلمين المتكلفين ، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين (253) .

ولم يخل الرجل في نظر معاصريه من عيوب ، فكان صديقه أبو عامر ابن شهيد ، أشد الناس تعريضا بها وابرازا لها . فهو عنده من المعلمين الذين غلبت عليهم الرواية دون الدراية ، وأكثروا من الغريب والحفظ حتى أتى ذلك على الفهم والطبع . وهو حينا آخر متبلد عن فهم حقيقة البيان والبلاغة لخلقته وتركيب جسمه ، بالاضافة لبرودة شعره وفساده . ولعل السبب في تحامل ابن شهيد على أبي القاسم يرجع في أصله الى عدة أسباب منها :

1 ـ تحامل ابن الافليلي على صديقه أبي عامر ، كما جاء ذلك في رسالة التوابع . قال ابن شهيد : «وأما أبو القاسم الافليلي ، فمكانه من نفسي مكين ، وحبه بفؤادي دخيل ، على أنه حامل علي ، ومنتسب الي» (254) لأسباب أرجح أنها تؤول الى اختلاف طبيعتي الرجلين . فابن شهيد رجل أديب ، نبض عرق فهمه بسرعة ، فلم يحتج الى نظر طويل في الكتب ، أو الى روايات وأسانيد ، بل قليل من ذلك كان يكفيه (255) . وكان بهذا فخورا ومعتدا ، حتى كأن رسالته المسماة (بالتوابع والزوابع) لم توضع الا ليثبت فيها لنفسه التفوق على الشعراء والكتاب .

أما ابن الافليلي ، فكان على عكس ذلك ، يرى أن ملكة البيان تحصل بالمطالعة والحفظ ، والتكثير من الشيوخ والمؤدبين . فحصل له من العلم ما لم يحصل للأول ، حتى صار الى الافتخار والعجب والاعتداد . وبذلك وصفه ابن حيان «.. وكان أبو القاسم المعروف بابن الافليلي الذي به عرض (256) ، وجعله الغرض ، **قد بذ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي ، والضبط لغريب اللغة ، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والاسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها** . وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن ، كثير الحسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده أو نشب فيه ، يجادل عليه ، ولا يصرفه صارف عنه» (257) . فهما لذلك شخصيتان متناقضتان .

2 ـ شدة اعتداد ابن الافليلي واعجابه بنفسه وعلومه ، فهو كما يراه خصمه ابن شهيد ، يدعي كل شيء ، وينتسب الى كل علم «.. دخل في الشعراء فأخذ لباقتهم ،

(253) الذخيرة ق 1 م 1 (ص 240ـ242) .
(254) رسالة التوابع والزوابع (ص 123) .
(255) نفس المصدر (ص 88) .
(256) أي ابن شهيد .
(257) الذخيرة ق 1 س 1 (ص 240ـ242) .

وصار في جملة الكتاب فاستعار صلفهم ورشاقتهم ، وباشر أهل الحساب ، فاستفاد طريقة البراهين ، وناظر أهل الجدل ، فتعلم القوانين ، وعرف عناصر الكلام . فكل علم يزعمه قبض يديه ، وكل جد وهزل فاليه منسوب وعنه مأخوذ . وهو مع ما اجتمع له من ذلك كله ، حبي به ، أشد صبابة بألا يكون بالأندلس محسن سواه ، ولا مجيد حاشاه ...» (258) . ولذلك نرى ابن شهيد يستعير أسلوب الجاحظ في رسالته (التربيع والتدوير) لرسم شخصية صاحبه في صورة هازئة ساخرة . وقد عمل على طمس وتشويه سمعته بكل وسيلة حتى ذهب به الأمر الى اتهامه بالزندقة والمروق . على أن ابن شهيد نفسه لم يكن يخلو من هذا العجب والاعتداد بالنفس والافتخار بمواهبه والطعن في الأتراب . وفي ذلك يقول أحد معاصريه ، وهو أبو عبد الله الحناط في رسالة عارضه بها : «.. وأخونا أبو عامر ـ سلمه الله ـ يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ، ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه أحرز قصب السبق في الآداب ، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ، يستقصر أسانيد الأدباء ، ويستجهل شيوخ العلماء ...» (259) .

على أنهما كانا قبل ذلك صديقين متصافيين ، كان ابن الافليلي معترفا بأن صاحبه أقدر من غيره على وضع الغريب في مواضعه ، والتصرف في أساليب الكلام تصرف البلغاء . وكان ابن شهيد أيضا معترفا بحبه مادحا له ، فهو القائل فيه : (من الخفيف) .

غير أني مع الوزير أبي القا
سم ضرب محض من الأضراب
التقي النقي كهلا وطفلا
فارس الجيش ، راهب المحراب (260)

ولكن شهادة كهذه لم تنفعه ، اذ ما لبث أن ألقي به محبوسا بالمطبق متهما في دينه ، في جملة أناس آخرين (261) .

---

(258) المصدر السابق ق 1 م 1 (ص 206) .
(259) الذيل والتكملة (224/6) .
(260) ديوان ابن شهيد (ص 87) . تحقيق يعقوب زكي .
(261) أنظر الذخيرة ق 1 م 1 (ص 240ـ242) .

2 - أبو بكر عبادة بن ماء السماء (262)

(ـــ 419 أو 21 أو 422 هـ)

يعتبر الشاعر عبادة بن ماء السماء التلميذ المخلص للزبيدي . فعنه وحده روى الأصول اللغوية والأدبية التي أخذها عن القالي ، وقنع بما عنده فلم يعرج على غيره من شيوخ هذا العلم .

فقد روى عنه أولا تواليفه كلها (263) بما في ذلك كتاب الواضح في النحو (264) ، وأبنية كتاب سيبويه (265) ، ولحن العامة (266) ، ومختصر العين (267) ، والمستدرك من الزيادة في البارع (268) ، ورسالة التقريظ (269) وغيرها .

وروى عن القالي بواسطة الزبيدي كذلك جميع تواليفه ، ورواياته عن شيوخه (270) ، بما في ذلك الكتاب البارع في اللغة (271) ، وكتاب حلى الانسان والخيل وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب تفسير القصائد والمعلقات ، وكتاب الابل ونتاجها (272) ، ثم قصيدته في مدح الناصر (273) .

وروى عن الزبيدي عن القالي أيضا : كتاب الأضداد لثعلب (274) ، والمفضليات (275) ، ومقصورة ابن دريد (276) وغير ذلك .

---

(262) أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة الخزرجي الأنصاري المالقي . **مصادر ترجمته :** الجذوة (ص 274) - بغية الملتمس (ص 396 (دار الكاتب) - الصلة (2/426) (الحسيني) - الذخيرة م 2 ق 1 (ص 1) - فوات الوفيات (1/425) - راية المبرزين (ص 48) - كتاب التشبيهات في مواضع مختلفة - البديع في وصف الربيع ، في مواضع مختلفة - ترشيع التوشيح (ص 113) - فن التوشيح (ص 124-173) - تاريخ الأدب الأندلسي . احسان عباس (عصر سيادة قرطبة) (ص 229) .

(263) ابن خير (ص 443) .

(264) ابن خير (ص 311) .

(265) نفسه (ص 346) .

(266) نفسه (ص 347) .

(267) نفسه (ص 350) .

(268) نفسه (ص 350) .

(269) نفسه (ص 351) .

(270) نفسه (ص 343) .

(271) نفسه (ص 354) .

(272) ابن خير (ص 355) (الكتب الأربعة) .

(273) ابن خير (ص 422) .

(274) نفس المصدر (ص 381) .

(275) نفسه (ص 390) .

(276) نفسه (ص 400) .

وقد وصلت كل هذه المرويات السابقة الى ابن خير الاشبيلي بواسطة تلميذ عبادة : أبي محمد غانم بن وليد .

فهو ـ كما نرى ـ وثيق الصلة بالقالي ومدرسته المحافظة على التراث ، ولما كان شاعرا ، بل رأس شعراء الدولة العامرية ـ كما يقول ابن شاكر الكتبي ـ فقد طعم شعره بهذه الدراسات ، ولقح أدبه بلقاح أصيل ، ولم يمنعه ذلك أن يكون مجددا له دور خطير في تطوير الموشحات ، اذ الابتكار في الجديد ، فرع من التعمق في القديم . فقد أضاف عبادة الى ما صنع الرمادي من قبل جديدا آخر في هذا الفن الشعري . قال ابن بسام في ترجمته : «.. وكان أبو بكر في ذلك العصر ، شيخ الصناعة ، وامام الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائبه مرحبا وأهلا ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود . فأقام عبادة هذا منآدها ، وقوم سبيلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس الا منه ، ولا أخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته» .

ثم يقول متحدثا عن صنيع عبادة في تطوير الموشحات : «.. ثم نشأ عبادة هذا ، فأحدث التغيير . وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان ، فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز ..» (277) . ونفهم من كلام ابن بسام هذا أن الموشح قد اكتمل على يد عبادة ، ووصل مرحلة النضج في هذا الطور ، بعد أن مر بمرحلتين سابقتين هما : مرحلة القبري وابن عبد ربه ، ومرحلة الرمادي تلميذ القالي (278) .

وقد بقيت لنا من موشحاته واحدة يظن أنها أقدم نص وصل الينا من هذا الفن الشعري الذي نشأ بالأندلس ، وهي التي يقول فيها :

حب المهـا عباده   من كل بسام الجواري
قمر يطلع   من حسن آفاق الكمال   حسنه الابداع (279)

---

(277) الذخيرة ق 1 م 2 (ص 1 و 2) .

(278) أنظر فن التوشيح لشوقي ضيف (ص 124) ـ وتاريخ الأدب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين لاحسان عباس (ص 230) .

(279) فوات الوفيات . وأما الموشحة الأخرى التي مطلعها :

من ولي   في أمة أمرا ولم يعدل
يعزل   إلألحاظ الرشا الأكحل

فمشكوك في نسبتها اليه ، لأنها تعزى لأبي عبد الله عبادة بن القزاز .

وأما شعر ابن ماء السماء التقليدي ، فيمتاز عامة بالسهولة وحسن الايقاع ، ووضوح الصور الشعرية . من ذلك قوله في مدح علي بن حمود الحسني :

أطاعتك القلوب ومن عصي ؟
وحزب الله حزبك يا علي
فكل من ادعى معك المعالي
كذوب مثل ما كذب الدعي
أبى لك أن تهاض علاك عهد
هشامي ، وجد هاشمي
وما سميت باسم أبيك الا
ليحيا بالسمي له السمي
فان قال الفخور : أبي فلان
فحسبك أن تقول : أبي النبي (280)

وهو مثال قصدنا به توضيح هذه الميزة الأساسية في شعره ، وهي الجريان مع الطبع ، والاعتماد على اللفظ المتخير ، والموسيقى العذبة في أداء الصور والمعاني ، وهو مثال شاهد في نفس الوقت على تشيعه وله على هذا التشيع أشعار وأدلة أخرى . وقد كان عبادة على صلة بآل حمود حكام قرطبة ، مادحا لهم . فقد مدح عليا المذكور ، ومدح يحيى . أما قبل ذلك فكان من شعراء الحاجب المنصور ابن أبي عامر ، وفيه يقول :

لنا حاجب حاز المعالي كلها
فأصبح في أخلاقه واحد الخلق
فلا يغترر منه الجهول ببشره
فمعظم هول الرعد في أثر البرق (281)

وفي البيت الأخير ، تأثر واضح بالطريقة الاستدلالية وضرب الأمثال ، التي يسلكها أبو تمام في شعره كثيرا . وفي الذخيرة أيضا - في مواضع مختلفة - توقفات لابن بسام عند أبيات يظهر فيها تأثر شاعرنا بالمتنبي وتقليده في معانيه (282) .

---

(280) الذخيرة ق 1 م 2 (ص 9) .
(281) نفس المصدر ق 1 م 2 (ص 7) .
(282) أنظر الصفحات 6 و 8 و 9 من الذخيرة (ق 1 م 2) على سبيل المثال .

ولعبادة في كتاب (التشبيهات) أبيات عديدة ضرب بها ابن الكتاني الأمثلة على تفوق أهل الأندلس في فن التشبيه ، كما ضرب الحميري بأبيات له في وصف الربيع وأزهاره ، الأمثلة على تفوقهم في هذا الموضوع . وقد دفعته عنايته الشديدة بالشعر والشعراء ، الى جمع كتاب في **(أخبار شعراء الأندلس)** ذكره غير واحد من مترجميه ، ووقع النقل منه في (المغرب) (283) .

3 ـ أبو سهل الحراني (284)

(حوالي 363 ـ 442 هـ)

ذكر ابن بشكوال في ترجمته ، أنه كان بصيرا بلسان العرب «حافظا للغة ، قيما بالأشعار الجاهلية ، عارفا بالعروض وأوزان الشعر وعلله» . ونقل عن تلميذه أبي مروان الطبني قوله : «.. كان بقية أهل العلم بالشعر الجاهلي والغريب وأهله» . فهو رجل مشبع بالثقافة العربية القديمة الأصيلة ، مائل اليها بطبعه وتخصصه . وقد أخذ هذا النوع من الثقافة عن عدد من تلاميذ القالي المشهورين ، منهم : أبو الحجاج يوسف بن فضالة ، وأبو عمر أحمد بن أبي الحباب ، وأبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، وأبو مروان الطوطالقي .

وروى من كتب القالي : كتاب الأمالي عن ابن أبي الحباب والطوطالقي (285) ، وكتاب (فعلت وأفعلت) (286) وكتاب (أفعل من كذا) عن ابن فضالة (287) وروى كتاب (المقصور والممدود) عن ابن أبي الحباب (288) .وأخذ عن هؤلاء الشيوخ عن القالي ـ أغلب الكتب أو كلها ـ مما أدخله الأندلس ، كأدب الكتاب ، واختيار الفصيح ، وكتاب الأمثال (289) . وكان أشهر من أخذ عنه هذه المرويات والكتب من تلاميذه ، أبو مروان بن سراج ، وأبو الحجاج الأعلم الشنتمري . وقد ذكر ابن خير في موضع واحد ، واحدا وعشرين كتابا مما رواه عنه الأول ، وفي موضع آخر سبعة كتب مما

---

(283) أنظر المغرب في (ص 115 و 125) ج 1 .

(284) أبو سهل يونس بن أحمد بن يونس بن عيسون الجذامي ، المعروف بابن الحراني القرطبي ، ترجمته في الصلة (643/2) (الحسيني) .

(285) ابن خير (ص 323) .

(286) ابن خير (ص 352) .

(287) ابن خير (ص 353) .

(288) ابن خير (ص 353) .

(289) أنظر ابن خير في الصفحات التالية : 330 ـ 334 ـ 338 ـ 340 ـ 348 ـ 364 ـ 372 ـ 389 ـ 392 ـ 393 ـ 394 ـ 397 ـ 398 ـ 399 .

رواه عنه الثاني . وقد انتهت روايات ابن سراج الى أبي علي الغساني (290) وغيره ، وانتهت روايات الأعلم الى أبي بكر بن فندلة .

4 ـ أبو غالب ابن التيـاني (291)

(ـــ الوعاة : 433 بالمرية)
(ـــ الصلة : 436 هـ)

ينتمي ابن التياني أو (ابن التيان) لمدرسة القالي ، ويتصل بها من جهة شيوخه الذين حمل عنهم الأصول القديمة . فهو راوية عن أبي بكر الزبيدي ، وأبي المطرف العروضي . كما روى عن ابن القوطية بواسطة والده غالب بن عمر (292) .

فمن الزبيدي أخذ كتابه في الأبنية سنة 376 هـ (293) وغيره . وعن العروضي أخذ المقصور والممدود للقالي كما مر بنا (294) .

وقد حصل الرجل ثقافة لغوية واسـعة ومتمكنة ، جعلته اماما من أئمة اللسان عند أهل الأندلس . وهو ممن وقع الافتخار بهم عند ابن حزم وأبي الوليد الشقندي في رسـالتيهما . وقال ابن حيـان : «.. وكان أبو غالب هذا مقدما في علم اللسان أجمعـه ، مسلمة له اللغة ، شـارعا مع ذلك في أفانين من المعرفة» (295) . وقال الحميدي في ترجمته : «.. كان اماما في اللغة ، ثقة في ايرادها» . وجعله المنصور العامري من جملة ندمائه» (296) .

وقد سبق الكلام على معجمه اللغوي (الموعب) (297) الذي رواه بالأندلس أبو

---

(290) أنظر ابن خير (ص 397-399) .

(291) أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني المرسي (انتقل الى مرسية من قرطبة) .
مصادر ترجمته الجذوة (ص 172) ـ الصلة (1/122) (الحسيني) ـ بغية الملتمس (ص 252 ـ (دار الكـاتب) ـ ابن خيـر (ص 359-360) ـ المغرب (1/166) ـ معجم الأدباء (7/135) ـ الوفيات (1/300) ـ الوعاة (ص 209) ـ رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (ص 15) ـ رسالة الشقندي (ص 32 ـ المزهر (1/88-89) ـ كشف الظنون (1/431 ـ وص 1444) ـ بغية الوعاة (ص 209) .

(292) ترجمته في الصلة (2/431) (الحسيني) .

(293) ابن خير (ص 346) .

(294) أنظر ترجمة العروضي في هذا البحث ضمن رجال الطبقة الأولى .

(295) الصلة (1/122) (الحسيني) .

(296) الذخيرة ق 4 م 1 (ص 11) .

(297) أنظر الدراسة الخاصة بالبارع في هذا البحث .

بكر المصحفي عن أبي عبد الله بن مضاء النحوي عن مؤلفه (298) . وكان أبو عبد الله المذكور تلميذا لأبي غالب ، وعنه أخذ كتاب الأبنية للزبيدي كذلك (299) .

5 ـ أبو عمر يوسف بن خيرون (300)

كان ابن خيرون من الرواة الأعلام لكتب الأصول اللغوية بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري ، ويعود اليه الفضل في اذاعة كل ما ألفه القالي وما أدخله للأندلس من الأخبار والمرويات ، حتى انتهت جميعها الى ابن خير الاشبيلي عن طريق النفزي عن غانم بن وليد عن ابن خيرون .

وكان اعتماده في هذه المرويات على رجلين شهيرين من تلاميذ أبي علي هما : صاحب الشرطة أبو القاسم أحمد بن أبان ، وأبو نصر هارون بن موسى .

فقد أخذ عن الأول جميع مؤلفات القالي (301) ، وخاصة منها البارع (302) ، والأمالي (303) ، والفهرسة (304) ، ثم لحن العامة للسجستاني تبويبه (305) . وأخذ عنه مما أدخله أبو علي للأندلس من الأصول : روايته لاصلاح المنطق (306) ، واختيار الفصيح (307) ، والتذكير والتأنيث لابن الأنباري (308) ، والمقصور والممدود له (309) ، والجمهرة لابن دريد (310) وغير ذلك .

وقد ذكر ابن خير في موضع واحد ، أنه أخذ عن أحمد بن أبان عشرين كتابا من الأخبار التي جلبها أبو علي (311) . وفي موضع آخر خمسة كتب للسجستاني (312) ،

---

(298) ابن خير (ص 359) .
(299) نفس المصدر (ص 346) .
(300) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي . ترجمته في الوعاة (ص 422) ـ الجذوة (ص 346) ـ الصلة (677/2) . طبعة الدار المصرية 1966 م .
(301) فهرسة عياض (ص 25) . مخطوط الرباط .
(302) ابن خير (ص 354) .
(303) فهرسة عياض (ص 25) . وفهرسة التجيبي الورقة 54 .
(304) ابن خير (ص 334) .
(305) ابن خير (ص 348) .
(306) ابن خير (ص 332) .
(307) ابن خير (ص 336) .
(308) نفسه (ص 348) .
(309) نفسه (ص 354) .
(310) نفسه (ص 349) .
(311) ابن خير (ص 398 ـ 399) .
(312) ابن خير (ص 361) .

وتسعة عشر كتابا لأبي زيد ، بالاضافة الى نوادره (313) ، وأربعة عشر كتابا للأصمعي (314) ، وسبعة كتب لابن السكيت (315) ، وغيرها كثير .

أما هارون بن موسى ، فقد روى عنه هو الآخر ، ولكن بنسبة أقل مما رواه عن ابن أبان (316) .

وبعبارة أخرى فان ابن خيرون ، لم يترك شيئا من آثار القالي وأخباره وأصوله التي جلبها معه ، الا رواه وحمله وحدث به .

6 – أبو محمد عبد الله بن الأسلمي (أو الأسلمية) (317)

(ـــ بعد 420 هـ)

قال ابن الأبار في ترجمته : «.. وكان صاحب رواية وعناية ، أحد المتفننين في العلوم ، المتقدمين في معرفة لسان العرب والاحاطة به ، المشار اليهم بالكمال ، مع النزاهة والاعتدال ..» .

وقد كان من جملة شيوخه في العربية أحمد بن أبان بن سيد ، الذي روى عنه نوادر اللحياني عن القالي (318) ، ثم أخوه محمد بن أبان بن سيد الذي أكثر الرواية عنه ، اذ بواسطته أخذ أغلب ما رواه القالي بالأندلس ، ككتاب الأجناس لأبي نصر أحمد بن حاتم (غلام الأصمعي) (319) ، وكتاب الفرق لثابت (320) ، وكتابي الخيل والنقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة (321) ، والمفضليات (322) ، وأراجيز العجاج وابنه رؤبة (323) بالاضافة الى سبعة كتب لابن السكيت (324) وغيرها .

---

(313) ابن خير (ص 372) .
(314) ابن خير (ص 375) .
(315) ابن خير (ص 382) . وأنظر هذه الصفحات : 322 – 356 – 366 – 384 – 392 – 393 .
(316) أنظر ابن خير في الصفحات : 306 – 309 – 311 – 312 – 314 – 354 – 386 .
(317) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى بن وليد النحوي يعرف بابن الأسلمي أو ابن الأسلمية ، أصله من مدينة الفرج . ترجمته في التكملة (794/2) الترجمة رقم 1944 (الحسيني) – الصلة (253/1) (الحسيني) – الوعاة (ص 289) .
(318) ابن خير (ص 379) .
(319) ابن خير (ص 381) .
(320) ابن خير (ص 382) .
(321) ابن خير (ص 383) .
(322) ابن خير (ص 390) .
(323) ابن خير (ص 392) .
(324) ابن خير (ص 382) .

وأرجح أنه روى أيضا عن الزبيدي اذ نجد له اعتناء خاصا بكتابه (الواضح في النحو) ، فقد شرع في شرحه فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل اكماله ـ كما سبق ذكره في ترجمة الزبيدي ـ ومما يدخل في دائرة اهتمامه بالعربية وعلومها ، ما ذكره ابن بشكوال من أن لابن الأسلمية كلاما على أصول النحو . وقد رووا أيضا أنه كان يدرس كتاب سيبويه فيختمه في كل خمسة عشر يوما .

وله بالاضافة الى هذا الجانب مشاركة في الفقه والحديث والتفسير ، ترك فيها جملة مؤلفات منها : (تفقيه الطالبين) و (الارشاد الى اصابة الصواب) في الأشربة ، الخ ...

7 ـ أبو الحسن الأصبحي (325)

(ـــ 430 هـ)

وهو تلميذ لأصحاب القالي الثلاثة : أبي القاسم أحمد بن أبان ، وأبي القاسم خلف بن سليمان بن غمرون المعروف (بنفيل) ، وأحمد بن أبي الحباب . وتلميذ للغوي آخر في الدولة العامرية ، وهو صاعد البغدادي ، ثم لأبي محمد الأصيلي وغيرهم . وله كتاب مشهور لم يصل الينا ، وهو كتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) ، ومن تلاميذه أبو بكر المصحفي .

8 ـ أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (326)

روى عن القالي بواسطة أبي أيوب سليمان بن غمرون . ومما أخذه عنه تسعة عشر كتابا من كتب أبي زيد (327) رواها عنه أبو علي الغساني .

وقد ذكروا أنه عاش في المئة الخامسة زمن المعتمد بن عباد .

9 ـ أبو الوليد هشام بن محمد المصحفي (328)

كان تلميذا لعدد من اللغويين والأدباء مثل : أبي محمد الأصيلي ، وصاعد

---

(325) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين الأصبحي القرطبي القنسري ، أصله من قنسرين من جند الشام .
مصادر ترجمته : الجذوة (ص 290) ـ الصلة (412/2) ، (الدار المصرية) ـ التكملة (193/3) الترجمة رقم 2269 ، بلنسيا ـ الذيل والتكملة س 5 ق 1 (ص 316) .

(326) ترجمته في المغرب (165/1) .

(327) ابن خير (ص 371) .

(328) أبو الوليد هشام بن محمد بن هشام القيسي القرطبي المعروف بابن المصحفي . ترجمته في الصلة (648/2) ، (الدار المصرية) .

البغدادي . وأما أساتذته من جهة القالي فكثيرون منهم : أبو أيوب بن غمرون ، الذي روى عنه كتاب المثلث لقطرب وغيره (329) ، وأبو مروان الطوطالقي الذي كان مما أخذه عنه كتابه المسمى باختلاف لغات العرب (330) ، وحبيب بن أحمد الشطجيري الذي أخذ عنه شعر ابن المعتز وترسيله (331) ، وأبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري الذي أخذ عنه كتاب عقلاء المجانين للدولابي (332) بالاضافة الى ما أخذه عن أبي القاسم بن العريف (333) ، وأبي الوليد بن الفرضي (334) .

ومن أشهر الرواة عنه ولده أبو بكر المصحفي .

10 ـ أبو مروان بن حيان (335)
(377 ـ 469 هـ)

صاحب لواء التاريخ بالأندلس . فقد اشتهر بكتابيه (المقتبس) (336) و (المتين) . وكان مع هذا الجانب التاريخي ذا صلة وثيقة باللغة والأدب ، اذ روى عن أبي عمر أحمد بن أبي الحباب كثيرا من الأصول اللغوية منها : كتاب الأمالي للقالي الذي أخذه عنه أبو علي الغساني (337) ، وكتاب الألفاظ (338) ، واصلاح المنطق (339) ، والغريب المصنف (340) ، والأمثال لأبي عبيد (341) وهذه الكتب الثلاثة مما رواه عنه أبو عبيد البكري .

وكان ابن حيان أيضا تلميذا لصاعد البغدادي الذي أخذ عنه كتاب

---

(329) ابن خير (ص 362) .
(330) ابن خير (ص 365) .
(331) ابن خير (ص 404) .
(332) ابن خير (ص 408) .
(333) ابن خير (ص 403) .
(334) ابن خير (ص 407) .
(335) أبو مروان بن حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي . ترجمته في الصلة (1/153) ـ (الدار المصرية) ـ الوفيات (2/218) .
(336) طبعت من المقتبس بعض القطع منها واحدة نشرها المستشرق الاسباني ملشور أنطونيا بباريس سنة 1937 م . وأخرى بتحقيق الأستاذ عبد الرحمان على الحجي سنة 1965 م بلبنان ، وثالثة بتحقيق الدكتور محمود علي مكي بالقاهرة سنة 1971 م .
(337) فهرسة التجيبي ، الورقة 54 .
(338) ابن خير (ص 329) .
(339) ابن خير (ص 332) .
(340) برنامج شيوخ الرعيني (ص 96) .
(341) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص 4) .

(الفصوص) (342) ، ويعتقد الدكتور محمود علي مكي أن مخطوطتي هذا الكتاب الموجودتين في المغرب اليوم كلتيهما من رواية أبي مروان (343) .

وأما أشهر تلاميذه فهم أبو عبيد البكري ، وأبو مروان بن سراج ، وأبو علي الغساني ، وابنه أبو عمر بن حيان .

وهناك جماعة أخرى من الطبقة الثانية ، أقل شهرة وأثرا من هؤلاء ، ونذكر منهم على سبيل المثال :

11 ــ أبا المطرف بن غلبون (344)

(ت 443 هـ)

قال ابن الأبار في ترجمته : «.. وكان من أهل العلم بالعربية واللغة والآداب والأخبار ، قائما على كتاب سيبويه ، وأقرأ ذلك طول اقامته ببلنسية» . وهو من تلاميذ أبي عمر أحمد بن أبي الحباب ، وعنه روى كتاب النوادر للقالي .

12 ــ وأبا عبد الله بن الحذاء (345)

(ت 416 هـ)

تلميذ الزبيدي .

13 ــ والوزير أبا عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة (346)

(ت 416 هـ)

تلميذ الزبيدي وأبي عثمان القزاز وغيرهما .

14 ــ وأبا تمام غالب بن عبد الله بن عامل القيسي المعروف بالقطيني الميورقي ثم الداني

تلميذ حبيب بن أحمد الشطجيري الذي أجاز له مروياته عن القالي وقاسم بن أصبغ ، كما روى عن صاعد البغدادي في صقلية ، ومنها رحل الى الشرق (347) .

---

(342) ابن خير (ص 326) ــ ومعجم الصدفي (ص 19) .

(343) مقدمة المقتبس بقلم محققه الدكتور محمود علي مكي (ص 47) ــ والمخطوطتان المغربيتان احداهما في القرويين وتحمل رقم خ 587/40 . والثانية بالرباط تحت رقم 1668 ك (الخزانة العامة) .

(344) أبو المطرف عبد الرحمان بن غلبون القرطبي ثم البلنسي . ترجمته في التكملة (548/2) (كوديرا) ــ الترجمة رقم 1548 .

(345) الديباج (ص 272) ــ معجم الأدباء (108/19) .

(346) ابن خير (ص 353 ــ 345 ــ 347) . وأنظر الصلة (153/1) (الحسيني) .

(347) الذيل والتكملة ق 2 س 5 (ص 517) .

15 ـ والأديب أبا بكر مسلم بن أحمد بن أفلح
(376 – 433 هـ)

تلميذ أحمد بن أبي الحباب . أخذ عنه مرويات شيخه القالي ، مثل الملاحن لابن دريد (348) ، وخلق الانسان لثابت (349) ، وشعر الحطيئة (350) . وقد ترجم له صاحب الصلة (351) .

16 ـ وأبا عمر القرموني
(المتوفى بعد سنة 395 هـ)

تلميذ أبي نصر هارون بن موسى . قرأ عليه النوادر لأبي علي (352) .

17 ـ وأبا خالد هاشم بن محمد التراس (353)

من تلاميذ أبي بكر محمد بن الحسين الفهري ، وأبي بكر الزبيدي . وتوفي سنة 423 هـ .

18 ـ وأبا مروان جعفر بن أحمد المعروف بابن الغاسلة الاشبيلي
(ت 438 هـ)

وهو من تلاميذ الزبيدي كذلك (354) .

19 ـ والفقيه أبا عمر أحمد بن محمد الطلمنكي القرطبي (355)
(المتوفى سنة 429 هـ)

وهو من تلاميذ الزبيدي ، وعباس بن أصبغ ، وأبي نصر بن جندل . ومن تلاميذه المشهورين علي بن اسماعيل بن سيدة اللغوي ، وابن حزم ، وأبو عمر بن الحذاء .

---

(348) ابن خير (ص 366) .
(349) ابن خير (ص 363) .
(350) ابن خير (ص 392) .
(351) الصلة (626/2) (الدار المصرية) .
(352) التكملة (184/3) الترجمة رقم 2245 (بلنسيا) .
(353) الصلة (658/2) (الدار المصرية) ـ والذيل والتكملة (175/6) .
(354) الصلة (127/1) (الحسيني) ـ معجم الأدباء (152/7) .
(355) ترجمته في ترتيب المدارك (749/4) ـ الديباج (ص 69) ـ تذكرة الحفاظ (1098/3) ـ الصلة (48/1) (الحسيني) .

20 ـ وأبا محمد بن حزم (علي بن أحمد بن سعيد) (356)
(المتوفى سنة 456 هـ أو 457 هـ)

وهو الامام الفقيه ، صـاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والشرائع . وكان مما رواه عن القالي كتاباه (النوادر) و (فعلت وأفعلت) . وأخذهما عنه بواسطة أستاذه أبي محمد عبد الله بن ربيع بن بنوش (357) .

وكان لأبي محمد بن حزم ديوان شعر جمعه تلميذه الحميدي ، ورتبه على حروف المعجم .

---

(356) ترجمته في بغية الملتمس (ص 415) ـ تذكرة الحفاظ (1146/3) ـ الوفيات (325/3) ـ الذخيرة ق 1 م 1 (ص 140) ـ المغرب (354/1) ـ معجم الأدباء (235/12) وغيرها .

(357) ابن خير (ص 334 ـ 352) .

الدائـرة الثالثـة

وهي تمثل الجيل الثالث ممن عاش في القرن الخامس وروى عن القالي وتأثر به بواسطة الطبقة الثانية . وسنقتصر في حديثنا عنها على أشهر الأعلام .

فمن رجال هذه الدائرة :

1 ـ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأونبي (358)

(ـــ 487 هـ)

وهو ظاهرة فريدة المثـال في القرن الخامس الهجري بالأندلس ، خدم التراث اللغوي والأدبي على العموم خدمات جلى ، رواية وتأليفا ودراسة ونقدا ، وخدم القالي ومدرسته على الخصوص بما تركه من شروح ونقود وتعليقات . وقد كان من الممكن أن نحرم من عطاء أبي عبيـد وخدماته العلمية ، لو لم تجر الأقدار بتقويض امارة والده التي كانت بغرب الأندلس على يد بني عبـاد ، فاضطر هذا الوالد بعدها الى حمل أسرته لقرطبة ، حيث نشأ أبو عبيـد وهو لا يفكر في غيـر الرياسـة العلمية والصولجان الأدبي ، بعد أن وجد من سـعة العيش ووفرة الرزق ما يثنيـه عن أي شـغل . واذا كان قد عمل فيما بعد ، في وزارة ابن صمادح صـاحب المرية ، أو

(358) **مصادر ترجمته** : الوعاة (ص 885) ـ الصلة (277/1) (الحسيني) ـ قلائد العقيان (ص 191) ـ مطمح الأنفس (ص 143) (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ـ الذخيرة لابن بسام القسم الثاني (ص 98) (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) رقم 1324 د) ـ المغرب (347/1) ـ عيون الانبـاء في طبقـات الأطبـاء (ص 500) ـ فريدة القصر (475/3) ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الأول (ص 274) ـ الأمثال العربية القديمة (ص 131) . وأنظر ما كتبه الأستاذ عبد العزيز الميمني في مقدمة (سمط اللآلىء) ، ودائرة المعارف الاسلامية (88/4) .

السـفارة لدى المعتمد بن عبـاد ، فان ذلك لم يكن مانعـا دون اشـتغاله بالدرس والتأليف .

وقد تحدد اتجاهه الثقافي منذ اتصاله بشيوخه ، الذين كان أبرزهم أبو العباس أحمد بن عمر العـذري (393–478 هـ) ثم أبو مروان بن حيـان المؤرخ ، الذى روى بالخصوص عن أحمد بن أبي الحباب ، ثم أبو بكر المصحفي ، الذي أخذ عن والده هشـام ، عن كثير من تلاميـذ القالي كالطوطالقي ، والشـطجيري ، وأبي أيوب بن غمرون .

وروايته عن الشـيخين الأخيرين ، لم تكن الا وسـيلة واحدة للاتصـال بالقالي ومدرسـته ، والا فهو رجل طويل الباع ، توفر على قدرة عظيمـة في جمع الأصول الخطيـة العتيقـة ، مما رواه أبو علي أو ألفه أو أقرأه أو وضع عليه تعليقـاته وتصحيحاته . واستفاد من ذلك كله في شروحه وتنبيهاته على (الأمالي) وغيرها من كتب اللغة .

وقد وصل الينا ثبت بطـائفة من كتبه ، بعضهـا موجود مطبوعا ، أو مخطوطا وبعضها الآخر مما يظن أنه مفقود .

وهذه الكتب هي :

1 – **كتاب اللآلىء في شرح أمالي القالي** . وقد مر ذكره عند دراسـتنا لكتـاب الأمالي (359) .

2 – **التنبيه على أوهام القالي في أماليه** . وقد مر أيضا (360) .

3 – **معجم ما اسـتعجم من أسـماء البـلاد والمواضع** . مر ذكره في دراسـة البارع (361) .

4 – **كتـاب صلة المفصول في شرح أبيـات الغريب المصنف** . ذكره ابن خيـر (ص 343) . ويعتبر الغريب المصنف مما رواه أبو عبيد عن شـيخه أبي مروان بن حيان عن ابن أبي الحباب عن القالي عن شيوخه (362) .

5 – **كتاب النبات** . ذكره ابن خير (ص 377) وسماه ابن أبي أصيبعة في طبقاته (أعيان النبات والشجريات الأندلسية) (363) ، وقال أن البكري عالم فاضل في معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها .

---

(359) أنظر الدراسة الخاصة بالأمالي في القسم الثاني من هذا البحث .

(360) نفسه .

(361) أنظر الدراسة الخاصة بالبارع في القسم الثاني من هذا البحث .

(362) برنامج شيوخ الرعيني (ص 96) .

(363) عيون الانباء في طبقات الأطباء (ص 500) .

6 ـ **كتاب تهذيب المؤتلف والمختلف لمحمد بن حبيب** . ذكره ابن خير (ص 219) وهو في أسماء القبائل . ويظن أن البكري استفاد منه في (معجم ما استعجم) .

7 ـ **كتاب اشتقاق الأسماء** . ذكره السيوطي في (بغية الوعاة) (364) .

8 ـ **كتاب التنبيه على أغلاط الرواة** . واختص بذكره ـ فيما أعلم ـ الأستاذ أحمد أمين من المحدثين (365) دون الاحالة على المصدر .

9 ـ **شفاء عليل العربية** (كذا بالعين المهملة) ، وذكره حاجي خليفة (1050/2) .

10 ـ **كتاب الاحصاء لطبقات الشعراء** . وذكره البكري نفسه في اللآلىء (366) .

11 ـ **تعليقات على كتاب الكامل للمبرد** . مخطوط بخزانة الزاوية الحمزاوية ، تحت رقم (189) ومنه نسخة مصورة على الشريط بخزانة الرباط العامة (رقم 179) ، والموجود منه ورقات لا تعدو الاحدى عشرة ، مضمومة الى طرر الوقشي والبطليوسي على الكامل .

وطريقته فيه أن يورد نص أبي العباس المبرد ، ثم يعلق عليه بما يفسر لغوياته ، أو يصوب أخطاءه ، أو ينبه على اختلاف الروايات في شعر أو كلمة ، أو يورد ترجمة قصيرة لعلم من الأعلام ، مقتبسا في ذلك كله من كلام اللغويين الكبار . وفيه نجد نقولا كثيرة عن القالي (367) ، وصاعد البغدادي ، وأبي بكر الزبيدي ، والنضر بن شميل ، والمبرد نفسه في المقتضب ، وكتاب التعازي ، وصاحب العين ، وأبي عبيد في الغريب المصنف ، وابن الأعرابي الخ ... كما اعتمد في تعليقاته على ثلاث روايات للكامل كان يرمز لها بالحروف (ج) و (ح) و (ف) ولعل الحرف (ح) يرمز عنده لأحمد بن أبي الحباب تلميذ القالي ، فقد أشار الى روايته مرات عديدة عند مقارنتها بروايات أخرى ، كأن يقول : «ورواية ابن أبي الحباب عندي أظهر» (368) ، أو يقول : «وهي رواية ابن أبي الحباب وعليه أكثر الكتاب» (369) .

12 ـ **كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام** (370) . وكان البكري قد روى كتاب الأمثال عن أبي مروان بن حيان عن أحمد بن أبي الحباب عن القالي ، حسب ما تقدم في ترجمة ابن حيان (371) .

---

(364) بغية الوعاة (ص 285) .

(365) ظهر الاسلام (90/3) .

(366) سمط اللآلىء (231/1) .

(367) أنظر مثلا الصفحات 6 ـ 9 ـ 12 ـ 13 ـ 18 .

(368) الصفحة 19 ، الورقة 10 .

(369) الصفحة 18 ، الورقة 19 .

(370) وقد طبعه محققا بالخرطوم سنة 1958 م الأستاذان الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين . ثم أعادا طبعه بلبنان سنة 1971 م .

(371) أنظر رجال الطبقة الثانية من تلاميذ القالي في هذا البحث .

وقد وصف البكري عمله في هذا الكتاب فقال : «.. أما بعد ، فاني تصفحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، فرأيته قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال فجاء بها مهملة ، وأعرض أيضا عن ذكر كثير من أخبارها فأوردها مرسلة . فذكرت من تلك المعاني ما أشكل ، ووصلت من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل ، وبينت ما أهمل ، ونبهت على ما ربما أجمل ، الى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها ، وأمثال جمة غير مذكورة ذكرتها ، وألفاظ عدة من الغريب فسرتها ، وعلى الله قصد السبيل» (372) .

ومن هذا النص نرى أن البكري اتبع نفس الطريقة التي سلكها في شرح أمالي القالي . فهو يفسر وينبه على ما أهمل ، ويصل الأمثال بأخبارها وينسب ما لم ينسب ، ويضيف الى ما ذكر ما لم يذكر .

وفيه نجد نقولا كثيرة عن القالي ، خاصة من كتاب (البارع) ، ومن الأمالي ، والمقصور والممدود . وقد أشير الى ذلك في مواضعه من هذا البحث (373) . واستفاد البكري في شرحه بالاضافة الى كتب القالي ، من كتب الأمثال الشهيرة ، ككتاب أبي عبيدة ، والأصمعي ، وحمزة الأصبهاني ، وابن السكيت وغيرهم .

13 ـ **كتاب التدريب** . ذكره العبدري في (الرحلة المغربية) ونقل منه (ص 20) (374) .

14 ـ **كتاب أعلام نبوة نبينا** ، صلى الله عليه وسلم ، ذكره السيوطي في الوعاة ، وصاحب الصلة في ترجمة البكري ، والبغدادي في هدية العارفين (ص 1/453) .

15 ـ **كتاب المسالك والممالك** . طبع منه قسم بعنوان (كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) ، وقسم ثان خاص بالروس والصقلب (375) .

ولعل البكري استفاد فيه من أحد أساتذته الجغرافيين ، وهو أحمد بن عمر العذري صاحب كتاب (نظام المرجان في المسالك والممالك) (376) . كما استفاد في الجانب التاريخي من أستاذه المؤرخ الشهير أبي مروان بن حيان .

ويعتبر البكري بكتابيه (المسالك) و (المعجم) من كبار الجغرافيين العرب . على أن اهتمامه الجغرافي لم يتخذ طابعا مستقلا ، بل كانت هذه الجغرافية تخضع عنده

---

(372) مقدمة الكتاب .

(373) أنظر الفصول الخاصة بدراسة هذه الكتب .

(374) أنظر مقدمة (سمط اللآلىء) ص (ل) .

(375) طبع القسم الأول المستشرق ده سلان De Slane) سنة 1857 م ، وطبع الثاني كونيك (Kunik) وفون روزن (Von Rosen)بسطرسبوج سنة 1878 م . (أنظر دائرة المعارف الاسلامية 4/49ـ50) .

(376) تاريخ الادب الجغرافي العربي (**274/1**) .

ـ كما يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ـ لميوله الأدبية واللغوية (377) .

وأخيرا فأننا عرفنا البكرى من خلال هذه المصنفات العديدة ، رجلا لغويا لم يؤلف في غير اللغة سوى كتب قليلة ، واهتم في أكثر هذه المؤلفات بشرح أمهات الكتب والتعقيب عليها ، وفي بعضها اتبع طريقة المعاجم المتخصصة ، فوضع معجما في مواضع الجزيرة العربية مما ورد في الشعر والنثر والحديث والأخبار والتواريخ والآثار ، ومعجما آخر لأسماء النباتات والشجريات الأندلسية ، كما تتبع أغلاط الرواة ، وأحصى طبقات الشعراء وعقب على العلماء . وهو عندي يمثل اتجاها خاصا في نقد المؤلفات والكتب اللغوية . على أنه في هذا وذاك لا يعدو أن يكون ثمرة ناضجة من غرس القالي وتلاميذه .

2 ـ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري النحوي المعروف بالأعلم (378)

(410 ـ 476 هـ)

وهذا علم آخر من الجيل الثالث ، عاصر البكري وعاش في القرن الخامس . ينسب الى شنتمرية الغرب ، ورحل منها الى قرطبة ، فتتلمذ لأبي القاسم ابن الافليلي ، وأبي سهل الحراني ، وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب (ابن أفلح) وهم ثلاثة من كبار رجال الطبقة الثانية . قال ابن بشكوال في وصف منزلته العلمية واتجاهه الثقافي : «.. وكان عالما باللغات والعربية ومعاني الأشعار ، حافظا لجميعها ، كثير العناية بها ، حسن الضبط لها ، مشهورا بمعرفتها واتقانها . أخذ الناس عنه كثيرا ، وكانت الرحلة في وقته اليه» (379) .

فممن أخذ عنه من المشاهير : أبو بكر محمد بن فندلة ، وأبو علي الغساني ، وأبو الحسين سليمان بن محمد المعروف بابن الطراوة (ت 528 هـ) ، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمان المعروف بابن الأخضر الاشبيلي (ت 514 هـ) ، وأبو بكر محمد ابن عمار الشاعر (ت 479 هـ) .

وأما ما رواه عن أساتذته الثلاثة ، مما يتصل بسنده بالقالي ، فأغلبه كان عن أبي سهل الحراني وحده ، ككتاب الألفاظ (380) ، واصلاح المنطق (381) ، وكتاب

---

(377) نفس المصدر (من ص 274 الى ص 279) ج 1 .

(378) مصادر ترجمته في الوعاة (ص 422) ـ الصلة (643/2) (الحسيني) ـ البيان المغرب (284/3) ـ الوفيات (81/7) ـ معجم الأدباء (60/20) ـ نكت الهميان (ص 313) .

(379) الصلة (643/2) (الحسيني) .

(380) ابن خير (ص 330) .

(381) ابن خير (ص 333) .

الأمثال لأبي عبيد (382) ، وشعر طفيل الغنوي (383) ، والأشعار الستة الجاهلية التي شرحها (384) ، وشعر عمرو بن أحمد الباهلي (385) ، وجملة أخرى من الأشعار الجاهلية (386) .

وروى عن ابن الافليلي خاصة ، شعر أبي تمام الذي شرحه فيما بعد (387) وعنه أخذ كتابي الزبيدي (الأبنية) (388) ولحن العامة (389) وغيرهما . أما نوادر القالي ، فقد رواها الأعلم عن ابن الافليلي وأبي سهل الحراني معا (390) ، كما روى عنهما مشتركين (اختيار الفصيح) (391) .

وروى أيضا عن أبي سهل ، وأبي بكر مسلم بن أحمد شعر الحطيئة . (392) على أن هناك من الكتب التي يتصل سندها بالقالي ، واشترك الشيوخ الثلاثة في تلقينها للأعلم ، كما هو الشأن في أدب الكتاب لابن قتيبة (393) . وهناك كتب أخرى رواها في سند لا يتصل بالقالي ، كالكامل للمبرد (394) وكتاب سيبويه (395) . وان كان شيوخه فيها من رجال الطبقة الثانية .

فهذه صورة مما حصله الأعلم من ثقافة أصيلة واسعة ، عن الجيل الثاني من مدرسة القالي ، فيها اللغة والنحو والأدب والأمثال والأخبار ، مما سيكون له أثر ملموس في مؤلفاته وانتاجه .

وقد كان نتاج هذه الشخصية عظيما أيضا ، ومتناسبا مع مقدار حفظه وروايته ، اذ ترك ثروة من المصنفات والرسائل اللغوية والأدبية والنحوية ، شارك بها في اثراء الحياة العقلية للقرن الخامس الهجري بالأندلس ، وامتد صيته الى المشرق ، لأن جل مؤلفاته ودراساته كانت حول الثقافة المشرقية الداخلة الى الأندلس على يد القالي

---

(382) ابن خير (ص 340) .
(383) ابن خير (ص 380) .
(384) ابن خير (ص 393) .
(385) ابن خير (ص 394) .
(386) ابن خير (ص 398) .
(387) ابن خير (ص 402) .
(388) ابن خير (ص 346) .
(389) ابن خير (ص 347) .
(390) ابن خير (ص 324) .
(391) ابن خير (ص 358) .
(392) ابن خير (ص 392) .
(393) ابن خير (ص 333) .
(394) ابن خير (ص 321) .
(395) ابن خير (ص 305) .

وغيره . وكان مقصودا في حلقات العلم ، تشد اليه رحال أفواج الطلاب ، وتلتمس اجازاته وقراءاته ، فساهم بذلك كله في ترويج بضاعة القالي وتراث مدرسته ، بل أقام بعض دراساته وشروحه على كتب رواها عن السند المتصل بالقالي ، كالشرح الموضوع على الأشعار الستة وشعر أبي تمام .

وهذه جملة ما يعرف من كتاباته :

فمن الشروح :

1 ـ **شرح الأشعار الستة الجاهلية** (396) وكان الأعلم ـ فيما ذكر ابن خير بفهرسته (ص 389) ـ قد روى هذه الأشعار الستة الجاهلية التي شرحها ، عن أبي سهل الحراني الذي رواها بدوره عن شيوخه الثلاثة : أبي مروان الطوطالقي ، وأبي يوسف بن فضالة ، وابن أبي الحباب ، الذين أخذوها جميعا عن القالي . ولم يذكر ابن خير للقالي الا رواية واحدة لهذه الأشعار تنتهي الى الأصمعي (ص 389) . ويفهم من كلامه أيضا في هذه الصفحة ، وفي (ص 398) من الفهرسة ، أن الأعلم انما قام بشرح رواية القالي عن شيوخه عن الأصمعي . غير أن الحقيقة أن الأعلم كان يضيف أحيانا لهذه الرواية ، رواية أخرى للقالي عن شيوخه عن الطوسي وابن الأعرابي وغيرهما ، كما فعل في أشعار علقمة الفحل (397) ومنه نصل الى حقيقة ذات شأن ، وهي أن القالي لم يكتف في هذه الأشعار برواية واحدة هي رواية الأصمعي ، بل كانت له منها روايات أخرى كرواية الطوسي وابن الأعرابي .

وقد أوضح الأعلم في مقدمة مجموع دواوين الشعراء الستة ، غرضه من تأليفه ، ووصف خطة عمله وخصائص شرحه فقال :

«.. رأيت أن أجمع من أشعار العرب ديوانا يعين على التصرف في جملة المنظوم والمنثور ، وأن أقتصر فيها على القليل ، اذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض ، متجانس المعاني والألفاظ . وأن أوثر بذلك من الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله ، وآثر الناس استعماله على غيره . وجعلت الديوان متضمنا لشعر امرىء القيس بن حجر الكندي ، وشعر النابغة زياد بن عمرو الذبياني ، وشعر علقمة بن عبدة التميمي ، وشعر زهير بن أبي سلمى المزني ، وشعر طرفة بن العبد البكري ، وشعر عنترة بن

(396) توجد من ديوان الأشعار الستة الآن ، مخطوطات عديدة في العالم ، ومنها المخطوطة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط رقم 1726 ك . وقد طبع الديوان مجزءا مرات متعددة في أوروبا والقاهرة والجزائر وغيرها ، وطبع مجموعا سنة 1870 م بلندن بعناية (آلورد) (أنظر بروكلمان 1/88) . ثم طبع بتعليقات مصطفي السقا ، ثم بشرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، ثم بشرح عبد المنعم خفاجي .

(397) أنظر (ص 100) من ديوان علقمة الفحل ، بتحقيق لطفي الصقال وزميله ، طبعة حلب سنة 1969 م .

شداد العبسي . واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح وأوضح طريقتها ، وهي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي لتواطؤ الناس عليها واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها . واتبعت ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره ، وشرحت جميع ذلك شرحا يقتضي تفسير غريبه وتبيين معانيه وما غمض من اعرابه . ولم أطل في ذلك اطالة تخل بالفائدة وتمل الملتمس للحقيقة» (398) .

ويجب أن نفهم من عنوان الكتاب أن المقصود (بالأشـعار الستة) هو الدواوين الستة للشعراء المذكورين في النص السابق . فالكتاب اذن شرح لستة دواوين لستة شعراء جاهليين .

كما يجب أن لا نفهم من قوله : انه جمع من شعر العرب ديوانا الخ .. أن الأعلم قد أحصى شعراء الجاهلية جميعا فانتخب منهم ستة ، ثم أخذ لهؤلاء الستة أشعارا تخيرها من عيون ما نظموا ، بل أنه لم يزد على أن قام بشرح الأشعار التي انتخبها القدامى ، ووصلت اليه مروية عن طريق القالي ، اذ كانت معروفة عندهم ومتداولة ، وهم الذين اختاروا هؤلاء الستة وجعلوهم في المرتبة الأولى من التفوق والشهرة ، وفضلوهم على غيرهم كما يقول بروكلمان (399) وكل ما له من فضل بالاضافة الى الشرح ، أنه لم يعتمد على رواية واحدة ، بل أضاف اليها أحيانا أشعارا من روايات أخرى لنفس الشعراء .

وقد أشار الأعلم في المقدمة أيضـا الى شروح سابقة له ، موضوعة على تلك الاختيـارات ، وصفها بأنهـا كانت تهتم بايراد الروايات الكثيرة ، والتوقيف على الاختـلافات ، والتقصي للغـريب من المعـاني والألفاظ حتى خرجت عن الغرض المقصود . ووصف فضل شرحه بأنه يميل الى الاختصار والتركيز وتحديد العبارات ، والتدقيق في التفسير .

وأهم هذه الشروح التي عرفها الأندلسيون ـ قبل أبي الحجاج ـ للشعر الجاهلي ومعلقاته (شرح ابن النحاس) للمعلقات التسع (400) ، ثم (تفسير القصائد والمعلقات) للقالي . ويظن أنه استفاد من شرح أبي علي على الأخص ، رغم أنه لا يشير لذلك .

وقد تداول الناس بعده هذا الشرح في الأندلس ، بل لقد غطت شهرته على شرح القالي الذي لم يهتم به الناس اهتمامهم بشرح الشنتمري . وقد رواه عن أبي الحجاج ضمن سائر مؤلفاته أبو بكر بن فندلة (401) . ورواه القاضي عياض عن شيخه أبي

(398) مخطوط الرباط رقم 1726 ك .
(399) تاريخ الأدب العربي (87/1) .
(400) ابن خير (ص 366) .
(401) ابن خير (ص 447) .

الحسن بن الأخضر تلميذ الأعلم ضمن مؤلفاته (402) أيضا . كما نجد في القرن السادس رواية لهذا الشرح يذكرها أبو القاسم محمد بن علي المعروف بابن البراق (ت 596 هـ) عن شيخه أبي بكر بن رزق ضمن ما رواه من كتب اللغة (403) .

على أن عملية الشرح لديوان الشعراء الستة لم تنته بموت الأعلم ، بل أننا نجد لأبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي البلوي المتوفى سنة 494 هـ ، شرحا آخر للديوان نفسه (404) . وقد جعل عاصم أيضا رواية الأصمعي أصلا معتمدا ، وألفه لابن الأفطس صاحب بطليوس المتوفى سنة 487 هـ ، واستفاد فيه من العلماء السابقين له ولا سيما القالي (405) .

وذكر ابن الجزري في غاية النهاية (138/2) شرحا آخر للديوان ، منسوبا لأبي بكر الاشبيلي (محمد بن خلف بن صاف) المتوفى سنة 585 هـ .

كما وضع بعده أبو الحسن بن خروف الحضرمي (609 هـ) شرحا رابعا نقل فيه عن سابقيه (406) .

وذكر حاجي خليفة شرحا خامسا لابن عصفور (علي بن موسى) النحوي المتوفى سنة 669 هـ (407) .

2 ـ **شرح الحماسة** . ذكره غير واحد من مترجميه ، كابن خلكان في الوفيات ، وابن عذاري في البيان المغرب وسماه ابن خير (شرح أشعار الحماسة) (408) . رواه عنه ابن فندلة . ورواه القاضي عياض بواسطة أبي الحسن بن الأخضر (409) . وقيل انه شرح مطول رتبت أبوابه على حروف المعجم .

3 ـ **شرح كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي** . ذكره صاحب معجم الأدباء ، وابن خلكان ، في الوفيات ، وبروكلمان (174/2) وغيرهم .

4 ـ **شرح أبيات الجمل** . ذكره ياقوت في معجم الأدباء ، وابن خلكان في الوفيات . في ترجمة الأعلم .

---

(402) فهرسة عياض (ص 104) ، مخطوط الرباط .
(403) الذيل والتكملة (463/6) .
(404) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1314 د . وانظر ابن خير (ص 389) ، وترجمة عاصم بن أيوب في الوعاة (ص 274) .
(405) أنظر الفصل الذي كتبه رضوان الداية حول هذا الشرح في كتابه (تاريخ النقد الأدبي بالأندلس) (ص 137) بالخصوص .
(406) توجد منه نسخة خطية بالرباط تحت رقم 923 د . وقد ذكره بروكلمان (88/1) تحت رقم آخر .
(407) كشف الظنون (1041/2) .
(408) ابن خير (ص 388) .
(409) فهرسة القاضي عياض (ص 104) .

5 ـ **شرح كتاب سيبويه** . وقد روى الأعلم (الكتاب) عن الافليلي ، وأبي سهل الحراني ، وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب (ابن أفلح) الذين ينتهي سندهم في روايته الى أبي عبد الله الرباحي (410) . ثم قام بتدريسه لطلابه ، فأخذته عنه جماعة منها : أبو الحسن بن الأخضر (411) وابن الطراوة (412) . ثم شرحه بعد ذلك شرحا سماه ابن خير بكتاب (النكت في كتاب سيبويه) (413) .

6 ـ **شرح أبيات سيبويه** . وهو شرح للشواهد ، مطبوع بهامش الكتاب (طبعة بولاق الأميرية سنة 1316 هـ) بعنوان (تحصيل عين الذهب ، من معدن جوهر الأدب ، في علم مجازات العرب) ، وسماه ابن خير (كتاب عيون الزهد في شرح أبيات كتاب سيبويه (414) .

7 ـ **شرح لشعر حبيب** . (أبي تمام الطائي) ذكره عياض في فهرسته مرويا عن شيخه ابن الأخضر (415) ، ونقل ذلك عنه السيوطي في الوعاة عند ترجمته لأبي الحسن بن الأخضر (416) . ولا شك أن الأعلم استفاد من رواية القالي لهذا الشعر الذي أخذه عنه ابن الافليلي بواسطة أحمد بن أبان (417) .

ومن كتب الأعلم النحوية واللغوية الأخرى :

8 ـ **كتاب المخترع في النحو** .

9 ـ **وكتاب المسألة الرشيدية** التي رد عليها ابن خروف بعده برسالة أخرى (418) .

10 ـ **وجزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب** .

11 ـ **والمسألة الزنبورية** .

وذكر هذه الأربعة جميعا ، ابن خير في فهرسته (ص 315) وهي عبارة عن رسائل صغيرة ، كان يتحاور فيها مع معاصريه في مسائل لغوية ونحوية .

12 ـ **وجزء فيه معرفة حروف المعجم** . ذكره ابن خير (ص 422) .

13 ـ **جزء فيه مختصر الأنواء** . ذكره ابن خير (ص 315) و (ص 422) .

---

(410) ابن خير (ص 305) .
(411) بغية الملتمس (ص 59) .
(412) الذيل والتكملة (79/4) .
(413) ابن خير (ص 314) .
(414) نفس المصدر والموضع .
(415) فهرسة عياض (ص 104) .
(416) الوعاة (ص 345) .
(417) أنظر ابن خير (ص 400) .
(418) الذيل والتكملة (320/5) القسم الأول . وقد ذكر ابن خير اسم الكتاب على هذا النحو : (كتاب المسلة الرشيد) (ص 315) ، والتصحيح من الذيل والتكملة .

14 ـ وقد سبقت الاشارة عند ترجمة ابن الافليلي ، الى أن الأعلم ساعد شيخه المذكور في شرحه لديوان أبي الطيب المتنبي ، على نحو ما ذكر ياقوت وابن خلكان (419) . ويعتقد (بلاشير) اعتمادا على مصادره ، أن للأعلم دراسة ما حول المتنبي كانت معروفة بالأندلس ، ولقيت شهرة كبيرة ثم فقدت اليوم (420) .

15 ـ وأخيرا ذكر له ابن خير (421) **فهرسة** ، رواها عنه عياض بواسطة شيخه تلميذ الأعلم أبي الحسن بن الأخضر (422) .

ومما تقدم يتبين لنا الى أي حد أسهم أبو الحجاج الأعلم الشنتمري ، في اغناء الثقافة الأندلسية بواسع علمه وغزير اطلاعه ورواياته التي استقاها من القالي وتلاميذته . وكلما توسعنا في دراسة هذه الشخصية ازددنا يقينا بعمق تأثره بهذه المدرسة ومناخها الفكري . ولعله من نافلة القول بعد هذا ، أن يكون الأعلم قد أسهم بلا شك في تكييف الذوق الأدبي ، وتلوين ثقافة عصره ، بلون الدراسات الشرقية القديمة والأصيلة .

3 ـ أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي (423)

(398 ـ 458 هـ)

وهو من أكبر لغويي الأندلس في القرن الخامس . أخذ بمرسية التي ينسب اليها ، عن والده اسماعيل (424) تلميذ الزبيدي وأحد الآخذين عنه مختصره لكتاب العين ، وعن أبي عمر الطلمنكي تلميذ عباس بن أصبغ والزبيدي تلميذي القالي . وهناك حكاية مشهورة عن اللقاء الأول الذي تم بمرسية بين ابن سيدة الفتى الضرير وهذا الشيخ الذي أعجب به عندما عرف أنه يحفظ الغريب المصنف . وقد أخذ بقرطبة عن صاعد بن الحسن البغدادي كثيرا من مروياته عن أساتذته المشارقة ،

---

(419) معجم الأدباء (20/ص 60ـ61) ـ والوفيات (7/81) .

(420) أنظر (ص 296) من كتابه (شاعر من القرن الرابع الهجري ، أبو الطيب المتنبي) بالفرنسية ، باريس سنة 1935 م .

(421) صفحة 432 .

(422) فهرسة عياض (ص 131) ، مخطوط الرباط .

(423) **مصادر ترجمته** : النفح (4/182) ـ الوعاة (ص 327) ـ الجذوة (ص 293) ـ بغية الملتمس (ص 418) ـ الصلة (2/396) (الحسيني) ـ الديباج (ص 204) ـ المغرب (2/259) ـ طبقات الأمم (ص 119) ـ نكت الهميان (ص 240) ـ رسالة ابن حزم (ص 16) ـ معجم الأدباء (12/231) ـ وفيات الأعيان (3/330) ـ المطمح (ص 148) ، مخطوط الرباط (الخزانة الملكية) ـ المخصص لابن سيدة ، دراسة ودليل محمد الطالبي . وقد كتب المستشرق الاسباني (داريو كابانيلاس) دراسة حول ابن سيدة ، طبعت بغرناطة سنة 1966 م تحت عنوان (ابن سيدة المرسي حياته وآثاره) ، وترجمها الزميل حسن الوراكلي .

(424) ترجمته في الوعاة (ص 196) ـ وأنباه الرواة (1/199) ـ والصلة (1/105) (الحسيني) .

كأبي سعيد السيرافي . ومما رواه عنه فيما يذكر بأرجوزته كتاب (الصفات والأسماء) ، و (الغريب المصنف) ، و (الاصلاح) ، و (الألفاظ) وغيرها . كما اطلع بواسطته على علوم ابن فارس ، وابن جني ، والرماني . وفي (دانيــة) حيث أقام طويلا ، أخذ عن أحد قرائها المشهورين وهو أبو عمرو الداني المتوفى سنة 444 هـ ، كتاب سيبويه . كما يظن أنه استفاد منه في معرفة علم القراءات .

وقد ألف ابن سيدة أثناء اقامته الطويلة بدانية في كنف أميريها الموفق مجاهد العامري ، وابنه اقبال الدولة ، مصنفات كثيرة في علوم اللغة والأدب .

ومن مؤلفاته :

1 ـ **المحكم** . وهو معجم لغوي احتذى فيه طريقة العين . وقد سبق الحديث عنه عند الكلام على بارع القالي (425) .

2 ـ **المخصص** . وهو معجم آخر على طريقة الغريب المصنف سبق الحديث عنه كذلك في نفس الموضع (426) .

3 ـ **كتاب شاذ اللغة** . ذكر ياقوت أنه في خمسة مجلدات .

4 ـ **العالم والمتعلم على المسألة والجواب** . ذكره ياقوت ، وابن حزم في رسالة فضل الأندلس (ص 16) .

5 ـ **كتاب التذكير والتأنيث** .

6 ـ **كتاب في المقصور والممدود** .

وهذان الكتابان لم تتأكد نسبتهما اليه ، وذكرناهما اعتمادا على ما قد يفهم من اشارة واردة بمقدمة كتابه (المحكم) (ص 14) نبه اليها محققا المعجم المذكور .

7 ـ **كتاب الوافي في أحكام القوافي** . ذكره غير واحد من مترجميه .

8 ـ وقد ورد في ترجمة ابن سيدة عند ابن فرحون كتاب آخر باسم **(المختصر)** هكذا دون تعيين .

ومن شروح ابن سيدة اللغوية والأدبية :

9 ـ **شرح أبيات الجمل** .

10 ـ **كتاب الأنيق في شرح الحماسة لأبي تمام** .

11 ـ **كتاب العويص في شرح اصلاح المنطق** .

وقد ذكر هذه الثلاثة ابن خير في فهرسته (ص 356) كما ذكرها غيره .

---

(425) أنظر الفصل الرابع من الباب الأول من القسم الثاني .

(426) نفسه .

12 ـ **شرح كتاب الأخفش في النحو** . ذكره السيوطي ، وياقوت وهو أيضا مما ينسب لأبن سيد تلميذ القالي .

13 ـ **شرح مشكل شعر المتنبي** . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية (427) . ولا شك أنه استفاد فيه من شرح ابن الافليلي المذكور سابقا في ترجمته .

14 ـ وله بعد ذلك **كتاب في علم المنطق** ، أشار اليه صاعد الأندلسي في طبقاته فقال : «.. وألف تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس» .

وأما كتاب (العالم في اللغة) أو (السماء والعالم) المنسوب اليه أحيانا ، فقد سبق رأينا فيه (428) .

وقد كان ابن سيدة بالاضافة الى هذه الثقافة اللغوية الواسعة ـ التي يقول عنها في مقدمة المحكم انها أقل بضاعته ، وأيسر صناعته ـ شاعرا رصينا على طريقة القدماء «متأثرا بدراساته اللغوية والأدبية القديمة . وقد صرف أغلب هذا الشعر في مدائحه لمجاهد العامري وابنه علي بن مجاهد الذي يقول فيه :

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى
سبيل ، فان الأمن في ذاك واليمنا

وقد أكثر فيها من ترجيه واستعطافه .

ومن أشهر أشعاره أرجوزته التي رتبها حسب حروف المعجم ، وضمنها ذكر شيوخه وعلومه التي تلقاها ، وشكواه من أهله وأقاربه ومعاصريه من العلماء ، كما انتقد فيها ذوي الحكم والسلطان ، فيظن لذلك أنها كانت سببا من أسباب فراره مغضوبا عليه من لدن اقبال الدولة . ولم تكن أرجوزة ابن سيدة فريدة نوعها ، وانما هي تقليد لسلسلة من القصائد التي كان العرب ينظمونها على طريقة (ما اسمك يا أخا العرب) . وقد عارضها أحد الأندلسيين بقصيدة أخرى على شاكلتها وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حريق المخزومي أحد أدباء القرن السابع الهجري (429) .

وقد تجلى لنا الآن ، كيف كان ابن سيدة في الأندلس عمادا من أعمدة التراث اللغوي والأدبي ، واقعا في الجيل الثالث من تلاميذ القالي علما شامخا ، مواصلا جهد السابقين له في بناء المدرسة المعجمية التي ثبت القالي دعائمها بالأندلس ،

---

(427) بروكلمان (89/2) . وأنظر الفصل الذي كتبه حوله ، رضوان الداية بكتابه (تاريخ النقد الأدبي بالأندلس) (ص 163) .

(428) أنظر الدراسة الخاصة بالبارع .

(429) أنظر الذيل والتكملة (276/5) القسم الأول .

ومتابعا خط الدراسات الشاقة التي كان معاصروه أو بعضهم ، لا يجدون القدرة على تناولها .

4 ـ الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج (430)
(400 هـ ـ 489 هـ)

كان ابن سراج في عصره أصمعي الأندلس ، وحافظ قرطبة ، في علوم العربية وآدابها . قال ابن بسام : «.. ثم نشأ هذا الشيخ أبو مروان فيهم ، محيي رسوم علم اللسان بجزيرة الأندلس ، ومقيم أوده ، ومسدد زيفه ، ومثقف معوج قناته ، وموضح معضله ، ومجتلي غياهب مشكله ، وجامع مفترق أدواته ، وحاوي قصب السبق في احراز بعيد غاياته ، وتجاوز أقصى نهاياته ، وأعلم به من كل من شدت اليه الأقتاب ، وأنضيت في طلب ما عنده الركاب ..» .

ولقد كان أبو مروان شديد الصلة بمدرسة القالي وآثارها العلمية ، آخذا عن كبار تلاميذها ، حتى انتهت اليه كتب أبي علي وجميع مروياته وقراطيسه ، عن طريق عصابة مشهورة في رجال الطبقة الثانية ، منهم : **أبو القاسم بن الافليلي** ، وأبو سهل الحراني ، وأبو مروان بن حيان ، ثم عن طريق والده ، وأبي محمد مكي ابن أبي طالب ، وجماعة دونهم .

فمما رواه من مؤلفات القالي : كتاب النوادر عن طريق ابن الافليلي والحراني (431) ، ثم كتاب فعلت وأفعلت (432) ، وأفعل من كذا (433) ، والمقصور والممدود (434) عن طريق الحراني خاصة . وهو شيخ روى عنه بالاضافة الى ذلك ، عددا كبيرا مما أدخله أبو علي الى الأندلس ، كاصلاح المنطق لابن السكيت (435) ، والتذكير والتأنيث للسجستاني (436) ، وأشعار هذيل (437) ، وشعر

---

(430) **مصادر ترجمته** : الوعاة (ص 312) ـ أنباه الرواة (2/207) ـ الصلة (1/366) ـ (الحسيني) قلائد العقيان (ص 190) ـ الديباج المذهب (ص 157) ـ المغرب (1/115) ـ خريدة القصر (3/474) ـ المطمح (ص 242) (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ـ فهرس الفهارس للكتاني (2/362) ـ الذخيرة لابن بسام ق 1 م 2 (ص 307ـ318) .

(431) فهرسة التجيبي ، الورقة 54 الظهر . وابن خير (ص 323) .

(432) ابن خير (ص 352) .

(433) نفسه (ص 353) .

(434) نفسه (ص 353) .

(435) نفسه (ص 230) .

(436) نفسه (ص 348) .

(437) نفسه (ص 389) .

طفيل الغنوي ، والباهلي (438) . ويذكر ابن خير في موضع واحد ، مجموعة فيها واحد وعشرون كتابا مما رواه عن الحراني ، وليس فيها سوى الأشعار والدواوين (439) . وفي موضع ثان يذكر سبعة كتب رواها أبو علي الغساني عن شيخه ابن سراج عن شيوخه المذكورين في سند ينتهي الى القالي ، وكلها من الأشعار الجاهلية والاسلامية (440) .

وقد كان ابن الافليلي هو الشيخ الثاني الذي ينافس أبا سهل الحراني في كثرة ما رواه عنه ابن سراج . فعنه أخذ الغريب المصنف (441) ، وكتاب الألفاظ (442) ، وأدب الكتاب (443) ، وفائت الفصيح للمطرز (444) ، وفعلت وأفعلت للزجاج (445) ، وخلق الانسان لثابت (446) ، ونوادر ابن الأعرابي (447) ، وكتاب الميسر لابن قتيبة (448) ، ونوادر أبي زياد الكلابي (449) ، وديوان الأشعار المفضليات بتفسير الأخفش (450) ، وغيرها من الأشعار ، كشعر ذي الرمة (451) ، وأعشى بكر (452) ، وأبي تمام الطائي (453) . وينتهي سند هذه المرويات جميعا الى أبي علي القالي .

وهناك سلسلة أخرى من الكتب رواها عن ابن الافليلي عن طريق القالي (454) ، بالاضافة الى مؤلفات الزبيدي كلحن العامة ، والمختصر ، والأبنية ، وأخرى لابن العريف وغيرهما .

---

(438) نفسه (ص 397) .
(439) ابن خير (ص 397) .
(440) ابن خير (ص 397) .
(441) ابن خير (ص 327) .
(442) ابن خير (ص 329) .
(443) ابن خير (ص 334) وأخذه أيضا عن أبي سهل الحراني اجازة .
(444) ابن خير (ص 339) .
(445) ابن خير (ص 352) .
(446) ابن خير (ص 364) .
(447) ابن خير (ص 372) .
(448) ابن خير (ص 378) .
(449) ابن خير (ص 380) .
(450) ابن خير (ص 390) .
(451) ابن خير (ص 391) .
(452) ابن خير (ص 392) .
(453) ابن خير (ص 402) .
(454) أنظر ابن خير في الصفحات 59 ـ 60 ـ 64 ـ 186 ـ 187 ـ 239 ـ 320 ـ 321 ـ 326 ـ 339 ـ 345 ـ 346 ـ 403 .

ومما رواه عن أبي مروان بن حيان (كتاب الفصوص) لصاعد بن الحسن البغدادي (455) . وعن أبي محمد مكي بن أبي طالب كثير من مؤلفاته في القراءات ، وجملة كتب حول الدراسات القرآنية (456) .

وغير هذا كثير ، يصعب استقصاؤه وتتبعه . وذلك هو ما يفسر حقيقة العبارات المليئة بالثناء والاعجاب والتقدير ، مما كان معاصروه ومترجموه ، يمنحونه اياها في سخاء كبير . فهو عندهم بالأندلس ، سادن الأشعار والدواوين ، وحافظ الأصول والروايات ، وقيد اللغة وآدابها . بالاضافة الى الجانب الاسلامي من ثقافته الذي يشمل الفقه والحديث والدراسات القرآنية . وهو الذي أقام لنفسه منبرا للتدريس والتعليم بقرطبة ، فكثرت حوله أفواج الواردين والطلاب من الأندلسيين والغرباء . وقد كان من هؤلاء الغرباء ، رجل بغدادي يسمى أبا الحسن المبارك بن سعيد الأسدي المعروف بابن الخشاب ، قدم الى الأندلس تاجرا سنة 483 هـ ، فسمع بقرطبة من أبي مروان كتاب النوادر لأبي علي ، كما سمع بها وبغيرها من المدن ، من شيوخ الأندلس ، ثم قفل راجعا الى بغداد حيث توفى بعد سنة 490 هـ (457) . فهذه كتب القالي اذن تحمل الى الشرق ، بل تعود الى بغداد بالذات ، موطن أبي علي ومنشئه ومرباه ويكون الفضل في ذلك لابن سراج وزملائه .

ونقل السيوطي عن (الريحانة) في وصف ابن سراج فقال أنه : «.. عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر عاما لا يعرف سواه . ثم درس الجمهرة فاستظهرها واستدرك الأوهام على المؤلفين ، وطال عمره مع البحث والتنقير ، وكان يقول : طريحتي في كل يوم سبعون ورقة» (458) .

فما هي هذه المؤلفات التي انكب الرجل على شرحها أو دراستها والاستدراك عليها ؟ ذلك ما نجد الجواب عنه في نص آخر لابن بسام ، يقول فيه عن أبي مروان ابن سراج : «.. أحيا كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة ، التي أحالتها الرواة الذين لم تكمل لهم الأداة ، ولا استجمعت لديهم تلك المعارف والآلات . واستدرك فيها أشياء من سقط واضعيها ووهم مؤلفيها ، **ككتاب البارع لأبي علي البغدادي** ، وشرح غريب الحديث للخطابي ، وقاسم بن ثابت السرقسطي ، وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لأبي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب ، مما لم يحضرني ذكره ،

---

(455) معجم أصحاب الصدفي (ص 19) .

(456) ابن خير في الصفحات 41 ـ 43 ـ 44 ـ 65 ـ 67 ـ 68 .

(457) الصلة (599/2) (الحسيني) . وقد تقدم ذكر هذا عند دراسة الأمالي من هذا البحث .

(458) الوعاة (ص 312) .

ولم يمكن حصره . اذ كانت قبل فتحها عليه واصلاحها بين يديه ، طامسة الأعلام ، مختلة النظام ، وقد سد التصحيف طرقها ، وعور التبديل نسقها ، ففتح مستغلقها ، ونظم مفترقها ، وعانى خللها ، وأزاح عللها ، وقيد مهملها» (459) .

فهذه جملة كتب لغوية وأدبية ، شـمر ابن سراج عن ساعده لشرحهـا ، وأقام نفسه للاسـتدراك عليها ، ونقد أخطائها وأوهامها ، وتصويب تحريفهـا وتبديلها ، واحيائهـا بعد طمسـها ، وشغل نفسه كغيـره من رجال هذه الطبقة ، بكتب القالي ومروياته .

ولو أردنا عد تلاميذ ابن سراج المتخرجين على يديه في هذا الاتجـاه الثقافي وحده ، لما قدرنا لكثرتهم . ويكفي دليلا على الفراغ الذي أوجده في محيط العلم والعلماء والطلاب بالأندلس ، كثرة ما رثي به من الشعر الذي بكاه به أكبر مريديه وتلامذته ، جمعه أبو الوليد ابن طريف مع أشعاره في كتاب ، ونقل منه ابن بسام في ذخيرته كثيرا من المقطعات . وهي جميعا تدور حول هذا المعنى الذي تضمنته أبيات أبي بكر بن خازم في رثائه :

أبعـد أبـي مروان تبصر عالمـا
نبيهـا لأنواع العلـوم مجمعـا ؟
اذا ما احتبى في مجلس العلم أنصتوا
لـه ، فأتى بالمعجـزات ، فأبدعـا
وما كان الا الغيث عـم بنفعـه الـ
أنام ، فلما عم بالري أقلعـا (460)

وكان أشهر هؤلاء التلاميذ أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي الذي روى عنه فهرسته (461) وجميع مؤلفاته التي لا نعرف عنها شيئا سوى ما سبق ذكره (462) . وعن طريق جعفر بن مكي المـذكور ، أخذ ابن خير الاشـبيلي في القرن السادس تواليف ابن سراج وروایاته ، وهو أحد الذين رثوه بقصائدهم (463) .

---

(459) الذخيرة ، القسم 1 م 2 (ص 309) .
(460) الذخيرة (ص 311) ق 1 م 2 .
(461) فهرس الفهارس للكتاني (362/2) ، وابن خير (ص 432) .
(462) روى ابن خير جميع تواليف ابن سراج ولكن دون تفصيل لأسمائها (أنظر ص 449) .

5 ـ أبو محمد الأديب غانم بن وليد المخزومي المالقي (464)
(ــ 470 هـ)

وهو أحد الرواة الكبار الذين انتهت اليهم آثار هذه المدرسة وعلومها ، عن غير واحد من رجالات الطبقة الثانية ، وأشهرهم أبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي ، وأبو سليمان داوود بن خالد الخولاني (465) تلميذ أحمد بن أبان ، وأبو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر ، وأبو علي منصور بن أفلح تلميذ أبي عثمان القزاز .

وهكذا فقد أخذ جميع تواليف القالي ورواياته عن شيوخه (466) عن عبادة المذكور ، بما في ذلك الكتاب البارع (467) ، والقصيدة التي مدح بها الناصر (468) . وأما (الأمالي) و (الفهرسة) فقد أخذهما عن ابن خيرون (469) .

وأخذ غانم من المرويات والكتب التي أدخلها أبو علي الى الأندلس ، أدب الكتاب ، واختيار الفصيح ، ولحن العامة للسجستاني ، وفعلت وأفعلت للزجاج ، والمقصور لابن الأنباري ، وكثيرا من كتب ابن دريد وحوالي عشرين كتابا من مؤلفات أبي زيد الأنصاري ، وأربعة عشر كتابا للأصمعي ، وسبعة لابن السكيت ، وغيرها من كتب ثابت ، وأبي عبيدة ، والتوزي . ثم ما يليها من الأشعار والدواوين ، مما تدلنا عليه فهرسة ابن خير (470) .

وروى غانم من كتب ومؤلفات تلاميذ القالي كتاب الراضح ، ولحن العامة ، والأبنية ، ومختصر العين ، والمستدرك على العين ، ورسالة التقريظ ، لأبي بكر الزبيدي ، مع جميع تواليفه الأخرى (471) .

---

(463) ترجمة جعفر بن مكي في الصلة (129/1) (الحسيني) .

(464) ترجمته في الجذوة (ص 306) ـ أنباه الرواة (389/2) ـ الوعاة (ص 371) ـ الصلة (433/2) (الحسيني) ـ الذخيرة (ص 345) ق 1 م 2 ـ معجم الأدباء (167/16) ـ اليتيمة (58/2) ـ المغرب (317/1) ـ النفح (368/4) ـ المطمح (ص 149) (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .

(465) الصلة (181/1) (الحسيني) .

(466) ابن خير (ص 443) . وأنظر أيضا (ص 355) .

(467) ابن خير (ص 354) ، وأخذه كذلك عن ابن خيرون .

(468) ابن خير (ص 422) .

(469) فهرسة التجيبي ، الورقة 54 الظهر ـ وفهرسة ابن خير (ص 434) .

(470) أنظر ابن خير في الصفحات التالية : 314 ـ 334 ـ 336 ـ 348 ـ 353 ـ 354 ـ 356 ـ 361 ـ 366 ـ 371 ـ 372 ـ 375 ـ 381 ـ 382 ـ 384 ـ 390 ـ 391 ـ 392 ـ 393 .

(471) ابن خير في الصفحات 311 ـ 346 ـ 347 ـ 350 ـ 351 ـ 443 ـ وفهرسة التجيبي في الورقة 54 الوجه .

كمـا روى لأبي نصر هارون بن موسى كتـــابه المســمى : (عيـون الكتـاب والنكت) (472) .

على أن هناك سلسلة أخرى من الكتب والمؤلفات رواها غانم عن تلاميذ القالي ، ولكن في أسانيد تنتهي الى أبي عبد الله الرباحي الأندلسي ، وأبي علي الفارسي ، وأبي جعفر النحاس ، وابن ولاد ، وغيرهم من رجالات اللغة في القرن الرابع (473) وهي مع ذلك ضئيلة جدا بالقياس الى ما انتهى اليه من علوم القالي وتراث مدرسته .

ولعله لهذه القدرة النادرة على الحفظ والرواية والاعتنـاء بهذه العلـوم ، كان أهل الأندلس يعظمونه . قال ابن عات في (الريحانة) : انهم كانوا «.. يعدون الأدباء في ذلك الوقت ثلاثة : أبو مروان بن سراج بقرطبة ، والأعلم باشبيلية ، وغانم هذا بمالقة . ولكن زاد غانم عليهما بالفقه والحديث والطب والكلام» (474) .

فقد رأينا اذن أنه وثيق الصلة بالقالي ، فلم يقتصر على ما ألفه ، بل أضاف اليه ما رواه وأدخله ، ولم يكتف بذلك حتى زاد عليه مؤلفات وروايات تلاميـذه . فكان بحق علما شامخا من أعلام المدرسة في رجالات هذا الجيل الثالث .

وهو الى علمه ، شاعر أديب ، صرف أغلب قصائده في مدح الأدارسة بمالقة ، وعلى رأسهم ادريس بن يحيى بن علي بن حمود الملقب بالعالي بالله . ومن مدائحه فيه قصيدته التي مطلعها :

ضحك الزمان اليـك بعد عبـــوس

ونفي دجى الايحاش بالتأنيس (475)

وقد كان جليسه وشاعره ، وأحد المنتفعين بصلاته وعطاياه . كما كان من شعراء بلقين بن باديس ومادحيه . فهو الذي يقول في قصيدة رثاه بها :

وقد كنت أغدو نحو قصرك مادحـــا

فهـا أنا أشـدو حول قبرك ثاكـــل

وقد كنت في مدحيك سحبان وائـــل

فها أنا من فرط التأسف باقـل (476)

---

(472) ابن خير (ص 311) .

(473) ابن خير في الصفحات التالية حسب الترتيب 306 – 309 – 310 – 311 – 312 – 314 – 322 – 354 – 385 – 386 .

(474) الوعاة (ص 371) .

(475) الذخيرة (ص 354) ق 1 م 2 .

(476) الذخيرة ق 1 م 2 (ص 360) .

وقد أورد له ابن بسام قطعا وقصائد أخرى في المدح وغيره من الأغراض ، في فصل طويل من الذخيرة خصصه لذكر أخبــاره وحميد آثاره ، وشذرات من منظومه ومنثوره . وكان أبو علي الحصري القيرواني أحد المعجبين بغــانم ، وله في مدحه والثناء عليه فقرات وأبيات مأثورة (477) .

وأما مؤلفاته فلا نعرف منها شيئا سوى (فهرسة) له ذكرها ابن خير (ص 427) .

وأشــهر تلاميذه أبو عبد الله محمد بن سليمــان النفزي (478) شــيخ ابن خير الاشبيلي والقاضي عياض ومجموعة من أعلام القرن السادس ، واليه يرجع الفضل في حفظ علوم وروايات شيخه وخاله غانم بن وليد .

6 ـ أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (479)

(396 ـ 456 أو 457 هـ)

يتصل أبو مروان الطبني بمدرسة القالي عن طريق عدد من الشــيوخ الجلة ، الذين منهم : أبو المطرف القنازعي ، وأبو القاسم بن الافليلي ، وأبو محمد بن حزم ، وأبو سهل الحراني ، وأحمد بن عبد الله بن بدر (480) تلميذ بن أبي الحباب ، ووالده أبو مضر العالم باللغة والأشــعار ، وأبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة تلميذ الزبيدي ، الى جماعة أخرى يطول ذكرها . وكان أبو مروان كثير الحفظ والرواية ، وكثير الرحلة والأشعار بالأندلس وصقلية والقيروان ومصر والحجاز ، فلقي عددا لا يحصى من الشيوخ ، ثم عاد الى قرطبة ليعتلي منابر الاملاء بعد أن أصبح اماما في اللغة والشعر . ومن الكتب التي انتهت اليه عن طريق القالي ، كتاب فعلت وأفعلت للزجاج (481) ، والملاحن لابن دريد (482) ، وأدب الكتــاب لابن قتيبة (483) . وقد كانت له عناية خاصة بكتب الزبيدي التي روى منها : كتاب الأبنية ، ولحن العامة ، ومختصر العين (484) .

---

(477) أنظر في ذلك الذخيرة ، القسم 4 م 1 (ص 196) .

(478) ترجمته في النفح (367/4) . (وقال أنه شرح كتــاب النبــات لأبي حنيفة الدينوري) ـ والوعاة (ص 47) ـ وفهرسة عياض (ص 24) . وقد توفي سنة 525 هـ .

(479) ترجمته في النفح (252/3) ـ الوعاة (ص 312) ـ الجذوة (ص 265) ـ بغية الملتمس (ص 378 (دار الكاتب) ـ الصلة (343/1) (الحسيني) ـ الذخيرة ق 1 م 2 (ص 52) ـ المغرب (92/1) . وذكر ابن خير (ص 405) أنه توفى سنة 455 هـ .

(480) ترجمته في الصلة (45/1) (الحسيني) وهو مولى الحكم المستنصر .

(481) ابن خير (ص 353) .

(482) ابن خير (ص 366) .

(483) فهرسة عياض (ص 101) ، مخطوط الرباط .

(484) ابن خير (ص 345-346) ، وفهرسة التجيبي الورقة 54 الوجه .

ويروي عنه تلميذه أبو علي الغساني بيتين من الشعر يذكر فيهما كتاب العين للخليل ، وبغلة له سماها (النعامة) فيقول فيهما :

حسبي كتاب العين علق مضنة
ومن "النعامة" لا أريد بديلا
هذي تقرب كل بعد شاسع
و "العين" يهدي للعقول عقولا (485)

مما يدل على ولع خاص بهذا الكتاب الذي كان له شأن عند هذه المدرسة .

على أن أبا مروان أخذ كثيرا من علومه عن الشيوخ المذكورين سابقا في اللغة والأدب ، ولكن بأسانيد أخرى لا تتصل بالقالي .

7 ـ أبو عبد الله محمد بن يونس الحجاري (486)

(ـــ 462 أو 463 هـ)

روى عن القالي كثيرا من كتب اللغة والأدب بواسطة أبي محمد عبد الله بن الأسلمية عن محمد بن أبان ، منها نوادر اللحياني (487) ، وكتاب الأجناس لأبي نصر (غلام الأصمعي) (488) ، وسبعة كتب لابن السكيت (489) ، وكتاب الفرق لثابت (490) ، وكتاب الخيل لأبي عبيدة (491) ، والنقائض (492) ، والمفضليات (493) ، وأراجيز العجاج وابنه رؤبة (494) .

ومما يشهد لعنايته باللغة ، وتأثره بمدرسة القالي من جانب آخر ، كتابه الذي سماه (المبرز في اللغة) (495) وقد أخذه عنه تلميذه اللغوي الشهير أبو بكر عاصم ابن أيوب البلوي شارح الأشعار الستة ، وأبو محمد بن السيد البطليوسي بواسطة أخيه أبي الحسن علي بن محمد (496) .

---

(485) أنظر ترجمة الطبني في الصلة .
(486) ترجمته في الصلة (547/2) (الدار المصرية) .
(487) ابن خير (ص 379) .
(488) ابن خير (ص 381) .
(489) ابن خير (ص 382) .
(490) ابن خير (ص 382) .
(491) ابن خير (ص 383) .
(492) ابن خير (ص 383) .
(493) ابن خير (ص 390) .
(494) ابن خير (ص 392) .
(495) ابن خير (ص 357) . وسبق الحديث عنه .
(496) نفس المصدر والموضع .

وهناك بعد هؤلاء المشـــاهير من رجال الطبقة الثالثة ، جمـــاعة كثيرة العدد ، ولكنها أقل شهرة وتأثرا بخصائص المدرسة ، وأدنى اهتماما باللغة والأدب ، رواية وحفظـــا وتدريســـا وتأليفا . اذ نجد لها جوانب أخرى من الاختصاصات تغلب على ثقافتها وانتاجها .

ومن هذه الجماعة نذكر على سبيل المثال :

1 ـ أبا علي الحسن بن محمد الغساني (497)

(توفي سنة 498 هـ)

كان عالما في الحديث ، وله تصرف في النحو والغريب والأدب والشعر . ومما رواه من كتب القالي عن أبي مروان بن حيان كتاب الأمالي (498) . وقد روى أيضا عن عدد من رجال طبقته كالطبني ، وأبي مروان بن سراج .

2 ـ أبا بكر محمد بن هشام المصحفي (499)

(393 ـ 481 هـ)

روى عن أبيه ، وأبي الحسن الأصبحي المذكورين في الطبقة الثانية ، وغيرهما من كبار أهل اللغة والأدب مثل صاعد البغدادي ، وأبي الفتوح الجرجاني .

وقد أخذ عن والده هشام بن المصحفي شعر ابن المعتز وترسيله (500) ، وأدب الكتاب (501) وسواهما مما يؤول سنده للقالي . كما روى بواسطته كتاب (اختلاف لغات العرب) للطوطالقي (502) وهو أحد رجال الطبقة الأولى المشهورين .

3 ـ أبا محمد عبد الرحمان بن ممحد بن عتاب (503)

(ـــ 520 هـ)

روى عن أبيه أبي عبد الله محمد بن عتـــاب عن أبي أيوب بن غمرون عن القالي أشياء كثيرة منها : نوادر أبي زيد (504) وتسعة عشر كتابا أخرى له (505) ، ونوادر

---

(497) ترجمته في الديباج (ص 105) ـ وفهرسة ابن عطية (ص 16) ـ وفهرسة عيـاض (ص 76) . وقد كان مولده سنة 427 هـ .

(498) فهرسة ابن عطية (ص 16) ـ وفهرسة التجيبي الورقة 54 .

(499) ترجمته في الصلة (556/2) (الدار المصرية) ـ وابن خير (ص 405) .

(500) ابن خير (ص 404) .

(501) فهرسة عياض (ص 101) .

(502) فهرسة ابن خير (ص 365) .

(503) ترجمته في فهرسة ابن عطية (ص 36) ـ والديباج (ص 150) .

(504) ابن خير (ص 371) .

(505) ابن خير (ص 372) .

ابن الأعرابي (506) . كمـا روى عن أبي مروان بـن حيـان كتـاب (الفصـوص لصاعد (507) .

4 ـ **أبا جعفر أحمد بن محمد بن عامر السكسكي (508) القرطبي**

صحب ابن الافليلي وأبا سهل الحراني وأخذ عنهما .

* * *

واذا كنت اقتصرت على العدد القليل من رجال هذه الطبقة ، فلأني لم أجد فائدة كبيرة ترجى لهذا البحث من وراء استقصاء بقية الرجال وملء الصفحات بأسمائهم . كما أن حصر تلاميذ القالي في هذه الطبقات الثلاث التي تنتهي بنهاية القرن الخامس الهجري ، لا يجب أن يفهم منه مطلقا أن تيار المدرسة وتأثيرها قد توقف فجأة عند ذلك الحد ، بل انه بامكاننا أن نلمس ذلك التأثير أثناء القرن السادس وما بعده الى سقوط الأندلس . وقد كان التراث اللغوي والأدبي الذي رفعت هذه المدرسة أعلامه ، يهاجر الى افريقية طوال تلك القرون ، بواسـطة رجالها الذين لم تنقطع الرحلة بين بلادهم والأندلس لحظة واحدة منذ الفتح الاسلامي . بل أن تبادل الرحلات والعلماء والكتب ، لم يكن يزداد بمر الأيام الا نمـاء واتصالا ، ولا سـيما في عهد الدولتين العظيمتيـن المرابطية والموحدية ، حين أصبحت الأندلس ولاية افريقيـة في غرب أوروبا المسلمة ، وتحول جزء مهم من الثقل العلمي الى عواصم المغرب الكبير ، كمراكش ، وفاس ، وسبتة ، وتلمسان وغيرها .

واذا كنا لا نعدم رجالا من سلالة هذه المدرسة في القرن السادس ، ممن أحيوا تراثها وورثوا خصائصها وجددوا دوارسها ، فان أشهر هؤلاء ممن يمكن ادراجه في الدائرة الرابعة ، هو :

---

(506) ابن خير (ص 373) .
(507) فهرسة ابن عطية (ص 37) .
(508) ترجمته في التكملة (41/1) (الحسيني) ـ والذيل والتكملة (ص 467) س 1 ق 2 .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (509)

(المتوفى سنة 521 هـ)

وهو علم كبير من مشاهير أهل اللغة والأدب بالأندلس، عني خاصة برواية الأصول المشرقية وشرحها والتعليق عليها.

وتتجلى صلة ابن السيد بمدرسة القالي في ناحيتين: الرواية والحفظ، ثم الشرح والنقد.

فمما رواه من كتب اللغة والأدب متصلا سنده بالقالي نوادر اللحياني (510)، وسبعة كتب لابن السكيت (511)، وكتاب الفرق لثابت (512)، وكتاب الخيل لأبي عبيدة (513) والنقائض له (514)، والمفضليات (515)، وأراجيز العجاج وابنه رؤبة (516). وكلها كتب يرويها ابن السيد عن أخيه أبي الحسن علي بن محمد البطليوسي عن أبي عبد الله الحجاري عن ابن الأسلمية عن محمد بن أبان عن القالي.

وأما شروحه ونقوده ومؤلفاته فكثيرة أهمها:

(1) **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب** (517). وقد كان أدب الكتاب لابن قتيبة من أهم المصادر التي أدخلها القالي، ونحن نجد لابن السيد في شرحه المذكور نقولا كثيرة عن أبي علي بلغت بالاحصاء ثمانية وثمانين نقلا من الأمالي، والمقصور والممدود، والبارع، والروايات الشفوية.

(2) **اصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل (518).**

---

(509) ترجمته في الوعاة (ص 288) - والصلة (282/1) (الحسيني) - بغية الملتمس (ص 337) - قلائد العقيان (ص 193) وما بعدها) - الديباج (ص 140) - المغرب (385/1) - الوفيات (96/3) - فهرسة ابن عطية (ص 56) - فهرسة الفهارس (382/2) - فهرسة عياض (ص 88) - خريدة القصر (478/3) - أنباه الرواة (141/2) - المطمح (ص 137)، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط - الحركة اللغوية (ص 337) - أزهار الرياض (101/3) وما بعدها.

(510) ابن خير (ص 379).

(511) ابن خير (ص 382).

(512) ابن خير (ص 382).

(513) ابن خير (ص 383).

(514) ابن خير (ص 383).

(515) ابن خير (390).

(516) ابن خير (ص 392).

(517) طبع ببيروت سنة 1901 م.

(518) ومنه نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط.

(3) **وشرح شواهد الجمل** (519) .

(4) **وطرر على الكامل للمبرد** (520) . وقد قام بجمعها تلميذه أبو الحسن ابن سعد الخير المتوفى سنة (571 هـ) (521) .

(5) **وكتاب المثلث في اللغة** (522) .

(6) **وكتاب الفرق بين الحروف الخمسة** (523) .

(7) **وكتاب شرح سقط الزند للمعري** (524) .

(8) **وكتاب التذكرة الأدبية** (525) .

(9) **وشرح ديوان المتنبي** (526) .

(10) **وكتاب في شرح الفصيح** . ينقل عنه السيوطي في المزهر وهو بدوره ــ أي ابن السيد ــ ينقل عن القالي والزبيدي (527) .

(11) **وكتاب مسائل في العربية** (528) .

(12) **رسالة الاسم والمسمى** (529) .

هذا عدا كتبه الأخرى في الفقه والحديث والفلسفة التي لم نر ضرورة لذكرها .

---

(519) ومنه نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط ، وقد طبع بعنوان (الحلل في شرح أبيات الجمل) . بتحقيق الدكتور مصطفى امام ، القاهرة 1979 م .

(520) ومنه نسخة مصورة على الشريط بالخزانة العامة بالرباط .

(521) أنظر الذيل والتكملة (ص 187) وما بعدها ق 1 س 5 .

(522) ابن خير (ص 362) ، ومنه نسخة بالخزانة العامة بالرباط . وقد طبع أخيرا ببغداد (1981) بتحقيق د . صلاح مهدي علي الفرطوسي .

(523) ابن خير (ص 363) ، ومنه نسخة خطية بخزانة القرويين .

(524) طبع ضمن شروح سقط الزند بمصر ما بين سنة 1945 وسنة 1948 م بدار الكتب ، بتحقيق مصطفى السقا ، وعبد السلام هارون وزملائهما .

(525) أنباه الرواة (141/2) .

(526) الوعاة (ص 288) ــ والوفيات لابن خلكان ، **(ترجمة ابن السيد)**

(527) المزهر (474/1ــ93/2) .

(528) ابن خير (ص 316) .

(529) نشره أحمد فاروق في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 47 ج 2 (ص 335) .

خلاصـــة

وبعد : فقد كان الغرض من هذه الدراسة المفصلة لطبقات تلاميذ القالي ، التي كانت بمثابة استطراد طويل في هذا البحث ، هو أن نتتبع بشيء من التدقيق ، الامتداد الأفقي لمدرسة كانت لها خصائص متميزة في اللغة والأدب ، ونرسم لها خطا بيانيا تقريبيا يوضح المجال الذي تحركت فيه . هذا الامتداد الذي استغرق في مسافته الزمنية أكثر من قرن ونصف ، متواصلا عبر أجيال ثلاثة متماسكة الحلقات ، ومندفعا في شكل موجات متوثبة ، في كل دفعة منها تبرز قمم شامخة ، تحمل أعلام المدرسة وعلاماتها .

ولم يكن هنـاك في نظري ما يسوغ الحـديث عن أثر القالي في الأندلس ، دون استقصاء هذا الجانب والقيام بمثل هذه العملية الشاقة ، التي تعرفنا من خلالها على رجالات المدرسـة ، وما أدوه من نشـاط داخل اختصاصاتها . فبعد هذا سـيمكننا الحـديث في اطمئنان عن الأثر الذي أحدثته المدرسة في الانتـاج الأدبي الابداعي شعره ونثره ، وعن قيام ذوق أدبي مطبوع بطابع هذه الدراسات وواقع تحت تأثيرها ، متمسك بالقديم ومدافع عنه .

على أن من أهم نتائج قيـام هذه المدرسة بالأندلس وامتداد تيارها ، لو أردنا الاجمال :

1 ـ تقوية جانب رواية اللغة والأدب في أصولهما المشرقيـة ، بالاعتمـاد على القالي ومؤلفاته ومروياته وحركته التعليمية .

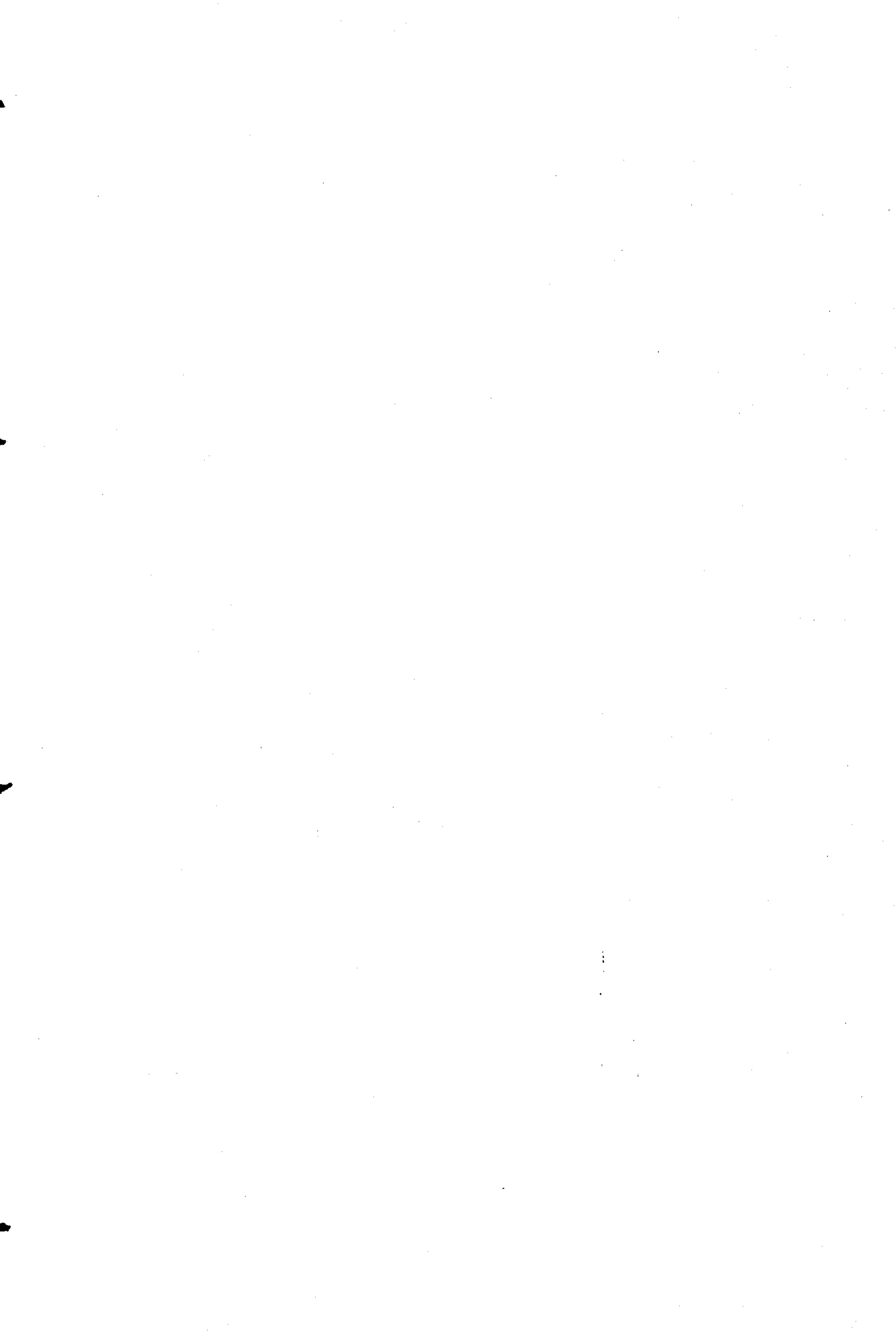
2 ـ تركيز التأثير المشرقي في الغرب الاسلامي . فعلى يد رجال المدرسة اتجهت الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس هذا الاتجاه الذي ربما كان سيأخذ مجرى آخر فيما لو كان المؤثر مغايرا .

3 ـ اثراء الثقافة الأندلسية وتلقيحها بثقافة متينة أصيلة ، ساعدت على ابراز شخصية أندلسية متميزة في القرن الخامس وما بعده .

4 ـ قيام مدرسة معجمية لغوية متأثرة بالقالي ، تدل عليها كتب الزبيدي ، ومحمد ابن أبان ، وابن التياني ، والحجاري ، وابن سيدة وغيرهم .

5 ـ بروز أعلام من الأندلس ذاعت شهرتهم في اللغة والأدب ، ونافسوا علماء المشرق كالزبيدي ، والبكري ، والأعلم الشنتمري ، والبطليوسي ، وغيرهم .

6 ـ اغناء المكتبة الأندلسية بالمؤلفات اللغوية والأدبية .



البابُ الثالث

تأثير القالي بواسطة الكتب التي أدخلها للأندلس

وهدا جانب لا يقل خطرا عن الجوانب الأخرى التي أثر القالي بواسـطتها في الثقافة الأندلسـية ، وذلك لمدى بعيد جدا ، بحيث ظل اسـمه مقرونا عبر العصور بأمهات المصادر والدواوين المشرقية التي عمل على ادخالها ثم تدريسها ونشرها بالأندلس . ولقد كان أبو علي ـ كما هو معروف ـ عالما متبحرا في الحفظ والرواية ، واشتهر عنه ذلك أكثر من اشتهاره بالفهم والدراية . وكان قبل قدومه ، قد جلس في المشرق متفرغا لحلقات المشايخ الكبار مدة ربع قرن ، لزم خلالها القراءة والسماع والتدوين ، فلم يترك بغـداد حاضرة العلماء الا بعد أن مات أغلب من كان فيها من شـيوخه . وهناك مثال بسيط يمكننا به أن نعرف حدود صبره وحرصه على ملازمة أساتذته ، أنه أخذ كتاب (الغريب المصنف) عن ابي بكر الأنباري ثم عن أبي محمد بن درستويه ، وبلغت مدة قراءته لهذا الكتـاب على ابن الأنباري وحده ، أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما (1) من سنة 317 الى سنة 321 هـ . فلما دخل القالي الى الأندلس ، كان يحمل معه حصيلة ربع قرن من الانكباب والسهر والصبر ، قضاه في بغداد وحدها . فلم يبق أحد ممن تحدوه الرغبة في العلم ، الا وحضر مجالسه حين انتصب للتدريس والاملاء ، بل ان كثيرا ممن كانت لهم شهرة سابقة في اللغة والأدب قبل حضوره ، قد تنازل وتواضع له ، وأقر بمشـيخته وامامته . ومنهم ابن القوطية ، وحتى الذين لم يتتملذوا له ، ولم يحضروا بعض مجالسه أو يأخذوا شيئا من كتبه ، قد أصـابهم نصيب من هذه الخزانة الكبيرة الثمينة التي حملتها رواحله من بغداد الى قرطبة . ولدينا على هذه الدعوى ، مثال شاهد من أبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة الشهير . فقد كتب مرة الى أبي علي يستعير منه كتاب (الغريب المصنف) بهذين البيتين (المجتث) :

---

(1) أنظر ابن خير (ص 327) .

بحـــق رئم مهفهـــف
وصــدغه المتعطــف
ابعــث الي بجــزء
من «الغـريب المصنف»

فأجابه القالي لطلبه ، ومع الكتاب هذه الأبيات :

وحـــق در مؤلـــف	بفيـــك أي تألـــف
لأبعثـــن بمـــا قـــد	حوى «الغريب المصنف»
ولـــو بعثـت بنفســـي	اليك ما كنت أسرف (2)

فما هي هذه الكتب والمرويات التي جلبها القالي بدخوله الأندلس ، واشـتغل بتعليمها وتدريسها ؟ ثم ما هو نوعها ، وما هي طرق تأثيرها في الدراسات ، والأدلة على هذا التأثير ؟

ويجب منذ البدء أن نشير الى أن الكتب والمرويات التي خرج بها أبو علي من بغداد في قصده الأندلس ، لم تبلغنا أسـماؤها وأخبـارها وأسانيدها كاملة . وأهم أسباب ذلك أن بعضا منها قد تزايل عنه أثناء توقفه بالقيروان كما يشير ابن خير (3) وأن البعض الثاني لم تحتفظ لنا كتب الفهارس والبرامج والطبقات بأخباره وأسانيده التي تتصل بالقالي . واذن فالجزء المتبقي من هذه الكتب هو الذي سيكون موضع نظرنا في هذا الباب ، وهو يضم مع ذلك ، مجموعة قيمة من الكتب أغلبها مقروء أو مسموع أو مروي عن أساتذته ، أو مقابل على نسخ أخرى . ولا شك أن عناية القالي بتوثيق كتبه ومقابلتها والنص على أوجه أخذها وتحملها ، وطرق وصولها اليه ، هي التي رفعت من قيمة هـذه المرويات ، فأصبحت عند أهل الأندلس أصـولا محققة لا يرقى اليها الشك ، وتنافسوا في أخذها وقراءتها واعتمادها . ولم أجد خلال بحثي الطويل في هذا الموضوع ، من قام بتجريح شيء من مصادر القالي وأصوله . وقد كان أهم ما سـاقه أبو عبيد البكري في تنبيهاته وشروحه ، مأخوذا من أصول أبي علي نفسه .

ويمكن تصنيف هذه المرويات التي أدخلها القالي ، الى ثلاثة أنواع هي :

1 ـ كتب اللغة والأدب .
2 ـ كتب الأشعار والدواوين .
3 ـ كتب الأخبار .

(2) وقد تقدمت في القسم الأول .
(3) فهرسة ابن خير (ص 395) .

وأما تأثير هذه الكتب في الدراسات الأندلسية ، فيمكن تلمسه والاستدلال عليه من جانبين على الأقل :

أ ـ رواية علماء الأندلس ـ لمدى بعيد ـ لهذه الكتب .

وهو شيء لا بد لاثباته من عرض الأسانيد التي تتصل بالقالي وتتفرع عنه متشعبة متداخلة ، حتى تصل الى القرن السادس أو ما بعده . وقد اعتمدت في استخراج أغلبها على فهرسة ابن خير ، ثم على الفهارس والبرامج الأندلسية الأخرى . فاذا كنا نجد لبعض الكتب التي أدخلها القالي ، ما يصل الى تسعة أسانيد أو أكثر ، كما هو الشأن في (اصلاح المنطق) ، فذلك أكبر دليل على صدى هذه الكتب بالأندلس ، وعلى العناية التي لقيتها من طرف العلماء ، والتأثير الذي يمكن أن تحدثه فيما يكتبون ويؤلفون .

ب ـ الشروح والتلخيصات والنقول التي تدور كلها حول هذه المرويات . فاذا كنا نجد مثلا أن "لديوان الشعراء الستة الجاهليين" ، أكثر من خمسة شروح أندلسية كلها ألفت بعد دخول هذا الكتاب ، ووجدنا أن كل هذه المرويات قد استعملت مصادر ومراجع لما كتب في الأندلس من الدراسات اللغوية والأدبية ، كان هذا دليلا آخر على وجود ذلك التأثير .

وهكذا سنذكر أسانيد هذه الكتب ، ثم نتبعها بذكر بعض الأمثلة على ما قام حولها من نشاط وحركة تأليفية ، ومدى استفادة العلماء الأندلسيين منها .

أ ـ كتب اللغة والأدب

وأسانيدها وروايتها في الأندلس

أ ـ كتب اللغة والأدب

وأسانيدها وروايتها في الأندلس

1 ـ الفـــراء	
كتاب البهي في النحو **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 3II	ابن خير الاشـبيلي (ت 575 هـ) ↓ عبد الملك بن محمد بن هشام ↓ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ↓ أخوه أبو الحسن علي بن السيد البطليوسي ↓ أبو عبد الله محمد بن يونس الحجاري ↓ أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر الأنباري عن شيوخه

2 ـ أبو اســحاق الزجاج

1 ـ **جزء فيه شرح باسم الله الرحمان الرحيم** **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 314	ابن خير الاشبيلي ↓ محمد بن سليمان النفزي ↓ غانم بن وليد ↓ يوسف بن خيرون ↓ أبو القاسم أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن الزجاج
2 ـ **كتاب فعلت وأفعلت** **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 352	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو القاسم عبد الرحمان بن رضاء ↓ أبو الوليد مالك بن عبد الله العتبي ↓ أبو مروان عبد الملك بن زياد الله الطبني ↓ ابن الافليلي ← → أبو عبدة حسان بن مالك بن عبدة ↓ ابن أبي الحباب — أبو بكر الزبيدي ↓ القالي عن الزجاج
3 ـ **كتاب العروض** 4 ـ **كتاب الكافي في أسماء القوافي**	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي ↓ أبو محمد غانم بن وليد المخزومي

المصدر : فهرسة ابن خير ص 356	↓ يوسف ين خيرون السهمي ↓ أبو القاسم أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن الزجاج

3 ـ أبو عبيد القاسم بن سلام

1 ـ الغريب المصنف المصدر : فهرسة ابن خير ص 327	(1) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر بن الأنباري وابن درستويه
المصدر : فهرسة ابن خير ص 327ـ328	(2) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو القاسم عبد الرحمان بن رضاء المقرىء ↓ أبو الوليد مالك بن عبد الله العتبي ↓ أبو مروان بن حيان ↓ أبو عمر بن أبي الحباب (سنة 343 هـ) ↓ أبو علي القالي

(3) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو القاسم عبد الرحمان بن الرماك ↓ أبو الحسن بن الأخضر ↓ الأعلم الشنتمري ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي	**المصدر** : فهرسة ابن خير ص 328
(4) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الوليد ابن حجاج — أبو بكر بن فندلة — أبو بكر بن غالب القرشي ↓ أبو الحجاج الأعلم الشنتمري ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي	**المصدر** : فهرسة ابن خير ص 328ـ329
(5) القاضي عياض (544 هـ) ↓ أبو الحسن بن عبد الملك بن سراج والده عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي عن ابن الأنباري	**المصدر** : فهرسة عياض ص 117

المصـــدر : برنامج شـيوخ الرعينـي ص 96	(6) أبو الحسن علي بن محمد الرعيني (666 هـ) ↓ أبو بكر محمد بن أبي الحكم بن المرخي ↓ والده أبو الحكم ↓ جده أبو بكر بن عبد الملك ↓ أبو عبيد البكري ↓ أبو مروان بن حيان ↓ أحمد بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي
2 ـ **كتاب الأمثال** **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 340	(1) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو بكر ابن فندلة — أبو القاسم ابن الرماك — أبو الوليد ابن حجاج — أبو بكر غالب القرشي أبو الحسن بن الأخضر ↓ الأعلم الشنتمري ↓ أبو سهل الحراني ↓ أحمد بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي ↓ ابن درستويه عن شيوخه

المصدر : مقدمة كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) للبكري	(2) أبو عبيد البكري ↓ أبو مروان بن حيان ↓ أحمد بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي ↓ نفطويه عن شيوخه

4 ـ ابن السـكيت

I ـ كتاب الألفاظ المصدر : فهرسة ابن خير ص 329	(I) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي (سنة 32I هـ) ↓ أبو بكر بن الأنباري وأبو عمر المطرز وأبو جعفر الغالبي كل بسنده
	(2) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو القاسم عبد الرحمـان بن رضـاء المقرىء ↓ أبو الوليد مالك العتبي ↓ أبو مروان بن حيان

المصدر : ابن خير ص 329	أبو عمر بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي عن شيوخه
المصدر : ابن خير ص 330	(3) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو القاسم بن الرماك ↓ أبو الحسن بن الأخضر ↓ الأعلم الشنتمري ↓ أبو سهل الحراني ← ابن أبي الحباب أبو القاسم ابن الافليلي ← أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن شيوخه
المصدر : فهرسة عياض ص 25	(4) القاضي عياض ↓ أبو عبد الله النفزي ↓ غانم بن وليد ↓ ابن خيرون — أبو سليمان داود الخولاني ↓ أحمد بن أبان ↓ القالي عن ابن الأنباري


(5) أبو محمد عبد الحق بن عطية
(521 هـ)
أبو عبد الله النفزي
غانم بن وليد
عن سنده المذكور في رقم 4 عند
القاضي عياض
المصدر : فهرسة ابن عطية ص 15
2 ـ كتاب اصلاح المنطق
(1) ابن خير الاشبيلي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان
ابن معمر
عبد الملك بن سراج
أبو سهل الحراني
ابن أبي الحباب
يوسف بن فضالة
القالي عن ابن الأنباري
المصدر : فهرسة ابن خير ص 330
(2) ابن خير الاشبيلي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان
ابن معمر
أبو بكر المصحفي
والده هشام
المصحفي
أبو الحسن علي
ابن أبي الحسن

↓
أبو القاسم خلف بن سليمان بن غمرون
↓
أبو علي القالي

المصدر : ابن خير ص 331

---

(3) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله القرشي (ابن الأحمر)
↓
أبو عبيد البكري
↓
أبو مروان بن حيان
↓
ابن أبي الحباب
↓
أبو علي القالي

المصدر : ابن خير ص 332

---

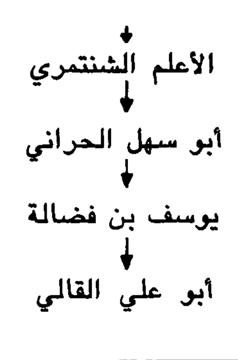
(4) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
ابن خيرون — أبو سليمان داود الخولاني
↓
أحمد بن أبان
↓
أبو علي القالي

المصدر : ابن خير ص 332

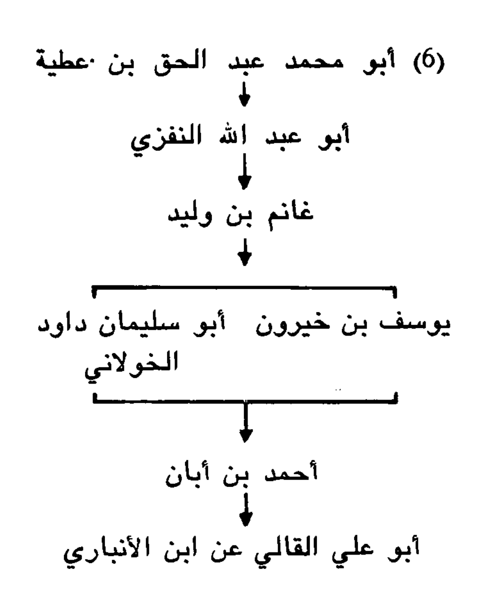
---

(5) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو بكر بن فندلة — أبو القاسم بن الرماك

أبو الحسن بن الأخضر



المصدر : ابن خير ص 333



المصدر : فهرسة ابن عطية ص 15

(7) أبو محمد بن عطية

↓

أبو الحسن علي بن خلف الأنصاري

↓

عبد الملك بن سراج

↓

أبو سهل الحراني

↓

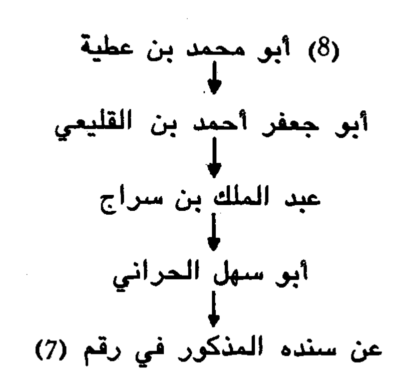
ابن أبي الحباب

↓

أبو علي القالي عن ابن الأنباري

المصدر : فهرسة ابن عطية ص 35

المصدر : فهرسة ابن عطية ص 47



المصدر : فهرسة عياض ص 25

(9) القاضي عياض
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
عن سنده المذكور في رقم 6

---

3 ـ كتاب القلب والابدال

4 ـ كتاب الأصوات

5 ـ كتاب الفرق

6 ـ كتاب خلق الانسان

7 ـ كتاب معاني الأبيات

8 ـ كتاب النبات

9 ـ كتاب الأضداد

المصدر : ابن خير ص 382

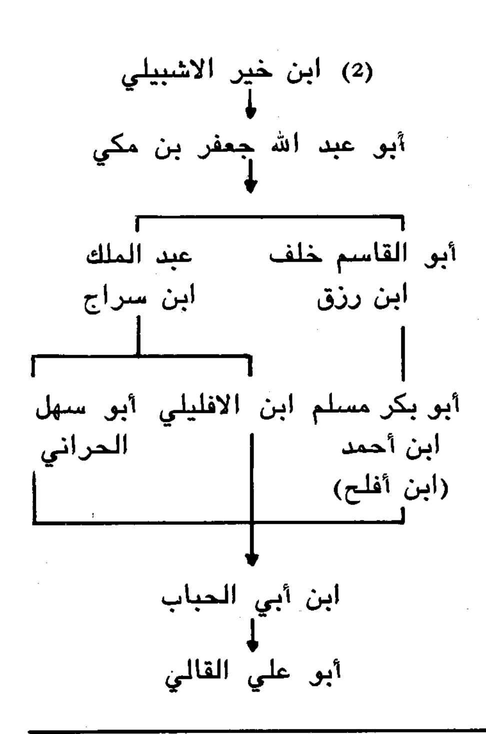
ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
يوسف بن خيرون
↓
أحمد بن أبان بن سيد
↓
أبو علي القالي عن شيوخه

5 ـ ابو محمد بن قتيبة

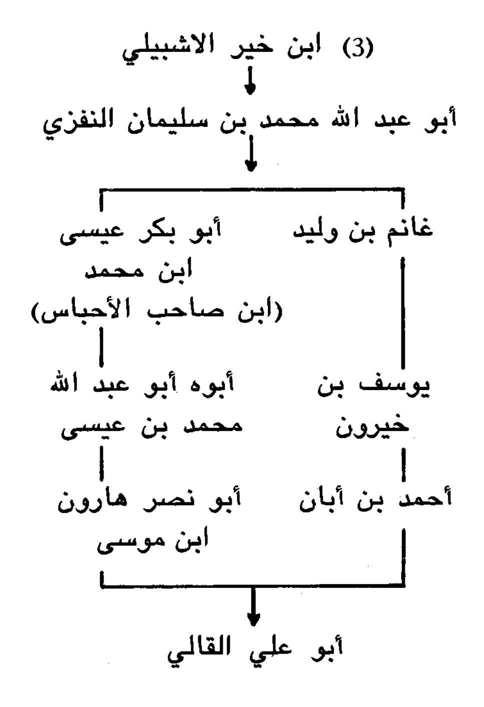
I ـ ادب الكتاب

(I) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو القاسم ابن الرماك — أبو بكر ابن حجاج — أبو الوليد ابن فندلة — أبو بكر ابن غالب القرشي
أبو الحسن ابن الأخضر
↓
الأعلم الشنتمري
↓
ابن الافليلي — أبو سهل الحراني — أبو بكر مسلم ابن أحمد (ابن أفلح)
↓
أبو عمر أحمد بن أبي الحباب
↓
أبو علي القالي
↓
أبو جعفر أحمد بن قتيبة
↓
والده أبو محمد مؤلف الكتاب

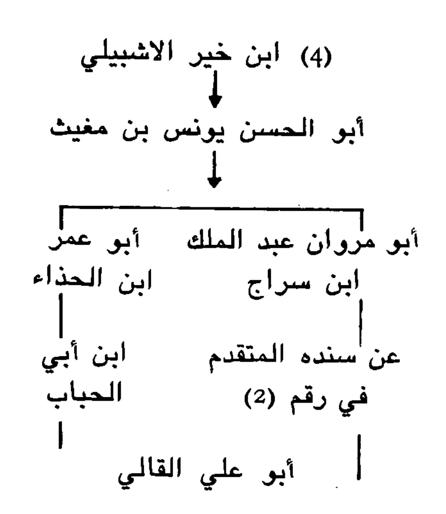
المصدر : فهرسة ابن خير ص 333–334



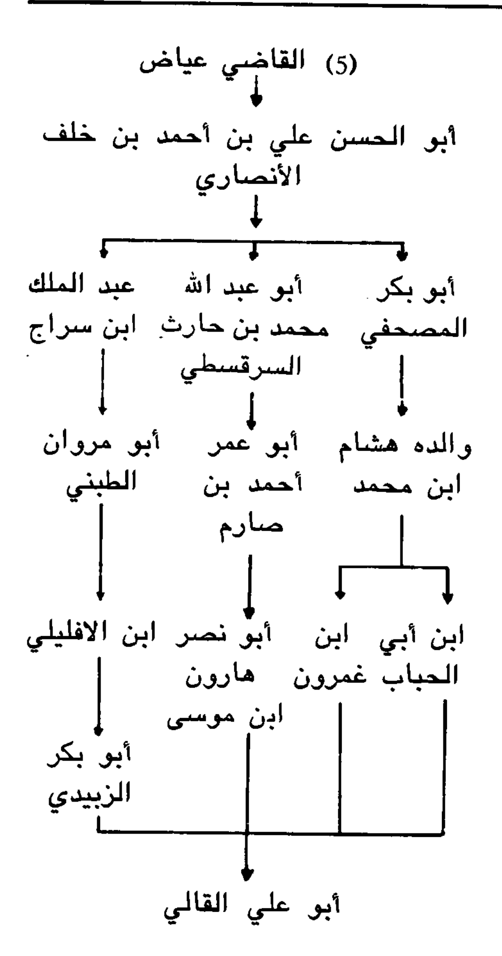
المصدر : فهرسة ابن خير ص 334



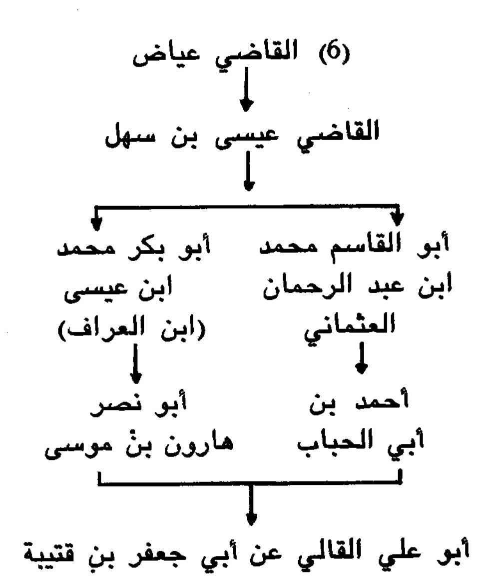
المصدر : ابن خير ص 334–335



المصدر : ابن خير ص 335



المصدر : فهرسة القاضي عياض
ص IOI



المصدر : فهرسة عياض ص 102

---

2 ـ **كتاب الميسر**

ابن خير الاشبيلي

↓

أبو عبد الله جعفر بن مكي

↓

أبو مروان عبد الملك بن سراج

↓

أبو القاسم بن الافليلي

↓

أبو بكر الزبيدي

↓

أبو علي القالي

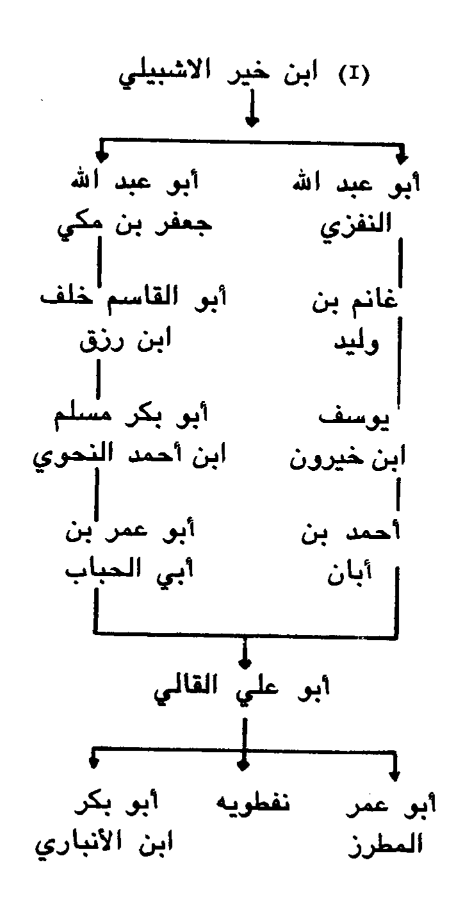
↓

أبو جعفر أحمد بن قتيبة عن والده

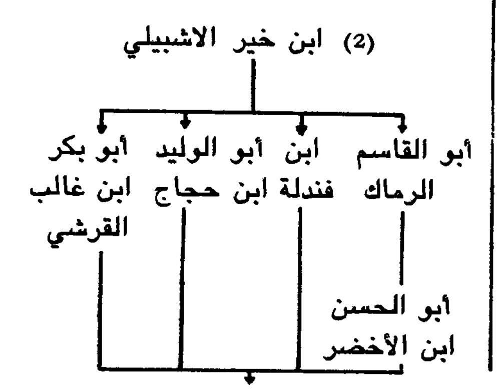
المصدر : فهرسة ابن خير ص 378

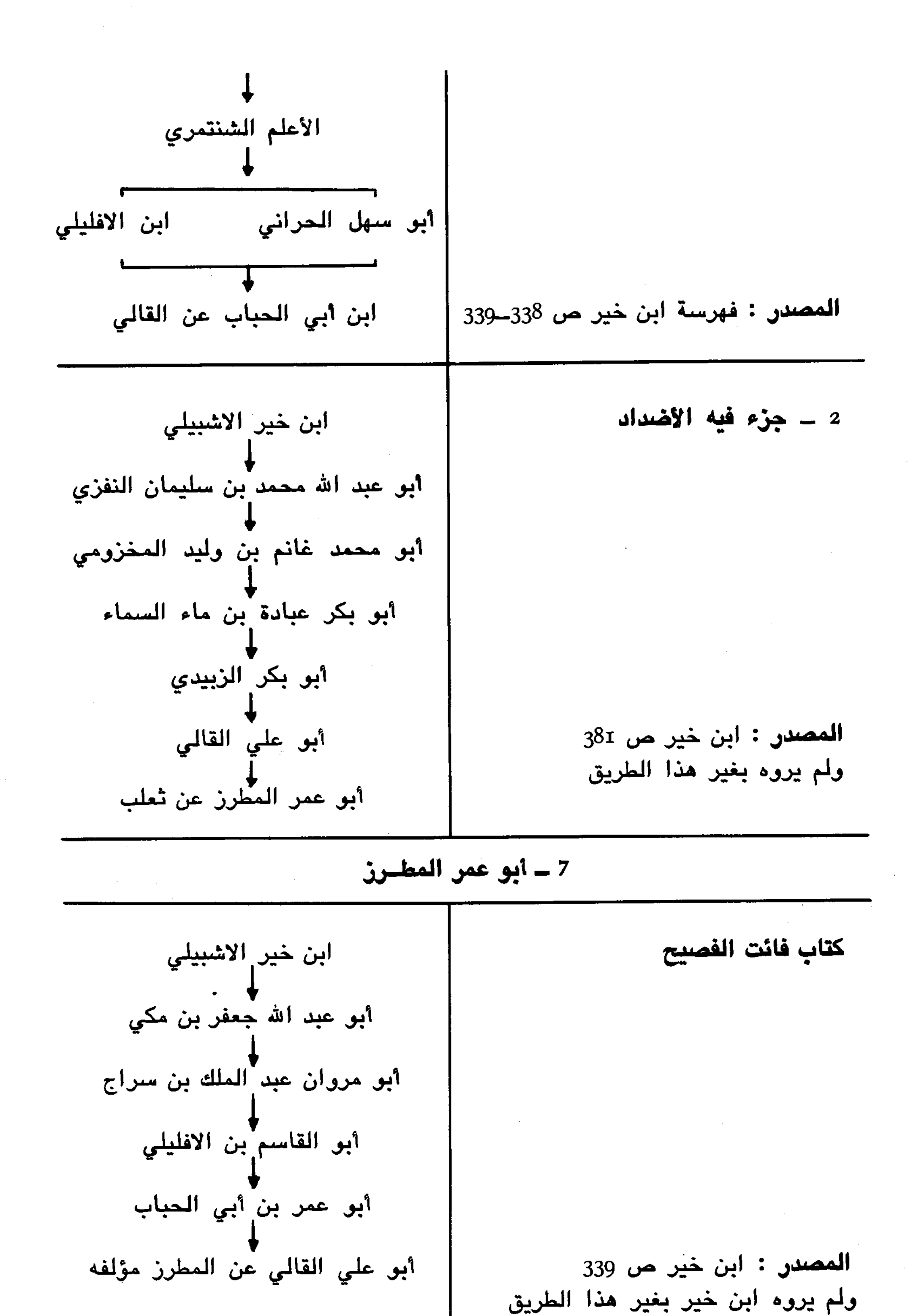
6 ـ أبو العبـاس ثعلب

1 ـ **كتاب اختيار الفصيح**



المصدر : فهرسة ابن خير ص 336





الكتاب والمصدر	السند
المصدر : فهرسة ابن خير ص 338ــ339	↓ الأعلم الشنتمري ↓ أبو سهل الحراني ابن الافليلي ↓ ابن أبي الحباب عن القالي
2 ـ **جزء فيه الأضداد** **المصدر** : ابن خير ص 381 ولم يروه بغير هذا الطريق	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي ↓ أبو محمد غانم بن وليد المخزومي ↓ أبو بكر عبادة بن ماء السماء ↓ أبو بكر الزبيدي ↓ أبو علي القالي ↓ أبو عمر المطرز عن ثعلب

7 ـ أبو عمر المطــرز

الكتاب والمصدر	السند
كتاب فائت الفصيح **المصدر** : ابن خير ص 339 ولم يروه ابن خير بغير هذا الطريق	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أبو عمر بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي عن المطرز مؤلفه

8 ـ الأصمعـــي

1 ـ **كتاب الأمثال** **المصدر :** ابن خير ص 340 ورواه ابن خير بطريق آخر غير طريق القالي .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو محمد ابن عتاب ↓ والده أبو عبد الله ابن عتاب ↓ القاضي أبو أيوب سليمان ابن غمرون ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر بن دريد عن شيوخه
2 ـ **كتاب الابل** 3 ـ **كتاب المصادر** 4 ـ **كتاب الشاء** 5 ـ **كتاب الأبواب** 6 ـ **كتاب خلق الفرس** 7 ـ **كتاب لحن العامة** 8 ـ **كتاب الصفات** 9 ـ **كتاب الهمزتين** 10 ـ **كتاب خلق الانسان** 11 ـ **كتاب الفرق** 12 ـ **كتاب الممدود والمقصور**	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي ↓ أبو محمد غانم بن وليد المخزومي ↓ أبو عمر يوسف بن خيرون ↓ أبو القاسم أحمد بن أبان ↓ أبو علي البغدادي ↓ أبو بكر بن دريد ↓ أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي

13 ـ كتاب اشتقاق الأسماء 14 ـ كتاب الألفاظ والأجناس 15 ـ كتاب أسماء القداح **المصدر :** ابن خير ص 374–375 ولم يروها ابن خير عن غير هذا الطريق	

9 ـ أبو بكر بن الأنبـاري

1 ـ **كتاب الزاهر** **المصدر :** ابن خير ص 341 وهذا السند الذي أورده ابن خير ينقض ما زعمه المراكشي في الذيل والتكملة (180/6) حيـن قال : ان أبا علي كان يضن بكتـاب الزاهر فلم يسمعه منه الا أحمد بن أبان بن سيد وعنه رواه أصحاب القالي	(1) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو محمد ابن عتاب ↓ والده أبو عبد الله ابن عتاب ↓ أبو أيوب سليمان ابن غمرون ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر بن الأنباري مؤلفه
المصدر : فهرسة عياض ص 25	(2) القاضي عياض ↓ أبو عبد الله النفزي ↓ غانم بن وليد ↓ يوسف ابن خيرون ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ القالي عن ابن الأنباري

2 ـ **كتاب التذكير والتانيث**

المصدر : فهرسة ابن خير ص 348
ولم يروه بغير هذا الطريق

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
أبو محمد غانم بن وليد
↓
أبو عمر يوسف ابن خيرون
↓
أبو القاسم أحمد بن أبان
↓
أبو علي القالي عن مؤلفه

---

3 ـ **كتاب المقصور والممدود**

المصدر : فهرسة ابن خير ص 354
ولم يروه بغير هذا الطريق

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزى
↓
أبو محمد غانم بن وليد المخزومي
↓
أبو عمر يوسف ابن خيرون
↓
أحمد بن أبان بن سيد
↓
أبو علي القالي عن مؤلفه

---

10 ـ أبو حاتم السجستاني

---

1 ـ **كتاب لحن العامة**

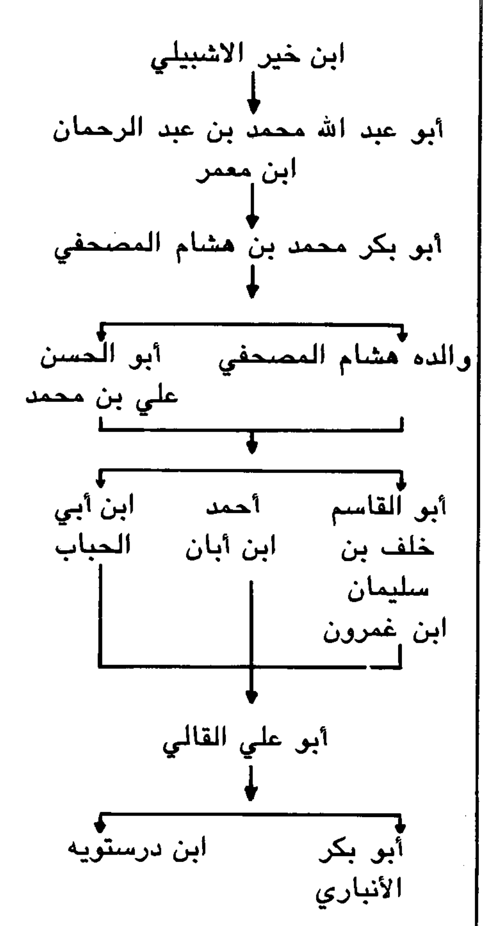
(وهو بتبويب القالي . وكان أبو علي قد رواه غير مبوب) .

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
أبو محمد غانم بن وليد
↓
أبو عمر يوسف ابن خيرون

المصدر : فهرسة ابن خير ص 348 ولم يروه بغير هذا الطريق .	↓ أبو القاسم أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم مؤلفه
2 ـ **كتاب التذكير والتانيث** **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 348 ولم يروه بغير هذا الطريق .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو سهل يونس الحراني ↓ أبو الحجاج يوسف بن فضالة ↓ أبو علي القالي ↓ أبو بكر بن دريد عن مؤلفه
3 ـ **كتاب فعلت وأفعلت** 4 ـ **كتاب الفرق** 5 ـ **كتاب الحشرات** 6 ـ **كتاب الوحوش** 7 ـ **كتاب الطير** **المصدر** : ابن خير ص 361 ولم يروه بغير هذا الطريق .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي ↓ أبو محمد غانم بن وليد ↓ أبو عمر يوسف ابن خيرون ↓ أبو القاسم أحمد بن أبان ↓ القالـي ↓ أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم

11 ـ قطرب (أبو علي محمد بن المستنير)

كتاب المثلث



المصدر : فهرسة ابن خير ص 361ـ362 وقد رواه أبو بكر المصحفي عن أبي الفتوح الجرجاني بسنده أيضا .

12 ـ أبو بكر بن دريد

1 ـ **كتاب الجمهرة**

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي
↓
أبو محمد غانم بن وليد

المصدر : فهرسة ابن خير ص 348 وقد روى الكتاب بغير هذا الطريق .	أبو عمر يوسف ابن خيرون ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي عن أبي دريد
2 ـ **كتاب الملاحن** **المصدر** : فهرسة ابن خير ص 366	1 ـ ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الوليد أحمد بن عبد الله ابن طريف — أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن خلف التجيبي أبو علي الغساني ↓ أبو بكر مسلم بن أحمد النحوي (ابن أفلح) ↓ أبو عمر ابن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي عن ابن دريد
المصدر : فهرسة ابن خير ص 366 وقد رواه الطبني في سند لا يتصل بالقالي .	(2) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي ↓ أبو محمد غانم بن وليد ↓ أبو عمر يوسف ابن خيرون ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ أبو علي القالي عن ابن دريد

3 ـ كتاب معاني الشعر

4 ـ كتاب الأنواء

المصدر : فهرسة ابن خير ص 366
ولم يروهما ابن خير بغير هذا السند .

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
أبو عمر يوسف ابن خيرون
↓
أحمد بن أبان بن سيد
↓
القالـــي

13 ـ ثابت بن أبي ثابت (أبو محمد ثابت بن عبد العزيز)

1 ـ كتاب خلق الانسان

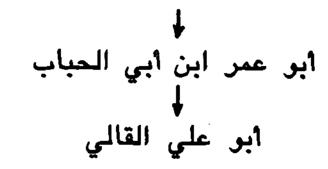
المصدر : فهرسة ابن خير ص 363

(1) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو القاسم عبد الرحمان بن الرماك
↓
أبو الحسن التنوخي (ابن الأخضر)
↓
أبو بكر مسلم بن أحمد الأديب
↓
أبو عمر بن أبي الحباب
↓
أبو علي القالي

(2) ابن خير الاشبيلي
↓

أبو الحسن عبد الرحمان ابن المشاط	أبو الحسن يونس بن مغيث

المصدر : ابن خير ص 363–364 وقرأه ابن أبي الحباب على القالي سنة 349 هـ .	أبو شاكر عبد الواحد ابن موهب القبري ← أبو عمر أحمد ابن الحباب ← القالـــي أبو الحسن ابن المشاط (بسنده المذكور هنا)
المصدر : ابن خير ص 364	(3) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر . ↓ أبو علي الغساني ↓ أبو شاكر عبد الواحد بن موهب ↓ أبو عمر بن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي
	(4) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن محمد ابن مكي ← عبد الملك ابن سراج أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال ← أبو تميم العز ابن محمد ابن بقنة ↓ أبو القاسم بن الافليلي



المصدر : ابن خير ص 364

---

(5) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو بكر محمد بن عبد الغني بن فندلة
↓
أبو الفتح سعدون ابن المرادي المالقي ← → أبو عبد الله محمد بن رمالـة
↓
أبو سهل يونس الحراني
↓
أحمد بن أبي الحباب — أبو مروان الطوطالقي
↓
أبو علي القالي عن ابن الأنباري عن شيوخه

المصدر : ابن خير ص 364

ولم يرو ابن خير هذا الكتــاب عن غير طريق القالي .

---

2 ـ **كتاب الفرق**

(1) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
يوسف ابن خيرون
↓
أحمد بن أبان
↓
أبو علي القالي عن ابن الأنباري

المصدر : ابن خير ص 382

المصدر : ابن خير ص 382
ولم يروه بغير هذين السندين .

(2) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام
↓
أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي
↓
أخوه أبو الحسن البطليوسي
↓
أبو عبد الله محمد بن يونس الحجارى
↓
أبو محمد بن الأسلمية
↓
محمد بن أبان
↓
القالـــي

14 ـ أبو زيـد الأنصــاري

1 ـ كتاب النوادر

المصدر : ابن خير ص 371
ولم يروه ابن خير عن غير طريق القالي

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو محمد ابن عتاب ← والده أبو عبد الله ابن عتاب ← أبو أيوب سليمان ابن غمرون
أبو عبد الله النفزي ← غانم ابن وليد ← يوسف بن خيرون ← أحمد بن أبان
↓
أبو علي القالي
↓
أبو بكر بن دريد

2 ـ **كتاب الهمز**

3 ـ **كتاب المصادر**

4 ـ **كتاب اللغات**

5 ـ **كتاب حيلة ومحاله**

6 ـ **كتاب خبأة** (كذا) وليس مذكورا عند ابن النديم وكشف الظنون وهدية العارفين .

7 ـ **كتاب المقتضب**

8 ـ **كتاب الأمثال**

9 ـ **كتاب الغرائز**

10 ـ **كتاب الشجر والنبات**

11 ـ **كتيبا أسماء الأيام**

12 ـ **كتاب بيوت الشعر**

13 ـ **كتاب البوش والهوش**

(وفي ابن النديم وهدية العارفين : كتاب الهوش والنوش) .

14 ـ **كتاب البرى والخزائم**

15 ـ **كتاب التمر**

16 ـ **كتاب الرحل والقتب**

(1) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر
↓
أبو علي الغساني
↓
أبو عبد الله محمد ابن عتاب
↓
أبو أيوب سليمان ابن غمرون
↓
القالي

(2) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو محمد ابن عتاب
↓
والده أبو عبد الله ابن عتاب
↓
أبو أيوب سليمان ابن غمرون
↓
القالي

(3) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
غانم بن وليد

17 ـ **كتاب المعزى والابل والشاء** 18 ـ **كتاب مسائية** (وقد طبع مع كتاب النوادر سنة 1894 ببيروت) . وورد اسمه مصحفا في ابن خير . 19 ـ **كتاب ايمان عثمان** (وقد ورد اسمه مصحفا في ابن خير) . 20 ـ **كتاب هشاشة بشاشة**	يوسف بن خيرون ↓ أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن ابن دريد **المصدر** : لبن خير ص 371ـ372 ولم يروها ابن خير عن غير هذا الطريق .

15 ـ أبو عبد الله نفطويه

كتاب أطرغش في اللغة **المصدر** : ابن خير ص 372	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله النفزي ↓ غانم بن وليد ↓ يوسف ابن خيرون ↓ أحمد بن أبان ↓ القالي عن مؤلفه

16 ـ أبو الحسن علي بن حازم اللحياني

كتاب النوادر	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الحسن عبد الملك بن هشام ↓ أبو محمد البطليوسي

المصدر : ابن خير ص 379	أخوه أبو الحسن علي بن محمد ↓ أبو عبد الله محمد بن يونس الحجاري ↓ أبو محمد ابن الأسلمية ↓ أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن أبي عمر المطرز

17 ـ أبو زياد الكلابي (يزيد بن عبد الله)

كتاب النوادر **المصدر** : ابن خير ص 379ـ380 ولم يروه بغير هذا السند .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الحسن يونس بن مغيث ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أبو بكر الزبيدي ↓ أبو علي القالي عن ابن دريد

18 ـ أبو نصر أحمد بن حاتم (غلام الأصمعي)

كتاب الأجناس	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام ↓ عبد الله بن السيد ↓ أخوه أبو الحسن علي بن محمد ↓ أبو عبد الله محمد بن يونس الحجاري

المصدر : ابن خير ص 381
ولم يروه بغير هذا السند .

أبو محمد بن الأسلمية
↓
محمد بن أبان بن سيد
↓
أبو علي القالي عن ابن الأنباري

19 ـ أبو عبيـدة معمر بن المثني

1 ـ كتاب الخيل

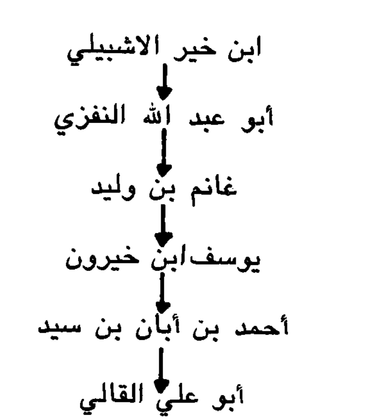
ابن خير الاشبيلي
↓

أبو عبد الله النفزي	أبو الحسن عبد الملك ابن هشام
↓	↓
غانم بن وليد	أبو محمد عبد الله ابن السيد
↓	↓
يوسف بن خيرون	أخوه أبو الحسن علي بن محمد
↓	↓
	أبو عبد الله الحجاري
	↓
	أبو محمد بن الأسلمية
↓	↓
أحمد بن أبان ابن سيد	محمد بن أبان ابن سيد

↓
أبو علي القالي عن ابن دريد

المصدر : ابن خير ص 383–384
ورواه ابن خير عن غير طريق القالي

2 ـ كتاب مقاتل الفرسان



المصدر : ابن خير ص 383-384

20 ـ أبو محمد التوزي

كتاب الأضداد

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
رواه بسنده المذكور في (مقاتل الفرسان) لأبي عبيدة .

المصدر : ابن خير ص 384
ولم يروه بغير هذا السند .

21 ـ سيبويه

الكتاب

محمد بن عبد الملك المنتوري (ت 834 هـ)

ابو عبد الله القيجاطي
↓
ابو عبد الله محمد بن يبين
↓
ابو اسحاق الغافقي
↓
ابو الحسين عبد الله بن ابي الربيع
↓
ابو علي الشلوبين
↓
ابو بكر محمد بن الجد
↓
ابو الحسن بن الاخضر
↓
ابو الحجاج الاعلم

ابو محمد بن لب
↓
ابو الحسن علي بن عمر القيجاطي
↓
ابو علي الحسين بن ابي الاحوص
↓
احمد بن يزيد بن بقي
↓
ابو الحسن بن علي بن احمد ابن حنين
↓
ابو بكر خازم بن محمد بن خازم

↓
ابو بكر بن افلح
↓
ابو عمر بن ابي الحباب
↓
ابو علي القالي عن ابن درستويه

المصدر : فهرسة المنتوري مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 3080 ك .
ملحوظة : لم يرو المنتوري كتاب سيبويه بغير هذا الطريق .

ووردت عند ابن خير (4) مجموعة أخرى من الكتب اللغوية والأدبية ذكرها ضمن كتب الأخبار التي جلبها أبو علي ، وهي :

1 ـ **المدخل للمبرد** تام .
2 ـ **المهذب** (تام في جزئين) للدينوري .
3 ـ **كتاب الأحباس** (ولعله الأجناس) في جزئين ، لأبي نصر . سمعه من ابن الأنباري .
4 ـ **كتاب الألف واللام** (في جزء) للمازني .
5 ـ **التصريف** (في جزء) للمازني أيضا .
6 ـ **كتاب الاكليل** (5) (في جزئين غير مسموع) .
7 ـ **كتاب السرج واللجام** لابن دريد .

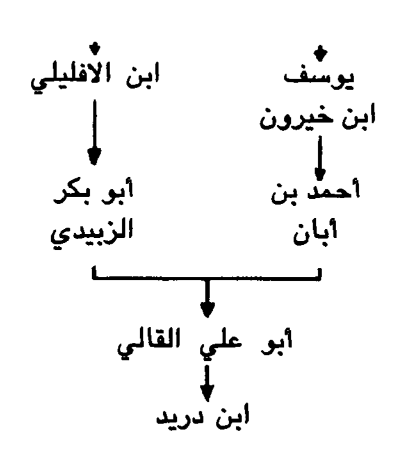
وسند هذه المجموعة هو سند كتب الأخبار الآتي فيما بعد .

(4) ابن خير (ص 398-399) .
(5) لم يذكر مؤلفه .

ب ـ الأشعار والدواوين

1 ـ **الأشعار الستة الجاهلية** **المصدر :** ابن خير ص 388ـ389 ولم يروها ابن خير بغير هذا الطرين وأنظر ص 398 .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو بكر بن فندلة ↓ أبو الحجاج الأعلم الشنتمري ↓ أبو سهل الحراني ↓ أبو مروان الطوطالقي — يوسف بن فضالة — ابن أبي الحباب ↓ أبو علي القالي ↓ ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
2 ـ **أشعار هذيل رواية الأصمعي** **المصدر :** ابن خير ص 389 ولم يروها ابن خير بغير هذا السند .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو سهل الحراني ↓ أبو عمر ابن أبي الحباب ↓ **القالي عن ابن دريد**
3 ـ **ديوان الأشعار المفضليات** بتفسير أبي الحسن الأخفش	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر بن مكي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج

المصدر : فهرسة ابن خير ص 390 ولم يروها ابن خير بغير هذا السند .	أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان ↓ أبو علي القالي عن الأخفش مفسرها
4 ـ **شعر ذي الرمة** تفسير أبي العباس محمد بن الحسن الأحول . **المصدر :** ابن خير ص 391 ولم يروه بغير هذا السند .	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله جعفر ابن مكي — أبو بكر محمد ابن أحمد أبو بكر محمد ابن أحمد ← أبو الوليد مالك ابن عبد الله العتبي ↓ أبو مروان عبد الملك بن سراج ↓ أبو القاسم بن الافليلي ↓ أحمد بن أبان بن سيد ↓ القالي عن نفطويه
5 ـ **شعر أعشى بكر**	ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله النفزي — أبو عبد الله جعفر بن مكي أبو عبد الله النفزي ← غانم ابن وليد أبو عبد الله جعفر بن مكي ← عبد الملك ابن سراج



المصدر : ابن خير ص 391ـ392
ولم يروه بغير هذا السند .

6 ـ أراجيز العجاج وابنه رؤبة

ابن خير

أبو الحسين عبد الملك ابن هشام — أبو عبد الله النفزي

أبو محمد ابن السيد — غانم بن وليد

أخوه أبو الحسن علي بن محمد — ابن خيرون

أبو عبد الله الحجاري — أحمد بن أبان

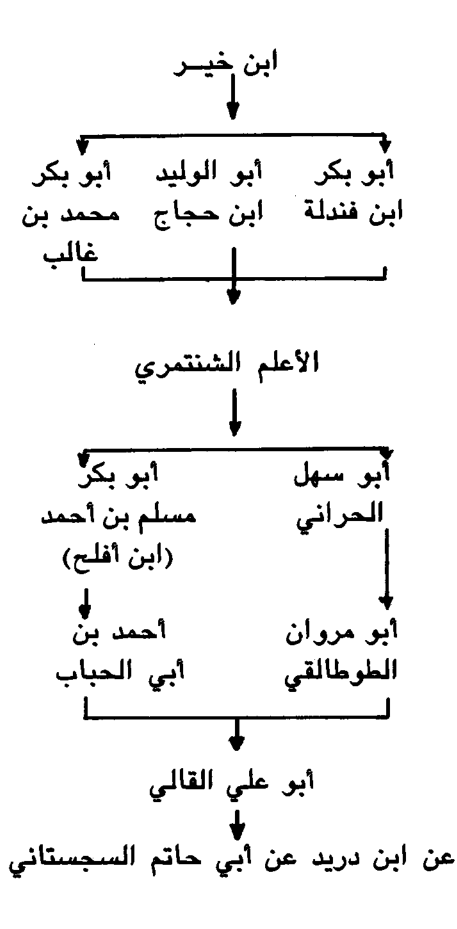
أبو محمد بن الأسلمية

محمد بن أبان بن سيد

أبو علي القالي عن ابن دريد

المصدر : ابن خير ص 392
ولم يروها بغير هذا السند .

7 ـ **شعر الحطيئة**



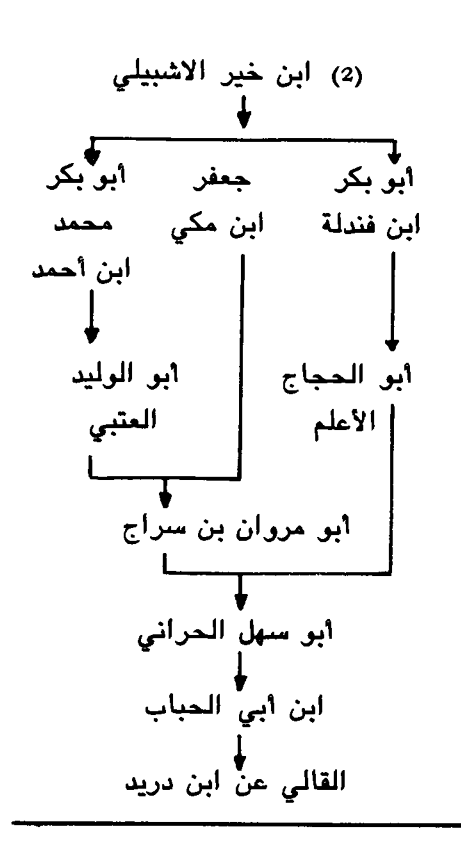
المصدر : ابن خير ص 392–393
ولم يروه ابن خير بغير هذا السند .

---

8 ـ **شعر طفيل الغنوي**

(1) ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله النفزي
↓
غانم بن وليد
↓
يوسف ابن خيرون
↓
أحمد بن أبان
↓
أبو علي القالي

المصدر : ابن خير ص 393



المصدر : ابن خير ص 393

---

9 ـ **شعر عمرو بن أحمر الباهلي**

المصدر : ابن خير ص 393-394

رواه ابن خير بسنده (رقم 2) في رواية شعر طفيل الغنوي . وأنظر ص 398 من فهرســة ابن خير . فقد رواه بغير هذا السند .

---

10 ـ **مقصورة ابن دريد**

(1) ابن خيــر

↓

أبو عبد الله النفزي

↓

غانم بن وليد

↓

عبادة بن ماء السماء

↓

أبو بكر الزبيدي

↓

أبو علي القالي عن ابن دريد

المصدر : ابن خير ص 400

(2) أبو محمد عبد الحق بن عطية
↓
والده أبو بكر غالب بن عبد الرحمان
↓
أبو عبد الله محمد بن حارث السرقسطي
↓
أبو عمر أحمد بن صارم
↓
أبو نصر هارون بن موسى
↓
القالي عن ابن دريد

المصدر : فهرسة ابن عطية ص 13

---

11 ـ شعر أبي تمام الطائي

ابن خير
↓

أبو عبد الله ابن مكي	أبو بكر ابن فندلة	أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال
↓	↓	↓
عبد الملك ابن سراج	الأعلم الشنتمري	أبو تميم العز ابن بقنة

↓
أبو القاسم بن الافليلي
|
أحمد بن أبان بن سيد
↓
أبو علي القالي عن ابن درستويه

المصدر : ابن خير ص 402–403
ولم يروه ابن خير بغير هذا السند .

---

12 ـ شعر ابن المعتز وترسيله وفصوله

ابن خير
↓
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن معمر
↓
أبو بكر المصحفي

المصدر : ابن خير ص 404–405
ولم يروه ابن خير بغير هذا السند .

والده هشام المصحفي
↓
أبو عبد الله حبيب الشطجيري
↓
القالي عن جحظة عن ابن المعتز

---

13 ـ شعر تميم بن أبي مقبل العجلاني

14 ـ شعر كعب بن زهير

15 ـ شعر مهلهل

16 ـ شعر لبيد

17 ـ شعر توبة بن الحمير الخفاجي

18 ـ شعر ليلى الأخيلية

19 ـ شعر أبي زبيد الطائي

20 ـ شعر يزيد بن مفرغ الحميري

21 ـ شعر عدى بن الرقاع العاملي

22 ـ شعر الأسود بن يعفر النهشلي

23 ـ شعر الراعي (حصين بن معاوية النميري)

24 ـ شعر الأحوص بن محمد الانصاري

25 ـ شعر مزاحم بن الحارث العقيلي

26 ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي

27 ـ شعر حميد بن ثور الهلالي

28 ـ شعر أحيحة بن الجلاح الانصاري

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو عبد الله جعفر بن مكي.
↓
أبو مروان عبد الملك بن سراج
↓
أبو سهل الحراني
↓
عن شيوخه الذين منهم :

الطوطالقي ـ ويوسف بن فضالة ـ وابن أبي الحباب . وهم الرواة عن القالي .

(أنظر ابن خير ص 399) .

29 ـ شعر الفرزدق (همام بن غالب المجاشعي)

30 ـ شعر سحيم عبد بني الحسحاس

31 ـ شعر أبي نخيلة يعمر الحماني

32 ـ شعر العجاج عبد الله بن رؤبة

33 ـ شعر رؤبة بن العجاج التميمي
(وقد تقدمت في ص 392 من ابن خير رواية أراجيز العجاج وابنه رؤبة).

المصدر : ابن خير ص 397

---

34 ـ شعر عنترة بن شداد العبسي

35 ـ شعر بشر بن أبي خازم

36 ـ شعر المتلمس جرير بن عبد المسيح الضبعي)

37 ـ شعر الحارث بن حلزة

38 ـ شعر حسان بن ثابت الأنصاري

39 ـ شعر النمر بن تولب العكلي

المصدر : ابن خير ص 397

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو بكر محمد بن عبد الملك (وغيره)
↓
أبو علي الغساني
↓
أبو مروان بن سراج
↓
عن شيوخه
↓
عن القالـي .

(أنظر ابن خير ص 399).

---

40 ـ شعر السليك بن السلكة

41 ـ قصيدة عمرو بن كلثوم

42 ـ قصيدة لقيط بن معمر

ابن خير الاشبيلي
↓
أبو بكر ابن فندلة — أبو الوليد ابن حجاج — ابن غالب القرشي
↓
الأعلم الشنتمري

43 ـ **شعر حاتم بن عبد الله الطائي** 44 ـ **شعر زيد الخيل** **المصدر :** ابن خير ص 398	أبو سهل الحراني ↓ عن شيوخه عن القالي
45 ـ **مراثي الاعلاق** وتقع في جزء غير مسموع 46 ـ **كتاب النقائض بين جرير والفرزدق** (6) **المصدر :** ابن خير ص 383	(1) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو الحسين عبد الملك بن هشام ↓ رواه بسنده في (كتاب الخيل) المذكور
	(2) ابن خير الاشبيلي ↓ أبو عبد الله النفزي ↓ رواه بسنده في (مقاتل الفرسان) المذكور

واذا كانت تلك هي الدواوين والأشعار التي استطعت أن أعثر لها على أسانيد روايتها بالأندلس ، فان هناك أشعارا أخرى أوردها ابن خير في فهرسته دون سند . وهي بالاضافة الى ما سبق :

1 ـ شعر عمرو بن قميئة (تام في جزء) ، قرأه أبو علي على نفطويه .
2 ـ شعر الخنساء (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .
3 ـ شعر جميل (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .
4 ـ شعر أبي النجم (في جزء) ، قرأه على ابن دريد .
5 ـ شعر معن بن أوس المزني (وهو تام في كراستين) .
6 ـ شعر النابغة الذبياني (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .

(6) وقد ذكره ابن خير ضمن كتب اللغة والأدب .

7 ـ شعر علقمة بن عبدة التميمي (تام في جزء) ، قرأه على نفطويه .

8 ـ شعر الشماخ بن ضرار الثعلبي (في جزء) قرأه على ابن دريد .

9 ـ شعر عروة بن الورد .

10 ـ شعر المثقب ، قرأه على ابن دريد .

11 ـ شعر مالك بن الريب المازني .

12 ـ شعر النابغة الجعدي (تام في خمسة أجزاء) ، قرأه على نفطويه .

13 ـ شعر المغيرة بن حبناء (7) وأخيه صحن (غير مسموع) .

14 ـ شعر كثير بن عبد الرحمان الخزاعي (تام في جزئين) ، قرأهما على ابن دريد .

15 ـ شعر القطامي عمير بن شبيم (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .

16 ـ جزء فيه من شعر عمرو بن شأس ، لم يقرأه .

17 ـ شعر عدي بن زيد العبادي (في جزء تام) ، قرأه على ابن دريد .

18 ـ شعر عبدة بن الطبيب (تام في جزء) .

19 ـ شعر الأفوه (صلاءة (8) بن عمرو الأودي) (في جزء تام) ، قرأه على ابن دريد .

20 ـ شعر زهير بن أبي سلمى (في جزء) ، رواية ابن مجاهد عن ثعلب .

21 ـ شعر عبيد بن الأبرص (جزء تام) ، قرأه على ابن دريد .

22 ـ شعر المرقشين الأكبر والأصغر (تام) ، قرأه على ابن دريد .

23 ـ شعر سلامة بن جندل (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .

24 ـ شعر قيس بن الخطيم الأنصاري (تام في جزء) ، قرأه على ابن دريد .

25 ـ شعر الطرماح بن حكيم الطائي (تام) ، قرأه على ابن دريد .

26 ـ شعر امرىء القيس بن حجر الكندي (تام) ، قرأه على ابن دريد .

27 ـ شعر دريد بن الصمة (تام) ، قرأه على ابن دريد .

28 ـ شعر (أبي خلدة ؟) (تام) (9) ، قرأه على ابن دريد .

29 ـ أربعة عشر جزءا من شعر الهذليين ، قرأه على ابن دريد .

30 ـ شعر عمر بن أبي ربيعة (في جزء تام) ، قرأه على نفطويه .

---

(7) في فهرسة ابن خير : المغيرة بن حبنا .

(8) في ابن خير (ص 396) (صلاة) .

(9) وقد أعاد هنا ذكر أشعار رؤبة بن العجاج ، فحذفتها من اللائحة لأنها مرت .

31 ــ شعر أبي نواس ، لم يقرأه .

32 ــ شعر جرير بن الخَطَفي الكلبي (سمعه يقرأ على نفطويه . قال : "وهو جزء ضخم ، فيه كل ما خرج من شعره عن النقائض") .

33 ــ شعر طرفة بن العبد اليشكري (تام في جزء) ، (لم يسمعه) (10) .

وهو قدر هائل ــ كما نرى ــ من الدواوين الشعرية التي تمثل في مجملها اشعارا جاهلية واسلامية لكبار الفحول ، ثم للمغمروين والاعراب ، ممن يستشهد بشعرهم لجزالته ورصانته ، أو لتقدم زمنه . على أننا نجد في مؤلفات القالي نقولا كثيرة عن أشعار أخرى لم تذكر في هذه اللوائح الطويلة . ونجده في (الأمالي) خاصة يلفت نظرنا بين الحين والآخر الى رواياته لأشعار بعض المحدثين والمعاصرين له . فهو مثلا يروي أشعار البحتري ، وابن الرومي ، كما يروي شعر علي بن بسام عن ولده أبي علي (11) وأشعار أساتذته : ابن دريد غي مواضع كثيرة (12) ونفطويه (13) وجحظة البرمكي (14) وغيرهم . الا أن هذا الشعر المحدث كان قليلا بجانب ما يحفظه ويرويه من دواوين الشعر القديم .

---

(10) أنظر في هذه اللائحة كلها . فهرسة ابن خير (ص 395 ــ 396 ــ 397 .

(11) الأمالي (1/100) .

(12) أنظر الأمالي على سبيل المثال (1/133 ــ 2/113 ــ 3/208) .

(13) الأمالي (1/202 ــ 209) .

(14) الأمالي (1/209 ــ 3/187) .

ج ـ كتب الأخبار

ودخل أبو علي الى الأندلس ، وهو يحمل جملة أخرى من الكتب الخاصة بأخبار الشعراء والأدباء والعلماء وأيام العرب وقصصها . وقد ذكر منها ابن خير هذه المجموعة :

1 ـ ثمانية وعشرون جزءا من أخبار نفطويه ، سمعها القالي عنه .

2 ـ خمسة أجزاء من أخبار ابن الأنباري ، مسموعة .

3 ـ سبعة أجزاء عن ابن أبي الأزهر ، مسموعة .

4 ـ ثمانية وخمسون جزءا من أخبار ابن دريد ، مسموعة .

5 ـ جزءان من الأخبار والانشادات ، مسموعة .

6 ـ جزءان من الأخبار والانشادات عن الأخفش ، مسموعة .

7 ـ جزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي (تام) (15) .

8 ـ الضيفان لثعلب ، مسموع (16) .

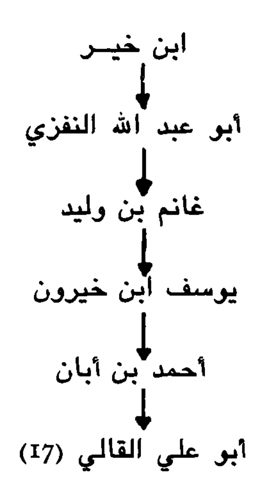
9 ـ مقاتل الفرسان ، غير مسموع . ولم يذكر مؤلفه .

---

(15) قال أبو علي عنها : «.. وقد كنت اشتريت هذه النسخة على أن أقابلها ، فقطعني عن ذلك الشغل» ، ابن خير (ص 398) .

(16) أنظر في هذه اللائحة . فهرسة ابن خير (ص 398 ـ 399) . وأما كتاب (الضيفان) فلا نعلم موضوعه الحقيقي ، ولكنه مذكور عند ابن خير ضمن كتب الأخبار .

وقد روى ابن خير الاشبيلي هذه المجموعة من كتب الأخبار بالسند التالي :



وتوجد عند ابن خير ـ ضمن لائحة كتب الأخبار التي ذكرها مما جلبه القالي (18) ـ جملة كتب أخرى ، ولكنها ليست ـ كما يبدو من عناوينها ـ ذات صلة بموضوع الأخبار ، بل هي من كتب اللغة والاشعار مثل (كتاب المدخل للمبرد ـ ومراثي الأعلاق ـ وكتاب السرج واللجام الخ ..) فلذلك انتزعتها من تلك اللائحة وأوردتها مع كتب اللغة والأشعار .

واذا كان هذا هو غاية ما استطعت معرفته مما أتى به القالي من كتب ومرويات ، بأسانيدها المتشعبة التي تنحدر الى القرن السادس الهجري فما بعده ، فهو لا يعني بحال أنه يمثل حصيلة ما رواه أبو علي أو أدخله الأندلس . وذلك لأسباب سبق ذكرها في أول الباب (19) . وكدليل آخر على ما قلته ، أذكر أن هناك كتبا رواها القالي وجعلها ضمن مصادر مؤلفاته ، ولكنها لم تقع الاشارة اليها في الفهارس والبرامج الأندلسية . أذكر منها : (كتاب المثالب) لأبي عبيدة ـ و (المتناهي في اللغة) لابن دريد ـ و (المعاني الكبير) ليعقوب . ومن كتب الأخبار (مغازي الواقدي) وغيرها مما كان ينقل عنه في مؤلفاته وأماليه .

---

(17) أنظر فهرسة ابن خير (ص 399) .
(18) ابن خير (ص 398) .
(19) أنظر الباب الثالث من القسم الثاني من هذا البحث .

بعض آثار هذه المرويات في الدراسات الأندلسية

اذا كان القصد من اثبات أسانيد مرويات القالي في هذا الباب ، هو الاستدلال على مدى انتشار هذه المرويات وتداولها بالأندلس ، قراءة وحفظا ورواية . فان هناك جانبا آخر يستطيع به الباحث تدعيم هذا الاستدلال ، وابراز عناية الأندلسيين بما أدخله أبو علي من الكتب والدواوين ، وما كان لها من أثر وصدى في مجال ثقافتهم . وذلك هو جانب الدراسات والشروح والنقول والاقتباسات التي تدور حول هذه المرويات .

واذا كنا قد رأينا جملة كبيرة من هذه الدراسات والشروح عند البحث في طبقات التلاميذ ، ونستطيع بجانب ذلك أن نلقى عددا آخر في كتب الطبقات والتراجم الأندلسية ، فاننا سنكتفي هنا بذكر نماذج وأمثلة قليلة منها حتى نتفادى شيئا من التكرار والاملال .

1 ـ فمن الشروح التي قامت حول أشعار الستة الجاهليين التي رويت بالأندلس في أسانيد متعددة : شرح الأعلم الشنتمري ، وشرح أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ، وشرح محمد بن صاف ، وشرح ابن عصفور ، وشرح ابن خروف (وقد مرت كلها في ترجمة الأعلم) .

2 ـ ومن الشروح التي قامت حول أدب الكتاب لابن قتيبة : شرح أبي محمد البطليوسي (ت 521 هـ) المسمى (بالاقتضاب) ، وشرح أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن بلال (ت 460 هـ) (20) ، وشرح سليمان بن محمد الزهراوي (21) ، وشرح أحمد بن داود الجذامي (22) ، وشرح أبي الحزم الحسن بن محمد بن عليم (23) ، و (شرح خطبة أدب الكتاب) ليزيد بن عبد الجبار القرشي (24) .

3 ـ ومما ألف حول الغريب المصنف لأبي عبيد : شرح أبي العباس أحمد بن محمد بن بلال (25) ، واختصار لأبي بكر محمد ابن المرخي (ت 615 هـ) المسمى (حلية الأديب في اختصار الغريب المصنف) (26) . وقد كان ابن المرخي يروي

---

(20) الذيل والتكملة (ص 392) ق 1 س 1 .
(21) الذيل والتكملة (82/4) .
(22) الذيل والتكملة (ص 115) ق 1 س 1 . وتوفي سنة 597 أو 598 هـ .
(23) الصلة (ص 137/1) (الحسيني) .
(24) برنامج شيوخ الرعيني (ص 51) .
(25) الذيل والتكملة (ص 392) ق 1 س 1 .
(26) برنامج شيوخ الرعيني (ص 96) ـ والذيل والتكملة (487/6) .

كتاب الغريب بسند ينتهي لأبي عمر أحمد بن أبي الحباب عن القالي (أنظره ضمن أسانيد كتب اللغة) وألفه للخليفة المنصور الموحدي .

4 ـ ومما وضع حول (اصلاح المنطق) لابن السكيت : شرح لابن بلال المذكور أعلاه (27) ، واختصار لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش (28) .

5 ـ ومما وضع حول كتاب (الملاحن) لابن دريد : أرجوزة في شرحها ، لأبي بكر القلاوسي المتوفى سنة 707 هـ (29) .

6 ـ ومما وضع حول مقصورة ابن دريد : شرح لمحمد بن هشام اللخمي المتوفى سنة 577 هـ . وشرح لأبي عبد الله الصنهاجي (محمد بن علي بن حماد) المتوفى سنة 628 هـ (30) .

وذلك جزء قليل قصدنا به التمثيل للشروح والدراسات التي قامت حول مرويات القالي .

على أنه اذا عدنا لفحص المؤلفات الأندلسية في اللغة والأدب ، فسنجدها تعتمد جميعها ، على ما تنقله من هذه الكتب التي جاء بها أبو علي ، وقام بتوثيقها وتصحيحها ، فلو حاولنا مثلا أن نستخرج من كتاب (الاقتضاب) لأبي محمد البطليوسي بعض مصادره الكتابية ، فسنجد منها : (كتاب معاني الشعر ، والغريب المصنف ، والأضداد لابن الأنباري ، واصلاح المنطق ، ونوادر ابن الأعرابي ، وخلق الانسان للأصمعي ، وخلق الانسان لابن السكيت ، وكتاب الفرق لأبي حاتم ، وفعلت وأفعلت للزجاج ، وأشعار الهذليين ، والأمثال لأبي عبيد ، وديوان طفيل الغنوي ، وديوان عدي بن زيد ، وشعر ذي الرمة ، وشعر زهير بن أبي سلمى ، وشعر أعشى بكر ، والنقائض ، والمفضليات ، والأشعار الستة ..) وما الى ذلك من الأصول التي حملها القالي . بل أننا سنجده بالاضافة الى نقوله من هذه الكتب ، يكثر من الرجوع الى تعليقات أبي علي على (أدب الكتاب) لابن قتيبة ، وطرره وتصحيحاته على غيره من المؤلفات التي أقرأها بالأندلس .

والذي يعود الى قائمة مصادر ابن سيدة التي أوردها في مقدمة معجمه (المحكم) فسيجد ضمنها عددا كبيرا من هذه المؤلفات التي أدخلها القالي : كالغريب ، والاصلاح ، والألفاظ ، وكتب الأصمعي ، والفراء ، وأبي زيد ، وابن الأعرابي ، وأبي

---

(27) الذيل والتكملة (ص 392) ق I س I .

(28) الذيل والتكملة (385/6) .

(29) الديباج المذهب (ص 302) (وهو من أهل اصطبونة) أو اصطبة (Estapa).

(30) التكملة (628/2) (الحسيني) . ولأبي الحسن حازم القرطاجني (684 هـ) مقصورة طويلة تبلغ 1006 بيت عارض بها مقصورة ابن دريد .

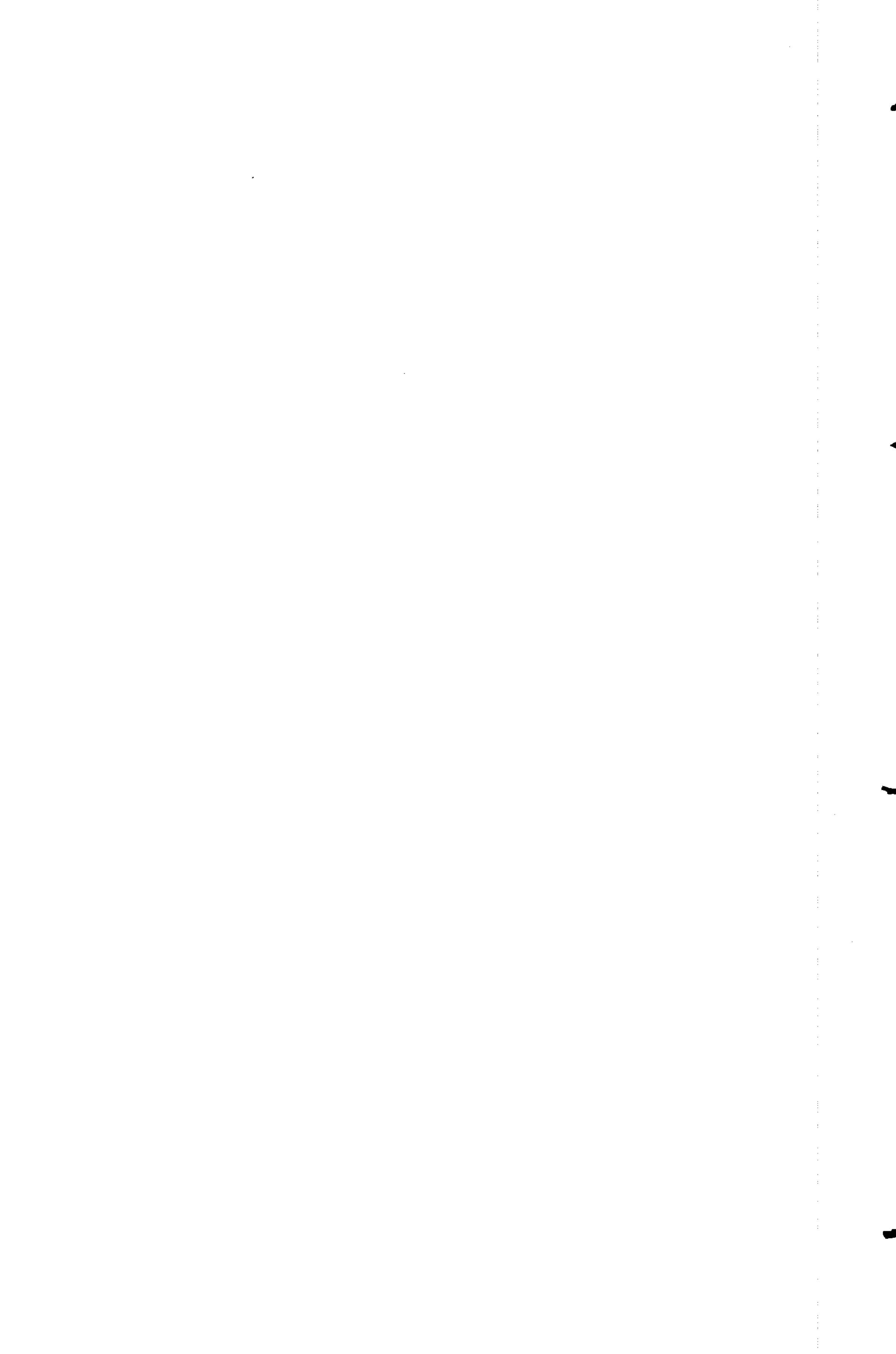
عبيدة ، وكتب النوادر .. وغيرها (31) . فاذا علمنا أن ابن سيدة لم يغادر الأندلس قط ، ولم يرحل الى المشرق في طلب العلم ، كان ذلك دليــلا على أن هذه المؤلفات التي جعلها مصادره ومراجعه ، قد آلت اليه عن طريق رجال الأندلس الذين أخذوها بأسانيد تنحدر أغلبها الى القالي . وهو شيء يغنينا عن الرجوع الى أرجوزته التي ضمنها كل ما رواه عن شيوخه .

ولا نريد بهذا أن ندعي أن أحدا لم يسبق القالي الى ادخال شيء من الكتب التي أتى بها الى الأندلس ، أو أن رحلة الكتب والأســانيد قد توقفت بقدومه . ولكن نريد فقط أن نؤكد حقيقة معروفة ، وهي أن ما أدخله القالي كان أصح الأصول وأوثقها . فلذلك انصرف الناس الى رواية ما بيده عما في يد غيره في الغالب .

وأخيرا ، فانه يمكننا أن نصل الآن ، الى النتيجة التي توخيناها من هذا الباب ، وهي أن الكتب والمرويات التي أدخلهــا القالي ، أســهمت بشكل فعــال في اثراء الدراســات اللغوية والأدبية بالأندلس ، وعملت على ســد جانب كبيــر من الفراغ الثقافي ، سواء عن طريق اعتناء العلماء بروايتها وقراءتها ، أو عن طريق شرحها وتلخيصها ، وجعلها في مقدمة مصــادرهم فيمــا يكتبون ويؤلفون ، بالاضافة الى دورها الذي لعبته في تكييف المناخ العام للثقافة الأندلســية ، وخلق مدرســة تهتم بالتراث القديم ، وتعمل على مدارسته واحيائه .

---

(31) انظر (ص 15) جـ 1 من المحكم .





لقد مكنتنا الدراسة المفصلة لمؤلفات القالي ، وتلاميذه ، والكتب التي أدخلها ، من مشـاهدة الدور الخطير الذي أداه في توجيه الثقافة الأندلسـية وجهة معينة ، وتلمس الأثر الذي ظل صداه يتردد قرونا طويلة ، إذ استطاع أن يعمق جذور اتجاه خاص في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس ، ويعمل على ترسيخ دعائم مدرسة كان همها أن تعنى بذلك التراث العربي القديم ، فتدرسـه وتنميه وتضيف اليه ، بما يجد من البحوث والرسائل والمؤلفات والشروح وغيرها . ثم ما لبث الاهتمام بهذا النوع من الثقافة أن أصبح مع مرور الحقب ، أمرا شائعا بين كثير من المتأدبين ، وتقليـدا راسـخا في المناهج التعليمية ، ولم تكن الأجيـال المتعاقبـة ، والقرون المنطوية ، لتزيده الا شيوعا وتمكينا . فلم يعد مقصورا على أصحاب القالي وحلقات رجاله المتسلسلة ، بل شارك فيه ونمـاه رجال آخرون . وان نظرة واحدة في كتب الطبقات ، لكافية لتطلعنا على واحدة من نتائج تأثيره ، وهي تتجلى في مدى الاهتمام الذي أصبح عند رجال الأندلس باللغة والنحو والأدب القديم . وتلك حقيقة لا نبوح بها لأول مرة ، بل هي ظاهرة ملحوظة قبلنا عند الدارسـين . وقد حلا لأحدهم وهو الأستاذ سـعيد الأفغاني ، أن يقوم يوما باستشارة الأرقام ، فعمد الى (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي ، فأحصى ما فيها من تراجم فاذا هو نحو من 2450 ترجمة ، لعلماء من جميع الأقطار الاسلامية بين الصين والمحيط الأطلسي . ثم هاله ما يتضمنه هذا الرقم من تراجم أندلسـية بلغت وحدها نحو 712 ترجمة ، فقال : «.. وهذه نسبة عالية جدا ، أن يبلغ في هذا المصدر علماء الأندلس الصغيرة المساحة ، قريبا من ثلث علماء العالم الاسلامي كله» (1) . وكما تجلت هذه الحقيقة

(1) نظرات في اللغة عند ابن حزم . سعيد الأفغاني (ص 11) .

في كثرة اللغويين والأدباء ، تجلت كذلك في كثرة المؤلفات اللغوية والأدبية المهتمة بالدراسات القديمة . وهي أيضا ليست من الأسرار التي تخفى ، ولا سيما اذا قارناها بالحال التي كانت عليها الأندلس عند دخول القالي . فقد غنيت المكتبات ، وتراكمت الرسائل والشروح والبحوث ، التي نلحظ أن أكثرها كان موضوعا في شكل دراسات للكتب المشرقية ، كالشروح التي وضعت حول (الغريب المصنف) ، و (كتاب الألفاظ) ، و (أدب الكتاب) ، و (الأشعار الستة) ، و (المقامات الحريرية) ، والدواوين الشعرية ، الخ .. ولعل أشهر كتاب لقي الحظوة والمكانة المرموقة عندهم هو كتاب (الجمل) لأبي القاسم الزجاجي . فقد نيفت شروحه وتلخيصاته الأندلسية التي عرفنا أسماءها ، على العشرين وقاربت الثلاثين (2) .

وأما القسم الآخر من مؤلفاتهم ، فرغم أنه لم يوضع على هوامش وحواشي الأصول المشرقية ، فانه لم يخل من التأثر بها منهجا وموضوعا ، مثل كتاب (المسلسل) (3) لأبي طاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي (المتوفى سنة 538 هـ) ، الذي قلد فيه كتاب (المداخل) لأبي عمر المطرز شيخ القالي ، وكتاب (شجر الدر) لأبي الطيب اللغوي .. هذا فضلا عن المؤلفات التي جعلت من الأصول المشرقية مراجع ومصادر تقتبس منها وتعتمد عليها .

فقد وجدت بالأندلس اذن ، بيئة ثقافية ذات مناخ خاص ، هو المناخ المتشبع بروح هذه الدراسات المتعمقة في القديم ، والضاربة في الأصول والتراث . أو قل : بيئة عملت مدرسة القالي على ترسيخ المناهج المشرقية في محيطها ، فاستلم أبناؤها المشعل من يد المشارقة ، ولعب أبو علي في ذلك دور الواسطة ، وكان قادح نار هذه الشعلة .

وتلك واحدة من نتائج تأثير القالي .

والثانية : أنه أسهم بشكل ملموس في توجيه الذوق الأدبي ، وتشجيع الاتجاه المحافظ في الأدب الأندلسي ، عن طريق ارتباط الأدباء بالدراسات التي أرساها ودعمها ، والنصوص التي جعلها بين أيديهم ، فتمثلوها ، وقلدوها ، وعارضوها ، وأنتجوا تحت تأثيرها .

ولم يفت مؤرخي الأدب الأندلسي وهم يحللون الدوافع والمؤثرات الكامنة وراء اتجاهاته ، أن يلحظوا ذلك بدورهم ، ويضعوا أصابعهم على بصمات القالي وآثاره

---

(2) أنظر طائفة منها في بروكلمان (173/2) وما بعدها – وكشف الظنون (604/1) – ورسالة ابن سعيد في فضل الأندلس (ص 26) . وهناك شروح أخرى غير مذكورة بهذه المصادر ، وهي واردة بكتب التراجم والطبقات الأندلسية .

(3) نشر محققا سنة 1957 م بعناية الأستاذ محمد عبد الجواد ، مصر .

في تشجيع ذلك الاتجاه ، الذي وان لم يكن وحده المتحكم في أذواق الأدباء ، فانه كان منافسا قويا للاتجـاه المحدث . وفي ذلك يقول الدكتور احسـان عباس ، وهو يؤرخ لأدب عصر الطوائف والمرابطين ، ويتحـدث عن المذهبيـن اللذين تجاذبـاه بالأندلس : «.. ان التنافس اشتد بين المذهبين ، وبخاصة بعد أن كثر تلامذة القالي في الأندلس . وكان من ثمرات ذلك التنافس أن شهد هذا العصر الذي أؤرخه هنا ، اشـتداد مذهب العرب في مبنى الشـعر وموضوعه . ويقوم مذهب العرب من حيث مبنـاه ، على قاعدتين هامتين تتصلان بموسـيقاه العامة وهما : الجزالة ، وشدة التدفق ..» (4) .

ثم يقول بعد ذلك :

«.. ولنا أن نعزو هذا الاتجـاه الى طبيعة الدراسات التي جنحت اليها مدرسة القالي . وهذا يتجلى بوضوح ، من مراجعة الكتب التي اهتمت بتدريسـها وشرحها وتقريبهـا للطلبة ، وكلها من النوع الذي يقدم نمـاذج من طريقة العرب أو نمـاذج تحتذيها ..» (5) .

نعم ... ان الذي جعل الدكتور احسان عباس يقول بذلك الرأي ، هو أن القالي حين دخل الأندلس واستحسن يوما قصيـدة لأبي عبد الله الرباحي شـيخ الزبيدي (ت 358 هـ) ـ وهي على طريقة العرب ـ لم يجد غيـره من عامة الناس يقول برأيه ويذهب مذهبه في استحسانها . قال الزبيدي في ترجمة الرباحي المذكور :

«.. وله قصيدة رثى بها أحمد بن موسى بن حدير ، بناها على "مذاهب العرب" وخرج فيهـا عن مذاهب المحدثين فلم يرضها العامة . وكان أبو علي اسماعيل بن القاسم شديد الاعجاب بها ، كثير الثناء عليها . وهي التي أولها :

احدى الرزيات ولا أعطي السـوى
رزءا به دهري ولو عز العزا ..» (6)

وهذا يعني أن الذوق الأندلسي اذ ذاك لم يكن يؤثر من الشعر والأدب عموما ، الا ما كان جاريا على (طريقة المحدثين) التي كان يمثل قمتها في المشرق أبو تمام وأنصاره . وقد كان تأثر الأندلسيين بهذا الاتجاه الأخير ، سابقا لتأثرهم بالمذهب المحافظ . ولعل من أسـباب هذه الظاهرة «.. أن الشـعر المحـدث من بين جميع الموروث الشعري العربي ، أحب الى الأندلسيين ، لأنه يعبر عن مرحلة حضـارية

(4) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين (ص 108) .
(5) تاريخ لأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين (ص 109) .
(6) طبقات الزبيدي (ص 313) ـ والسوى بالكسر : الغير . وقال أبو علي القالي في (المقصور والممدود) «وسوى اذا ضممت السين أو كسرتها قصرت ، واذا فتحتها مددت ..» (ص 143) .

يعيشونها ، بينما يمثل الشعر القديم (أو البدوي) مرحلة لم يعرفوها . ولهذا تناولوا النماذج الجاهزة من الشعر المحدث وصبوا على قوالبها ..» كما يقول احسان عباس (7) .

فاذا كان القالي قد تمكن من توجيه الذوق الأدبي لغالبية رجال الأندلس ، وتحويله من الاعجاب بالمحدث ـ وهو ما كانوا عليه وقت قدومه ـ الى الاعجاب بالقديم المحافظ ـ وهو ما صاروا اليه في العصر التالي ـ فذلك دليل على أثره في هذا الجانب . ونحن لا نزعم أن مدرسة القالي كان لها وحدها كل هذا الفضل ، فلقد وجدت عوامل أخرى ساعدت على تحويل ذوق أهل الأندلس ـ أو أغلبهم ـ ومنها أنهم تأثروا فيما بعد بشعر البحتري والمتنبي اللذين يمثلان في المشرق (الردة المعاكسة) أو الاتجاه (المحافظ الجديد) . على أن تقوية جانب المحافظة في الأدب الأندلسي ، لم يكن يعني أن الاتجاه الآخر قد تلاشى أثره ، بل ظل ينافسه ويوازيه .

وليس من مهمة بحثنا ـ بعد ذلك ـ أن يقوم بدراسة الاتجاهين اللذين سادا الأدب الأندلسي طوال حياته ، كما ليس من شأنه أن يسمح باستعراض جملة كبيرة من النماذج والشواهد . فذلك مبحث آخر يجب أن يأخذ مجاله في دراسة خاصة . ويكفينا هنا أن نشير الى بعض الذين تأثروا بجو هذه الدراسات المتعمقة في القديم .

ـ فنذكر منهم على سبيل المثال : أبا عامر أحمد بن شهيد ، الذي يعتبره الدكتور احسان عباس ثمرة من غرس القالي ومدرسته (8) . فهو من الأدباء البارزين في هذا الاتجاه ، تشهد لذلك كتاباته النثرية والشعرية ، وقصائده التي عارض بها امرأ القيس ، وقيس بن الخطيم ، وطرفة بن العبد ، والمتنبي ، وكبار الكتاب المشهورين (9) .

ـ ومنهم أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (ت 455 هـ) الذي قال عنه الحميدي في ترجمته :

«.. وشعره على "طريقة العرب" ومن ذلك قوله :

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم
على ما به منهم حنين الأباعر
أتجزع آبال الخليط لبينهم
وتسفح من دمع سريع البوادر

---

(7) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة (ص 120) .
(8) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة (ص 293) . وقد توفي ابن شهيد سنة 426 هـ) .
(9) انظر رسالة (التوابع والزوابع) التي نشرها بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت سنة 1967 ـ وديوانه الذي نشره يعقوب زكي ، القاهرة (بدون تاريخ) .

وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا
الا ان قلبي صابر غير صابر ..» (10)

– ومنهم أبو بكر الكميت بن الحسن ، وهو من شعراء بني هود بسرقسطة . ومن شعره :

سقى البرق ما بين العذيب وبارق
وواصل ما بين النباج ومنبج
منازل لم تقصر بهن ظباؤها
ولا نهيت غزلانها عن تبرج
ليالي أبناء الهوى من هوائها
معا تحت ظل سابغ البرد سجسج (11)

فتراه ينقلنا من خضراء الأندلس وجناتها الظليلة ، الى منازل في بوادي الشام والعراق .

– ومنهم أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ) صاحب المقصورة الألفية التي عارض بها مقصورة أبي بكر بن دريد ، ومطلعها :

لله ما قد هجت يا يوم النوى
على فؤادي من تباريح الجوى

وهو شاعر حافظ للتراث متأثر به قراءة وتعليما . وفي ديوانه (12) قصائد كثيرة في المدح وغيره ، تجري كلها على طريقة العرب مبنى وموضوعا . ومن الأشعار الدالة على تأثره المباشر بالتراث اللغوي والأدبي القديم ، القصيدة التي مدح بها الرسول عليه السلام وضمنها اشطار معلقة امرىء القيس ، ومطلعها :

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل :
''قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل''
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا
''بسقط اللوى بين الدخول فحومل'' (13)

(10) الجذوة (ص 265) .
(11) نفس المصدر (ص 314) – والسجسج : الهواء لا قر به ولا حر (القاموس) .
(12) طبعه الأستاذ محمد الحبيب ابن الخوجة سنة 1972 م بالدار التونسية للنشر .
(13) الديوان (ص 179) .

– وعلى هذا النحو في تضمين أشطار قصيدة امرىء القيس ، جرى شاعر آخر وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المتوفى سنة 785 هـ ، في قصيدته التي مدح بها الرسول أيضا ، ومطلعها :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي :
"ألا عم صباحا أيها الطلل البالي" (14)

على أن الاتجاه المحافظ بالأندلس ، لم ينحصر وجوده في مثل هذه النماذج الواضحة التأثر والتقليد للقديم . بل ان جل الأشعار الأصيلة مما جرى على ألسنة فحول أهل الأندلس كابن هانىء ، وابن دراج ، والرمادي ء كان من حيث مبناه شعرا مطبوعا لا يحيد عن "الجزالة والتدفق" ولا سيما أنه أيضا متأثر بالمتنبي ومقلد لأساليبه . ويعتبر احسان عباس مع هذا أن أوضح موضوع تجلت فيه آثار طريقة العرب ، هو شعر الرثاء (15) الذي يجري على نحو قصيدة ابن عبدون في رثاء بني الأفطس .

فهذا الاتجاه المحافظ الذي مثلنا له لم يكن ليصمد ويقوى في وجه الاتجاه المحدث ، لولا ما بذلته مدرسة القالي من جهود في ترسيخ الدراسات القديمة .

وقد يحلو لباحث بعد هذا أن يقوض علينا هذا البناء ، وينقض ما رتبناه من نتائج بأن يقول : اذا كان لمدرسة القالي ما كان من تأثير قوي في توجيه الذوق الأدبي للأندلسيين تلك الوجهة المحافظة المتشبثة بأذيال الماضي القديم ، فهي اذن قد أسهمت في اعاقة (حركة التجديد) ودفعها الى الوراء ، وقد كان بالامكان أن تسير في تطور عاجل الى الأمام ، وتبدأ من حيث انتهى المشرق ، لا يعوقها شيء ولا يمسكها حاجز .

وهو اعتراض – اذا قيل – لا بد أن ينطبق أيضا على باقي التيارات المشرقية الوافدة ، التي جعلت الأندلس – لزمن طويل – تقع في جاذبية التقليد .

والواقع أن شبيها بهذا الاعتراض قد خطر ببال المستشرق الفرنسي (ر . بلاشير) فطرحه بطريق غير مباشر ، حين تحدث في مقاله الطويل عن صاعد البغدادي ، وقيمة ما أدخله المشارقة الى الأندلس من آداب (16) . فبعد أن حملهم مسؤولية

---

(14) أزهار الرياض (178/3) .
(15) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف (ص 117) .
(16) مجلة (Hespéris) الجزء العاشر سنة 1930 (ص 15) . والمقال منشور بعنوان (أحد رواد الثقافة العربية المشرقية في الأندلس أثناء القرن العاشر للميلاد : صاعد البغدادي) :
(un pionnier de la culture arabe orientale en Espagne au X^e siècle: S'àid de Bagdad) par R. Blachére.

الشوائب والنقائض التي تسربت للأدب الأندلسي ، وجنايتهم على أذواق الجيل الذي تلاهم من الأندلسيين الأدباء ، قال بما يمكن ترجمته : «.. انهم لم يجلبوا اذن للمغرب ما كان بيد الأدب العربي بالمشرق مما هو صالح وسليم وحي ، ولكنهم عكس ذلك حملوا اليه ما هو جامد ومنحط وعقيم ، حملوا اليه شعر القصر و (الصالون) والمتكلف فكرة وعبارة ، وما هو من ذوق أصحاب الدراسات النحوية واللغوية» (17) .

وهو قول اذا صح تطبيقه على صاعد البغدادي أو غيره من المشارقة الوافدين ، فهو أبعد ما يكون انطباقا على القالي . وذلك لسببين :

1 – أن ذوق القالي لا يقبل بحال أن يوصف بالعقم والجفاف ، وهو الذي يشهد كتاب (الأمالي) على صفائه وجودته . وقد رأينا في دراسة ذلك الكتاب ، انه يكاد يخلو من شعر المديح الذي سماه (بلاشير) شعر (القصر والصالون) . على أن المدح في الشعر العربي كان من أهم عوامل الابداع والتجويد الفني عند الشعراء ، وأن الأبيات وأنصاف الأبيات التي يمكن أن تمثل الشعر العقيم الجامد مما ورد بكتب القالي ، لم تكن مقصودة لذاتها أو لغاية فنية تخدمها ، بل هي مجرد أداة للاستشهاد والاحتجاج في الميدان اللغوي ، وليس لأجل تهذيب ذوق أو صقل موهبة ، ولا دور لها في أي توجيه أو تأثير . فان قصد القالي الى شيء من ذلك أتى بالأشعار الغزلية والوجدانية الرقيقة ، من مثل قول الشاعر :

ألا قاتل الله الحمامة غدوة
على الأيك ماذا هيجت حين غنت
تغنت غناء أعجميا فهيجت
جواي الذي كانت ضلوعي أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة
حجازية ، لو جن طرف لجنت (18)

أو أتى بما يشاكل ذلك من قول الآخر :

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر
وفصنك مياد ففيم تنوح ؟

(17) نفس المصدر (ص 36) .
(18) الأمالي (1/131) . وأنظر نماذج أخرى في نفس الصفحة .

أفق لا تنح من غير شيء فانني
بكيت زمانا ، والفؤاد صحيح
ولوعا ، فشطت غربة دار زينب
فها أنا أبكي والفؤاد جريح (19)

أو قول أبي الشيص :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
متأخر عنه ، ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم
اذ صار حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا
ما من يهون عليك ممن أكرم (20)

فان من لم يحركه هذا الشوق ، ويعذبه هذا الحنين ، فليقل أن هذا الشعر (جامد) و (عقيم) ، على أني ما أظن أنه كان بالمشرق شعر أعذب وأرق وأجود منه . وذلك شأن القالي في المقطعات والأبيات القصيرة ، وأما القصائد الطوال فدونك منها ما تشاء (21) .

2 ـ أنه لم يقتصر فيما أدخله الأندلس ـ كما عرفنا ـ على كتب اللغة والنحو ، وهي الكتب التي تحتوي عادة على الشعر الجاف العقيم ، بل لقد جلب حقا ما بيد المشرق من الشعر العربي السليم ، وأتى بأحمال من الدواوين والمجموعات ، التي تمثل شعر العصور الجاهلية والاسلامية والأموية والعباسية المعاصرة له ، وضمنها ديوان أبي تمام ، وأشعار ابن المعتز وترسيله ، وأشعار ابن دريد ، وجحظة ، وابن الرومي ، والبحتري ، وابن بسام .. واذا كان غالب ما أتي به من الشعر القديم ، فهذا لا يطعن في ذوقه . وهو على كل حال لم يكن رجل نحو ولغة فقط ، بل كان أيضا رجل أدب ذا ذوق سليم واختيار صائب .

---

(19) الأمالي (133/1) .
(20) الأمالي (218/1) .
(21) أنظر من مختارات الشعر في الأمالي الصفحات 32 ـ 53 ـ 65 ـ 71 ـ 84 ـ 87 ـ 88 ـ 99 ـ 100 ـ 108 ـ 123 ـ 136 ـ 137 ـ 161 ـ 221 ـ 269 ـ من الجزء الأول ـ وأنظر الصفحات 49 ـ 62 ـ 82 ـ 84 ـ 102 ـ 107 ـ 141 ـ 148 ـ 237 ـ 257 ـ 299 ـ 314 من الجزء الثاني . وذلك على سبيل المثال .

وأما كون مدرسة القالي قد أسهمت في اعاقة حركة التجديد الأدبي بالأندلس ، فهو أمر أدفعه رغم ما تميزت به تلك المدرسة من ايثار للذوق التقليدي المحافظ ، وذلك لأسباب :

1 ـ أن أية حركة تجديدية في الأدب أو الفكر أو الحضارة ، لا يمكن أن نقيم بنيانها على غير أساس ثابت من الأصول والتراث ، ولا يمكن أن تبدأ نقطة تحركها من الصفر . بل لا بد لها من جذور قديمة تكشف عنها في غابرها ، حتى اذا انتهى أمر دراستها وهضمها وتمثلها ، انبثقت منها حلقات جديدة تبرز وهي ماسكة بأذيال القديم ، وتواقة الى الطريف والجديد .

وقد كان دور القالي ومدرسته بالأندلس ، هو تدعيم وترسيخ أسس التراث القديم ، الذي قام عليه بنيان نهضتها العلمية أولا . ثم توحيد المنطلق الفكري والأدبي خاصة بين المشرق والمغرب الاسلاميين ، وهو شيء مهم ساعد على أن تظل الأندلس قطعة لا تنفصم عن سلسلة الحضارة العربية ، حتى بعد خروج المسلمين من اسبانيا .

وبهذا لن يكون دور القالي هو اعاقة التجديد ، بل هو الأساس فيه ، والدافع اليه .

وهكذا فان حركة (الأدب الأصيل) قد صاحبت مدرسة القالي وسارت في ركابها وبجانبها ، تتغذى من موائدها وتتربى على آدابها . ثم تنطلق حرة حين تشب أقلامها ، وتقوى أساليبها . فنحن نجد من تلاميذ القالي : الشاعر الرمادي في الطبقة الأولى ، ثم أبا بكر عبادة بن ماء السماء في الطبقة الثانية . وقد كانا علمين بارزين في فن التوشيح ، وهو منبع أصيل في الأدب الأندلسي . وقد أعقب موت القالي أيضا ، عصر نشأ فيه كثير من الأدباء الفحول كابن شهيد ثم ابن زيدون وابن دراج وابن خفاجة وغيرهم . وكان أدب (وصف الطبيعة) غير بعيد المنشأ والمربى ، عن المدرسة القالية التي كانت تزود الأدباء بالغذاء الضروري والثقافة اللازمة لكل أديب وعالم .

2 ـ على أنه لو كانت هذه المدرسة عائقا في سبيل تطوير الأساليب البيانية ، والابداع الأدبي بالأندلس ، لكان مثل هذا قد حدث بالمشرق ، الذي انما نقل القالي وأصحابه قبسا من نوره ، وشيئا من تراثه . فقد كان المشرق لقرون طويلة ، هو مهد الدراسات النحوية واللغوية والأدبية القديمة ، ومع ذلك فان أحدا لم يقل انها عاقته عن حركة التجديد . ولو صح هذا الاعتراض أيضا ، لكان علينا ـ ونحن في نهاية القرن العشرين ـ أن نترك جانبا هذا التراث القديم ، ما دام وسيلة تعوق الأساليب ، ويتعثر بها تطور الآداب .

3 ـ انه اذا كان الأدب الأندلسي قد غرق في تقليد المشرق مدة طويلة من حياته ، فليست المدرسة القالية هي المسؤول الوحيد عن ذلك التقليد ، بل هناك أسباب كثيرة أخرى ، أهمها تأخر ظهور الأدب الأندلسي عن صنوه بالمشرق ، فلم يبدأ مسيرته الا في نهاية القرن الثاني ومطلع الثالث الهجري ، الشيء الذي جعله ينظر الى المشرق نظرة الطفل الصغير الى الرجل الرشيد الكامل . ولم تتغير هذه النظرة ، الا حين توقفت مسيرة الأدب المشرقي الذي صار يجتر نفسه ويعيد ماضيه .

ومنها أيضا أن الردة المعاكسة أو الاتجاه (المحافظ الجديد) الذي مثل المتنبي قمته بالمشرق ، قد وجد آذانا صاغية ، وصادف اعجابا من أدباء الأندلس فتأثروه وقلدوه .

وقد يكون من تلك الأسباب ، أن الأندلس «لم تجد من الوقت ما تتعمق به الثقافة الرومانية التي تثقفتها قديما ، على الرغم من اتخاذها اللاتينية . فلما جاء العرب لم يجدوها تحرز تراثا لاتينيا واسعا تستطيع أن تحتفظ به لنفسها وتدمجه في التراث العربي العام» . وهو رأي يقوله الدكتور شوقي ضيف (22) .

جانب شخصي

وهناك بعد هذا جانب (شخصي) من أثر القالي في الأندلس ، وذلك أنه استطاع أن يجعل من نفسه مثلا يقتدى في السلوك والمنهج العلميين ، وفي الضبط والحفظ والاتقان والرواية التي اشتهرت عنه . وقد انعكس ذلك كله على سلوك ومنهج تلاميذه الكبار أولا ، ثم تجلى في الاحترام والتقدير الذي ظل يذكر به عند العلماء في بطون مؤلفاتهم ثانيا . وهناك ما هو أبعد من هذا في **تصوير قيمة أبي علي في** نفوس علماء الأندلس وأدبائها ، يتجلى في (مقامة الاكليل) (23) لأبي الحسن علي ابن عبد الله الجذامي النباهي (ت 794 هـ) التي تعتبر عملا أدبيا فريدا وفق صاحبه لابراز هذه المكانة الجليلة بطريقة مستعذبة . وهي مقامة يدور الحوار فيها بين نخلة وكرمة ، فتتفاضلان بالمزايا والمحاسن ، حتى ينتهي الأمر بانتصار الكرمة ، وسكوت النخلة التي تعجز عن الجواب ، مفحمة مغلوبة . فيقول المؤلف : «.. فانقطع كلامها (24) ، وارتفع بحكم العجز ملامها . **وما كان الا أن نقل مقالي ، فقال المتكلم**

---

(22) الفن ومذاهبه في الشعر (ص 412) .
(23) مخطوط الرباط رقم 328 ق .
(24) الضمير يعود على النخلة .

بلسان القالي : أنا أتطوع بالجواب ، وعلى الله جزيل الثواب : ليعلم كل سائل أن تفضيل النخيل على العنب من المسائل التي لا يسع فيها جحد جاحد ، وان كانا أخوين سقيا بماء واحد ...» .

ثم يمضي هذا المدافع المتكلم بلسان القالي ، في عرض حججه وبراهينه المستقاة من الأثر والرواية والتاريخ والمنطق العقلي ، بكلام فصيح بليغ ، أفحم به الخصم وأعيى المعارض ، الذي عجز بدوره عن الجواب وقصر باعه عن الدفاع . فيقول المؤلف :

«.. قال المحدث : ومن يا اخوتي لعلي (25) ، بمعارضة الحافظة أبي علي ، ولو أني أمسيت بمنزلة النضر بن شميل (26) ، وأصبحت أفصح من عامر بن طفيل (27) ، وكنت أخطب من شبيب (28) ، وأشعر من حبيب (29) ، وأحكم من أكثم (30) ، أو عمرو بن الأهتم (31) وعلى أنه ما قال الا حقا ، وبعدا للمراء وسحقا . ولكني أقسم عليكم بمقدر الضياء والحلك ، ومسخر النجوم والفلك ، يا صيابة الأعراب (32) ، وأصحاب الإغراب ، وأرباب فنون الاعراب ، الا ما تأملتم فصول هذه المقالة ، وأفتيتم بما يترجح فيها من اجازة أو اقالة ، فأنتم علماء الكلام ، وزعماء كتائب الاقلام ..» .

فأنت ترى من خلال هاتين الفقرتين ، علو منزلة (الحافظة) أبي علي القالي عند رجل من علماء الدولة النصرية ، ومكانته في نفسه . وكأني به يترجم أحاسيس غيره من الأدباء ، ويعبر عما يشعرون به ازاءه من تقدير وتبجيل . وقد جعل منه رجلا يعجز عن معارضته أفصح البلغاء وأكبر الشعراء ، وأجرى على لسانه حديثا فاز به على الخصوم ومعارضي النخلة من المعجبين بالكروم . هذا فضلا عما أورده في

---

(25) وهو (أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي صاحب المقامة) .

(26) النضر بن شميل ، أحد اللغويين البصريين ، أخذ عن الخليل وعن فصحاء الأعراب . وتوفى سنة 204 هـ .

(27) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر من الشعراء المخضرمين .

(28) هو المأمون شبيب بن شيبة ، ذكره ابن النديم في الخطباء العرب .

(29) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور .

(30) أكثم بن صيفي التميمي المضروب به المثل في الحكمة .

(31) عمرو بن الأهتم شاعر معروف وأحد الوافدين على الرسول عليه السلام . وفيه قال صلى الله عليه وسلم «ان من البيان لسحرا» . وقد ورد في متن هذه المقامة على أنه (عمر بن الهيتم) والمعروف بأنه (عمرو بن الأهتم) وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها :

الا طرقت اسماء وهي طروق ... وبانت على أن الخيال يشوق

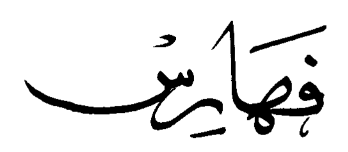
(أنظر المفضليات ص 125)

(32) الصيابة بضم الصاد وفتح الياء المشددتين : الخيار من الشيء والخالص والصميم (القاموس) .

شرح المقامة المذكورة ، من الثناء والاكبار لعلم القالي وأدبه ، كما سبق أن رأينا في دراسة كتاب الأمالي.

ثم أنظر كيف خاطب في النهاية جماعة وصفهم بأنهم(صيابة الأعراب ، وأصحاب الاغراب ، وأرباب فنون الاعراب) . فمن يقصــد بهؤلاء ان لم يكونوا هم أصحـاب الدراســات اللغوية والأدبية الذين نقلوا علوم أبي علي وعملـوا على نشر التراث العربي القديم ؟

(انتهى)


فهارس

فهـرس المصـــادر والمراجــع العربيـــة

1 ـ ابن سيدة المرسي :
للمستشرق الاسباني داريو كابانيلاس ، ترجمة حسن الوراكلي ، (مطبوع على الآلة الراقنة) .

2 ـ أخبار النحويين البصريين :
لأبي سعيد السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه ف . كرنكو ، مطبوع بباريس وبيروت سنة 1936 م .

3 ـ أخبار الفقهاء والمحدثين :
محمد بن حارث الخشـــني ، مخطـوط الخزانة الملكيـــة بالرباط رقم 6916 .

4 ـ الأدب الأندلسي (من الفتح الى سقوط الخلافة) :
د . أحمد هيكل ، الطبعة الثالثة ، مصر 1967 م.

5 ـ أرمينية في التاريخ العربي :
أديب السيد ، الطبعة الأولى ، حلب 1972 م .

6 ـ أزهار الرياض في أخبار عياض :
للمقري (أحمد بن محمد) ، تحقيــق مصطفى الســقا ، ابراهيــم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، القاهرة سنة 1940 م .

7 ـ استدراك الغلط الواقع في كتاب العين :
أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، مخطوط القرويين بفــاس رقم 2695 ل 80 .

8 ـ الأضداد في اللغة :
أبو بكر الأنبـاري (محمد بن القاسم) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الكويت 1960 م .

9 ـ أطلس التاريخ الاسلامي :
هاري و . هازارد ، تعريب ابراهيم زكي خورشيد ، القاهرة (بدون تاريخ) .

10 ـ الأعـلام :
خير الدين الزركلي ، طبعة ثانية 1957 م .

11 ـ الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام :
عباس بن ابراهيم المراكشي ، الطبعة الأولى سنة 1936 م. بفاس .

12 ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام :
لسان الدين ابن الخطيب ، القسم الثاني ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط 1934 م .

13 ـ الأغـاني :
أبو الفرج الأصبهـاني ، دار مكتبة الحيـاة ، دار الفكر ، بيروت 1955 م .

14 ـ الأفعـال :
أبو بكر محمد بن القوطية ، تحقيـق علي فودة ، الطبعة الأولى ، مصر 1952 م .

15 ـ افعل من كذا :
أبو علي القالي :
أ ـ نشر وتحقيق محمد الفاضل ابن عاشور ، تونس 1972 م .
ب ـ مخطوط الخزانة الأحمدية بتونس رقم 3945 .

16 ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب :
أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ، بيروت 1901 م . بتصحيح عبد الله أفندي البستاني .

17 ـ الأمالي (النوادر) :
أبو علي القالي :

أ ـ طبعة بيروت مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (بدون تاريخ) ، نشر محمد عبد الجواد الأصمعي .

ب ـ مخطوطات قسم الوثائق بالرباط ذات الأرقام 1006 د ـ 368 ق ـ 967 د .

18 ـ أمالي السهيلي :

أبو القاسم السهيلي ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، الطبعة الأولى ، مصر 1970 م .

19 ـ الأمبراطورية البيزنطية :

د . نبيه عاقل ، دمشق 1969 م .

20 ـ الأمثال العربية القديمة :

رودلف زلهايم ، ترجمة د . رمضان عبد التواب ، طبعة أولى ، بيروت 1971 م .

21 ـ أنباه الرواة على أنباه النحاة :

القفطي (علي بن يوسف) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة أولى ، القاهرة 1952 .

22 ـ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك :

لأبي محمد ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة خامسة ، بيروت 1966 م .

23 ـ البارع في اللغة :

أبو علي القالي :

أ ـ قطعة نشرها المستشرق ا . ص . فولتن بلندن سنة 1933 م . مصورة عن مخطوط المتحف البريطالني رقم 9811ـ OR) مع مقدمة بالانجليزية .

ب ـ مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 4235
(De Slane's catalogue)

24 ـ البديع في وصف الربيع :

أبو الوليد الحميري ، نشره المستشرق هنري بيريس سنة 1940 م . (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية) .

25 ـ برنامج شيوخ الرعيني :

أبو الحسن علي بن محمد الرعيني ، تحقيق ابراهيم شبوح ، دمشق 1962 م .

26 ــ بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال :
أبو جعفر اللبلي الأندلسي ، تحقيق جعفر ماجد ، الدار التونسية للنشر 1972 .

27 ــ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس :
أحمد بن يحيى الضبي ، القاهرة 1967 م . (دار الكاتب العربي) .

28 ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :
جلال الدين السيوطي ، بيروت (بدون تاريخ) .

29 ــ بلاغات النساء :
أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، بيروت 1972 م .

30 ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :
ابن عذارى المراكشي ، تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، بيروت (دون تاريخ) .

31 ــ تاريخ الأدب الأندلسي :
د . احسان عباس
أ ــ عصر سيادة قرطبة ، بيروت 1966 م .
ب ــ عصر الطوائف والمرابطين ، طبعة أولى ، بيروت 1962 م .

32 ــ تاريخ الأدب الجغرافي العربي :
اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1963 م .

33 ــ تاريخ الأدب العربي :
كارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ج 1 و 2 سنة 1968 م ــ ج 3 سنة 1969 م .

34 ــ تاريخ الاسلام :
د . حسن ابراهيم حسن ، الطبعة السابعة ، مصر 1964 م .

35 ــ تاريخ افتتاح الأندلس :
أبو بكر محمد بن القوطية ، تحقيق ونشر عبد الله أنيس الطباع ، بيروت 1957 م .

36 ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) طبعة أولى ، القاهرة وبغداد 1931 م .

37 ـ تاريخ العلم والعلماء والرواة للعلم بالأندلس :
أبو الوليد ابن الفرضي ، نشر عزت العطار الحسيني ، مصر 1954 م .

38 ـ تاريخ الفكر الأندلسي :
انخل جنتالث بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس ، طبعة أولى ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية .

39 ـ تاريخ الموصل :
القس سليمان صائغ ، المطبعة السلفية ، مصر 1923 م .

40 ـ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس :
محمد رضوان الداية ، طبعة أولى ، بيروت 1968 م .

41 ـ تحفة المودود في المقصور والممدود :
أبو عبد الله محمد بن مالك ، طبعة أولى ، مصر 1329 هـ . تصحيح أحمد بن الأمين الشنجيطي .

42 ـ تذكرة الحفاظ :
أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف العثمانية ، 1958 م .

43 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :
القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ، تحقيق د . أحمد بكير محمود ، بيروت 1965 م .

44 ـ تعليقات أبي عبيد البكري على الكامل للمبرد :
(مضمومة الى طرر الوقشي والبطليوسي على الكامل) مخطوط مصور على الشريط بقسم الوثائق بالرباط رقم 179 عن الأصل المحفوظ بالزاوية الحمزاوية رقم 189 .

45 ـ تفسير البحر المحيط :
أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) ، طبعة أولى ، مصر سنة 1328 هـ .

46 ـ التكملة لكتاب الصلة :
ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي)
أ ـ طبعة كوديرا زيدان ، سنة 1886 م . بمجريط (في جزئين) .

ب ـ طبعة بالنسيا ـ مدريد 1915 م (وهي تكملة لطبعة كوديرا) .
ج ـ طبعة مصر في جزئين سنة 1956 م . نشرها ع . العطار الحسيني .

47 ـ التنبيه على أوهام أبي علي (القالي) في أماليه :
أبو عبيد البكري الأونبي ، مطبوع مع ذيل الأمالي بمراجعة محمد عبد الجواد الأصمعي ومقدمة للأب أنطون صالحاني اليسوعي ، سنة 1926 م (بدار الكتب) .

48 ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر :
أبو عبد الله الحميدي ، تحقيق محمد بنتاويت الطنجي ، القاهرة سنة 1953 م .

49 ـ جمهرة أنساب العرب :
أبو محمد ابن حزم ، تحقيق د . عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر 1962 م .

50 ـ جمهرة اللغة :
أبو بكر محمد بن دريد ، طبعة أولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد 1345 هـ .

51 ـ الحركة اللغوية في الأندلس :
البير حبيب مطلق ، بيروت 1967 م .

52 ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري :
آدم ميتز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة 1957 م .

53 ـ الحلة السيراء :
لأبي عبد الله ابن الأبار ، تحقيق د . حسين مؤنس ، طبعة أولى ، سنة 1963 ، القاهرة .

54 ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية :
محمد بن محمد الوزير ابن السراج ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر 1970 م. (الأقسام الأربعة من الجزء الأول) .

55 ـ حلية الفرسان وشعار الشجعان :
علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف 1951 م .

56 ـ حواش وتعليقات على نسـخة القرويين من مختصر العين للزبيدي (رقم ط 80 363) :
يظن أنها من صنع أبي محمد البطليوسي .
57 ـ خريدة القصر وجريدة العصر :
العمـاد الأصفهـاني ، تحقيـق محمد المرزوقي وزميليـه ، الدار التونسية للنشر 1973 م .
58 ـ خزانة الأدب :
عبد القادر البغدادي ، طبعة أولى ، المطبعة الأميرية ببولاق (بدون تاريخ) .
59 ـ الخصـائص :
أبو عثمـان ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة أولى ، مصر 1956 م .
60 ـ دائرة المعارف الاسلامية :
الطبعة العربية 1933 م . ترجمة جماعة من الأساتذة .
61 ـ دراسات أدبية في الشعر الأندلسي :
د . أسعد اسماعيل شلبي ، مصر 1972 م .
62 ـ دراسات في فقه اللغة :
د . صبحي الصالح ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت 1968 م .
63 ـ درة الحجال في غرة أسماء الرجال :
أحمد بن محمد بن القاضي ، اعتنى بنشـره ي . س . علـوش ، القسم الأول ، الرباط 1934م .
64 ـ الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة :
حمزة بن الحسن الأصبهـاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف ، مصر 1971ـ1972 .
65 ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة :
ابن حجر العسـقلاني ، تحقيق محمد سـيد جاد الحق ، القاهرة 1966 م .
66 ـ دولة الاسلام في الأندلس :
محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1960 م .

67 ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :
ابراهيم ابن فرحون ، طبعة أولى ، مصر 1351 هـ .

68 ـ ديباجة القاموس :
الشيخ نصر الهوريني ، مطبوعة بمقدمة القاموس المحيط للفيروزبادي ، الطبعة الثانية ، مصر 1952 م .

69 ـ ديوان أبي تمام (ومقدمة التحقيق) :
تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر 1964 م .

70 ـ ديوان ابن دراج القسطلي (ومقدمة التحقيق) :
تحقيق د . علي مكي ، الطبعة الثانية سنة 1389 هـ .

71 ـ ديوان **ابن دريد** (أبي بكر محمد بن الحسين) :
تحقيق ودراسة عمر ابن سالم ، الدار التونسية للنشر 1973.م .

72 ـ ديوان حازم القرطاجني (قصائد ومقطعات) :
تحقيق د . محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1972 م .

73 ـ ديوان ابن شهيد (أبي عامر) :
تحقيق يعقوب زكي ، القاهرة (دون تاريخ) .

74 ـ ديوان علقمة الفحل ـ شرح الأعلم الشنتمري :
تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، الطبعة الأولى ، حلب 1969 م .

75 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :
أبو الحسن علي بن بسام :
أ ـ القسم الأول ، المجلد الأول ، القاهرة 1939 م .
ب ـ القسم الأول ، المجلد الثاني ، القاهرة 1942 م .
ج ـ القسم الرابع ، المجلد الأول ، القاهرة 1945 م .
د ـ القسم الثالث والرابع ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 112 ق .
هـ ـ القسم الأول والثاني والثالث ، مخطوط الرباط رقم 1324 د .
و ـ القسم الرابع ـ مخطوط الرباط رقم 1350 د .

76 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :
أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي :

أ ـ السفر الأول ، القسم الأول والثاني ، تحقيق د . محمد ابن شريفة ، بيروت ، دار الثقافة (دون تاريخ) .
ب ـ بقية السفر الرابع ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة (دون تاريخ) .
جـ ـ السفر الخامس ، القسمان الأول والثاني ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة 1965 م .
د ـ السفر السادس ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، طبعة أولى ، سنة 1973 م .
هـ ـ قسم الغرباء ، مصور عن خزانة العباس بن ابراهيم ، بقسم الوثائق بالرباط رقم 1705 د .

77 ـ رايات المبرزين وغايات المميزين :
أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد ، نشره اميللو غارسيا غومس مدريد 1942 م .

78 ـ رحلة العبدري (الرحلة المغربية) :
أبو عبد الله محمد العبدري الحيحي ، تحقيق ونشر محمد الفاسي ، الرباط 1968 م .

79 ـ رسالة التوابع والزوابع :
أبو عامر ابن شهيد ، شرح وتصحيح بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت 1967 م .

80 ـ رواية اللغة :
د . عبد الحميد الشلقاني ، دار المعارف ، مصر 1971 م .

81 ـ زهر الآداب وثمر الألباب :
أبو اسحاق الحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، طبعة أولى ، مصر 1953 م .

82 ـ سمط اللآلي (ويحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي) :
عبد العزيز الميمني ، بمصر 1936 م .

83 ـ سير أعلام النبلاء (جزء خاص بترجمة الامام ابن حزم الأندلسي) :
شمس الدين الذهبي ، تحقيق سعيد العريان ، بيروت 1969 م .

84 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب :
ابن العماد الحنبلي ، بيروت (دون تاريخ) .

85 ـ شرح ديوان الشعراء الستة :
ابن خروف الحضرمي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 923 د .

86 ـ شرح ديوان امرىء القيس :
أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1314 د .

87 ـ شرح ديوان الشعراء الستة :
الأعلم الشنتمري ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1726 ك .

88 ـ شرح مقامة الاكليل :
أبو الحسن الجذامي النباهي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 328 ق .

89 ـ شرح مقامات الحريري :
أبو عبد الله محمد بن منصور بن حمامة ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1090 ق .

90 ـ شرح مقامات الحريري :
أبو جعفر أحمد بن داود الجذامي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1266 د .

91 ـ شرح مقامات الحريري :
أبو العباس الشريشي ، الناشر محمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة أولى ، مصر سنة 1952 م .

92 ـ شرح المفصل :
موفق الدين ابن يعيش ، المطبعة المنيرية ، مصر (دون تاريخ) .

93 ـ شرح مقصورة ابن دريد :
أبو عبد الله محمد بن هشام اللخمي السبتي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 185 د .

94 ـ شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال :
أبو محمد ابن درستويه ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 100 ق (ضمن مجموع) .

95 ـ الشعر الأندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه :
غارسيا غومس ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1956 م .

96 ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية :
أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، بيروت 1967 م .

97 ـ الصلـة :
أبو القاسم ابن بشكوال :
أ ـ نشرة عزت العطار الحسيني ، مصر 1955 م .
ب ـ نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م .

98 ـ صلة الصلة (القسم الأخير) :
أبو جعفر أحمد بن الزبيـر ، الناشـر ليفي بروفنسـال ، الرباط 1938 م .

99 ـ طبقـات الأمم :
أبو القاسم صـاعد بن أحمد الأندلسي ، مطبعة السـعادة ، مصر (دون تاريخ) .

100 ـ طبقات الحنابلة :
القاضي أبو الحسن محمد بن أبي يعلى ، القاهرة سنة 1952 م .

101 ـ طبقات الشافعية الكبرى :
تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي ، الطبعة الأولى ، مصر (دون تاريخ) .

102 ـ طبقـات الفقهـاء :
أبو اسـحاق الشيرازي الشافعي ، تحقيق د . احسـان عباس ، بيروت 1970 م .

103 ـ طبقـات المفسرين :
الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي ، تحقيـق علي محمد عمر ، طبعة أولى ، مصر 1972 م .

104 ـ طبقات النحويين واللغويين :
أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة ثانية ، دار المعارف ، مصر 1973 م .

105 ـ طرر الوقشي والبطليوسي على كتاب الكامل للمبرد :
مخطـوط مصور بقسم الوثائق بالرباط (رقم الشـريط 179) عن الأصل المحفوظ بالزاوية الحمزاوية رقم 189 (في مجموع) .

106 ـ ظهر الاسلام :
أحمد أمين ، الطبعة الخامسة ، بيروت 1969 م .

107 ـ العبر في خبر من غبر :
الحافظ الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت سنة 1960 م .

108 ـ العصر العباسي الثاني :
د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر 1973 م .

109 ـ العقد الفريد :
أحمد ابن عبد ربه :
أ ـ تحقيق أحمد أمين ـ أحمد الزين ـ ابراهيم الأبياري ، القاهرة سنة 1940 م .
ب ـ تحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة أولى ، القاهرة 1940 م .

110 ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية :
أبو العباس أحمد الغبريني ، تحقيق الأستاذ رابح بونار ، الجزائر سنة 1970 م .

111 ـ عيون الانباء في طبقات الأطباء :
ابن أبي أصيبعة ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت 1965 م .

112 ـ غاية النهاية في طبقات القراء :
شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، نشره ج . برجستراسر ، طبعة أولى ج 1 سنة 1932 م . ـ ج 2 سنة 1933 م .

113 ـ فتوح البلدان :
أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق وطبع عبد الله أنيس الطباع ـ عمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين 1975 م .

114 ـ الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية :
محمد بن علي بن طباطبا (المعروف بابن الطقطقي) ، مصر (دون تاريخ) .

115 ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال :
أبو عبيد البكري ، تحقيق د . احسان عباس ـ د . عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ، بيروت 1971 م .

116 ـ الفصـــوص :
أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي :
أ ـ مخطوط القرويين بفاس رقم خ 587/40 .
ب ـ مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1668 ك .

117 ـ فضائل الأندلس وأهلها (يتضمن رسائل ابن حزم ـ ابن سعيد ـ والشقندي في فضل الأندلس)
نشرها وقدم لها د . صلاح الدين المنجـد ، طبعة أولى ، بيروت 1968 م .

118 ـ الفهرســت :
ابن النديم ، مصر 1348 هـ .

119 ـ فهرسة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي :
مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 3110 ك .

120 ـ فهرسة عبد الحق ابن عطية :
مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1301 ك .

121 ـ فهرسة القاضي عياض :
مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1807 د .

122 ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه :
أبو بكر محمد بن خير الاشـبيلي ، الطبعة الثانية سـنة 1963 م .
(بيروت ـ بغداد ـ القاهرة) وهي مأخوذة عن الأصل الذي نشره قداره زيدين وخليان رباره بسرقسطة سنة 1893 م .

123 ـ فهرسة الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات :
عبد الحي الكناني ، فاس سنة 1347 هـ .

124 ـ فن التوشـيح :
د . مصطفى عوض الكريم ، بيروت 1959 م .

125 ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي :
د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة السابعة ، مصر 1969 م .

126 ـ فوات الوفيـات :
محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، الجزء الأول سنة 1951 م. والثاني سنة 1953 م .

127 ـ قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر :
الشـيخ صالح بن محمد الفلاني العمري ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 1301 ك .

128 ـ قلائد العقيـان :
الفتح بن خاقان (الفتح بن محمد بن علي) ، مطبعة بولاق 1283 هـ .

129 ـ الكامل (في اللغة والأدب) :
أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، نشر محمد أبو الفضل ابراهيم ـ السيد شحاته ، دار نهضة مصر ، القاهرة (دون تاريخ) .

130 ـ الكامل في التاريخ :
أبو الحسن ابن الأثير ، دار صادر ، بيروت 1965 م .

131 ـ الكتاب لسيبويه :
طبعة أولى ، بولاق سنة 1316 هـ (طبعة مصورة) .

132 ـ كتاب الاتبـاع :
أبو الطيب اللغوي ، تحقيق عز الدين التنوخي ، منشور في الأجزاء الأربعة (1ـ4) من المجلد 36 من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1961 م .

133 ـ كتاب الأمالي لأبي علي القالي ـ دراسة واختيار :
د . عمر الدقاق ، الطبعة الثانية ، حلب (دون تاريخ) .

134 ـ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس :
أبو عبد الله ابن الكنـاني ، تحقيق د . احسـان عبـاس ، بيروت 1966 م .

135 ـ كتـاب العيـن :
الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د . عبد الله درويش (الجزء الأول) ، بغداد 1967 م .

136 ـ كتاب فعلت وأفعلت :
أبو اسـحاق الزجاج ، نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر 1949 م (ضمن مجموع) .

137 ـ كتـاب المخصص :
أبو الحسـن علي بن اسـماعيل بن سـيدة ، بيـروت ، المكتب التجاري .

138 ـ كتاب الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح :
أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي ، طبعة بولاق ، مصر 1281 هـ . بتصحيح نصر الهوريني .

139 ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة :
لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت 1963 م .

140 ـ كراريس من فهرسة المنتوري :
محمد بن عبد الملك المنتوري الغرناطي ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 3090 ك .

141 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :
حاجي خليفة ، نشر مكتبة المثنى ببغداد (دون تاريخ) .

142 ـ لحن العوام :
أبو بكر الزبيدي ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، طبعة أولى ، القاهرة 1964 م .

143 ـ لسان الميزان :
الحافظ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، بيروت 1971 م .

144 ـ مجالس ثعلب :
أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، طبعة ثالثة ، مصر 1969 م .

145 ـ محاولة للدفاع عن بر العدوة :
عبد الرحمن الفاسي ، مستل من المجلد السابع عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1969 م .

146 ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :
أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة ، تحقيق مصطفى السقا ـ د . حسين نصار ، طبعة أولى ، مصر سنة 1958 م .

147 ـ مختصر العين :
أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي :
أ ـ مخطوط القرويين بفاس رقم ط 363/80 .
ب ـ قطعة منشورة بتحقيق علال الفاسي ومحمد بنتاويت الطنجي ، الدار البيضاء 1963 م .

148 ـ المخصص لابن سيدة (دراسة ـ دليل) :
محمد الطالبي ، تونس 1956 م .

149 ـ المدارس النحوية :
د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر 1968 م .

150 ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو :
د . مهدي المخزومي ، طبعة ثانية ، مصر 1958 م .

151 ـ المذهبة في نظم الصفات من الحلى والصفات (أرجوزة ابن المناصف) :
ابن المناصف (أبو عبد الله محمد بن أبي الأصبغ) ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 3748 د .

152 ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان :
أبو محمد اليافعي ، طبعة أولى ، حيدر آباد ، الدكن 1338 هـ .

153 ـ مراتب النحويين :
أبو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1955 م .

154 ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس) :
أبو الحسن النباهي ، بيروت (دون تاريخ) .

155 ـ مروج الذهب :
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت 1966 م .

156 ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها :
جلال الدين السيوطي ، نشر محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، مصر (دون تاريخ) .

157 ـ المسالك والممالك .
أبو اسحاق الأصطخرى ، تحقيق د . محمد جابر عبد العال الحسيني ، مصر 1961 م .

158 ـ المسالك والممالك :
أبو القاسم ابن حوقل ، طبعة المستشرق دو خويه (M. J. de Gocja) ليدن 1873 م .

159 ـ المستدرك في اللغة على كتاب العين :
أبو بكر الزبيدي ، مخطوط مصور بقسم الوثائق بالرباط على الشريط رقم 647 ق عن الأصل المحفوظ بخزانة القرويين بفاس رقم 64 .

160 ـ مصادر التراث العربي :
د . عمر الدقاق ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1972 م .

161 ـ المطرب من أشعار أهل المغرب :
أبو الخطاب عمر بن دحية ، تحقيق ابراهيم الأبياري وزميليه ، بيروت (دون تاريخ) .

162 ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس :
أبو نصر الفتح بن محمد (ابن خاقان) ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 805 .

163 ـ المعاجم العربية :
د . عبد الله درويش ، مصر 1956 م .

164 ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب :
عبد الواحد المراكشي ، نشر محمد سعيد العريان ـ محمد العربي العلمي ، طبعة أولى ، القاهرة 1949 م .

165 ـ معجم الأدباء :
ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المأمون ، مصر 1938 م (الناشر ن . مرجليوت) .

166 ـ معجم البلدان :
ياقوت الحموي ، طبعة أولى ، مصر 1906 م .

167 ـ المعجم العربي ـ نشأته وتطوره :
د . حسين نصار ، القاهرة 1956 م .

168 ـ معجم الشعراء :
أبو عبيد الله المرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مصر 1960 م .

169 ـ المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي :
محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الابار) ، (طبعة مصورة عن طبعة

مجريط سنة 1885 م) .
نشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر .

170 – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
أبو عبيد البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، طبعة أولى ، القاهرة ، (طبعت الأجزاء الأربعة ما بين سنتي 1945 م و 1951 م) .

171 – معجم مقاييس اللغة :
أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة أولى ، القاهرة 1366 هـ .

172 – معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) :
عمر رضا كحالة ، دمشق 1957 م .

173 – المغرب في حلى المغرب :
ابن سعيد المغربي ، تحقيق د . شوقي ضيف ، طبعة ثانية ، دار المعارف ، مصر 1964 م .

174 – المقاصد النحوية :
محمود العيني ، مطبوع بهامش خزانة الأدب للبغدادي ، طبعة أولى ، بولاق .

175 – المقتبس في أخبار بلد الأندلس :
أبو مروان ابن حيان :
أ – القطعة الأولى بتحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت 1965 م .
ب – القطعة الثانية بتحقيق د . محمود علي مكي ، القاهرة 1971 م .
جـ – القطعة الثالثة مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم 87 .

176 – المقدمة :
عبد الرحمن ابن خلدون ، تحقيق د . علي عبد الواحد وافي ، طبعة أولى 1962 م .

177 – مقدمة تحقيق كتاب المقصور والممدود للقالي :
أحمد عبد المجيد هريدي ، مطبوعة على أوراق الاستنساخ .

178 – المقصور والممدود :
أبو علي القالي :

أ ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم 184 لغة .
ب ـ مخطوطة مصورة بقسم الوثائق بالرباط على الشريط رقم 967 عن أصل المرحوم محمد الجواد الصقلي .

179 ـ المقصور والممدود :
أبو العباس ابن ولاد ، طبعة أولى ، مصر سنة 1908 م .

180 ـ المقصور والممدود :
منسوب لغلام ثعلب (أبي عمر المطرز) ، مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم 100 ق (في مجموع) .

181 ـ من أسرار اللغة :
د . ابراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 1972 م .

182 ـ مناهج التأليف عند العرب :
د . مصطفى الشكعة ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروب 1973 م .

183 ـ المنقوص والممدود :
يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، مصر (دون تاريخ) .

184 ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال :
أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، طبعة أولى ، دار احياء الكتب العربية 1963 م .

185 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :
جمال الدين ابن تغرى بردى الاتابكي ، طبعة أولى ، القاهرة 1929 م .

186 ـ النثر الفني في القرن الرابع :
د . زكي مبارك ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ، (دون تاريخ) .

187 ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء :
أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1967 م .

188 ـ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة :
محمد الطنطاوي ، الطبعة الثانية 1969 م .

189 ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي :
سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية ، بيروت 1969 م .

190 ـ نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب :
د . أمجد الطرابلسي ، الطبعة الخامسة ، دمشق 1973 م .

191 ـ نفح الطيب :
أحمد المقري :
أ ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مصر 1949 م .
ب ـ تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت سنة 1968 .

192 ـ نكت الهميان في نكت العميان :
صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، طبعة أحمد زكي باشا ، مصر 1911 م .

193 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج :
أبو العباس أحمد بن أحمد بابا التنبكتي ، مطبوع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، طبعة أولى ، مصر 1351 هـ .

194 ـ هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) :
اسماعيل باشا البغدادي ، طبعة مصورة بالأوفست ببغداد عن طبعة استنبول 1951 م .

195 ـ الوافي بالوفيات :
صلاح الدين الصفدي ، الطبعة الثالثة
جـ 1 باعتناء هلموت ريتر 1962 م (بفيسبادن) .
جـ 2 باعتناء س . ديديرنغ 1949 م. استنبول .
جـ 3 باعتناء س . ديديرنغ 1952 م. دمشق .
جـ 4 باعتناء س . ديديرنغ 1959 م. دمشق .

196 ـ الوافي في نظم القوافي :
أبو الطيب صالح بن شريف الرندي ، تحقيق محمد الخمار الكنوني ، مطبوع على أوراق الاستنساخ .

197 ـ الوفيات :
ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ ، نشره هنري بيريس ، مصر (دون تاريخ) .

198 ـ وفيـات الأعيـان :
ابن خلكـان ، تحقيق د . احسـان عبـاس ، دار صادر ، بيروت 1972 م .

199 ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر :
أبو منصور الثعالبي ، تحقيـق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1956 م .

المجـلات والدوريـات

1 ـ الباحث (مغربية) السنة الأولى ، مجلد 2 ، سنة 1972 .

2 ـ البحوث والمحاضرات التي ألقيت في الدورة الخامسة والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (1968ـ1969 م) ، العدد 22 ، مطبوع بالقاهرة سنة 1969 م .

3 ـ مجلة تراث الانسانية ج 5 ص 45 .

4 ـ مجلة الزهراء (لمنشئها محب الدين الخطيب) ، المجلد 3 ص 452ـ592 السنة 1945 م .

5 ـ مجلة اللسان العربي (يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط) المجلد 8 ج 3 السنة الخامسة .

6 ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق :

المجلد 35 ج 1 و 4 سنة 1960 م .

المجلد 36 ج 1ـ2ـ3ـ4 سنتي 1960ـ1961 م .

المجلد 41 ج 1 يناير 1966 م .

المجلد 44 ج 3 سنة 1969 م .

المجلد 45 ج 3 سنة 1970 م .

7 ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج 19 سنة 1965 م .

8 ـ مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 9 ج 1 مايو 1963 م .

المراجع الأجنبية

BLACHERE (R) :

- Un Pionier de la culture arabe orientale en Espagne au X^ème siècle : S'aid de Baghdad. (in : Hespèris : tome 10 – Rabat, 1930).
- Un poète arabe du IV^ème siècle de l'hégire « X^ème siècle de J.C. » : Abou T-Tayyib Al Mutanabbi –) Paris 1935.

BÛCHNER (V.P.) :

- Malazgerd (in : Encyclopédie de l'Islam – Tome 3, pp. 214-215), texte français.

FULTON (A.S.) :

- Fascicule of the manuscript of al Kitab al Bari Fi Lygha London, 1933.

HARTMAN (R) :

- Erzerum (in : Encyclopédie de l'Islam) – Texte Français tome 2, pp. 32-34.

MAKKI (Mahmud Ali) :

- Ensayo Sobre Las aportaciones orientales en la España musulman y su influencia en la formacion de la cultura hispano-arabe, I.E.I Madrid – 1968.

PROVENCAL (L) :

- Histoire de l'Espagne musulmane – Paris, 1953.

رقم الإيداع القانوني : 1982/595
طبع بمطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

بتاريخ 1404 ـ 1984

ثبت تفصيلي الموضوعات

الصفحة

الفصل الثالث :

الصفحة

الباب الثاني

المرحلة الاندلسية

الفصل الاول :

الفصل الثاني :

القسم الثاني

أثر القالي في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس

الباب الاول

الصفحة

الصفحة

الباب الثالث

الصفحة

الصفحة